وقف لله تعالى
ولا يجوز بيعه

مقالات منهجية
في
قضايا معاصرة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ

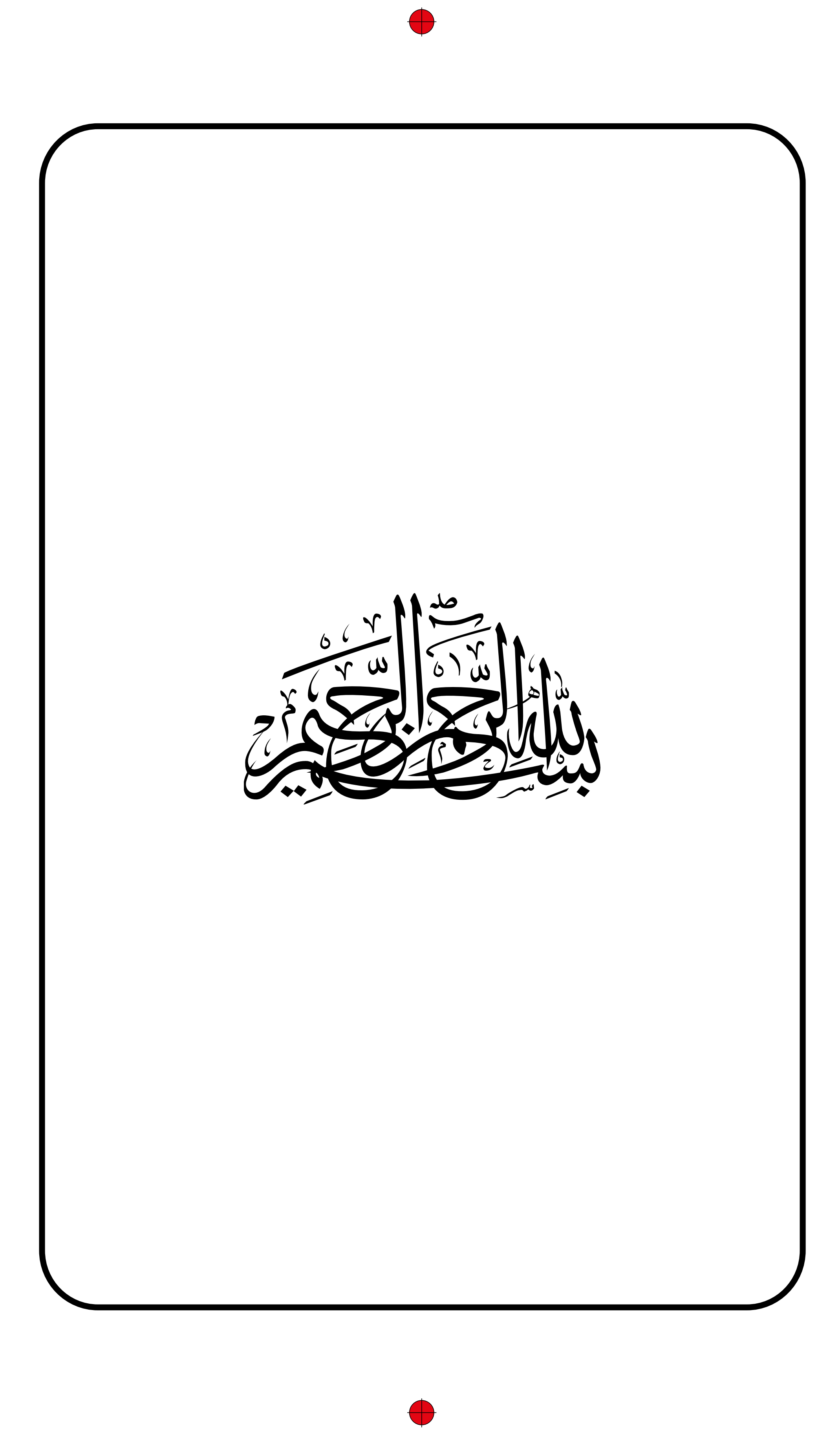
رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٣٦١٠

ISBN: 978-977-430-184-1

القسطاوي
للطباعة والتجليد
٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٩٥٥٥



عبد العزيز بن ناصر الجليل


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فأضع بين يدي القارئ الكريم مجموعة من المقالات التي كتبتها في مناسبات مرت وتمر بالأمة من أحداث ونوازل لها مساس بالعقيدة والمنهج، بثثتها في أمواج الشبكة العنكبوتية في مواقع ومجلات، رأيت أن أجمع شتاتها بين دفتي كتاب واحد للمحافظة عليها ومنعًا من أن تذهب مع الوقت في مهب الريح؛ لأن فيها شهادة علىٰ بعض الأحداث وبيان الموقف الشرعي الذي أحسبه حاكمًا عليها، لعلها أن تساهم في بيان الحق وفضح الباطل ورفع اللبس والتضليل الذي يمارَس علىٰ الأمة بصورة لم يسبق لها نظير، زلت بسببه أقدام وضلت أفهام وأصبح الحليم فيها حيران.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقني فيها حسن القصد وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يدمغ بها الباطل وأهله وأن يزيل بها اللبس والمكر عن الأمة، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

(١)

من نحن ومن الآخر؟![1]

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيمًا؛ وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد الذي تركنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فإن القيام بالعبودية الحقة لله عَزَّوَجَلَّ لا يتم إلا بالإخلاص له سبحانه في عبادته، وأن تكون العبادة علىٰ بصيرة واتباع لما جاء به الرسول ﷺ، وإن البصيرة في الدين لا تتحقق مادام الباطل ملتبسًا بالحق، وبمعنىٰ آخر، فإن البصيرة في الدين لا تحصل إلا بوضوح الحق وتنقيته من الباطل الملتبس به، قال تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣٢].

لذا؛ كان لزامًا علىٰ العبد أن يعرف الحق بدليله ما أمكن، وأن يزيل عنه الباطل الذي علق به، وذلك حتىٰ يأتي بالعبادة علىٰ وجهها المقبول عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإن من أعظم الفتن التي يفتن الشيطان بها العباد فتنة التزيين، ولبس الحق بالباطل، واتباع الهوىٰ في ذلك، ولقد وقع في هذا الشَّرَك العظيم كثير من الناس

---

(١) نشر بتاريخ (١٨/ ١٢/ ١٤٢٦هـ) ومناسبته: عندما كثر طرح (الآخر) بديلًا عن الكافر.

بعضهم عن علم وبعضهم عن جهل، وقد كثر اللبس والتضليل في عصرنا الحاضر؛ حيث ظهرت وسائل ماكرة ومضللة لبست علىٰ الناس دينهم وخلطت الحق بالباطل، بل وصل الأمر لدرجة قلب الحقائق، وإظهار الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وتعاون شياطين الجن والإنس: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. في وضع هذا التلبيس في قوالب من الأقوال مزخرفة وألفاظ خادعة، وتسمية للأسماء بغير مسمياتها، فضلَّ بسبب ذلك كثير من الناس.

وإننا في زماننا هذا لنرىٰ صورًا كثيرة من لبس الحق بالباطل، وصورًا من ليِّ أعناق النصوص، وصورًا كثيرة من المغالطات والخداع والحيل المحرمة المفتراة علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، فكان لزاما علىٰ الدعاة والعلماء أن يحذروا بأنفسهم من الوقوع في هذه المزالق وألا يسكتوا عليها، بل يجب عليهم أن يكشفوها للناس ويحذروهم منها، وألا يَدَعوهم لأهل الأهواء يلبسون عليهم دينهم، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه وهذا ما أخذه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهل العلم بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وإن كل من لبس علىٰ الناس دينهم أو كتم الحق عنهم ففيه شبه ممن زجرهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٢].

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ- عند هذه الآية: «نهىٰ عن لبس الحق بالباطل وكتمانه ولبسه به: خلطه به حتىٰ يلتبس أحدهما بالآخر، ومنه التلبيس: وهو التدليس والغش الذي يكونه باطنه خلاف ظاهره؛ فكذلك الحق إذا

لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان: معنىٰ صحيح، ومعنىٰ باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنىٰ الصحيح، ومراده الباطل، فهذا من الإجمال في اللفظ[1].

ويقول في موطن آخر: «وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم؟ فالغبي ينظر إلىٰ ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة يتفقد مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج علىٰ الجاهل بالنقد زغل الدراهم، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقود، وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق، وكم من حق يخرجه بتهجينه، وسوء تعبيره في صورة باطل؟ ومن له أدنىٰ فطنة وخبره لا يخفىٰ عليه ذلك»[2].

وإن ما يطرح اليوم في وسائل الأعلام وبعض الحوارات والندوات من تلاعب بالمصطلحات والمسميات لا يقف خطرها علىٰ الألفاظ فحسب، بل تجاوزه إلىٰ المضامين والأصول والثوابت، ومع ذلك لم يتصد لخطرها والرد عليها إلا أفراد قلائل لم تبلغ ردودهم حد الكفاية في الإعذار والإنذار، مع أن الأمر من الخطورة بحيث يجب التصدي له من قبل أهل العلم والدعوة، وأن يبلغوه للمسلمين في الوسائل المتاحة ليدركوا خطره وليحذروا من الوقوع في زخرف الملبسين وتضليل المضللين، وبخاصة أن الأمر يتعلق بأصول هذا الدين وثوابته وليس بفروعه وجزئياته.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٢٦).

(٢) «أعلام الموقعين» (٤/ ٢٢٩).

وإن من المصطلحات التي تطرح اليوم طرحًا انهزاميًّا ينم عن الشعور بالمهانة والذلة والحرج، من أصول هذا الدين ما يعمل له اليوم من حوارات ولقاءات صحفية ومؤتمرات تدور حول مصطلح «نحن والآخر».

فما هو المقصود بمصطلح «نحن والآخر»؟

إن هذا المصطلح من المصطلحات الغامضة الحمالة لمعاني مختلفة، ولعل ذلك مقصود ممن هم وراء طرحه وإثارته، ولذلك لابد من تحرير هذا المصطلح، وكشف أبعاده ليتعرىٰ الملبسون المضللون الذين يعنون ما يقولون، وليحذر الذين غرر بهم بتبني هذا المصطلح من بعض أهل العلم والدعوة.

ولتحرير هذا المصطلح والهدف من طرحه نستعرض المعاني المستعملة التي لا يخرج عنها تفسير هذا المصطلح.

الاستعمال الأول: وهو ما ذكره المجتمعون في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري المنعقد في أبها في الفترة من (١١-١٣/ ١١/ ٢٦هـ) حيث جاء في بيانهم الختامي تعريفهم لهذا المصطلح بقولهم: وقد اتجه المجتمعون إلىٰ التعبير بأن المقصود بـ«نحن» أي: المواطنين السعوديين الذين يجمعهم دين واحد هو الإسلام، ووطن واحد هو المملكة العربية السعودية، وله أراء وتوجهات متنوعة، «والأخر» هو المجتمعات الإنسانية الأخرىٰ بجميع أديانها وحضاراتها وأوطانها» ولا يخفىٰ ما في هذا الكلام من أبعاد خطيرة تبينها المناقشات التالية.

أولًا: قولهم بأن المقصود بـ«نحن»: المواطنين السعوديين... إلخ، و«الآخر»: هو المجتمعات الإنسانية الأخرىٰ... » إلخ. إن في هذا القول مزلقًا عظيمًا وتجاهلًا واضحًا لعقيدة الولاء والبراء في هذا

الدين، فالله ﷿ يقول: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ١٤].

ويقول سبحانه عن نبيه نوح عليه السلام مع ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [هود: ٤٦].

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠].

ويقول ﷿: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي ضوء هذه الآيات وأمثالها من القرآن الكريم يتبين المزلق الكبير لتعريف «نحن» و«الآخر» إذ كيف تحصر كلمة «نحن» في المواطنين السعوديين الذين يجمعهم دين واحد ووطن واحد... إلخ، إذن فأين محل إخواننا المسلمين في الأوطان الأخرىٰ، ومن بينهم العلماء والعباد والمجاهدين والدعاة والمصلحين؟ وهل هؤلاء يخرجون من دائرة «نحن»؟ أين الولاء والموالاة بين المؤمنين إذا ساويناهم بالآخر الكافر أو الملحد والمنافق ممن يعيشون خارج الوطن.

ثانيًا: وقالوا في تعريف من «نحن»؛ بأنهم «الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام في الوطن الواحد وإن تنوعوا مذهبيًّا وفكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، فلا يجوز استخدامه لاختراق الوحدة الوطنية»؛ إنه لا يخفىٰ ما في ذلك من خرق لعقيدة الولاء والبراء في هذا الدين، فكم في الوطن الواحد من العقائد الباطلة الكفرية التي يخرج صاحبها من الإسلام؛ كمن يعبد غير الله ﷿ ويستغيث به، ويدعي أن غير الله تعالىٰ يعلم الغيب كغلاة الشيعة والصوفية، وكم في الوطن الواحد من يكفر أصحاب

محمد ﷺ ويعاديهم، ويقذف نساء النبي ﷺ العفيفات الطاهرات، وكم في الوطن الواحد من المنافقين الذين يبطنون العداء للإسلام وأهله ويوالون الغرب وأهله، فهل هؤلاء هم منا ونحن منهم لأننا وإياهم نعيش في وطن واحد؟ إننا بهذا الفهم نعود إلىٰ صورة من صور الجاهلية الأولىٰ التي جاء هذا الدين للقضاء عليها وجعل رابطة العقيدة والإيمان فوق كل رابطة يعادىٰ من أجلها ويوالىٰ من أجلها ويحب من أجلها ويبغض من أجلها.

قال ﷺ: «**من تعزىٰ بعزاء أهل الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا**»[1].

فسمع أبي بن كعب رجلًا يقول: يا لفلان! فقال: اعضض أير أبيك فقال: يا أبا المنذر! ما كنت فاحشًا، فقال: بهذا أمرنا رسول الله ﷺ.

ويشرح شيخ الإسلام هذا الحديث فيقول: «ومعنىٰ قوله: «**من تعزىٰ بعزاء الجاهلية**» يعني يتعزىٰ بعزائهم، وهي الانتساب إليهم في الدعوة، مثل قوله: يا لقيس! يا ليمن! ويا لهلال! ويا لأسد، فمن تعصب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية، حتىٰ يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالىٰ معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله»[2].

والآيات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كثيرة تلك التي تركز علىٰ عقيدة الولاء والبراء، وأنها هي الأصل في رابطة الحب والبغض والاجتماع والافتراق، وأكتفي بقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٠٧٢٨) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٢٢).

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

هذه هي الملة الإبراهيمية وهذا هو الدين المحمدي، فهل أصبحت الوحدة الوطنية هي صاحبة السيادة العليا التي يعقد عليها الولاء والبراء، إن مما تعلمناه من كتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ وسيرة نبينا محمد ﷺ وأقوال سلفنا الصالح أن الأصل الذي يقوم عليه الولاء والوحدة والإئتلاف هو التوحيد والبراءة من الشرك وأهله؛ وإلا فلا وحدة ولا اجتماع، بل المفاصلة والبراءة؛ إذ فكيف يقول القوم هداهم الله عَزَّوَجَلَّ بأن التنوع المذهبي أو الفكري أو الثقافي لا يجوز استخدامه لاختراق الوحدة الوطنية»؟ هل يعني هذا أن الوحدة الوطنية فوق عقيدة التوحيد، وعلىٰ حساب عقيدة الولاء والبراء؟

إن مصطلح التنوع المذهبي أو الفكري أو الثقافي من المصطلحات العائمة الغامضة، لكن اللبيب يعرف ما المقصود منها؛ إنها تعني أن أي: مذهب عقدي شركي أو بدعي فما دام أنه داخل الوطن الواحد فينبغي الاعتراف به وعدم الافتراق معه ضمانًا للوحدة الوطنية، وهذا مخالف لدين نبينا محمد ﷺ وللملة الإبراهيمية، حيث لا ولاء ولا محبة لمشرك، وعليه فإن من يعبد عليًّا أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويسب أصحاب رسول الله ﷺ ليس بأخ لنا، وإن الصوفي الخرافي الذي يطوف بالقبور ويستغيث بأهلها ليس بأخ لنا، وأن الليبرالي المنافق الذي يبطن كره الإسلام وأحكامه، ويدعو إلىٰ محاكاة الغرب الكافر وتشريعاته ليس بأخ لنا، إن الوحدة الوطنية يجب أن تخضع لعقيدة التوحيد وليس العكس الذي تكون فيه الوحدة الوطنية علىٰ حساب عقيدة التوحيد، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن

نوح عليه السلام مع ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦].

فنحن نقول كذلك: إن أعداء التوحيد ليسوا من أهلنا ولا من قبيلتنا ولا من وطننا، فإما أن يرجعوا إلىٰ توحيد الله ويدخلوا في السلم كافه فيكونوا إخواننا، وتجمعنا بهم وحدة الدين، ويزيدها قوه وحدة الوطن وإلا فلا وحدة ولا وطنية معهم.

إن الولاء والبراء مع أنه مطلب شرعي عقدي، إلا أنه أيضًا مطلب فطري وعقلي فلا نجد جنسًا من الأجناس يرتبطون برابطة من الروابط إلا وتظهر عليهم هذه الصفة؛ حيث يوالون بني جنسهم ويعادون من يعاديهم حتىٰ في عالم الحيوان والطير، والكفار أنفسهم ينطلقون في ولائهم وبرائهم من هذا المنطلق، وقد أعلنها طاغوتهم بوش حينما قال: من لم يكن معنا فهو ضدنا»، هذا هو ولاء الكفار وبراءهم.

لكن المسلمين يتميزون عن جميع الأجناس بأن عقيدة الولاء والبراء تنطلق من كلمة التوحيد، فمن كان من أهلها فهو ممن يحبه الله تعالىٰ، فنحب من يحبه الله عز وجل، ومن كفر بها أبغضه الله وأصبح عدوًّا لله فحينئذ نبغضه لأن الله يبغضه، أما بقية الأجناس الأخرىٰ كالحيوان والكفار وأصحاب الروابط الجاهلية من بني آدم، فهم يوالون ويعادون علىٰ الماء والتراب والمرعىٰ والمصالح الدنيوية، والمسلمون يوالون ويعادون في الله تعالىٰ؛ وهذا هو ما يزعج الكفرة والمنافقين، حيث يريدونها روابط جاهليه عصبية عُمِّية لا دخل للدين فيها.

ثالثًا: وهنا مسألة أخرىٰ لا تقل خطرًا عن سابقتيها ألا وهي النظر لمصطلح «نحن» والذين عبروا عنه بأبناء الوطن الواحد ممن ينتسب إلىٰ

الإسلام بنظرة التساوي والندية بين رؤوس الأطياف والمذاهب الفكرية المجتمعة، وأنهم شيء واحد، أي: أنه في مثل هذه الحوارات الوطنية وما يطرح فيها يتساوي التوجه السني السلفي ـ الذي هو السواد الأعظم في هذا البلد، وهو مرجعية أهله ـ بالتوجه الرافضي الحاقد الذي يقوم فكره علىٰ الشرك بالله تعالىٰ وسب الصحابة رضي الله عنهم، والذي يمثل أصحابه القلة القليلة في البلد.

كذلك يتساوىٰ مع التوجه الليبرالي التحرري الذي هم أقل القليل، مع ما يحمل من أفكار تحررية تتحلل من أحكام الله تعالىٰ، سواء في مجال السياسة أو المرأة أو الاقتصاد أو الدين بأسره.

وهنا مكمن الخطر إذ كيف يتساوىٰ رءوس الضلال الذين هم قله ونكرات ونبتات غريبة في مجتمعنا مع التوجه السلفي الشرعي الذي هو طابع أهل البلد وسواده الأعظم، إنهم والله لا يستوون، ولكن هذه المؤتمرات الحوارية الوطنية تسوي بينها وترفع من شأنها كمًّا وكيفًا سواء علم القائمون بذلك أم جهلوا، وهذا من المخاطر الجسيمة الكثيرة التي تنجم من جعل الوطن والوطنية والمواطنة هي التي يعقد عليها الولاء والبراء.

وإن مكمن الخطر في هذه المساواة تكون حينما يكون الرافضي والليبرالي اللذان لا يشكلان بعدًا في المجتمع ولا قيمًا ولا تأثيرًا مساويًا لرأي علماء أهل السنة في سَنِّ ما يريد من مفاهيم علىٰ التربية والتعليم والحياة الاجتماعية والثقافية بحجة التسامح، وقبول الآخر والتعددية وغيرها من المفاهيم الضبابية، التي يراد من خلالها إذابة هوية الأمة وفتحًا لأبواب التغريب داخل المجتمع، ومن ثم جعل

هذا «الآخر» واقعًا لا مناص منه حتىٰ لو كان في قمة الشطط الفكري، وحتىٰ لو كان داعية إلىٰ الرذيلة أو الإلحاد والكفر.

وهذا يصطدم مع أبجديات المفاهيم الإسلامية التي تأمر بحفظ الدين وسياسة الدنيا به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المرجعية الحاكمة لكل شئون الناس منطلقة من الشريعة الربانية الخالدة[1].

الاستعمال الثاني: وهذا الاستعمال في تعريف مصطلح «نحن» و«الآخر» هو المشهور عالميًّا عند كل من يطرحه من المهزومين من المسلمين في حواراتهم وأعمدتهم الصحفية، وملتقياتهم، ويفيد هذا المصطلح عندهم بأن «نحن» تعني المسلمين و«الآخر» من سواهم من غير المسلمين من الكفار والمنافقين.

● **وفي هذا الطرح المنهزم من المؤاخذات العقدية ما يلي:**

أولًا: العدول عن الأسماء والمصطلحات الشرعية التي جاءت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنة نبيه ﷺ إلىٰ أسماء ومصطلحات بشريه غامضة، ونحاتات أفكار واهية أفرزتها عقول مهزومة فاستبدلت الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، وتركت ما أسماه الله عَزَّوَجَلَّ من الأسماء المنطبقة علىٰ مسمياتها في كتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حيث قسم الناس إلىٰ حزبين: حزب الله المؤمنين وحزب الشيطان الكافرين، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

---

(١) انظر: «تساوي الرءوس»، موقع المختصر.

فليس هناك «نحن والآخر» وإنما هناك «المسلمون والكافرون».

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والآيات في ذكر الكفر والكافرين كثيرة جدًّا، جاء ذكرها فيما يزيد علىٰ (٣٥٢) موضعًا، فلماذا التحرج من كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو أحسن الحديث وأصدقه وأفصحه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾.

إن من يتحرج من كلام الله عَزَّوَجَلَّ وتسمياته، ويرتاح لكلام البشر ومصطلحاتهم ومسمياتهم يخشىٰ عليه أن يكون تحت طائلة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٥].

لقد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه من بعده من أن يكون في الصدور حرج من الصدع بكل ما جاء في القرآن من أسماء وأحكام، وعقائد وقصص وأخبار، بل الواجب اتباعه فقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ١-٣].

وعند هذه الآية يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «والله تعالىٰ رفع

الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق علىٰ من لم يؤمنوا به، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥][(١)].

ويقول أيضًا في موطن آخر: «ولا تجد مبتدعًا في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالمًا فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنىٰ ثم ارض لنفسك بما تشاء»[(٢)].اهـ.

فهل بعد هذه الآية وقول هذا الإمام الجليل فيها من عذر لمعتذر يجد في نفسه حرجًا أو ضيقًا أو حياءً من الصدع بالحق الذي في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو أن يستبدل به نحاتات الأفكار وزبالات الأذهان من كلام البشر؟

وأسوق في هذا المقام ردًّا نفيسًا لفضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالىٰ علىٰ الذين استبدلوا مصطلح «نحن والآخر» بما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ «المسلم والكافر»:

يقول وفقه الله تعالىٰ: «وقد وضع الله فوارق بين المؤمنين والكفار في الدنيا والآخرة، ونهىٰ عن التسوية بين الفريقين، وجعل لكل فريق جزاء وأحكامًا في الدنيا والآخرة، ووضع لكل فريق اسمًا مميزًا كالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمشرك والموحد، والفاسق والمنافق، والمطيع والعاصي، ونهىٰ عن التسوية

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥١٨).

(٢) «الفوائد» (ص٩٠).

بين المختلفين في هذه الأسماء والسلوكيات فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

يعني: لا نجعلهم سواء، لأن ذلك لا يليق بعدل الله، وأمر المؤمنين بالبراءة من الكفار والمشركين، ولو كانوا من أقاربهم، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهذا أصل من أصول الإيمان والدين متقرر في الكتاب والسنة وكتب العقيدة الصحيحة لا يماري فيه مسلم.

ولكننا في هذه الأيام صرنا نقرأ في بعض الصحف نقلًا عما دار في مؤتمر الحوار الوطني محاولة واقتراحًا من بعض المشاركين ـ نرجو أن تكون تلك المحاولة والاقتراح صادرَيْن عن جهل، وذلك كما نشر في بعض الصحف أن يترك لفظ الكافر ويستبدل بلفظ مسلم وغير مسلم، أو يقال المسلم والآخر، وهل معنىٰ ذلك أن نترك ما ورد في القرآن والسنة وكتب العقيدة الإسلامية من لفظ الكفر والشرك، والكفار والمشركين، فيكون هذا استدراكًا علىٰ الكتاب والسنة، فيكون هذا من المحادة لله ولرسوله؟ ومن تغيير الحقائق الشرعية فنكون من الذين حرفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم، ثم ما هو الدافع لذلك؟ هل هو إرضاء الكفار، فالكفار لن يرضوا عنا حتىٰ نترك ديننا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا

ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ﴾ [النساء: ٨٩].

ثم إنه لا يجوز لنا إرضاء الكفار والتماس مودتهم لنا وهم أعداء لله ولرسوله؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وإن كان مراد هؤلاء المنادين بتغيير هذه المسميات الشرعية التلطف مع الكفار، وحسن التعامل معهم، فهذا لا يكون علىٰ حساب تغيير المسميات الشرعية، بل يكون ذلك بما شرعه الله نحوهم»(١) انتهىٰ.

ثانيًا: لو أن الأمر في استبدال «الآخر» بالكافر توقف عند الاستبدال اللفظي لكان الأمر أهون مع مخالفته لكلام الله عَزَّوَجَلَّ كما تبين، ولكن الخطورة في هذا الاستبدال يتجاوز اللفظ إلىٰ الهزيمة النفسية أمام الآخر الكافر، وذلك بالدعوة إلىٰ عدم الكراهية له، وإخفاء ظلمه، وعدوانه، وإرهابه، وكأنه مظلوم قد سلبت حقوقه! ويشعر السامع من الذين يطرحون مصطلح «الآخر» بأنهم يعيشون تحت ظرف سياسي داخلي أو خارجي صور لهم الأخر، وكأنه مظلوم يريد من ينصره ممن ظلمه!

---

(١) مختصرًا من موقع «شبكة سحاب السلفية».

واعتمدوا في ذلك على نصوص في الكتاب والسنة تدعوا إلى التسامح والبر والقسط مع الكفار، وحرفوها عن معانيها، وفصلوها عن مناسباتها التي نزلت فيها، ونسوا أو تناسوا الآيات التي فيها وجوب عداوة الكافر والبراءة منه، وجهاده حتى يكون الدين كله لله.

فمما ورد في البيان الختامي في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري، قولهم في تفسيرهم لمعنى «البراء»: بأنه «الابتعاد عما يتناقض مع الإسلام وعدم التعاون مع أهله عليه، ولا يعني ذلك التعدي على حقوقهم أو عدم التعاون معهم في القضايا العادلة».

اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان، أهذا هو ما يريده الله عز وجل من معنى البراءة في القرآن؟ أهذا هو الموقف الذي وقفه إمام الحنفاء إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- مع أبيه وقومه حينما قال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وقوله سبحانه عن خليله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ما هذا التحريف في ثوابت الدين وأصوله، إن البراءة من الكافر في الإسلام تعني بغضه وبغض ما هو عليه من الكفر، وعداوته كما جاء ذلك في الآية السابقة، هذا إذا كان مسالمًا، أما إذا كان حربيًّا فإنه يضاف إلى المعاني السابقة جهاده وقتاله، ورد عدوانه وإزاحته من طريق الحق والتوحيد ليصل الحق إلى قلوب الناس، ويفرض سلطان الإسلام ودولته عليهم، إن المسلم حينما يسمع مثل هذه التعاريف والمواقف

المتخاذلة ليخرج بنتيجة واحدة مفادها المطالبة بعدم كراهية الكافر، وأن نحترمه ونحافظ علىٰ حقوقه، ونشفق عليه، وكأنه هو المظلوم المسلوب الحقوق! فهلا يعلم قومنا ما فعله الكافر «الآخر» وبخاصة أهل الكتاب في المسلمين في القديم والحديث ليعلموا من هو المعتدي ومن هو المعتدىٰ عليه؟!

إن رفع شعار التسامح والصفح مع الكفار اليوم ليوضع في غير موضعه، لأن في ذلك خلطًا وتلبيسًا وتضليلًا؛ حيث تسمىٰ الموالاة والمداهنة للكفار تسامحًا ومداراة.

وفرق كبير بين المداراة والمداهنة التي فيها تصحيح مذاهب الكفار أو السكوت عليها، وإظهار المحبة لهم ونسيان عداوتهم وحربهم للمسلمين في القديم والحديث، «إن الذين كفروا من أهل الكتاب هم الذين ألبوا المشركين علىٰ الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعًا وردءًا، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا المسلمين في فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان، في الحبشة والصومال وإريتريا، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيه والصين والتركستان والهند، وفي كل مكان، وهم الذين قتلوا أهلنا ونساءنا وأطفالنا في أفغانستان والعراق.

ثم يظهر بيننا من يظن أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر ندفع به الإلحاد والإرهاب، إن هؤلاء لا يتدبرون القرآن الكريم، وإلا لما اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الإسلام بدعوة الولاء الذي يحذر منه القرآن.

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون في فهم معنىٰ الأديان، كما يخطئون في فهم معنىٰ التسامح، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي.

إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، بأن الله لا يقبل دينًا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام، ولا يقبل دونه بديلًا، ولا يقبل فيه تعديلًا -ولو طفيفًا- هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم، وهو يقرر: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١].

وفي القرآن كلمة الفصل، ولا علىٰ المسلم من تميّع المتميعين، وتميعيهم لهذا اليقين»[١].

❍ **ومما ورد في بيانهم الختامي أيضًا قولهم في تعريف الجهاد:** هو بذل الجهد في تحقيق الخير ودفع الشر، علمًا أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم، والحرب حالة طارئة شرعها الإسلام لدفع ورفع الظلم والعدوان».

أهذا هو تعريف الجهاد وبواعثه في الإسلام؟!

---

(١) طريق الدعوة: أحمد فايز، بتصرف يسير.

إن المتدبر لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسيرة الرسول ﷺ ليتبين له وبوضوح أن الجهاد شعيرة عظيمة من شعائر هذا الدين، وهو إنما شرع رحمة بالبشرية الضالة بعامة، وبالمسلمين بخاصة، فالجهاد غايته كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال:٣٩].

إن المتأمل لهذه الآية ليدرك أن الجهاد لم يشرع لدفع ورفع الظلم والعدوان فحسب، نعم هذا هو جهاد الدفع، وإنما شرع أيضًا لإيصال الحق والتوحيد والهداية للناس في بقاع الأرض ليكون الدين كله لله؛ لأن سنن الله عَزَّوَجَلَّ اقتضت أن يكون الصراع بين الحق والباطل، وأن المسلمين وهم يبلغون دين الله تعالىٰ للبشرية سيواجهون من يقف أمامهم للحيلولة بين الناس من ورائهم، وبين أن يصل إليهم هذا الدين.

وحينئذ شرع الجهاد بالسيف لإزالة هذه الحواجز من طواغيت الأرض من طريق الحق، حتىٰ يصل الحق الواضح البين إلىٰ قلوب الناس، ويخضع الجميع لدولة الإسلام.

وحينئذ لا إكراه في الدين لأنه قد تبين الرشد من الغي، وحين يكون الدين في البلاد المفتوحة من قبل المسلمين لله عَزَّوَجَلَّ، يختار أهل هذه البلاد إما الإسلام أو دفع الجزية والعيش بأمان في ظل الدولة المسلمة، وهذا هو جهاد الطلب الذي لولاه لما وصل إلينا الإسلام في بلادنا، ولما انتشر الإسلام في بقاع الأرض، وهذا ما أغفله المجتمعون في حوارهم الوطني وهم يعرِّفون الجهاد.

فهلا سألوا أنفسهم ما الذي جعل المجاهدين الأوائل من الصحابة

والتابعين يفتحون البلدان النائية كفارس والروم وخراسان وسمرقند والهند والسند؛ هل تعرض المسلمون لعدوان من أهل هذه البلاد؟! أم أن المسلمين كانوا يرون أن من واجبهم إيصال هذا الدين إلىٰ العالمين رحمة بهم، فإذا اعترض أحد يعيقهم عن نشر هذا الدين أزاحوه بالسيف إن لم يزح بغيره، حتىٰ يكون الدين كله لله، ويخضع الجميع للدولة المسلمة.

○ وختـامـًا:

أدعو الذين أقرُّوا هذا البيان الختامي للحوار الوطني، أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسهم وأمتهم، وأن يراجعوا ما دونوه من هذا الكلام الخطير في بيانهم، لأن فيه قدحًا لأصول هذا الدين وثوابته أو علىٰ الأقل فيه تلبيس وتدليس، وأخص من شارك في هذا الحوار من المنتسبين للدعوة والعلم والسنة، فإما أن يقولوا كلمة الحق ويواجهوا الباطل وأهله بها فتبرأ ذمتهم بذلك، وإما أن يفارقوا هذه المجالس ويعتزلوا أهلها وما يخوضون فيه، فهذا أعذر لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ وعند الناس؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يرزقنا الإخلاص له، والمتابعة لرسوله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(٢)

منطلقات
شرعية في نصرة خير البرية[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن ما يشهده العالم الإسلامي هذه الأيام من غضبة عارمة، وحملة مباركة لنصرة سيد البشر نبينا ﷺ، والدفاع عن عرضه الشريف أمام الهجمة الشرسة القذرة التي يشنها الغرب الصليبي الكافر علىٰ نبينا محمد ﷺ، وتتولىٰ كِبْرها بلاد الدانمارك الحاقدة، إن في هذه القومة المباركة لنصرة نبينا ﷺ ما يثلج الصدر، ويسر الخاطر، ويبث الأمل في النفوس، ويؤكد أن أمة الإسلام أمة مباركة ومرحومة، ولا زال فيها الخير والرصيد العظيم في مقاومة أعدائها والنكاية فيهم، حتىٰ ولو كانت ذليلة مستضعفه؛ فكيف لو كانت قوية ومتمكنة.

ولقد ظهر في هذه الحملة قدرة الأمة علىٰ النهوض والتكاتف والتعاون علىٰ

---

(١) نشر بتاريخ (١١/ ٢/ ١٤٢٧هـ) ومناسبته: حينما قاطع المسلمون دولة الدانمارك عندما أساء بعض الكتاب إلىٰ الرسول ﷺ واستهزاء به.

إلحاق الأذىٰ الشديد بالعدو المتربص، وقد ظهر ذلك في هذه القومة الشاملة لمختلف شرائح الأمة رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، أغنياء وفقراء، وعوام ومثقفون، وذلك في الكتابات الكثيرة المتنوعة لنصرة النبي ﷺ، وكذلك في المقاطعة المباركة التي آتت أُكُلُها وثمارها في إنهاك اقتصاد المعتدين.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبارك في جهود القائمين بهذه النصرة، سواء من كتب أو خطب أو مقاطعة وهجر منتجات القوم، وليس هذا بكثير في نصرة نبينا محمد ﷺ الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلىٰ النور، والذي هو أولىٰ بنا من أنفسنا، والذي قال لنا ربنا سبحانه عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والذي بلغ الكمال الإنساني في الشمائل والأخلاق وفي عبادة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل هذا يفرض علينا أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلنا وأولادنا وأموالنا، وأن نفديه بالنفوس والمهج والأولاد والأموال.

وبما أن الحديث عن نصرة النبي ﷺ وعن حقوقه، وحقيقة أعدائه وحقدهم قد قام به المسلمون في شتىٰ بلدان المسلمين بأقوالهم ورسائلهم وكتاباتهم ومقاطعتهم، فلن أكرر ما كتب وقيل، ففيه إن شاء الله الكفاية.

غير أن هناك بعض الوصايا التي أنصح بها نفسي وإخواني المسلمين في ضوء هذا الحدث الجلل، أرىٰ أنها من حقوق المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، وهي من لوازم نصرته وموجبات محبته، ولكن قد تغيب عن بعضنا وتنسىٰ في زحمة الردود واشتعال المشاعر والعواطف.

○ **الوصية الأولىٰ:**

قال الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ؛ فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**»[١].

وعندما سئل النبي ﷺ: عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي: ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٢].

والمقصود من إيراد هذين الحديثين الشريفين أن يحاسب كل منا نفسه، وهو يشارك في هذه الحملة المباركة للدفاع عن الرسول ﷺ، ويتفقد نيته في قومته هذه، هل هي خالصة لله تعالىٰ؟ أم أن هناك شائبة من شوائب الدنيا قد خالطت نيته، كأن يظهر للناس غيرته وحرصه علىٰ الدين وعلىٰ رسول الله ﷺ، أو تكون مجرد حمية وعصبية ومفاخرة، أو إرادة دنيا ومكانة بين الناس، أو غير ذلك من الأغراض، وهذا عمل قلبي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ومع إحسان الظن بالقائمين بهذه النصرة وأنهم إن شاء الله تعالىٰ إنما قاموا بذلك حبًّا لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ، إلا أن محاسبة النفس في هذا الشأن وغيره من العبادات أمر واجب علىٰ كل مسلم حتىٰ يبارك الله عَزَّوَجَلَّ في الأعمال، ويحصل منها الأجر والثواب، وإلا ذهبت هباءً منثورًا؛ إن لم يأثم صاحبها ويعاقب علىٰ ذلك.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٣)، رواه مسلم (١٩٠٤).

❍ **الوصية الثانية:**

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

ويقول الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١).

به»(١).

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- عند آية آل عمران: «هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبة الله وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتىٰ يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [عمران: ٣١].

أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم؛ وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم

---

(١) «السنة» لابن أبي عاصم (١٥)، وقال الألباني إسناده ضعيف رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعظيم.

(٢) علقة البخاري (٣/ ٦٩)، وأخرجه مسلم (١٧١٨).

الله بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]»[١].

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة علىٰ صحة الدعوىٰ؛ فلو يعطىٰ الناس بدعواهم لادعي الخلي حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل الدعوىٰ إلا ببينة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

«فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأخلاقه»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: فكل من ادعىٰ أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب، ليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه كدعوىٰ اليهود والنصارىٰ محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه، كانت محبتهم من جنس محبة المشركين، وهكذا أهل البدع، فمن قال: إنه من المريدين لله المحبين له، وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارىٰ، بحسب ما فيه من البدعة، فإن البدع التي ليست مشروعة، وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله؛ فإن الرسول دعا إلىٰ كل ما يحبه الله؛ فأمر بكل معروف ونهىٰ عن كل منكر»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦).

(٢) من «مدارج السالكين» (٣/ ٩).

(٣) «الفتاوىٰ» (٨/ ٣٦٠، ٣٦١).

والمقصود من إيراد الآية التي في سورة آل عمران، وكلام أهل العلم عندها، وكذلك الحديث: التنبيه في هذه الحملة المباركة إلىٰ أن يراجع كل منا نفسه، ويختبر صدق محبته لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ في قومته ونصرته لرسول الله ﷺ؛ إذ إن علامة حبنا لرسول الله ﷺ، وصدقنا في نصرته أن نكون متبعين لشرعه وسنته، وألا يكون في حياتنا أمور تسيء إلىٰ الرسول ﷺ وتؤذيه، فنقع في التناقض بين ما نقوم به من النصرة لرسول الله ﷺ وبين أحوالنا، فيقع الفصام النكد بين القول والعمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

❍ فيا أيها الذي تعبد الله تعالىٰ بغير ما شرع الرسول ﷺ، وقام لنصرة رسول الله ﷺ: زادك الله غيرة وغضبًا لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ، ولكن اعلم أن الذي قمت لنصرته هو القائل: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

وعليه؛ فإن أي: ابتداع في الدين سواء كان ذلك في الأقوال أو الأعمال مما يؤذي نبينا محمدًا ﷺ ويسيء إليه، فاحذر أن تكون ممن يدعي محبة رسول الله ﷺ وهو في نفس الوقت يؤذيه ويعصيه؛ فإن هذا يقدح في صدق المحبة والاتباع، ويتناقض مع نصرته ونصرة سنته، وأشنع من هذا من يدعي محبة الرسول ﷺ ونصرته ثم هو يقع في الشرك الأكبر ويدعوه أو يدعو عليًّا والحسين وغيرهم من الأولياء من دون الله، أو يؤذي رسول الله ﷺ بسب أزواجه أو أصحابه، فإن كل ذلك يدل علىٰ كذب أولئك المدعين.

---

(١) تقدم تخريجه.

- ويا أرباب البيوت والأسر الذين قمتم لنصرة الرسول ﷺ، إن هذا منكم لعمل طيب مشكور؛ ولكن تفقدوا أنفسكم فلعل عندكم وفي بيوتكم وبين أهليكم ما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ من آلات اللهو، وقنوات الإفساد، ومجلات اللهو والمجون، فإن كان كذلك فاعلموا أن إصراركم عليها واستمراءكم لها لمما يسيء إلىٰ الرسول ويؤذيه، ويتناقض مع صدق محبته، إذ إن صدق المحبة له تقتضي طاعته واتباعه؛ لأن المحب لمن يحب مطيع.

- ويا أيها التاجر الذي أنعم الله تعالىٰ عليه بالمال والتجارة، إنه لعمل شريف، وكرم نبيل أن تهب لنصرة رسول الله ﷺ، وتهجر وتقاطع منتجات القوم، الكفرة الذين أساءوا إلىٰ رسول الله ﷺ وآذوه، ولكن تفقد نفسك ومالك عسىٰ ألا تكون ممن يستمرئ الربا في تنمية أمواله، أو ممن يقع في البيوع المحرمة، أو يبيع السلع المحرمة التي تضر بأخلاق المسلمين وأعراضهم وعقولهم؛ فإن كنت كذلك فحاسب نفسك وراجع صدق محبتك للرسول ﷺ الذي قمت لنصرته، ألا تعلم أنك بأكلك الربا تعد محاربًا لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ، وصدق القيام لنصرته، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩].

ألا تعلم أن الأولىٰ بالمقاطعة والهجر هو هجر ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ من الربا والبيوع المحرمة، والسلع المحرمة التي قد استمرأها الكثير من التجار؟ قال

الرسول ﷺ: «**المهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه**»[١].

ولا يعني هذا التهوين من مقاطعة منتجات القوم بل أرىٰ الصمود في ذلك، ولكن أردت التنبيه إلىٰ ضرورة تخليص حياتنا من هذه الازدواجية وعدم المصداقية.

- ويا أيها القائمون علىٰ المؤسسات الإعلامية من صحافة وإذاعات، وقنوات فضائيه في بلدان المسلمين، إنه لعمل مشكور هذا الذي تشاركون به في حملة الانتصار لرسول الله ﷺ، ولكن ألا يعلم بعضكم أنه يعيش حالة من التناقض، إن لم يكن ضربًا من النفاق، وذلك عندما يدعي محبة رسول الله ﷺ ونصرته ممن أساء إليه من الكفرة، ثم هو في نفس الوقت يبث في صحيفته أو إذاعته، أو تلفازه أو قناته الفضائية ما يسيء إلىٰ رسول الله ﷺ ويؤذيه، وذلك مما حرم الله عَزَّوَجَلَّ وحرمه رسوله ﷺ من إشاعة الفاحشة، وتحسين الرذيلة، وبث الشبهات والشهوات، والنيل من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ وأولياء رسوله ﷺ، والاستهزاء بهم وبسمتهم وهديهم وعقيدتهم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: «**من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[٢].

فكيف تعرضون أنفسكم لحرب الله عَزَّوَجَلَّ وأنتم تدعون نصرة نبيه ﷺ والذب عنه، إن الذب عن نبينا ﷺ إنما يكون بالتزام سنته والذب عنها، والتوبة من كل ما يقدح فيها، والتزام طاعته ﷺ والصدق في محبته، وإلا كان هذا الانتصار

(١) رواه البخاري (١٠).
(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٩٢).

مجرد ادعاء، ومفاخرة ونفاق نعوذ بالله من ذلك.

- ويا أصحاب الحل والعقد في بدان المسلمين، إن أمانتكم لثقيلة، فالحكم والتحاكم بأيديكم، والإعلام والاقتصاد بأيديكم، والتربية والتعليم بأيديكم، وحماية أمن المجتمع، وحماية الثغور بأيديكم، فما أعظم أمانتكم ومسئوليتكم أمام ربكم ﷻ، وأمام أمتكم، فهل تعلمون أن من رفض منكم الحكم بما أنزل الله ﷻ واستحل ما حرم الله ﷻ، إنما هو من أعظم المسيئين إلىٰ رسول الله ﷺ والمناوئين له؟ وأن من أقام اقتصاده علىٰ الربا والمعاملات المصرفية المحرمة، إنما هو من المؤذين والمحاربين لله ﷻ، ولرسوله ﷺ؟ وأن من مكَّن لأهل الشر والإفساد والشبهات والشهوات في إعلام الأمة ليفسدوا عقائد الناس وعقولهم وأعراضهم، إنما هو من أشد المؤذين والمبغضين لرسول الله ﷺ.

وأن من تولىٰ الكفرة ووادهم وقربهم من دون المؤمنين فهو من المحادين لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ؟ إذا علمنا جميعًا هذه المسلَّمات، وعلمنا أن هذه الممارسات المسيئة لرسول الله ﷺ موجودة في أكثر بلدان المسلمين اليوم، فما قيمة أن يقوم بعض حكام هذه البلدان بإظهار الشجب والغضب لمن أساء إلىٰ رسول الله ﷺ في أعلام الغرب الكافر، وهم من أعظم المسيئين إليه عليه الصلاة والسلام، برفض شرعه وموادة أعدائه؟ إن هذا لعمر الله لهو التناقض والنفاق والتدليس والتلبيس؛ إذ إن من كان صادقًا في حبه لرسول الله ﷺ، وصادقًا في غضبه وانتصاره ممن أساء إليه يكون من أول المتبعين لسنته ﷺ وشريعته، لا من الرافضين والمناوئين لها!

وفي ختام هذه الوصية: أرجو ألا يفهم من كلامي أني أهون من هذه الحملة القوية لنصرة رسول الله ﷺ والدفاع عن عرضه الشريف، أو أني أدعو إلىٰ تأجيلها حتىٰ تصلح أحوالنا حكامًا ومحكومين، كلا بل إني أدعو إلىٰ مزيد من هذا الانتصار والمقاطعة والتعاون في ذلك، كما هو الحاصل الآن والحمد لله رب العالمين، ولكنني أردت أيضًا الالتفات إلىٰ أحوالنا وتفقد إيماننا، وصدقنا في محبتنا لرسول الله ﷺ، والانتصار له، بأن نبرهن علىٰ ذلك بطاعته عليه الصلاة والسلام، واتباعنا لشريعته والذب عنها، والاستسلام لها باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦].

❍ **الوصية الثالثة:**

إن ما حصل من إساءة إلىٰ الرسول ﷺ في الأعلام الدانماركي والنرويجي، جرم عظيم ينم عن حقد متأصل في قلوب القوم، ولكن ينبغي ألا تنسينا مدافعة هؤلاء القوم من هو أشد منهم خبثًا وحقدًا وضررًا علىٰ المسلمين، ألا وهي طاغية العصر أمريكا حيث جمعت الشر كله، فوقعت فيما وقع فيه هؤلاء من الإساءة إلىٰ نبينا محمد ﷺ، وإهانة كتاب ربنا سبحانه وتنجيسه وتمزيقه علىٰ مرأىٰ من العالم،

وزادت على القوم بقتل أهلنا ونسائنا وأطفالنا في أفغانستان والعراق وفلسطين، وسامت الدعاة والمجاهدين سوء العذاب في أبي غريب وأفغانستان، وسجونها السرية في الغرب والشرق، فيجب أن يكون لها الحظ الأكبر من البراءة والانتصار منها لربنا عَزَّوَجَلَّ ولكتابه سبحانه ولرسوله ﷺ، وأن ننبه الناس في هذه الحملة الميمونة إلى هذا العدو الأكبر، وأنه يجب أن يكون في حقه من إظهار العداوة له، والبراءة منه، ومقطاعته كما كان في حق الدانمارك بل أكثر وأشد.

وأتوجه بهذه المناسبة إلى المنادين بمصطلح «نحن والآخر»، والمطالبين بالتسامح مع الآخر الكافر وعدم إظهار الكراهية له، لأقول لهم: هذا هو الآخر الذي تطلبون وده، وتتحرجون من تسميته بالكافر، إنه يرفض ودكم، ويعلن كراهيته لديننا ونبينا، وكتاب ربنا سبحانه، فماذا أنتم قائلون؟! وهذا من عدونا غيض من فيض، وصدق ربنا سبحانه إذ يقول في وصفهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

❍ الوصية الرابعة:

إن من علامة صدق النصرة لرسول الله ﷺ ألا نفرق في بغضنا وغضبتنا بين جنس وآخر ممن آذى نبينا عليه الصلاة والسلام، وأساء إليه أو إلى دين الإسلام؛ بل يجب أن تكون غضبتنا لله تعالى، وتكون عداوتنا لكل من أساء إلى ربنا أو ديننا أو نبينا ﷺ، من أي: جنس كان، ولو كان من بني جلدتنا ويتكلم بألسنتنا؛ كما هو الحاصل من بعض كتاب الصحافة والرواية، وشعراء الحداثة، والذين يلمحون تارة، ويصرحون تارة أخرى بالنيل من أحكام ديننا وعقيدتنا، وإيذاء نبينا ﷺ، بل

وصل أذاهم وسبهم للذات الإلهية العلية، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، فأين غضبتنا علىٰ هؤلاء؟!

وأين الذين ينتصرون لله تعالىٰ ودينه ورسوله ﷺ من فضح هؤلاء والمطالبة بإقامة حكم الله فيهم، ليكونوا عبرة لغيرهم؟!

إن الانتصار من هؤلاء لا يقل شأنًا عن الانتصار ممن سب ديننا ونبينا محمد ﷺ في دول الغرب الكافر، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

○ الوصية الخامسة:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

يقول الإمام ابن كثير- رحمه الله تعالىٰ-: عند هذه الآية بعد أن ذكر أقوال أهل العلم: «ومضمون ما ذكروه أن الله تعالىٰ نهىٰ عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي الحديث: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٥١٤٣)، رواه مسلم (٢٥٦٣).

وفي «سنن أبي داود»: «**بئس مطية الرجل زعموا**».

وقوله: ﴿ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾: أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها». اهـ.

وفي ضوء هذه الآية الكريمة وما ورد في معناها نخرج بمنهج عادل وقويم في التعامل مع الأحداث، والمواقف ينصحنا الله عَزَّوَجَلَّ به، حتىٰ لا تزل الأقدام، وتضل الأفهام، وحتىٰ لا يقع المسلم في عاقبة تهوره وعجلته؛ وذلك بألا ينساق وراء عاطفته وحماسته الثائرة دون علم وتثبت مما رأىٰ أو سمع، فيقول بلا علم، أو يتخذ موقفًا دون تثبت وتروي.

إن المسلم المستسلم لشريعة ربه سبحانه محكوم في جميع أقواله ومواقفه وحبه وبغضه، ورضاه وسخطه بما جاء في الكتاب والسنة من الميزان العدل، والقسطاس المستقيم، فإن لم يضبط المسلم عاطفته وحماسه بالعلم الشرعي، والعقل والتروي، فإن حماسته هذه قد تجره إلىٰ أمور قد يندم علىٰ عجلته فيها.

والمقصود هنا: التحذير من العجلة، والجور في الأحكام، والمواقف خاصة عندما تكثر الشائعات، ويخوض فيها الخائضون بلا علم أو عدل، بل لابد من التثبت ومشاورة أهل العلم والشرع، وأهل الفهم بالواقع.

ومن أمثلة هذه المواقف المتسرعة في هذا الحدث، مما تناقلته بعض المطويات ورسائل الجوال من وجوب المقاطعة لبضائع كثيرة بعضها ليست من منتجات القوم المقصودين بالمقاطعة، ومن ذلك التسرع في الحكم علىٰ من لم يقاطع بأنه آثم لا يحب رسول الله ﷺ، وكما جاء في قول القائل: «**قاطع من لم**

يقاطع»، ومن ذلك الإكثار من الرؤىٰ والمنامات، والاستناد عليها في تصحيح موقف ما أو تخطئته.

وبعد:

فهذا ما يسره الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الوصايا التي أخص بها نفسي وإخواني المسلمين في كل مكان؛ مع التأكيد علىٰ ضرورة الصمود والمصابرة في البراءة من القوم، ومقاطعة منتجاتهم، فما كان في هذه الوصايا من صواب فمن الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الأمان بذلك وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأتوب إليه، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(٣)

احذروا
«حسن نصر الله» وشيعته(١)

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فيقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وحذر سبحانه من كتمان الحق ولبسه بالباطل لتضليل الناس فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٢].

وقال الرسول ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله**»(٢).

---

(١) نشر بتاريخ (٢٩/ ٦/ ١٤٢٧هـ) ومناسبته: عندما انخدع بعض المسلمين بحسن نصر الله قائد حزب الشيطان في حربه تلك السنة لليهود.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» في القدر باب النهي عن القول بالقدر بلاغًا، وقال الأرنؤوط في «جامع الأصول» (١/ ٢٧٧): «لكن يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (١/ ٩٣) بسند حسن فيتقوىٰ به».

وقال أيضًا: «**سيأتي علىٰ الناس سنوات خداعات يُصدَّق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة؛ قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»[١].

وهذه الآيات والأحاديث من الوضوح بحيث لا تحتاج إلىٰ تعليق.

والآيات والأحاديث الواردة في وجوب التمسك بما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والسنة الثابتة عن النبي ﷺ بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كثيرة ومتنوعة، تارةً بالأمر بالتمسك بهما والانطلاق منهما في الولاء والبراء والمواقف والموازين، وتارة بالتحذير من اتباع ما سواهما من آراء الرجال وأهل الأهواء والشبهات في الولاء والبراء والمواقف والموازين.

وإن ما يجري اليوم من أحداث في بلاد الشام، من قتال بين اليهود ومن يسمون أنفسهم حزب الله أو المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان؛ لهو من الفتن والابتلاءات التي يختبر الله عَزَّوَجَلَّ فيها عقائد المسلمين ومدىٰ ارتباطهم بموازين الكتاب والسنة وبما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ولقد سقط في هذه الفتنة فئام كثير من الناس، وغرهم ما يسمعونه أو يرونه من مواجهات عنيفة مع اليهود يتزعمها الرافضي «حسن نصر الله وشيعته» وانخدع بذلك الذين يجهلون أو يتجاهلون حقيقة التوحيد والولاء والبراء في الإسلام وحقيقة عقيدة «حسن نصر الله وشيعته الرافضة».

ولأن الفتنة بهذا الحزب الرافضي الصفوي شديدة وكبيرة، كان لابد لكل قادر من أهل العلم أن يتصدىٰ لها ويكشف اللبس عن الأمة ويبين حقيقة القوم وما يدعون له ويهدفون إليه.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٦١).



ورضي الله عن عمر بن الخطاب حين قال: «لست بالخَبِّ ولا يخدعني الخب» أي: لست بالمخادع ولا يخدعني المخادع.

ويعلق ابن القيم رحمه الله تعالىٰ علىٰ هذه المقولة فيقول: «فكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أورع من أن يَخدَع، وأعقل من أن يُخدع»[١].

ولكي ندرك خطورة ما يجري في وسائل الإعلام الماكرة من تلبيس وتضليل تجاوز خطره شريحة العوام إلىٰ كثير من المثقفين بل وبعض المتدينين والدعاة؛ نطلع علىٰ ما يجري اليوم من قلبٍ للحقائق فيما يتعلق بالجهاد والمجاهدين؛ حيث نرىٰ من يصف المجاهدين الذين يتصدون للكفرة الغزاة في بلاد الرافدين وأفغانستان والشيشان بأنهم إرهابيون ومفسدون! بينما يرون القتال في جنوب لبنان بقيادة نصر الله الرافضي مقاومةً مشروعة وجهادًا في سبيل الله تعالىٰ... سبحانك هذا بهتان عظيم! وصدق رسول الله ﷺ في الحديث السابق والذي منه: «**إن وراءكم سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين...**»[٢]. الحديث.

ولكشف ما يجري من تلبيس وفتنة علىٰ المسلمين بما يسمىٰ حزب الله وأمينه الرافضي حسن نصر الله أسوق الوقفات التالية:

⦸ الوقفة الأولىٰ:

في ضوء الآيات والأحاديث التي سقتها آنفًا، يتبين لنا ضرورة أن يكون مصدر التلقي في الفهم والعقيدة والمواقف وتقويم الأفكار والرجال هو هذا الميزان والقسطاس المستقيم المستقىٰ من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ،

---

(١) «الروح» (٢٤٤).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٥٠).

اللذان من تمسك بهما وجعلهما النور الذي يمشي به في الناس فلن يضل أبدًا، ولن تتقاذفه مضلات الفتن ذات اليمين وذات الشمال، وإني لأعجب من قوم معهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ وعمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ... كيف يتخلون عن ذلك كله ويستبدلون به العواطف وتلبيس الملبسين وأهواء الرجال؟!.

كالعيسِ في البيداء يقتلها الظما والماءُ فوق ظهورها محمولُ

والآن لنزن هذا الرجل المفتون وحزبه المغبون بميزان الكتاب والسنة؛ ميزان التوحيد والشرك، وميزان الهدىٰ والضلال، لكي نعرفَ حقيقة هذا الرجل وحزبه... هل هو علىٰ الحق الذي يحبه الله تعالىٰ ورسوله ﷺ؟ أم علىٰ الباطل الذي يدعو إليه الشيطان وحزبه؟! وبالتالي نعرف حقيقة جهاد هذا الرجل وحزبه وحقيقة عدائه لليهود... هل هو في سبيل الله تعالىٰ؟ أم في سبيل الطاغوت؟! فأقول وبالله التوفيق:

إن الله تعالىٰ إنما أرسل رسوله ﷺ بهذا القرآن الكريم والنور المبين ليعبد الله وحده لا شريك له وعقد علىٰ ذلك الولاء والبراء... الولاء لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين الموحدين، والبراءة من الشرك والمشركين، وشرع الدعوة إلىٰ التوحيد والتحذير والبراءة من الشرك، وأقام من أجل ذلك سوق الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، حتىٰ لا تكون فتنة ـ أي: شرك ـ ويكون الدين لله وحده لا شريك له.

فهل واقع ما يسمىٰ «حزب الله» وأمينه «حسن نصر الله» هو ما دعا إليه القرآن وجاهد من أجله الرسول ﷺ وصحبه الكرام؟!

إن الجواب علىٰ هذا السؤال يتطلب معرفة عقيدة هذا الرجل وحزبه وانتمائهم وحقيقة أهدافهم **فمن هو حسن نصر الله؟**

ولد حسن نصر الله في (٢١/ أغسطس/ ١٩٦٠) في لبنان.

وسافر إلىٰ النجف في العراق عام (١٩٧٦) لتحصيل العلم الديني الجعفري، وعُيِّن مسئولًا سياسيًّا في حركة أمل عند إقليم البقاع، وعضوًا في المكتب السياسي عام (١٩٨٢) ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلىٰ حزب الله وعين مسئولًا عن بيروت عام (١٩٨٥) ثم عضوًا في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحرب عام (١٩٨٧) ثم اختير أمينًا عامًّا، علىٰ إثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي عام (١٩٩٢) مكملًا ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام (١٩٩٣) و(١٩٩٥م).

«وردت هذه الترجمة في مقدمة حواره مع مجلة الشاهد السياسي العدد (١٤٧) في (٣/ ١/ ١٩٩٩م)[١].

ومن هذه الترجمة المختصرة للرجل يتبين لنا أنه شيعي رافضي محترق، يدين بالمذهب الاثني عشري الجعفري السائد في إيران؛ ينصره ويدعو إليه؛ ولذا اشتهر «بخميني العرب» لأنه يريد إقامة دولة الرفض في بلاد العرب، كما أقامها الخميني الهالك في بلاد الفرس، يقول مفتي جبل لبنان السني: «حزب الله بوابة إيران إلىٰ البلدان العربية».

ويبقىٰ التعريف بالرجل ناقصًا حتىٰ نعرف أصول المذهب الاثني عشري الجعفري الذي يفتخر بالانتماء إليه والجهاد من أجل التبشير به ونشره.

يقوم هذا المذهب علىٰ أصول كفرية شركية لم تعد خافية علىٰ من له أدنىٰ متابعة لكتب القوم في القديم والحديث، وكذلك من يتابع مواقعهم وما سجل

---

(١) انظر لمعرفة المزيد عن «حزب الله» كتاب: «حزب الله رؤية مغايرة» للأستاذ: عبد المنعم شفيق.

عليهم من الوثائق المسموعة والمرئية في حسينياتهم ومناسباتهم السنوية[١]، ومن أخطر أصول هذه النحلة التي ينتمي إليها حسن نصر الله وحزبه ما يلي:

١- **اعتقادهم العصمة في أئمتهم الاثني عشر**، وغلوهم فيهم حتىٰ عبدوهم من دون الله، وصاروا يحجون إلىٰ قبورهم ويطوفون بها ويستغيثون بمن فيها، ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب وأن ذرات الكون خاضعة لتصرفهم كما صرح بذلك الخميني في «الحكومة الإسلامية».

٢- **اعتقادهم بتحريف القرآن ونقصانه**، وأن القرآن الصحيح غائب مع مهديهم المنتظر، وسيخرج مع خروجه وهم اليوم يقرءون القرآن الذي بين أيدي المسلمين حتىٰ يخرج قرآنهم، وذلك بأمر من علمائهم وآياتهم.

وقد يقول قائل: إنهم ينفون ما ينسب إليهم من القول بتحريف القرآن فنقول: إن هذا مثبت في كتبهم والتي هي مرجعياتهم ككتاب: «الكافي» للكليني وكتاب الطبرسي: «فصل الخطاب»، وهما إمامان معتبران عند الرافضة؛ فإذا كانوا ينفون ما ينسب إليهم فليصرحوا ببراءتهم ممن يقول بتحريف القرآن الوارد في هذين الكتابين وغيرهما، وليحكموا بكفر من قال بهذا... وهذا ما لم ولن يقولوه!

٣- **سب الصحابة** رضي الله عنهم **وتكفيرهم** وخاصة سادتهم وشيوخهم كأبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، وكذلك زوجات النبي ﷺ وعلىٰ رأسهم الصديقة

---

(١) انظر موقع (البينة) في الشبكة العنكبوتية لترىٰ الأدلة والوثائق الدامغة علىٰ أصولهم الشركية وتكفيرهم وسبهم للصحابة رضي الله عنهم.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حبيبة رسول الله ﷺ؛ حيث أنهم يكفرونها ويقذفونها بالزنا... قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون!

٤- **توليهم في تاريخهم القديم والحديث لليهود والنصارىٰ ومظاهرتهم لهم** علىٰ أهل الإسلام، ومساعدة الغزاة لتمهيد الطريق لهم إلىٰ غزو بلاد المسلمين، وما أخبار ابن العلقمي وممالأته للتتار في غزوهم للعرق بخافية علىٰ أحد، وكذلك ما قاموا ويقومون به في هذا الزمان من التعاون مع الغزاة الأمريكان في احتلال العراق وأفغانستان، وما زالوا عيونًا للغزاة وحماةً لهم ومظاهرين لهم في قتل أهل السنة وتصفيتهم.

وهذه الأعمال والمعتقدات الآنفة الذكر لم تعد سرًّا وفي طي الكتمان، كما كانوا يخفون من قبل، بل إنها أصبحت مفضوحةً سواء باعترافهم أنفسهم، أو بما حُصل عليه من الوثائق الدامغة التي يدمغ تقيتهم وتبين كذبهم... هذا واقع الشيعة الرافضة الاثني عشرية التي ينتمي إليها: «حسن نصر الله وحزبه المخذول» فهل بقي عذر لمن انخدع واغتر بالشعارات الكاذبة التي يرفعها هذا الرجل وحزبه؟! وأنه يدافع عن الأمة! ويقاتل اليهود نيابة عنها! ويضرب عمق الدولة اليهودية! ويجاهد في سبيل الله!

إن هذا الرجل بهذه المعتقدات الشركية التآمرية لو تمكن «لا قدّر الله» فإنه سيقيم دولة الرفض والتشيع التي تقوم علىٰ الشرك الأكبر وسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتكفير أهل السنة وبالتالي استئصالهم وإبادتهم كما هو الحاصل في العراق اليوم: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: ٨].

ومع ذلك يوجد في أبناء المسلمين من يثق به ويعول عليه ويتمنىٰ أن

ينتصر!. فمتىٰ نفيق من غفلتنا يا قوم؟ ومتىٰ يكون ميزاننا في الولاء والبراء والحب والبغض وفي تقويم المواقف والرجال هو كتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ؟! ومتىٰ نتخلص من موازين العواطف والشعارات الزائفة والدجل والتلبيس؟!

⦸ الوقفة الثانية:

يقول بعض الناس: إن هذا الرجل وحزبه هو الذي ثبت اليوم أمام اليهود بعد أن خنع الجميع دولًا وأحزابًا، وهو الآن يلحق ضررًا شديدًا بالعدو باعتراف اليهود أنفسهم، فكيف نعاديه وهو يضرب عدو الأمة؟! ألا نفرح بإلحاق الضرر باليهود؟! وهذه شبهة وفتنة لا شك، لكنها لا تنطلي إلا علىٰ من ينظر للأمر بنظرة سطحية وعاطفة متسرعة، متجاهلًا أصول القوم وعقائدهم وأهدافهم.

ولتفصيل الجواب علىٰ هذه الشبهة أقول وبالله التوفيق:

أولًا: إن أي: ضرر يلحق باليهود في رجاله وعتاده يفرحنا بلا شك، لكنه لا يغرنا وينسينا ثوابتنا، وننساق مع عواطفنا لنقول: إن من يضرب اليهود فهو أخونا وولينا!. بل نفرق بين من يجاهد في سبيل الله تعالىٰ ويريد نشر التوحيد والسنة كإخواننا المجاهدين في فلسطين فهذا نتولاه ونفرح بنصره، وأما من كان علىٰ غير التوحيد وعنده أهداف مبيتة، فلا نتولاه ولا ننصره، وإن كنا نفرح بضربه للعدو حتىٰ يضعف، كما نفرح بضرب العدو له حتىٰ لا يتمكن وينشر الشرك والرفض في الأرض، ولسان حالنا يقول: اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرج الموحدين من بينهم سالمين.

وإذا قلنا: إننا نفرح بضرب العدو للرافضة؛ فإننا نقصد رموزهم

ومواقعهم ولا نقصد العامة من المسلمين من الأطفال والنساء والأبرياء، فإن هذا يحزننا ولا يفرحنا.

ثانيًا: هناك مؤامرة كبيرة في المنطقة، ولعبة ماكرة تديرها إيران وسوريا اللتان تدعمان «حسن نصر الله وحزبه» وهما اللتان دفعتا به لهذه المواجهة، ومفاد هذه المؤامرة وملخصها: «أن هناك مشروعًا صفويًّا شعوبيًّا كبيرًا يراد تنفيذه في المنطقة، وقد بدأ يأخذ مسارًا تنفيذيًّا متسارعًا منذ بدء اجتياح العراق واحتلاله أمريكيًّا وصفويًّا وصهيونيًّا، فقبل أشهر عدة أُعلن في دمشق عن انطلاق تحالف إستراتيجي إيراني سوري، ضم إليه حزب الله وبعض الفصائل الفلسطينية، وتتواطأ معهم الحركات الشيعية العراقية من منطلق طائفي مذهبي؛ فتحول هذا التحالف المشبوه الجديد إلىٰ مشروع سرطاني شديد الخبث، يفوق خطره علىٰ أمتنا الإسلامية خطرَ الكيان اليهودي نفسه، ولكي يكون لهذا المشروع الخبيث غطاء مقبول لدىٰ شعوب المنطقة المسلمة، فلابد من تسريع خطاه وتمكينه من اللعب بعواطف الجماهير المسلمة، وليس هناك أفضل من قضية فلسطين واللعب بها وعليها وفيها حتىٰ تتوارىٰ خلفه النوايا الحقيقة لأصحاب هذا المشروع الصفوي الخطير، الذي مر بنا أهم أصوله الاعتقادية الكفرية العدوانية آنفًا، وخلاصة أهداف هذا المشروع الخطير: هو السيطرة علىٰ العالمين العربي والإسلامي بدءًا من إخضاع منطقة الهلال الخصيب «بلاد الشام والعراق» وذلك باجتياحها «ديموغرافيًا» ومذهبيًّا وتبشيريًّا صفويًّا.

ثالثًا: أما لماذا جاءت هذه المواجهة بين «رافضة لبنان» واليهود في هذا الوقت فلعدة اعتبارات عند القوم أهمها:

١- اشتداد عمليات التطهير الإجرامي العرقي والمذهبي، التي تقوم بها الميليشيات الصفوية العراقية في العراق، بما في ذلك عمليات إبادة وحشية ضد السكان الفلسطينيين، وعمليات تهجير لأهل السنة من جنوبيّ العراق «البصرة لم يبق فيها إلا (٧٪ من أهل السنة بينما كانوا أكثرية منذ عشرات السنين، ونسبتهم كانت (٤٠٪ قبيل الاحتلال الأمريكي»!

فضلًا عن انكشاف زيف شعارات الرئيس الإيراني «نجاد» الداعية لإزالة إسرائيل من الوجود!. وجهاد الشيطان الأكبر «أمريكا»!

في الوقت الذي أثبت أهل السنة أنهم هم المجاهدون الصادقون الذين يقاومون الغزاة في أفغانستان والعراق والشيشان، وكذلك المقاومة الفلسطينية وهي سنية بطبيعة الحال خطفت الأضواء بأنها الوحيدة في ساحة الصدام مع الكيان الصهيوني، وذلك بعد عملية «الوهم المتبدد» وخلال عدوان «أمطار الصيف».. إذ وصل الكيان الصهيوني إلىٰ طريق مسدود لتحقيق أهدافه ضد الشعب الفلسطيني وفصائله المقاومة!.

وهذا كله أدىٰ إلىٰ فضح الرافضة الصفويين وأنهم عملاء للغزاة المحتلين وخطف الأضواء عنهم، فكان لابد من عمل يعيد لهم اعتبارهم ويغطي علىٰ فضائحهم.

٢- انكشاف تواطؤ حزب الله ضمن تواطؤ حليفه الإيراني... مع الاحتلال الأمريكي ضد المقاومة العراقية ودخول الحزب في لعبة تشجيع

الميليشيات الصفوية العراقية وتدريبها، وهي نفس الميليشيات التي تقوم بعمليات إبادة الفلسطينيين وأهل السنة في العراق!

٣- بداية انتكاسات لحملات التشييع في سورية ولبنان، انعكاسًا لانكشاف مواقف أركان الحلف الصفوي الشعوبي الداعم للصهاينة وللاحتلال الأمريكي المرفوض شعبيًّا... ثم بروز بوادر الاصطدام علىٰ النفوذ بين المشروعين: الأمريكي، والفارسي الصفوي... في العراق!

لذا كان لابد من فعل يحرف الأضواء والأنظار عما يجري في العراق بحق أهل السنة والفلسطينيين علىٰ أيدي الصفويين الشعوبيين، ولابد من خطف الأضواء من المقاومة الفلسطينية السنية التي كشفت عجز الجيش الصهيوني، ولابد من استعادة الثقة بعمليات التبشير الشيعي في المنطقة، ولابد من إعادة الاعتبار لأكذوبة «نجاد» بدعوته لإزالة إسرائيل ومقاومة الكيان الصهيوني، ولابد من التغطية علىٰ تواطؤ حزب الله بالعمل ضد المقاومة العراقية، ولابد من خلط الأوراق في لبنان لصالح الفوضىٰ التي هدد بنشرها رئيس النظام السوري بشار الأسد... لابد من كل ذلك ولو علىٰ حساب لبنان... كل لبنان؛ الرسمي والشعبي... ولو أدىٰ العبث واللعب إلىٰ تدميره!

فلذلك... ولتحقيق كل هذه الأهداف... قام حزب الله -ثالث ثالوث المشروع الصفوي الفارسي- بعمليته أو مغامرته الأخيرة ضد الكيان الصهيوني!

• هل نحن ضد عملية تنال من العدو الصهيوني؟!. لا... مطلقًا، نحن نفرح بكل عمل يؤذي الكيان الصهيوني الغاصب ويضعفه ويضع من

هيبته!. لكننا لا نقبل أن نُخدع ولا نقبل أن تندرج هذه العملية في مسلسل تحقيق أهداف المشروع الأخطر من المشروع الصهيوني في بلادنا، ولا نقبل أن يتاجر القائمون بهذه العملية بقضية فلسطين، في نفس الوقت الذي يذبحون فيه الفلسطينين ويستبيحون أرواحهم ودماءهم وأعراضهم وأموالهم في بغداد...

- ولا نقبل مطلقًا أن يعبث الصفويون بأمن سورية ولبنان في سبيل تحقيق أهدافهم الدنيئة...
- ولا نقبل أبدًا أن يتم تدمير لبنان وتقتيل أبنائه وأطفاله ونسائه، بتحريض واستفزاز يمارسه أصحاب المشروع الصفوي الفارسي وينفذه أصحاب المشروع الصهيوني...
- ولا نقبل أن يقوم الصفويون الجدد بالترويج لأنفسهم زورًا وتزييفًا، بأنهم أصحاب مشروع مقاوم، بينما هم يمالئون المشروعين الأمريكي والصهيوني علىٰ رءوس الأشهاد وفي وضح النهار...
- ولا نقبل في أي: وقت من الأوقات أن تنحرف الأنظار عن جرائم الصفويين بحق أهلنا وشعبنا المسلم في العراق...
- ولا نقبل أن تستخدم مثل هذه العمليات المشبوهة، في كسب الوقت لبناء القنبلة النووية الإيرانية الصفوية، التي ستستخدم لخدمة المشروع الشرير ضد العرب والمسلمين، وضد أوطانهم وثرواتهم وأموالهم وأعراضهم!

فتشوا في أوراق التاريخ كله، فلن تجدوا ما يفيد بأن إيران الفارسية قد دخلت حربًا أو معركة مع الصهاينة... أو حتىٰ مع «الشيطان الأكبر» أمريكا؟!. لن

تجدوا في التاريخ حرفًا واحدًا يفيد ذلك، بل سنجد أن إيران التي افتضح أمرها باستيراد السلاح الصهيوني والأمريكي أثناء الحرب مع العراق «فضيحة إيران غيت».. هي نفسها إيران التي تقود الحلف الصفوي التوسعي الاستيطاني التبشيري الجديد.

- وهي نفسها إيران التي تمالئ أمريكا وتعينها علىٰ استمرار احتلال العراق.
- وهي نفسها التي تستخدم حزب الله في استجرار تدمير لبنان وتهديد أمنه واستقراره.
- وهي نفسها التي ما تزال عينها علىٰ الخليج العربي، وهي نفسها التي تحتل الجزر الإماراتية العربية الثلاث.
- وهي نفسها التي تحول الحركات الفلسطينية إلىٰ ورقة ولعبة تلعبها متىٰ أرادت علىٰ حساب أمن المنطقة العربية والإسلامية كلها![1].

⦸ الوقفة الثالثة:

وأخصص هذه الوقفة بما ندفع به الإحباط واليأس عن نفوسنا وعن المسلمين، وذلك بالقول بأنه وإن كانت الأحداث موجعة ومدلهمة، لكن لعلها مؤذنة بانبلاج الصبح، وذلك لما نشهده من انفضاح مستمر ومتزايد لسبيل المجرمين والمنافقين، وبيان لموقف الموحدين وثباتهم وصدقهم، وهذا أمر حتمي يسبق نزول نصر الله تعالىٰ... أي: أن محق الكافرين وتمكين المؤمنين الصادقين؛ لابد أن يسبقه فترة ابتلاء وتمحيص يتميز فيها المؤمنون الصادقون عن

---

(١) نقلًا عن المقال الرائع «تعانق المشروعين الأمريكي والصفوي في العراق والمنطقة وأهداف حزب الله». د. محمد بسام يوسف باختصار وتصرف يسير في (٢١/ ٦/ ١٤٢٧هـ).

الكافرين والمنافقين ومن في قلبه مرض، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، وهذا هو الذي يحدث الآن وقبل هذا التميز لا ينزل نصر الله عَزَّوَجَلَّ.

وشيء آخر يبث الأمل في النفوس ولا يجعلها في رعب وخوف من المجرمين وكيدهم ألا وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

ولعل في هذه الأحداث التي أراد الرافضة أن تخدم مشروعهم الصفوي التوسعي في المنطقة أن ينقلب الأمر عليهم، وتكون بداية النهاية لهم والسحق لمشروعهم الإجرامي الكبير، وسنة الله عَزَّوَجَلَّ أن البقاء للحق وأهله، والباطل ذاهب زاهق، قال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل الحق وأنصاره، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليه ويذل فيه عدوه ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر، والحمد لله رب العالمين.

* * * *

(٤)

موتوا
بغيظكم يا عُباد الصليب[١]

الحمد الله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، ونصب لنا الدلالة علىٰ صحته برهانًا مبينًا، وأوضح السبيل إلىٰ معرفته، واعتقاده حقًّا يقينًا، ووعد من قام بأحكامه وحفظ حدوده أجرًا جسيمًا، وذخرًا لمن وفاه به ثوابًا جزيلًا وفوزًا عظيمًا، وفرض علينا الانقياد له ولأحكامه، والتمسك بدعائمه وأركانه، والاعتصام بعراه وأسبابه.

فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فبه اهتدىٰ المهتدون وإليه دعا الأنبياء والمرسلون: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران:٨٣].

فلا يقبل من أحد دينًا سواه من الأولين والآخرين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وحكم سبحانه بأنه أحسن الأديان، ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلًا فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ

---

(١) نشر بتاريخ (٧/ ١١/ ١٤٢٧هـ) ومناسبته: عندما تكلم بابا الفاتيكان عن الإسلام واستهزأ بنبي الإسلام ﷺ.

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا صاحب له، ولا ولد له، ولا كفؤ له، تعالىٰ عن إفك المبطلين، وخرص الكاذبين، وتقدس عن شرك المشركين وأباطيل الملحدين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته، وأمينه علىٰ وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، ابتعثه بخير ملة وأحسن شرعة، وأظهر دلالة وأوضح حجة، وأبين برهان إلىٰ جميع العالمين إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، حاضرهم وباديهم، الذي بشرت به الكتب السالفة، وأخبرت به الرسل الماضية، وجرىٰ ذكره في الأعصار وفي القرىٰ الأمصار والأمم الخالية، ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبي البشر، إلىٰ عهد المسيح ابن البشر.

رضي المسلمون بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولًا، ورضي المخذول بالصليب والوثن إلهًا وبالتثليث والكفر دينًا، وبسبيل الضلال والغضب سبيلًا...

أما بعد:

فإن من بعض حقوق الله علىٰ عبده: رد الطاعنين علىٰ كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان...»(١).

وإن ما تفوه به عابد الصليب وإمام الكفر ورئيسه في «الفاتيكان» لم يكن هو الأول من نوعه، وليس غريبًا أن يخرج من أفواههم النجسة مثل هذا الكلام، لأنه وأمثاله قد مُلِئوا كفرًا وحقدًا وكل إناء بما فيه ينضح!

---

(١) اقتباسًا من مقدمة كتاب: «هداية الحيارىٰ» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ باختصار.

ومثل هذا الكفر المتجدد إنما هو زيادة في الكفر على كفرهم، وإملاء من الله عز وجل لهم حتى يسرعوا إلى الأجل الذي قدره الله لهم ليقصمهم فيه ويمحقهم قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وليس الغرض من هذه الكتابة الرد على ما تفوه به إمام الكفر ومرجع النصرانية الوثنية في العالم اليوم فقد كفانا الرد على شبهاتهم أئمة الإسلام في القديم والحديث كشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه العظيم: «الجواب الصحيح»، وتلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه النفيس: «هداية الحيارى»، هذا لو كان ما قاله رئيس الكفر ناشئًا عن جهل بالإسلام، ورسول الإسلام، أما وأنه يعرف حقيقة الإسلام وحقيقة نبينا محمد ﷺ كما يعرف أبناءه وما صده عن ذلك وجعله يقول ما قال إلا العناد والاستكبار فإن مثل هذا لا يستحق الرد ولا الالتفات وإنما الله عز وجل هو الذي يتولى الرد على هذا وأمثاله بما يشاء: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

وإنما المقصود من هذه الكتابة مخاطبة إخواني المسلمين الموحدين بتوظيف هذا الحدث في التركيز والتأكيد على بعض المسائل والأصول المهمة التي يسعى أعداء هذا الدين من الكفرة والمنافقين في توهينها والتشويش عليها؛ لعلمهم بأنها هي التي تحفظ للمسلمين كيانهم وعقيدتهم وأخلاقهم.

ويمكن الحديث عن هذه المسائل المهمة في ظل هذه الهجمة الشرسة من أئمة الكفر على ديننا حسب الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: النظر إلى هذه الأحداث في ضوء السنن الإلهية.

الوقفة الثانية: من ألطاف الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته في هذه الأحداث.

الوقفة الثالثة: موتوا بغيظكم.

الوقفة الرابعة: رمتني بدائها وانسلت.

الوقفة الخامسة: بل انتشر الإسلام بالسيف والبيان.

⊘ الوقفة الأولىٰ: النظر إلىٰ هذه الأحداث في ضوء السنن الإلهية:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ويقول سبحانه: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣].

والآيات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في الحث علىٰ النظر في السنن الربانية كثيرة جدًّا وبخاصة عند التقديم والتعقيب علىٰ قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم.

إنه من الواجب علىٰ دعاة الحق والمجاهدين في سبيل الله أن يقفوا طويلًا مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما تضمن من الهدىٰ والنور، ومن ذلك ما تضمنه من السنن الربانية المستوحاة من دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن في معرفتها والسير علىٰ هداها أخذًا بأسباب النصر والتمكين والفلاح، ونجاة مما وقع فيه الغير من تخبط وشقاء وفي الغفلة عنها تفريط في الأخذ بأسباب النجاة، وحرمان التوفيق في النظر الصحيح للأحداث والمواقف.

وليس المقصود هنا التفصيل في موضوع السنن الربانية فهذا له مقام آخر، وإنما المقصود هو الاستضاءة بهذه السنن في الوصول إلىٰ الموقف الحق الذي نحسب أنه يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك في الأحداث الساخنة التي تدور رحاها اليوم

في حرب الإسلام وأهله.

وأكتفي بذكر سنة واحدة من سنن الله تعالىٰ تتناسب هذا الحدث الذي نحن بصدده؛ وبفهم هذه السنة يزول الاستغراب مما يحدث ونتمكن من الفهم الصحيح لحقيقة هذه الهجمات المتتالية من أعداء الإسلام ودوافعها وحكمة الله عَزَّوَجَلَّ في إيجادها؛ لأن من أسمائه سبحانه: العليم الحكيم، ومن آثار هذين الاسمين الكريمين اليقين: بأن أي شيء يحدث في خلقه سبحانه فإنما هو بعلم الله تعالىٰ وإرادته وحكمته البالغة؛ وهذه السنة التي أعنيها هنا والتي هي مقتضىٰ حكمته سبحانه وعلمه هي سنة المدافعة والصراع بين الحق والباطل.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١].

ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

في هاتين الآيتين أبلغ دليل علىٰ أن الصراع حتمي بين الحق وأهله من جهة والباطل وأهله من جهة أخرىٰ، هذه سنة إلهية لا تتخلف ووقائع التاريخ القديم والحديث تشهد علىٰ ذلك وهذه المدافعة وهذا الصراع بين الحق والباطل إن هو إلا مقتضىٰ علمه سبحانه وحكمته ورحمته ولطفه وهو لصالح البشرية وإنقاذها من فساد المبطلين، ولذلك ختم الله عَزَّوَجَلَّ آية المدافعة في سورة البقرة، بقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾.

حيث لم يجعل الباطل وأهله ينفردون بالناس، بل قيض الله له الحق وأهله

يدمغونه حتىٰ يزهق فالله تعالىٰ يقول: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إن الذين يطمعون في الإصلاح ودرء الفساد عن الأمة بدون هذه السنة - أعني: سنة المدافعة مع الباطل وأهل الفساد- إنهم يتنكبون منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الذي ارتضاه واختاره لهم، وإن الذين يؤثرون السلامة والخوف من عناء المدافعة مع الفساد وأهله، إنهم بهذا التصرف لا يسلمون من العناء والمشقة، بل إنهم يقعون في مشقة أعظم وعناء أكبر يقاسونه في دينهم، وأنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهذه هي ضريبة القعود عن مدافعة الباطل، وإيثار الحياة الدنيا.

والمدافعة بين الحق والباطل تأخذ صورًا متعددة: فبيان الحق وإزالة الشبه ورفع اللبس عن الحق وأهله مدافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدافعة، وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين مدافعة، والصبر والثبات علىٰ ابتلاء الأعداء من الكفرة والظلمة مدافعة، ويأتي الجهاد والقتال في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رأس وذروة هذا المدافعات لكف شر الكفار وفسادهم عن ديار المسلمين ودينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

واليوم لم يعد خافيًا علىٰ كل مسلم ما تتعرض له بلدان المسلمين قاطبة من غزو سافر وحرب شرسة علىٰ مختلف الأصعدة، وذلك من قبل أعدائها الكفرة، وأذنابهم المنافقين.

فعلىٰ الصعيد العسكري تخضع بعض بلدان المسلمين تحت الاحتلال العسكري لجيوش الكفرة المعتدين التي غزت أهل هذه البلدان في عقر دارهم كما هي الحال في أفغانستان والشيشان والعراق وفلسطين وكشمير، وعلىٰ صعيد

الحرب علىٰ الدين والأخلاق والإعلام والتعليم والاقتصاد لم يسلم بلد من بلدان المسلمين من ذلك.

وقد تقرر عند أهل العلم أن الجهاد يتعين علىٰ المسلمين إذا غزاهم الكفار في عقر دارهم، ويصبح واجبًا علىٰ كل مسلم قادر أن يشارك في دفع الصائل عن بلده بكل ممكن.

فإن كان الغزو عسكريًّا وبالسلاح وجب رده بالقوة الممكنة والسلاح.

وإذا كان الغزو بسلاح الكلمة والكتاب والمجلة والوسائل الإعلامية الخبيثة بأنواعها المقروءة والمسموعة والمشاهدة منها أقول: إذا كان الغزو من الكفار للمسلمين في عقر دارهم بهذه الوسائل والمعاول الخطيرة والتي يباشر الكفار بعضها وينيبون إخوانهم من المنافقين في بعضها فإن الجهاد بالبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدافعة والتحصين يصبح واجبًا عينيًا علىٰ كل قادر من المسلمين كل بحسبه!

وحينما نربط هذه السنة ومقتضىٰ أسمائه الحسنىٰ بهذه الأحداث التي تزامنت وتتالت وتشابهت قلوب أصحابها في الهجوم علىٰ دين الإسلام وأهله وبلدانه، تتضح لنا هذه السنة بجلاء، وحينئذ يرتفع الاستغراب مما يقوم به الكفار من هجوم وافتراء علىٰ دين الإسلام ويشمر المسلم للدخول في الصراع ضد أعداء الله تعالىٰ بما يستطيع من نفسه وماله ولسانه وقلمه؛ قال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**»[1].

---

(١) رواه النسائي (٣٠٤٥)، وصححه الألباني.

⊘ الوقفة الثانية: ذكر بعض الحكم والألطاف الإلهية المتجلية في هذه الأحداث:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «وأسماؤه الحسنىٰ تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضي المُوجب لمُوجبه ومُقتضاه، فلابد من ظهور آثارها في الوجود فإن من أسمائه: الخلاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضىٰ لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل، إلىٰ سائر الأسماء، ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] فخلقه وأمره صدرًا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين الاسمين المتضمنين لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن سبحانه بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر»[1].

إذا تبين لنا هذا الأصل العظيم أيقنًا أن ما يجري اليوم من كيد وافتراء وهجوم شرس من الكفار علىٰ دين الإسلام فإنما هو بعلم الله تعالىٰ وإرادته: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وأن له سبحانه الحكم البالغة في ذلك، والمؤمنون يحسنون الظن بربهم سبحانه ويوقنون أن عاقبة هذه الأحداث التي يقدرها الله عَزَّوَجَلَّ هي خير ومصلحة ولطف بالموحدين إن شاء الله تعالىٰ، ومع أن المعركة مع الكفار لا زالت في بدايتها، ومع أنها موجعة وكريهة إلا أننا نلمس لطف الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته في أعطافها.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥٦٤).

● **وأقتصر علىٰ ثلاث من أهم هذه الألطاف والثمار العظيمة:**

الأولىٰ: تلك اليقظة الشاملة بين المسلمين والوعي بحقيقة أعدائهم وما يكيدون به للإسلام وأهله، ومع أن هذا العداء والكيد من الكفار قد حذرنا الله ﷻ منه في كتابه الكريم، إلا أن كثيرًا من المسلمين وبحكم غفلتهم عن كتاب ربهم سبحانه تلاوة أو تدبرًا لم يتعظوا بكلام ربهم سبحانه فنسوا حظًّا مما ذكروا به وغفلوا عن عدوهم؛ ولذا فمن رحمته سبحانه أن يقدر أحداثًا مؤلمة للمسلمين، لكنها تحمل في طياتها خيرًا ومن ذلك كما أسلفت -يقظة المسلمين ورجوعهم إلىٰ دينهم وتقوية عقيدة الولاء والبراء، وشحذ هممهم وعزائمهم لنصرة الدين والبراءة من أعدائهم وجهادهم باللسان والسنان؛ وهذا مكسب عظيم إذا قارناه بأحوال الأمة قبل ذلك، وما كانت تعيشه من الغفلة والانخداع بما يزعمه الكفرة والمنافقين أنهم دعاة سلام وأمن وحرية.

والمتدبرون لكتاب الله تعالىٰ وتاريخ الصراع بين الحق والباطل لم يكونوا بحاجة إلىٰ إقناعهم بعداوة الكفار وكيدهم من خلال هذه الهجمات الأخيرة، بل إن هذه الهجمات زادتهم إيمانًا ويقينًا لما حذرهم الله ﷻ منه في كتابه الكريم؛ ومن هذه التحذيرات قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

وقوله سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن

يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾

[البقرة: ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾

[المائدة: ٥١].

إذن؛ فلا غرابة إذا هاجموا دين الإسلام ورسول الإسلام ﷺ؛ فهذا شأنهم وشِنشِنتهم في قديم الزمان وحديثه، وأعظم من ذلك وأشنع سبهم لله عَزَّوَجَلَّ وطعنهم في ربوبيته وألوهيته بنسبة الولد إليه وجعله شريكًا مع الله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيته وألوهيته، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ولكن المُلْفِت في هذه الهجمات المتأخرة تزامنها وتتابعها وتوزيع الأدوار بين رموز الكفر عندهم بمختلف توجهاتهم، السياسية، والدينية، والثقافية، والعسكرية.

والتصريح الذي صدر من رئيس الفاتيكان يأتي في سياق حملة عالمية وراءها اليهود والنصارىٰ وأذنابهم من المنافقين علىٰ الإسلام والمسلمين بدأت في دوائر الثقافة والفكر والإعلام فيما سمي بصراع الحضارات، وما سمي بنهاية التاريخ، وعبر عنه المحافظون الجدد في أمريكا والأحزاب والأنظمة والشخصيات المتناغمة معهم في أوربا وأستراليا، وأيضًا عبر عنه الإنجيليون وعبرت عنه التجمعات الماسونية المختلفة في العالم، ثم تحولت هذه الحملة المحمومة المسمومة

الحاقدة إلىٰ فعل سياسي واحتلال عسكري يمارس من خلال الجيوش الغربية، حين أعلن الطاغوت الأول: «بوش» أنها حرب صليبية، واحتلت العراق وأفغانستان، وتهدد وتحاصر البلدان الإسلامية الأخرىٰ وتمارس عليها الضغوط، ومن ذلك كلام بوش الأخير ووصفه للمسلمين بالفاشيين، وقبله كلام رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارة والإسلام، وبعده الرسوم المسيئة في الصحف الدنماركية، ثم هانحن نرىٰ الآن رئيس الفاتيكان يبارك هذه الجهود، ويعلن من كرسي البابوية انسياقه في هذه الحملة، وهذا يذكرنا بدور الباباوات في الحروب الصليبية السيئة الذكر، التي حفل بها تاريخ الغربيين.

إذن؛ فإن يقظة المسلمين ووقوفهم علىٰ حقيقة أعدائهم وما يخططون من حروب صليبية بدأت طلائعها في بعض بلدان المسلمين، إن هذا من فوائد هذه الأحداث المرة والتي يجب علىٰ دعاة هذه الأمة وعلمائها توظيفها في شحن الهمم وتقوية عقيدة الولاء والبراء، ودعوة كل قادر في هذه الأمة إلىٰ مواجهة هذا الغزو الخطير علىٰ بلدان المسلمين عقديًّا وعسكريًّا واستنفار المسلمين في جهاد الأعداء الغزاة باللسان والبيان والسنان.

الثانية: فضح الدعوات التي يرفعها رموز المنافقين وبعض المهزومين من المسلمين التي تدعو إلىٰ التعايش مع الآخر وترك تسميته بالكافر والقضاء علىٰ مشاعر الكراهية نحوه بل الدعوة إلىٰ محبته وموالاته!

فهاهو حقد الآخر وكيده وحربه فماذا يقول دعاة «نحن ولآخر»؟ وماذا يقوله رموز السلام الذين يريدون نزع الكراهية والبراءة من الكفار من

صدور المسلمين؟

وقال كلينتون -الرئيس الأمريكي الأسبق- في تصريحات لشبكة (سي إن إن) الإخبارية: إن البابا ساهم من خلال هذه التصريحات في إضعاف تأثير رجال الدين الإسلامي المعتدلين الذين يحاولون: «استعادة» راية دينهم من الإسلاميين المتعصبين.

وقال أيضًا في برنامج (لاري كينج لايف الحواري) الشهير علىٰ الشبكة الأمريكية: إن كل شخص منا يدلي بهذه التصريحات وخاصة إذا كان في منصب مرموق مثل البابا، يزيد من صعوبة مهمة المعتدلين في العالم الإسلامي.

إنهم يفتضحون وتتهاوىٰ دعواتهم وبرامجهم، هذا عن المنافقين منهم؛ أما من انخدع بهذه الدعوات من جهلة المسلمين ومهزوميهم فأحسب أن الغفلة والتلبيس قد زالت عنهم وحل مكانهما الشعور بكراهية الكافر والبراءة منه ومن كفره، والاستعداد لجهاده ورد كيده وكفره؛ وهذه ثمرة عظيمة أفرزها هذا الهجوم السافر الظالم من رموز الكفار المحاربين لله ولرسوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

الثالثة: السقوط الذريع لما يسمىٰ بالدعوة إلىٰ وحدة الأديان وتقاربها! ومع أن هذه الدعوة الخطيرة متهافتة وباطلة من أصلها بما نعرفه من استحالة اجتماع التوحيد مع الشرك؛ حيث علمنا الله عَزَّوَجَلَّ أن لا وحدة ولا تقارب ولا تفاهم بين الإيمان والكفر وذلك في كتابه سبحانه حيث قال: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢].

ويبين لنا سبحانه موقف الكفار مع أنبيائهم الذين يدعونهم إلىٰ التوحيد بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣﴾

[ابراهيم:١٣].

وقال سبحانه عن نبيه هود عليه السلام وهو يتحدىٰ قومه الكفار: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥].

ومع وضوح هذه الأدلة الدامغة إلا أنه وُجد من المسلمين من انخدع بمثل هذه الدعوات فراح يضيع عمره في اللهث وراءها؛ ولكن من رحمة الله تعالىٰ ولطفه أن يقدر مثل هذه الأحداث التي تبين خبث القوم وكيدهم وغطرستهم، مما كان له الأثر الكبير في استيقاظ المخدوعين من المسلمين علىٰ استحالة هذا التقارب وبطلانه من أصله.

ومن باب الفائدة في هذا المقام: أحيل القارئ الكريم إلىٰ فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم الدعوة إلىٰ وحدة الأديان وتقاربها وتحمل هذه الفتوىٰ رقم (١٩٤٠٢).

⦸ الوقفة الثالثة: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾:

يعجب بعض المتابعين من الحملة المتزايدة علىٰ الإسلام من بعض الزعماء الدينيين والسياسيين النصارىٰ في السنوات الأخيرة، ويتساءل بعضهم عن سر التوقيت والتزامن، فمن كلام بوش عن المسلمين الفاشيين، إلىٰ كلام البابا بندكت السادس عن النبي ﷺ وقبلها كلام رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارة الإسلامية، وبعده الرسوم المسيئة، وغير ذلك من حملات التشويه ويتساءل

البعض عن الأسباب الكامنة في هذه الحملات، ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ ولا شك أن هناك أسبابًا لهذه الحملات في هذا الوقت من أهمها ما يلي:

- **السبب الأول**: الانتشار الواسع لدين الإسلام في معاقل النصرانية، والذي أقض مضاجعهم وملأ قلوبهم غيظًا وحقدًا وحسدًا علىٰ أهل الإسلام والتوحيد، ويمثل هذا الانتشار الواسع لدين الإسلام وكثرة المعتنقين له في المظاهر التالية:

أ- زيادة أعداد المساجد في دول الغرب:

ففي قلب أوربا بدأت أعداد المساجد فيها تنافس أعداد الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوت الأذان الذي يرفع كل يوم في تلك البلاد خمس مرات، خير شاهد علىٰ إن الإسلام يكسب كل يوم أرضًا جديدة وأتباعًا جددًا.

فقد أصبح للأذان من يلبيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتىٰ نيويورك، وعند نيويورك ومساجدها نتوقف، ففي أوقات الأذان الخمس ينطلق الأذان في نيويورك وحدها في مائة مسجد، وبلغ عدد المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب (٢٠٠٠) مسجد والحمد الله، وترتفع في بريطانيا مئذنة نحو (١٠٠٠) مسجد، وتعلو سماء فرنسا وحدها مئذنة (١٥٥٤) مسجدًا ولا تتسع المصلين، وأما ألمانيا فتقدر المساجد وأماكن الصلاة فيها بـ(٢٢٠٠) مسجد ومصلىٰ، وأما بلجيكا فيوجد فيها نحو (٣٠٠) مسجد ومصلىٰ ووصل عدد المساجد ومصليات في هولندا إلىٰ ما يزيد عن (٤٠٠) مسجد، كما ترتفع في إيطاليا وحدها مئذنة (١٣٠) مسجدًا، أبرزها مسجد روما الكبير، وأما النمسا فيبلغ عدد المساجد فيها حوالي (٧٦) مسجدًا؛ هذه فقط بعض الدول في أوربا الغربية، عدا عن أوربا الشرقية، والإقبال يزداد يومًا بعد يوم، ومن هذه المساجد يتحرك الإسلام وينطلق.

ب- تحذير الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

فقد بدأت الصحف الغربية تطلق صيحات تحذير من انتشار واسع لدين الإسلام بين النصارىٰ، ومن ذلك ما جاء في مقال نشر في مجلة «التايم» الأمريكية: «وستشرق شمس الإسلام من جديد، ولكنها هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا، فهي لا تشرق من المشرق كالعادة، وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب».

أما جريدة: «الصاندي تلغراف» البريطانية فقالت في نهاية القرن الماضىٰ: «إن انتشار الإسلام مع نهاية هذا القرن -يعني: الذي مضىٰ- ومطلع القرن الجديد يعني الذي نحن فيه، ليس له من سبب مباشر إلا أن سكان العالم من غير المسلمين بدءوا يتطلعون إلىٰ الإسلام، وبدءوا يقرءون عن الإسلام، فعرفوا من خلال اطلاعهم أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر علىٰ حل كل مشاكل البشرية».

مجلة «لودينا» الفرنسية قالت بعد دراسة قام بها متخصصون: «إن مستقبل نظام العالم سيكون دينيًا، وسيعود النظام الإسلامي علىٰ الرغم من ضعفه الحالي؛ لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة».

ج - انتشار بيع نسخ القرآن الكريم والكتب الإسلامية:

وبعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، التي كان لها آثار سيئة واسعة علىٰ النشاطات الإسلامية في الغرب وعلىٰ دول الإسلام، إلا أنه مع ذلك ازداد في العالم الغربي الإقبال علىٰ التعرف علىٰ الإسلام بصورة غير متوقعة، وأصبحت نسخ القرآن الكريم المترجمة من أكثر الكتب مبيعًا في الأسواق الأمريكية والأوربية حتىٰ نفدت من المكتبات، لكثرة الإقبال علىٰ اقتنائها، وتسبب ذلك في دخول الكثير منهم في الإسلام، وفي ألمانيا وحدها بيعت خلال سنة (٤٠) ألف نسخة من

كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، كما أعادت دار نشر «لاروس» الفرنسية الشهيرة طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم بعد نفادها من الأسواق.

د- تزايد أعداد الداخلين في الإسلام:

ففي عام (٢٠٠١) نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» مقالًا ذكرت فيه أن بعض الخبراء الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام سنويًّا بـ(٢٥) ألف شخص، وأن عدد الذين يدخلون دين الله يوميًّا تضاعف أربع مرات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حسب تقديرات أوساط دينية.

والمدهش: أن أحد التقارير الأمريكية الذي نُشر قبل أربع سنوات ذكر أن عدد الداخلين في الإسلام بعد ضربات الحادي عشر من سبتمبر قد بلغ أكثر من ثلاثين ألف مسلم ومسلمة، وهذا ما أكده رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكي؛ إذ قال: «إن أكثر من (٢٤) ألف أمريكي قد اعتنقوا الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر» وهو أعلىٰ مستوىٰ تحقق في الولايات المتحدة منذ أن دخلها الإسلام».

أما في فرنسا فقد أوردت صحيفة «لاكسبرس» الفرنسية تقريرًا عن انتشار الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: «علىٰ الرغم من كافة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية مؤخرًا ضد الحجاب الإسلامي وضد كل رمز ديني في البلاد، أشارت الأرقام الرسمية الفرنسية إلىٰ أن أعداد الفرنسيين الذين يدخلون في دين الله بلغت عشرات الآلاف مؤخرًا، وهو ما يعادل إسلام عشرة أشخاص يوميًا من ذوي الأصول الفرنسية، هذا خلاف عدد المسلمين الفعلي من المهاجرين ومن المسلمين القدامىٰ في البلاد».

وقد أشار التقرير إلىٰ أن أعداد المسلمين في ازدياد من كافة الطبقات والمهن في المجتمع الفرنسي، وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية.

وهذا الانتشار الواسع لدين الإسلام يحصل مع التضييق الشديد علىٰ

الأنشطة الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية في كثير من الدول، ومع وجود الجهود الهائلة والإمكانات الضخمة التي يبذلها النصارىٰ في نشر الديانة النصرانية والصد عن الإسلام علىٰ كافة الأصعدة حتىٰ بلغت ميزانيات بعض الكنائس العالمية أكثر من مليار دولار للسنة الواحدة وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

كل هذا مما أغاظ الكفار ونفسوا عن هذا الغيظ والحقد بهذة الهجمات المخذولة، وهنا نقول ما قال الله عَزَّوَجَلَّ لسلفهم: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩].

- السبب الثاني لهذه الحملات:

ما حققه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أيدي المجاهدين في هذه الأمة جزاهم الله خيرًا من نكاية وإثخان في الغزاة؛ حيث نسمع ونرىٰ من انتصارات المجاهدين في أفغانستان والعراق وفلسطين ما يثلج الصدور ويغم الكفار؛ حيث أصبح الكفرة الغزاة في متناول المجاهدين الأسود تنالهم أيديهم ورماحهم فقذف الله في قلوبهم الرعب ورد الله كيدهم في نحورهم، وصاروا يفكرون في الخروج من مأزقهم بعد أن ظنوا أن ديار المسلمين لقمة سائغة لهم.

ولما رأىٰ رموز الكفر في الغرب السياسيون منهم والدينيون تصاعد العمل الجهادي أمامهم وتصاعد الكراهية والبغض والبراءة منهم كل هذا زادهم غيظًا وحنقًا فلجئوا إلىٰ هذه الحملات الفجة الحاقدة علىٰ الإسلام لينفسوا عن غيظهم نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يزيدهم حسرة وأن يموتوا بغيظهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

- **السبب الثالث:**

التغطية علىٰ جرائمهم البشعة بنشر التشويه لسمعة المسلمين في العالم وتبرير حملاتهم البربرية علىٰ بلدان المسلمين بحجة الحرب علىٰ الإرهاب ونشر السلام، حيث إن هذه الحملات تأتي بمباركة رئيس الفاتيكان، كما كان ذلك في الحروب الصليبية القديمة التي حفل بها تاريخ الغرب الصليبي؛ حيث سبقها مباركة الباباوات وتشجيعهم للنصارىٰ علىٰ حرب المسلمين، وتصويرهم لأنفسهم بأنهم رسل حضارة وتقدم، وإظهار إبادتهم للمسلمين بأنها دعوة للسلام والحرية والديموقراطية!

⦸ الوقفة الرابعة: رمتني بدائها وانسلت:

هذا المثل يضرب لمن يعير غيره بعيب هو فيه(١): «وإنه لمن العجائب والمضحكات أن يتهم عابد الصليب دين الإسلام بأنه مخالف للعقل والمنطق أو أنه متعطش للدماء، وأنه ما قام إلا علىٰ العنف والحقد والإكراه!

إن عابد الصليب حينما تفوه بهذا الكلام من فمه النجس ليعلم في قراره نفسه أنه كذاب وأن دين النصرانية الذي هو رئيسة اليوم غارق في أوحال الشرك والهمجية وإلغاء العقل والتفكير، كما يعلم في نفس الوقت أن دين الإسلام بريء من كل ما قال وأنه ما من دين أكرم العقل ووضعة في مكانة اللائق به كالإسلام.

إن رئيس الفاتيكان يعلم ذلك علم اليقين ولكنه الاستكبار والحسد والغيظ قال الله عَزَّوَجَلَّ عن سلفه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

(١) أنظر: مجمع الأمثال (٢/ ٢٣).

وقال عن من آمن منهم وانقاد للتوحيد والإسلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [لمائدة: ٨٣].

فسبحان من وفق من شاء من عبادة إلىٰ هدايته وحرم من حرم منهم حكمة منه وعدلًا.

وأكتفي بمثال واحد ساقه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ من دين النصارىٰ المحرف يدل علىٰ همجية العقول وانتكاسها قال رحمه الله تعالىٰ: «وكيف لا يميز من له أدنىٰ عقل يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه علىٰ عبادة الرحمن، والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان، ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل ولإحسان، مع إيثار طاعته علىٰ طاعة الشيطان، وبين دين أسس بنيانه علىٰ شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار، أسس علىٰ عبادة النيران، وعَقْدِ الشركة بين الرحمن والشيطان، وبينه وبين الأوثان، أو دين أسس بنيانه علىٰ عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان؛ وأن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن أنثىٰ، وأقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث وظلمات الأحشاء تحت ملتقىٰ الأعكان، ثم خرج صبيًّا رضيعًا يشب شيئًا فشيئًا ويأكل ويشرب ويبول وينام، ويتقلب مع الصبيان.

ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغي للإنسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان إلىٰ مكان.

ثم قبضوا عليه، وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعقدوا علىٰ رأسه من

الشوك تاجًا من أقبح التيجان، وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان، ثم ساقوه إلىٰ خشبة الصلب مصفوعًا مبصوقًا في وجهه، وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان.

ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثم شدت بالحبال يداه مع الرجلان، ثم خالطهما تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق اللحمان، وهو يستغيث: ياقوم ارحموني! فلا يرحمه منهم إنسان.

هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي الذي يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شان»[١].

ولكن العجيب المضحك كما أسلفت هو أن يرمي هذا المخذول خصمه بما هو غارق فيه وفي أوحاله ولكنها الغطرسة والاستخفاف بعقول الناس؛ إذ كيف يرمي غيره بحجر من بيته من زجاج؟!

أما الأشد عجبًا وسخفًا فهو رميه لدين الإسلام بأنه متعطش للدماء والعنف، وأنه انتشر علىٰ جماجم الناس وأشلائهم! ألا يستحي هذا الظالم المخذول من نفسه؟ إنه والله يعلم أنه كاذب، وأن الناس يعلمون أنه كاذب ولكنه الاستخفاف بعقول الناس والكبر والغطرسة؛ وإلا فماذا يقول عباد الصليب عن حروبهم الدينية المخزية عبر مئات السنين التي شنوها قديمًا في حروبهم الصليبية؟!

ومن هم الذين وراءها، وماذا يقولون عن محاكم التفتيش؛ وماذا يقولون عن الحربين العالميتين التي قتل فيها الملايين من بني جلدتهم ومن غيرهم؛ ومن

(١) من مقدمة كتاب: «هداية الحيارىٰ».

هم الذين غزوا بلاد المسلمين واحتلوها في القرن الماضي ومن هم الذين قتلوا عشرات الآلاف بالقنبلة الذرية التي تحرق الأخضر واليابس!

ومن هم الذين قتلوا وشردوا مئات الآلاف في أفغانستان والعراق؟!

ومن الذين قتلوا المسلمين ودفنوهم في مقابر جماعية في حرب البوسنة والهرسك؟!

ومن هم الذين ساهموا في المذابح المروعة في إفريقية بمباركة قسيس ورهبان الهوتو التي حدثت لقبائل التوتسي؟! ومن... ومن؟!

إن كل هذه الجرائم والدماء والأشلاء إنما تمت علىٰ يد النصارىٰ بمباركة قساوسهم فكيف لا يستحي هذا المتغطرس النجس من هذه الجرائم؟ لكنهم استخفوا بعقول الناس، وبدلًا من الاعتراف بهذه الجرائم والانكفاء علىٰ أنفسهم راحوا يزيدون جرائمهم ويشعلونها حربًا علىٰ الإسلام، ثم يسمون جميع ضحاياهم إرهابيين، أو أنهم دعاة للإسلام بالعنف، ويسمون إبادتهم دعوة للسلام والحرية والديمقراطية! إنهم هم فقط لهم حق القتل والإبادة ويجب أن يقبل المسلمون بالموت وأن يعتبروه حرية وتقدمًا وسلامًا مسيحيًّا!

⦸ الوقفة الخامسة: بل انتشر الإسلام بالسيف والبيان:

إنه لمن المؤسف أن يضع بعض الدعاة والمفكرين من المسلمين أنفسهم موضع المتهم المنهزم الذي يريد أن يبرئ نفسه من تهمه ويحسن وضعه عند خصمه؛ إن هذا المنهج الأعوج هو ما يتبناه اليوم بعض من قام بالرد علىٰ عابد الصليب المخذول عندما قال: إن الإسلام أنتشر بالسيف، فبادر هؤلاء بالرد عليه بقولهم: إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما بالدعوة والبيان/ وإنما كان السيف

للدفاع عن النفس وعن الديار فقط! ولا يخفىٰ ما في هذا الكلام من مخالفة لما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في كتابة الكريم عن غاية الجهاد، وما فيه أيضًا من مخالفة لسيرة الرسول ﷺ والخلفاء وأمراء المسلمين من بعدة في تسيير الجيوش لفتح الدنيا، وإزالة الطواغيت الذين يصدون عن الدين الحق وحتىٰ لا تكون فتنة؛ أي: شرك؛ ويكون الدين كله لله.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «والسيف إنما جاء منفذًا للحجة مقومًا للمعاند، وحدًّا للجاحد، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

- دين الإسلام قام بالكتاب الهادي ونفــذه الســيف الماضــي
- فما هو إلا الوحي أوحد مرهف يقيم ضباه أخدعي كل مائلِ
- فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهلِ(١)

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ: «إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه علىٰ العقيدة؛ والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيدًا أن هذه ليست الحقيقة، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة... ومن ثم يقوم المنافحون -المهزومون- عن سمعة الإسلام، بنفي هذا الاتهام! فيلجئون إلىٰ تلمُّس المبررات الدفاعية! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته، وحقه في:

---

(١) «هداية الحيارىٰ» المقدمة (١/ ٢٣٢).

«تحرير الإنسان» ابتداء...

والمهزومون روحيًّا وعقليًّا حين يكتبون عن: «الجهاد في الإسلام» ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام... يخلطون بين منهج هذا الدين في النص علىٰ استنكار الإكراه علىٰ العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوىٰ السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه، والتي تعبد الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله ومن أجل هذا التخليط -وقبل ذلك من أجل الهزيمة!- يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: «الحرب الدفاعية».. والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها كذلك... إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة: «الإسلام» ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين، وجعلها خاتمة الرسالات..

إن هذا الدين إعلان عام «لتحرير: «الإنسان» في: «الأرض» من العبودية للعباد- وذلك بإعلان ألوهية الله وحده سبحانه وربوبيته للعالمين..

ترىٰ لو كان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد أمنوا عدوان الروم والفرس علىٰ الجزيرة أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلىٰ أطراف الأرض؟ وكيف كانوا يدافعون هذا المد، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من: أنظمة الدول السياسية، وأنظمة المجتمع العنصرية إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن: «تحرير الإنسان» نوع الإنسان... في: «الأرض».. ملء الأرض... ثم تقف أمام العقبات تجاهدها باللسان والبيان!. إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلىٰ بينها وبين الأفراد، تخاطبهم بحرية، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات... فهنا: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلابد من

إزالتها أولًا بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله، وهو طليق من الأغلال»[(١)].

ولقد وقفت علىٰ مقال مسدد في موقع «المختصر» أحسب أن صاحبه وفق لبيان الحق في هذه المسألة ومن باب الفائدة أنقله مختصرًا: «إنَّ الإسلام يحتاج اليوم إلىٰ من يقدمه للناس كما هو بِعزَّة ووضوح، نعم بحكمة ولكن دون تحريف أو انهزام، والذي أعتقده أنَّ الفرصة هذه الأيام سانحة لمثل هذا التقديم، فلا ينبغي تضييعها، والإسلام ليس ضعيفًا كي نضعه في قفص الاتهام ثم نجهد في الدفاع عنه لإخراجه منه! وهكذا أوقعونا في الفخ فقالوا: إنَّ إسلامكم انتشر بالسيف، ودينكم دين إرهاب، وإنَّ نبيكم لم يأتِ إلا بالدمار للعالم! وأنتم معشر المسلمين تحبون الدماء! فقام المخلصون، وهم إما جهلة، وإما منهزمون، وإما يريدون تجميل الإسلام إلىٰ أن يفتح الله، وإما -وللإنصاف- مجتهدون، يرددون: كلَّا ديننا لم ينتشر بالسيف، انظروا إلىٰ شرق آسيا لم يدخله الإسلام إلا عن طريق التجار، وكلا نحن لسنا إرهابيين، نحن ألطف مَن خلَقَ الله! ونبينا نبي الرحمة، حتىٰ الحيوانات لم تهملها رحمته! أما عن حبنا للدماء فإشاعات مغرضة والله!

ألا دعونا مما قاله رئيس الفاتيكان وأجداده وأبناؤه، وقولوا لنا: ماذا قال الله سبحانه؟ وماذا قال رسوله ﷺ؟! دعونا من فقه الأزمة هذا الذي يقودكم وخذونا إلىٰ فقه الرشد الذي دلَّنا اللهُ عليه ورسولُه، وحمله الصحابةُ ومَن بعدهم من كبار الأمة وفقهائها، وعليه ساروا حتىٰ وهم في أصعب حالاتهم أيام الصليبيين والتتار، ذلك أنَّ الهزيمة لا تقاس بكم احتُلَّ من أشبار، وإنما بكم

(١) انظر: «في ظلال القرآن» (٣/ ١٤٤٠-١٤٤٤)، (٣/ ١٤٣٣-١٤٣٦).

احتُلَّ من قلوب!

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

لقد بينت الآية القاعدة التي يقوم عليها الإسلام، وهي الكتاب، والقوة.

وقد قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قِوام الدين: كتاب يهدي وسيف ينصر».

لقد جاء الإسلام معلنًا للحق، ومؤيدًا للحق في نفس الوقت، وما الطغيان الذي نراه اليوم إلا لأن الحق لا قوة له، ولذلك أمر الله المسلمين بالإعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أمر بذلك لأنه لا يوجد مبدأ دون قوة، وسواء كان هذا المبدأ حقًّا أم باطلًا، أرضيًّا أم سماويًّا فلابد له من قوة تحميه.

الإسلام دين السيف لأنه جاء لقيادة البشرية نحو خيرها، فمن حقها أن تبلغَها الدعوةُ، ولا يمكن هذا إلا بتحطيم الأنظمة التي تحول بين الناس وبين أن يسمعوا كلمة الله، والإسلام دين السيف لمنع الفتنة التي يقترفها المفسدون في الأرض، وليكون الدين كله لله: «لا بمعنىٰ إكراه الناس علىٰ الإيمان، ولكن بمعنىٰ استعلاء دين الله في الأرض»، قال تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

وهل نريد هذا فعلًا؟! مع كل هذا الضعف: نعم! ومع كل هذا الهوان: نعم! ونحن تحت القصف: نعم! ونحن مشردون: نعم! هذا هو فقه الرشد الذي لا يتغير

في الأزمات! وغيره فقه أزمة لا يمثل الإسلام، وإنما يمثل النفوس المسحوقة...

والإسلام دين السيف لأن الصراع بين الخير والشر لا ينقطع؛ فالحياة قائمة علىٰ قانون التدافع، ولو تمكن الشر وحده من الأمر -كما يحصل الآن- لفسدت الحياة، وما الطغيان الذي نراه اليوم إلا لانعدام القوة المقابلة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

والإسلام دين السيف لأنه فعل رسول الله ﷺ، نبي المرحمة ونبي الملحمة؛ نبي المرحمة في وقتها، ونبي الملحمة في وقتها، وهذا مقتضىٰ الحكمة التي بعث بها ﷺ:

فإن قيل حلم فقل للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهلُ

فهو ﷺ الذي أمر بقتال الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله... كما صح عنه، والنص عام، والقول بأنه خاص بوقته ضعيف؛ وهو الذي أمر كما قال الصحابي فيما رواه البخاري: «**أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتىٰ تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية**»[١].

لقد آن للمسلمين أن يتحولوا إلىٰ موقف الهجوم بدلًا من موقف الدفاع الذي لصقوا به دهرًا طويلًا، وليقولوا للعالمين: إذا كان الإرهاب لحفظ الحق، فنحن إرهابيون، ذلك أن الإرهاب ليس وصفًا مطلقًا فقد يكون خيرًا وقد يكون شرًّا!

---

(١) رواه البخاري (٢٩٢٥).

كالقتل، منه ما هو شر ومنه ما هو خير، فقتل النفس البريئة شر، وقتل القاتل خير! وهكذا...

إن من يتهمنا بالإرهاب هم آخر من يحق لهم الكلام عنه، فلسنا نحن الذين استعمرنا العالم في القرون الوسطىٰ، أنهكنا الشعوب وسرقنا خيراتها، ولسنا نحن الذين اصطحبنا رجال الدين ليخدعوا الشعوب باسم الرب! ولسنا نحن الذين أشعلنا أقذر حربين في قرن واحد أكلتا ملايين البشر، ومحقتا خيرات الدنيا! والقائمة تطول»[(١)]. اهـ.

«هذا هو قوام الأمر في نظر الإسلام؛ وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم، وحقيقة تاريخهم، فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع، إنما يقفون به دائمًا موقف المطمئن الواثق المستعلي علىٰ تصورات الأرض جميعًا، وعلىٰ نظم الأرض جميعًا، وعلىٰ مذاهب الأرض جميعًا، ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله، والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي، والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به، والذي لا يجني أحد علىٰ البشرية جناية من يحرمها منه، ويحول بينها وبينه؛ فهذا هو أعدىٰ أعداء البشرية، الذي ينبغي أن يطارده المؤمنون، الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان، فذلك واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها، وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله...

جاهد الإسلام أولًا ليدفع عن المؤمنين الأذىٰ، والفتنة التي كانوا يسامونها،

---

(١) انظر: موقع المختصر المقال بعنوان: «بل الإسلام دين السيف» إبراهيم العسعس.

وليكفل لهم الأمن علىٰ أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم؛ وقرر ذلك المبدأ العظيم: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾. فاعتبر الاعتداء علىٰ العقيدة والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها أشد من الاعتداء علىٰ الحياة ذاتها؛ فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم، وإذا كان المؤمن مأذون في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولىٰ مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه...

وجاهد الإسلام ثانيًا لتقرير حرية الدعوة -بعد تقرير حرية العقيدة- فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقىٰ نظام لتطوير الحياة جاء بهذا الخير ليهديه إلىٰ البشرية كلها؛ ويبلغه إلىٰ أسماعها وإلىٰ قلوبها؛ فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين، ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة؛ كما جاء من عند الله للناس كافة، وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلىٰ موكب الهدىٰ إذا أرادوا، ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الإسماع إلىٰ الهدىٰ، وتفتن المهتدين أيضًا فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية؛ وليقيم مكانها نظامًا عادلًا يكفل حرية الدعوة إلىٰ الحق في كل مكان وحرية الدعاة؛ وما يزال الجهاد مفروضًا علىٰ المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين!

وجاهد الإسلام ثالثًا ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه؛ وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان؛ حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال؛ ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع

أشكالها وصورها...»[١].

وقد يستغرب القارئ هذا الاستطراد في هذه المسألة، ولكن هذا الاستغراب يزول إذا نظرنا إلىٰ ضخامة هذا التلبيس والتضليل الذي تتعرض له ثوابت هذا الدين وشعائره؛ فعندما ندرك خطورة هذا التبديل في دين الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه لا يستكثر الكلام في إزالة هذا اللبس وبيان الحق للناس؛ بل إن الأمر يستحق بسطًا وتفصيلًا أكثر من ذلك؛ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله؛ والله سبحانه الموفق والمعين والمسدد.

وفي ختام هذه المقالة: أقول ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في آخر خطبة كتابه: «هداية الحيارىٰ»: «فلله الحمد الذي أنقذنا بمحمد ﷺ من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدىٰ فلا يغلق إلىٰ يوم الميقات، وأرانا في نوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي جهالتهم يتقلبون وفي ريبهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت، يؤمنون ويعدلون، ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون ولكن لا يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [ال عمران: ١٦٤].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

---

(١) انظر باختصار: «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩٤-٢٩٦).

الحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو إلىٰ الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فله المنة والفضل علىٰ ما أنعم به علينا وآثَرَنا به علىٰ سائر الأمم، وإليه الرغبة أن يُوزِعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة...».

❊ ❊ ❊ ❊

(٥)

ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فمنذ بضعة أيام اتصل بي بعض الإخوة الغيورين عن طريق رسائل الجوال يخبرون فيها بأن قناة العربية الفاسقة قد طرحت استفتاءً حول هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطلب فيه رأي المشاركين في إلغاء جهاز الهيئة أو إبقائه؛ وكان قصد هؤلاء المتصلين التحميس والحض علىٰ تكثير سواد المشتركين من أهل الخير في هذا الاستفتاء لتكون أصوات المطالبين بإبقاء هذا الجهاز المبارك -أعني هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أكثر حضورًا لتنقمع الأصوات المطالبة بإلغائه وبذلك ينقمع الباطل في نظرهم.

ومع تقديري لغيرة هؤلاء الإخوان، إلا أني عاتبتهم علىٰ هذه النظرة المتسرعة، وهذا الموقف الذي أرادت هذه القناة الماجنة إيقاعهم فيه.

ومن باب النصيحة والتحذير وتوسيع دائرة الفائدة أنقل للقراء الكرام ما قلته

---

(١) نشر بتاريخ (١٠/ ٦/ ١٤٢٨هـ) ومناسبته: عندما طرحت قناة (mbc) تصويتًا علىٰ بقاء جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إلغائه.

لإخواني المتصلين بشيء من التفصيل:

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من استخفاف الملبسين وأهل المكر؛ إذ إن لهم أساليب وطرقًا يستفزون بها أهل الخير ليوقعوهم في مصيدتهم:

ومن ذلك ما حصل في هذا الطرح من هذه القناة الماكرة؛ حيث استجاب لهم بعض الطيبين في المشاركة، ولو كانت المشاركة عن حسن نية وبقصد نصرة الحسبة وأهلها؛ وكان الأولىٰ بكل مسلم فضلًا عن أهل العلم والدعوة أن يتجاهلوا هذا الاستفتاء ويقاطعوه ويهجروه ويهجنوه؛ إذ كيف يطرح حول مرفق مبارك ينفذ قول الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، **فكان الواجب إزاء هذا الطرح الفاجر ألا يستجاب له، بل يقابل بالإنكار الشديد علىٰ القائمين عليه، ومطالبتهم بالتوبة من هذا الذنب العظيم والجراءة الشديدة علىٰ حدود الله تعالىٰ وحرماته، والذي يضيف إثمًا زائدًا علىٰ آثامهم الأخرىٰ الكبيرة التي يمارسونها في قناتهم الخبيثة في بث الشبهات والشهوات وإشاعة أسباب الفاحشة بين الناس.**

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمه من شعائر الإسلام عدها بعض أهل العلم الركن السادس من أركان الإسلام، فكيف يأتي رويبضة جاهل ظالم ليبارز الله العداء بجعل شعائره سبحانه مجالًا للرفض أو القبول: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦].

إن المسلم الحق لا يجعل لنفسه الخيار أمام شعائر الله وشرائعه في رفضها أو قبولها، بل ليس أمامه إلا القبول والتسليم وإلا فهو النفاق والفجور، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

بل إني لأتساءل في مقابل ذلك أقول: هل يجرؤ أصحاب هذا الطرح الخبيث أن يطرحوا استفتاءً عامًّا للناس حول المرور أو الشرطة أو البلديات ونحوها ليصوت الناس في إلغائها أو إبقائها؟ الجواب قطعًا كلا لا تستطيع مثل هذه القنوات المغرضة الانتقائية أن تطرح مثل هذا بل ولم يرد في تفكيرها رغم بعض التجاوزات والأخطاء في هذه المرافق؛ إذن فلم هذا التقصد والهجوم الانتقائي علىٰ شعائر الله عَزَّوَجَلَّ؟!

إنها المشاقة لشرع الله عَزَّوَجَلَّ والمعاداة لحماة الأمن والأخلاق والأعراض والصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

ومع أن المكر شديد إلا أن الله سبحانه قد أخبرنا في كتابه الكريم أن الباطل زاهق وذاهب وأن الحق باق وثابت قال سبحانه: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الرعد: ١٧].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

❍ وختـــامـًا:

أكرر الدعوة للقائمين علىٰ هذه القناة بالتوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الجرأة العظيمة علىٰ شعيرة من شعائر الله وطرحها للاستفتاء، وكذلك التوبة من آثامهم الأخرىٰ الكبيرة في قناتهم المفسدة وألا يعودوا إلىٰ مثلها أبدًا، ووالله لن ينفعكم ما أنتم فيه من صحة وتمتع بهذه الدنيا الفانية؟ فإنما استدراج من الله عَزَّوَجَلَّ وإن هي

إلا أيام، أو شهور، أو سنوات معدودة وتلاقون فيها الموت الذي تفرون منه وتقوم قيامتكم وعندها لا تسألون عن الحسرة العظيمة التي تحيط بكم، وعندها لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًا وعندها تنظرون إلىٰ متاعكم الزائل كأنه ساعة من نهار وتدبروا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدي ضال المسلمين، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليه ويذل فيه عدوه، ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر، إنه سميع مجيب، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

* * * *

(٦)

أصحاب الأيكة المعاصرون[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من المصطلحات التي كان الشيوعيون والبعثيون القوميون في العقود السابقة يرمون بها المتمسكين بشريعة الإسلام مصطلح «**الرجعية**» ويعنون بذلك الرجوع إلىٰ الوراء بمئات السنين حيث نزل القرآن علىٰ قلب نبينا محمد ﷺ، فمن كان علىٰ ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام فهو رجعي عندهم، وما أكرمها وأجملها من رجعية ترفع الهامَ ونفتخر بها بين الناس؛ فكفانا فخرًا أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ لنا ربًّا لا رب لنا سواه وكفانا عزًّا أن نكون له عبيدًا.

وما أجمل قول الشاعر:

ومما زادني شرفًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريَّا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيَّا

ومع أن هذا المصطلح قد أكل عليه الدهر وشرب، إلا أنه ما يزال يطرح للتنفير بين المتبعين للأثر ومنهج السلف الصالح، وقد تستبدل أحيانًا

(١) نشر بتاريخ (٧/ ٨/ ١٤٢٨هـ) ومناسبته: بيان أن العلمانيين المعاصرون يرجعون الىٰ أصحاب الأيكه الجاهلين الذين أرسل إليهم نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وبيان أوجه الشبه بينهم.

بمصطلحات أخرىٰ منها الأصولية والراديكالية، وغيرها من المصطلحات الحادثة؛ ويطرح اليوم ممن يسمون أنفسهم بالعلمانيين أو الليبراليين أو الحداثيين، وهذه المصطلحات التي يفرح بها أصحابها ويسرون بإطلاقها عليهم تحمل في ألفاظها معاني الحداثة والتحرر من كل قديم أو أي شيء يحد من حرية الإنسان، سواء كان ذلك دينًا وشريعة أو عادة أو تقاليد وهي عندهم تقابل الرجعية والأصولية.

وليس المقام هنا مقام نقد وهدم هذه المصطلحات والممارسات، فهي تحمل في طياتها معاول هدمها وبيان ذلك له مقام آخر.

وإنما المراد في هذه المقالة **بيان أن هؤلاء القوم العاقون المتمردون علىٰ دينهم ونبيهم وأمتهم الذين يدعون التحرر والتقدم والانعتاق من كل قديم هم في الحقيقة غارقون في الرجعية الضاربة في أعماق التاريخ القديم.**

ويا ليتها رجعية إلىٰ ما كان علية الرسل الكرام من التوحيد والطريق المستقيم، وإنما هي رجعية إلىٰ ما كان عليه أعداء الرسل وأقوامهم المشركون، وبيان ذلك في قصة شعيب عليه السلام مع قومه، وذلك عندما دعاهم إلىٰ التوحيد وعبادة الله وحدة وألَّا يبخسوا الناس أشياءهم وألَّا ينقصوا المكيال والميزان فما كان جواب قومه إلا أن: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧].

وقوم شعيب هؤلاء هم أصحاب الأيكة المذكورين في سورة الشعراء وذلك في قوله عز وجل ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٧].

فمرة ينسبون إلىٰ قبيلتهم «مدين» ومرة ينسبون إلىٰ «الأيكة» وهي شجرة

كبيرة في ديارهم.

❍ **والمقصود**: أن أصحاب الأيكة قوم شعيب استنكروا علىٰ نبي الله ﷻ شعيب عليه السلام تدخُّله في شئونهم التي يرون أنهم أحرار فيها فقالوا: ما لك ولحريتنا الاعتقادية وما دخل دينك في اقتصادنا وتصرفنا في أموالنا فنحن أحرار نفعل فيها ما نشاء. ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود: ٨٧].

الله أكبر إنها والله نفس المقولة التي يقولها اليوم دعاة الليبرالية والعلمانية حذو القدة بالقدة: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣].

وإنها والله لهي الرجعية المقيتة التي ينادي عليها العلمانيون والليبراليون في زماننا اليوم، ومع ذلك يدَّعون أنهم المتقدمون والمتحضرون في الوقت الذي يجتُّرون ويقتاتون علىٰ أقوال سلفهم أصحاب الأيكة الغابرين؟

إن أصحاب الأيكة المعاصرين والأقدمين لا يدركون أولا يريدون أن يدركوا أن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله ﷻ ونبذ ما يعبد من دون الله، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في شئون الحياة كلها، ومنها التجارة وتداول الأموال وفي كل شأن من شئون الحياة والتعامل؛ فهي لُحمة واحدة لا يفترق الاعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة، هذا معنىٰ الإسلام والاستسلام لله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الانعام: ١٦٢، ١٦٣].

إن أصحاب الأيكة المعاصرين الحاصلين علىٰ الشهادات العليا من جامعاتنا وجامعات العالم؛ يتساءلون أولًا في استنكار: وما للإسلام وسلوكنا الشخصي؟ وما للإسلام والسياسة؟ وما للإسلام وزي المرأة في الطريق؟ وما

للإسلام وبناء الأسرة ونظامها؟! فأي فرق بين هذا وبين سؤال أهل مدين: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود: ٨٧].

وهم يتساءلون ثانيًا؛ بل ينكرون وبشدة وعنف؛ أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد أو حتىٰ بالأخلاق من غير اعتقاد... فما للدين والمعاملات الربوية؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ما لم يقعا تحت طائلة القانون الوضعي؟ لا بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد تفسده؛ وينكرون حتىٰ علىٰ بعض أصحاب النظريات الاقتصادية الغربية - النظرية الأخلاقية مثلًا - ويعدونها تخليطًا من أيام زمان!

فلا يذهبن بنا الترفع كثيرًا علىٰ أهل مدين في تلك الجاهلية الأولىٰ؛ ونحن اليوم نرىٰ خلفهم الرجعيين من العلمانيين والليبراليين الذين يدعون العلم والمعرفة والحضارة، ويتهمون الذين يربطون بين العقيدة في الله، والسلوك الشخصي في الحياة، والمعاملات المادية في السوق... بالرجعية والتعصب والجمود!

❍ فأي الفريقين أحق بالرجعية الجاهلية لو كانوا يعلمون؟!

ويحسن في هذا المقام أن نقف مع ذلك الليبرالي الذي يتبجح بالليبرالية ويعلنها وكان من قبل ذلك يستخفي بها ويطرحها علىٰ استحياء لنقول له: حدد لنا معنىٰ هذا المصطلح الذي تتشرف بالانتساب إليه؟! فسيقول لنا إنها لفظه أجنبية تعني التحرر والانطلاق من كل قيد يقيد حرية الإنسان، ولو كان ذلك القيد هو شرع الله عَزَّوَجَلَّ ودينه.

حينئذ نقول له: إنك بتحررك من شريعة الله عَزَّوَجَلَّ والتي هي عقيدة وأحكام وسلوك تكون بذلك قد أرتكست في العبودية لهواك ووضعت ربقة الرق الحقيقي

في عنقك، وإن كنت ترىٰ أن هذه هي الحرية فأنت مخادع لنفسك مغالط لغيرك؛ حيث إنَّ ما أنت فيه إنْ هو إلا الرق والذلة والعبودية الجاهلية كما قال أبن القيم رحمه الله تعالىٰ عن أمثال هؤلاء الليبراليين:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبُلوا برق النفس والشيطان

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «من لم يكن مخلصًا لله عبدًا قد صار قلبه مستعبدًا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب إليه مما سواه ويكون ذليلًا خاضعًا له، وإلا استعبدته الكائنات واستولت علىٰ قلبه الشياطين وكان من العادين إخوان الشياطين»[1].

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ: «إنه حين تكون الحاكمية العليا لله وحده في مجتمع -متمثلة في سيادة شريعته الربانية- تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررًا حقيقيًّا كاملًا من العبودية للهوىٰ البشري ومن العبودية للعبيد؛ وتكون هذه هي الصورة الوحيدة للإسلام أو للحضارة -كما هي في ميزان الله- لأن الحضارة التي يريدها الله للناس تقوم علىٰ قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد؛ ولا كرامة ولا تحرر مع العبودية لعبد... لا كرامة ولا تحرر في مجتمع بعضه أرباب يشرعون ويزاولون حق الحاكمية العليا؛ وبعضهم عبيد يخضعون ويتبعون هؤلاء الأرباب! والتشريع لا ينحصر في الأحكام القانونية؛ فالقيم والموازين والأخلاق والتقاليد... كلها تشريع يخضع الأفراد لضغطه شاعرين أو غير شاعرين!.. ومجتمع هذه صفته هو مجتمع رجعي متخلف»[2].

إذن؛ وبهذا يتضح لنا بجلاء أن الليبراليين الذين يتشدقون بنحلتهم هذه

---

(١) «العبودية» (ص٣٦).

(٢) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٢٥٧).

وينادون بالحرية ويطالبون بتحقيقها في المجتمعات، ثم هم ينشدونها في نظم جاهلية بعيدة عن المصدر الحقيقي للحرية وهي عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له، إنما هم ضالون مضلون صادون عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ لا حرية حقيقية إلا في نقل الناس من عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ عبادة الله وحده، وبدون ذلك فهو الرق ولاستعباد والذلة والشقاء مهما تشدق أصحاب هذه المطالب باسم حقوق الإنسان أو غيرها.

والواقع المرير الذي تعيشه البشرية اليوم أكبر شاهد علىٰ ذلك؛ حيث تحولت البشرية اليوم إلىٰ استعباد القوي للضعيف والكبير للصغير، وذلك علىٰ مستوىٰ الأفراد والطوائف والدول، ثم إذا نظرنا علىٰ حياة من أعرض عن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ ودينه رأيناه مرتكسًا في عبوديات مذلة؛ فهذا أصبح عبدًا لشهوته، وهذا لمنصبه، وهذا لكبريائه، وهذا لماله، واستبدلوا بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ التي فيها العزة والكرامة والحرية عبادة بعضهم لبعض، وعبادة الهوىٰ؛ حيث الذلة والمهانة والرق الحقيقي، وهذه هي الحرية والتحرر الذي يريده دعاة الليبرالية المعاصرون.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديهم ويهدي ضال المسلمين والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(٧)

المنهج القرآني
في التعامل مع أخطاء المجاهدين[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الفتن العظيمة التي تموج اليوم في واقعنا المعاصر لتفرض علىٰ المسلم أن يكون حذرًا يقظًا متأنيًا في أقواله وأفعاله ومواقفه سائلًا ربه عَزَّوَجَلَّ الهداية للحق والثبات عليه؛ ومن أسباب الهداية للحق البصيرة في الدين وتدبر كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ والاستضاءة بهما في خضم هذه الفتن التي تموج كموج البحر.

ومن هذه الفتن التي ظهرت في الآونة الأخيرة تلك المواقف المتباينة إزاء أخطاء بعض المجاهدين في الثغور ما بين مبرر لها ومدافع عنها وكأنه يدعي العصمة للمجاهدين، وما بين مواقف مستعجلة من بعض الدعاة إزاء هذه الأخطاء لم يراعوا فيها التثبت أو لم يراعوا فيها مآلات أقوالهم وما يترتب عليها من المفاسد، ودون انتباه لما يقوم به العدو المتربص من كافر ومنافق من توظيف لأقوالهم هذه في تبرير ضربهم للمجاهدين أو الشماتة بهم.

---

(١) نشر بتاريخ (٢٦/ ١٢/ ١٤٢٨هـ) ومناسبته: حينما كثر لمز المجاهدين وكثر الحديث عن تجاوزاتهم.

ولذا؛ يتعين علىٰ كل من أراد لنفسه السلامة من الزلل والسقوط في الفتن أن يترسم القرآن الكريم ويتدبره ويجعله منطلق مواقفه كلها.

ولقد وقفت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ آيات كريمة عظيمه ترسم لنا المنهج الحق العدل في التعامل مع أخطاء المجاهدين ووضعها في حجمها الطبيعي دون أن يوظفها العدو في صالحه وهذه الآيات هي قوله عَزَّوَجَلَّ:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

[البقرة: ٢١٧، ٢١٨].

وقبل أن نقف عند الدروس من هذه الآية وما فيها من منهج حاسم في التعامل مع أخطاء المجاهدين وأعداء المجاهدين يحسن بنا أن نقف علىٰ سبب نزول هذه الآيات كما جاءت في كتب التفسير.

قد جاء في روايات متعددة أنها نزلت في سرية عبد الله بن جحش رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان رسول الله ﷺ قد بعثه مع ثمانية من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار ومعه كتاب مغلق وأمره ألا يفتحه حتىٰ يمضي ليلتين؛ فلما فتحه وجد به: «**إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتىٰ تنزل بطن نخله -بين مكة والطائف- ترصد لنا قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم... ولا تكرهن أحدًا علىٰ السير معك من أصحابك**»، وكان هذا قبل غزوة بدر الكبرىٰ.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلىٰ بطن نخلة أرصد بها قريشًا حتىٰ آتيه منها بخبر؛ وقد نهىٰ أن أستكره أحدًا منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأنا ماض لأمر رسول الله ﷺ فمضىٰ ومضىٰ معه أصحابه لم يتخلف أحد منهم: فسلك الطريق علىٰ الحجاز حتىٰ إذا كان ببعض الطريق ظل بعير لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما فتخلفا عن رهط عبد الله بن جحش ليبحثا عن البعير ومضىٰ الستة الباقون، حتىٰ إذا كانت السرية ببطن نخلة مرت عير لقريش تحمل تجارة، فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة آخرون، فقتلت السرية عمرًا ابن الحضرمي وأسرت اثنين وفر الرابع وغنمت العير، وكانت تحسب أنها في اليوم الأخير من جمادىٰ الآخرة.

فإذا هي في اليوم الأول من رجب -وقد دخلت الأشهر الحرم- التي تعظمها العرب، وقد عظمها الإسلام وأقر حرمتها... فلما قدمت السرية بالعير والأسيرين علىٰ رسول الله ﷺ قال: «**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**». فوقف العير والأسيرين وأبىٰ أن يأخذ من ذلك شيئًا، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا؛ وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال».اهـ. انظر كتب التفسير عند هذه الآية.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ عند هذه الآية: «ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم وكان ذلك -علىٰ ما قيل في شهر رجب -عيرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعييرهم ظالمين؛ إذ فيهم من القبائح ما بعضه

أعظم مما عيروا به المسلمين، قال تعالىٰ في بيان ما فيهم: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من امن به، وسعيهم في ردهم عن دينهم، وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام، والبلد الحرام، الذي هو بمجرده، كاف في الشر؛ فكيف، وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟!

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ أي: أهل المسجد الحرام وهم النبي ﷺ وأصحابه، لأنهم أحق به من المشركين، وهم عُمَّاره علىٰ الحقيقة، فأخرجوهم ﴿مِنْهُ﴾ ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف والباد.

فهذه الأمور كل واحد منها: ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟! فعلم أنهم فسقه ظلمة في تعييرهم المؤمنين؛ ثم أخبر تعالىٰ أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم، ويكونوا كفارًا بعد إيمانهم حتىٰ يكونوا من أصحاب السعير».اهـ.

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ عند هذه الآية أيضًا: «نزلت هذه النصوص القرآنية فقطعت كل قول وفصلت في الموقف بالحق فقبض الرسول ﷺ الأسيرين والغنيمة».

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾

نزلت تقرر حرمة الشهر الحرام، وتقرر أن القتال فيه كبيرة، نعم! ولكن: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾

إن المسلمين لم يبدءوا القتال، ولم يبدءوا العدوان؛ إنما هم المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام، لقد صنعوا كل

كبيرة لصد الناس عن سبيل الله؛ ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون؛ ولقد كفروا بالمسجد الحرام؛ انتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عامًا قبل الهجرة؛ وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله آمنًا، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته...

وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام... وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل؛ وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام؛ ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين علىٰ الحرمات؛ الذين يتخذون منها ستارًا حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون! وكان علىٰ المسلمين أن يقاتلوهم أنىٰ وجدوهم، لأنهم عادون باغون أشرار، لا يراقبون حرمة، ولا يتحرجون أمام قداسة؛ وكان علىٰ المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من المحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة!

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل؛ وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه، لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي... وهم المعتدون ابتداء؛ وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء...

هؤلاء قوم طغاة بغاة معتدون؛ لا يقيمون للمقدسات وزنًا، ولا يتحرجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع علىٰ احترامه من خلق ودين وعقيدة؛ يقفون دون الحق فيصدون الناس عنه، ويفتنون المؤمنين ويؤذونهم أشد الإيذاء، ويخرجونهم من البلد الحرام الذي يأمن فيه كل حي حتىٰ الهوام!.. ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم المحرمات والمقدسات، ويرفعون أصواتهم: انظروا هاهو ذا محمد ومن معه

ينتهكون حرمة الشهر الحرام!»[١].اهـ.

نلخص من سبب نزول الآية والتوجيه الرباني فيها إلىٰ الموقف السليم في التعامل مع أخطاء المجاهدين المجتهدين والمتمثل فينا يلي:

أولًا: عدم ادعاء العصمة للمجاهدين، بل هم بشر يخطئون ويصيبون، والخطأ لا يدافَع عنه، بل يقال: إنه خطأ ومخالفة، وهذا ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في الآية المذكورة وذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ فذكر سبحانه أن قتال المجاهدين في الشهر الحرام خطأ كبير، ولكن هذا الخطأ لا يهدر به جهاد المجاهدين وبلاؤهم الحسن ومقصدهم الحسن في جهادهم وهو ابتغاء مغفرة الله ورحمته، بل يوضع في حجمه الطبيعي، ولذلك ذكر بعض المفسرين أن الله عَزَّوَجَلَّ طيب قلوب هؤلاء المجاهدين المخطئين بعد ذلك بقوله سبحانه بعد ذلك في نفس السياق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وهكذا يكون التعامل مع أخطاء المجاهدين بحيث ينكر عليهم خطؤهم ولا يقرون عليه؛ وفي نفس الوقت لا ينسىٰ لهم بلاؤهم وجهادهم وتنكيلهم في عدوهم وهجرهم لأهلهم وأوطانهم، وهذا ما يتضح بجلاء في هديه ﷺ في تعامله مع أخطاء بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أثناء جهادهم في سبيل الله تعالىٰ.

فهذا أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قتل المشرك الذي شهد أن لا إله إلا الله بحجة أنه قالها متعوذًا وخوفًا من السيف؛ فعاتبه الرسول ﷺ عتابًا شديدًا وأوقف

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٢٦).

أسامة علىٰ خطئه ومع ذلك بقي هو حِبَّ رسول الله، وبقيت مكانته عند رسول الله ﷺ لم تتغير، حتىٰ أنه أمَّره قبل وفاته علىٰ الجيش المعروف بجيش أسامة ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما عنفه النبي ﷺ وتبرأ من فعله وقتله لمن أظهر الإسلام من بني جذيمة، لم يمنعه ذلك من إبقائه في قيادة العمليات الجهادية المتتالية في عهده ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فهل بعد هذا الهدي النبوي في تعامله مع أخطاء المجاهدين من عذر لبعض الدعاة هداهم الله، الذين ينسون جهاد المجاهدين وبلاءهم الحسن ويسعون إلىٰ إقصائه بمجرد أن يصدر منه خطأ ومخالفة شرعية في قوله أو فعله إن هذا ليس من العدل.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في تعليقه علىٰ قصة عبد الله بن جحش وما نزل فيها من الآيات القرآنية: «والمقصود: أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة، ولاسيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك، أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم في جنب ما فعلوه من التوحيد والطاعات، والهجرة مع رسوله وإيثار ما عند الله فهم كما قيل.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيض عدو جاء بكل قبيح ولم يأت بشفيع واحد من المحاسن»[١].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٧٠).

✍ وفي ختام هذه الفقرة:

❍ أوصي إخواني المجاهدين بأن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في جهادهم، وأن يبذلوا الوسع في توقي الذنوب وما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن الذنوب أخطر علىٰ المجاهدين من عدوهم وهي سبب الهزائم والخذلان، ويكفينا تذكر ما حصل للمسلمين في غزوة أحد.

وإن من أخطر وأكبر الذنوب التي تهدم الجهاد وأهله التنازع والتفرق المؤديان إلىٰ الاستهانة بالدماء المعصومة والتعلق بأدنىٰ شبهة لاستحلالها؛ فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ سمىٰ قتل المشركين المحاربين في الشهر الحرام كبير: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾، ولم يجامل فيه المجاهدين فكيف يقتل مسلم لأدنىٰ شبهة إن مثل هذه المخالفات الكبيرة لهي من أسباب فشل المشروع الجهادي وهزيمته من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنه يصب في مصلحة الكافر المعتدي والمنافق المتربص؛ حيث يفرحون بها ويشمتون بأهلها ويوظفونها أحسن توظيف في حربهم علىٰ الإسلام والمسلمين.

فاتقوا الله أيها المجاهدون في جهادكم وفي أمتكم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.

❍ **ثانيًا:** ومن المواقف المهمة المستوحاة من الآية الكريمة في الحديث عن أخطاء المجاهدين: الحذر الشديد من توظيف الكفرة والمنافقين الكلام عن أخطاء المجاهدين في الشماتة بهم وبالمسلمين وبالتنفير من الجهاد وأهله.

ولقطع الطريق علىٰ الكفرة والمنافقين من توظيف الحديث في صالحهم والتنفير من المسلمين والمجاهدين، نرىٰ في الآية الكريمة أن الله سبحانه عندما ذكر بأن القتال في الشهر الحرام: كبيرة أتبعه في نفس الآية وفي نفس الوقت بالتشنيع علىٰ الكفار وما يقومون به من العدوان، والصد عن سبيل الله تعالىٰ مما هو في

جرمه وشناعته أكبر وأشد من خطأ المجاهدين، ويوضح الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ أي: أن ما يقوم به الكفار من صد الناس عن سبيل الله وكفرهم بالله وإخراج المسلمين من المسجد الحرام والشرك بالله «**أكبر عند الله من القتل**».

وبهذا يقطع الطريق علىٰ الكفرة والمنافقين من أن تتم فرحتهم بأخطاء المجاهدين، بأن تذكر فضائح الكفار وعدوانهم وصدهم عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وعندئذ لا يستطيعون استغلال الحديث في صالحهم ضد المسلمين فياليت إخواننا الدعاة الذين يتحدثون اليوم عن أخطاء المجاهدين ينهجون هذا المنهج الرباني فيصدرون حديثهم ونقدهم لأخطاء المجاهدين بذكر ما هو أكبر من ذلك وأشنع، وذلك بما يقوم به اليوم الكفرة الغزاة وأولياؤهم المنافقون من قتل وتشريد وسجن وتجويع وحصار خانق علىٰ المسلمين وصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وقبل ذلك كفرهم بالله ومحادتهم للإسلام وأهله في بلاد العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين والصومال، وبلدان المسلمين بعامة، هذا هو المنهج القرآني المستوحىٰ من آية البقرة الأنفة الذكر.

أما أن يفرد المجاهدون بالنقد ويترك الكفرة المعتدون والمنافقون الخائنون لا تذكر فضائحهم ولا يذكر عدوانهم وإرهابهم وصدهم عن سبيل الله؛ فهو من جانب منهج جائر ينظر بعين واحدة، ومن جانب آخر يسهل الطريق علىٰ الكفرة الغزاة والمنافقين معهم في الشماتة بالمجاهدين، وتوظيف ذلك في مصالحهم وأهدافهم وخططهم.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينصر المجاهدين في كل مكان، وأن يجنبهم شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، وأن يؤلف بين قلوبهم ويكبت عدوهم من الكفرة والمنافقين، والحمد لله رب العالمين.

(٨)

غزة الصابرة والسنن الإلهية[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصبحه.

وبعد:

فإن مما يحزن قلب كل مسلم صادق ويشغل ذهنه وتفكيره في هذه الأوقات، ما يلاقيه أهلنا وإخواننا المسلمين في فلسطين وبالتحديد في غزة الصابرة المحاصرة، وذلك علىٰ أيدي اليهود الكفرة ومن ورائهم أمريكا الطاغية الباغية وأيدي المنافقين الخونة من بني الجلدة والنسب.

ولقد كتب الكثير من الدعاة وطلبة العلم والمجاهدين في نصرة إخواننا هناك والتضامن معهم والدعاء لهم والوقوف معهم في محنتهم كل بحسبه وقدرته، فجزىٰ الله الجميع خيرًا، وليس هذا مستغربًا علىٰ أهل التوحيد والإسلام الذين وصفهم الرسول ﷺ بالجسد الواحد الذي إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر؛ ولذا فإني في هذه الورقة لا أجد مزيدًا علىٰ ما كتب في مجال نصرة إخواننا هناك... ولكن أرىٰ أن هناك أمورًا مهمة يجب أن تطرح

---

(١) نشر بتاريخ (٨/ ٣/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: ابراز السنن الالهية في العدوان علىٰ غزة.

ويلفت أنظار المسلمين إليها وبخاصة الدعاة منهم وطلبة العلم والمجاهدين فيهم؛ ومع أهمية هذه الأمور فقلَّ من يتطرق إليها؛ إما عن غفلة عنها، أو بحجة أن الوقت وقت مناصرة وتضامن وليس وقت محاسبة وتنظير!

ومن أهم هذه الأمور التي ينبغي أن ننتبه إليها في خضم هذه الأحداث وأمثالها ما يلي:

● **الأمر الأول:**

اليقين الجازم والاعتقاد الراسخ بأن ما يجري اليوم من كيد وقتل وهجوم شرس من الكفار علىٰ بلدان المسلمين فإنما هو بعلم الله تعالىٰ وإرادته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومشيئته سبحانه ليست مجردة عن حكمته؛ بل له سبحانه الحكم البالغة في خلقه وأمره، والعارفون لربهم عَزَّوَجَلَّ يعلمون ذلك؛ ولذا فهم يحسنون الظن بربهم ويوقنون أن عاقبة هذه الأحداث التي يقدرها الله عَزَّوَجَلَّ هي خير ومصلحة ولطف بالموحدين إن شاء الله تعالىٰ؛ ومع أن المعركة مع الكفار لا زالت في بدايتها؛ ومع أنها موجعة وكريهة إلا أننا نلمس لطف الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته ورحمته في أعطافها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «وأسماؤه الحسنىٰ تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضي الموجب لموجبه ومقتضاه، فلابد من ظهور آثارها

في الوجود؛ فإن من أسمائه: الخلاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل... إلىٰ سائر الأسماء؛ ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره؛ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

فخلقه وأمره صدرَا عن حكمته وعلمه؛ وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين الاسمين المتضمنين لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن سبحانه بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر»[1].

● **الأمر الثاني:**

إن من حكم الله عَزَّوَجَلَّ البالغة في هذه الأحداث أن يعرفنا علىٰ سننه سبحانه التي لا تتبدل ولا تتحول، وبمعرفة هذه السنن الإلهية يتضح الطريق المستقيم ويهتدي المسلم فيه ويوفق إلىٰ الموقف الحق والمنهج الصائب؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ آمرًا لنا بالنظر في سننه سبحانه المطردة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

لذا؛ وجب علىٰ المسلمين بعامة وعلىٰ دعاة الحق والمجاهدين في سبيل

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥٦٤).

الله ﷿ بخاصة أن يقفوا طويلًا مع كتاب الله ﷿ وما تضمن من الهدىٰ والنور؛ ومن ذلك ما تضمنه من السنن الربانية المستوحاة من دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وذلك لأن في معرفتها والسير علىٰ هداها أخذًا بأسباب النصر والتمكين والفلاح، ونجاة مما وقع فيه الغير من تخبط وعناء، بخلاف من يجهل مصدر الأحداث؛ فإن الذي يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق.

وليس المقصود هنا التفصيل في موضوع السنن الربانية -فهذا له مقام آخر- وإنما المقصود هو الاستضاءة بهذه السنن في الوصول إلىٰ الموقف الحق الذي نحسب أنه يرضي الله ﷿؛ وذلك في الأحداث الساخنة التي تدور رحاها اليوم في الأرض المباركة فلسطين.

ومن هذه السنن التي ينبهنا الله ﷿ إليها في مثل هذه الأحداث ما يلي:

١- سنة المدافعة:

إن إيماننا بأن كل ما يحدث في هذا الكون من أحداث إنما هو بعلم الله ﷿ وإرادته وحكمته لا يعني الاستسلام للذل وترك المدافعة؛ لأن الله ﷿ الذي أراد هذه الأحداث كونًا وقدرًا أراد منا دينًا وشرعًا مدافعتها، وهذه هي سنة المدافعة؛ قال الله ﷿: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ويقول الله ﷿: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ

إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «... **وإن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**»(١).

ففي هاتين الآيتين والحديث القدسي أبلغ دليل علىٰ حتمية الصراع بين الحق والباطل في صورة المدافعة بين المسلمين والكفار؛ ومن طمع في الإصلاح ودرء الفساد ونشر الخير بدون هذه السنة فإنما هو جاهل بسنن الله تعالىٰ ومتنكب لطريق الأنبياء وأتباعهم.

والمدافعة بين الحق والباطل تأخذ صورًا متعددة: فبيان الحق وإزالة الشبه ورفع اللبس عن الحق وأهله مدافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدافعة، وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين مدافعة، والصبر والثبات علىٰ ابتلاء الأعداء من الكفرة والظلمة مدافعة، ويأتي الجهاد والقتال في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رأس وذروة هذه المدافعات لكف شر الكفار وفسادهم عن ديار المسلمين ودينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة والبيان والرأي والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكن»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «الاختيارات الفقهية» (ص٤٤).

وما يحصل الآن في غزة المحاصرة عدوان صارخ يجب علىٰ المسلمين مدافعته بكل ممكن وكل بحسبه، ولا يعذر أحدٌ حتىٰ يزول العدوان ويندفع الفساد: فالقادرون علىٰ حمل السلاح عليهم واجب المدافعة بالجهاد والسنان حتىٰ يندحر العدو الصائل.

وعلىٰ رموز الجهاد وقادته في الأرض المباركة أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ ويستعينوا به وحده، وألا يرضوا بغير الجهاد بديلًا وخيارًا؛ لأن العدو لا يوقفه إلا الجهاد، والجهاد فحسب، والتجارب تشهد بضياع الأوقات والجهود معه في مناورات سياسية ورهانات خاسرة، كما يجب عليهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ فيمن تحت قيادتهم فلا يدفعونهم في طريق إلا بعد أن يتأكدوا بموافقته للشرع، وأنه الأرضىٰ لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يربُّوا فيهم الإخلاص والولاء لهذا الدين وليس لطائفة أو حزب أو تراب، كما عليهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في جمع الكلمة ووحدة الصف مع إخوانهم المجاهدين الموحدين وينزعوا أيديهم من الأحزاب الجاهلية المحادة لله ورسوله ولو أظهرت المقاومة والوطنية.

وعلىٰ علماء الأمة واجب المدافعة بإعلان النصرة لإخواننا هناك وتوجيههم والتضامن معهم وحث الأمة علىٰ دعمهم والوقوف معهم، ومخاطبة الأعداء من اليهود والأمريكان ببيانات قوية شديدة اللهجة يأمرونهم بالكف عن الظلم والعدوان وتهديدهم إن لم يكفوا بتوجيه الأمة إلىٰ الانتقام ورد العدوان وإلحاق الأذىٰ بمصالحه.

وعلىٰ الأغنياء في هذه الأمة واجب المدافعة بدعمهم بالمال الذي يخفف

من معاناتهم ويعينهم علىٰ جهاد أعدائهم.

وعلىٰ أصحاب الأقلام والمنابر الإعلامية النفرة لنصرة إخواننا هناك بالتعريف بقضيتهم وفضح أعدائهم من الكفرة والمنافقين، وإظهار صور الظلم والعدوان التي يواجهونها ومخاطبة الأمة بالوقوف معهم ونصرتهم.

وعلىٰ المسلمين بعامة واجب المدافعة بالاهتمام بشئونهم والحزن لمصابهم والدعاء لهم ودعمهم قدر الإمكان.

٢- سنة الابتلاء والتمحيص:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ معقبًا علىٰ غزوة أحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال سبحانه في نفس الحدث: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ عند الآية الثانية: «أي: لابد أن يعقد سببًا من المحنة يظهر فيه وليه ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر».

ويقول صاحب «الظلال»: «ويقطع النص القرآني بأنه ليس من شأن الله سبحانه وليس من مقتضىٰ ألوهيته، وليس من فعل سنته أن يدع الصف المسلم

مختلطًا غير ممَّيز، يتوارىٰ المنافقون فيه وراء دعوىٰ الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، ومن روح الإسلام.

وكل هذا يقتضي أن يصهر الصف ليخرج منه الخبث، وأن يضغط لتتهاوىٰ اللبنات الضعيفة، وأن تسلط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر، ومن ثم كان شأن الله سبحانه أن يميز الخبيث من الطيب ولم يكن شأنه أن يذر المؤمنين علىٰ ما كانوا عليه قبل هذه الرجة العظيمة».

وبالنظر لهذه الأحداث الجارية في فلسطين في ضوء سنن الابتلاء والتمحيص؛ نرىٰ أن هذه السنة المطردة الثابتة تعمل الآن عملها بإذن ربها ﷻ لَتُؤتي أكلها الذي أراده الله ﷯ ومنه اللطف والرحمة من الله ﷯؛ والمتمثل في تمحيص المؤمنين في فلسطين وخارجها وتمييز الصفوف حتىٰ تتنقىٰ من المنافقين وأصحاب القلوب المريضة وينكشف أمرهم للناس؛ وحتىٰ يتعرف المؤمنون أنفسهم علىٰ أنفسهم وما فيها من الثغرات والعوائق التي تحول بينهم وبين التمكين والنصر، فيتخلصوا منها ويغيروا ما بأنفسهم، فإذا ما تميزت الصفوف وتساقط المتساقطون في أتون الابتلاء وخرج المؤمنون الصابرون الموحدون الصادقون منها كالذهب الأحمر الذي تخلص من شوائبه بالحرق في النار، حينها تهب رياح النصر علىٰ عباد الله المصطفين الذين يستحقون أن يمحق الله من أجلهم الكافرين ويمكن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم، وقبل هذا التمحيص والتمييز فإن سنة محق الكافر وانتصار المسلمين التي وعدها الله ﷯ عباده المؤمنين لن تتحقق.

هكذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ وحكم في سننه التي لا تتبدل: أن محق الكافرين لابد أن يسبقه تمحيص المؤمنين، ولذلك لما سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ: أيها أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلىٰ، كان من دقيق استنباطه وفهمه لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن قال: «لا يمكن حتىٰ يبتلىٰ»، ولعله فهم ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١]؛ حيث ذكر الله عَزَّوَجَلَّ المحق بعد التمحيص.

ومن الحكم العظيمة والألطاف الإلهية التي ظهرت لنا في أحداث غزة في ضوء هذه السنة الربانية ما يلي:

أولًا: ظهور المنافقين المندسين في الصفوف سواء كان ذلك في صفوف الفلسطينيين أو خارجها، وهذه رحمة بالمسلمين حيث انكشف أمرهم وافتضح نفاقهم وخيانتهم، وبذلك يحذرهم المسلمون ويمقتونهم وينفروهم، وما أمر محمود عباس وبطانته من المنافقين بخفي علىٰ المسلمين بعد هذه الأحداث.

بل إن المنافقين في دول المسلمين خارج فلسطين من العلمانيين واللبراليين والحكام الخانعين قد أظهرت هذه الأحداث خبثهم وموالاتهم للأعداء حيث لم نسمع لهم صوتًا ولم نر لهم موقفًا مشرفًا ينصرون به إخوانهم المسلمين في الأرض المحتلة.

كما أظهرت هذه الابتلاءات خبث دولة الرفض والتشيع في إيران ونفاقها وكذبها وخداعها لمن كان مخدوعًا بهم من المجاهدين في

فلسطين فأين وقوفها ونصرتها وأين إعلامها ودعايتها التي رأيناها على أشدها وسعارها مع قائد حزب الشيطان «حسن نصر الله» إبان مناوراته مع اليهود منذ سنة ونصف تقريبًا، إذ آن الأوان لمعرفة الأعداء على حقيقتهم وهذا من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته في سنة الابتلاء.

ثانيًا: تعرف المجاهدين أنفسهم على بعض الآفات والهنات الكامنة في نفوسهم، وعلى قوة صبرهم وثباتهم، وكل هذا لم يكن ليعرف وينقدح زناده لولا هذه الابتلاءات والتمحيصات، وفي هذا خير إذا أدى إلى العلاج والتخلص مما يكدر القلوب ويؤخر النصر.

ثالثًا: ظهر في الأحداث معرفة الولي المناصر من العدو والمخذل، وفي هذا خير للمجاهدين هناك حيث تميز لهم الموالي من المعادي وذلك على مستوى الأفراد والهيئات والحكومات.

٣- سنة التغيير:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ويقول سبحانه عن أحداث غزوة أحد المؤلمة للمسلين: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

ففي هاتين الآيتين تنبيه من الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين إلى أن يتفقدوا أنفسهم وواقعهم ومواقفهم، ويبدءوا بالتغيير من الداخل إلى ما يحبه الله ويرضاه؛ لأن أكثر ما يؤتى المسلمون أفرادًا وجماعات إنما هو من قِبَل أنفسهم؛ لذا وجب في

مثل هذه الأحداث محاسبة النفوس ومراجعة المواقف والبعد عن كل ما يسبب الهزائم وتسليط الأعداء من الذنوب والمعاصي والفرقة والأهواء؛ فمن هنا يبدأ التغيير ويبدأ الإصلاح.

وقد يقول قائل: إخواننا هناك يواجهون الحصار والإبادة فهل هذا وقت المعاتبة والمحاسبة؟

وأقول: نعم هذا هو وقتها بل هو أنسب وقت لها؛ وإن لم نملك الجرأة علىٰ طرحها الآن فمتىٰ نطرحها؟ وهذا هو ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ لأوليائه في غزوة أحد ودماؤهم طرية وجراحاتهم لم تندمل.

٤- سنة الإملاء والاستدراج للكفار والمنافقين:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

وقال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

وهذه السنة الإلهية تعمل عملها في هذه الأوقات، وذلك في معسكر أهل الكفر والنفاق، وبخاصة أولئك الذين بلغ بهم الكبر والغطرسة والظلم والجبروت مبلغًا عظيمًا، ونراهم يزدادون يوما بعد يوم في الظلم والبطش والكبرياء، ومع ذلك

نراهم ممكنين ولهم الغلبة الظاهرة، كما هو الحاصل الآن من دولة الأمريكان واليهود حيث ظلموا وطغوا وقالوا بلسان حالهم ومقالهم: «من أشد منا قوة».

وقد يحيك في قلوب بعض المسلمين شيء وهم يرون هؤلاء الكفرة يبغون ويظلمون ومع ذلك هم متروكون لم يأخذهم الله بعذاب من عنده، وقد يتسرب اليأس والإحباط إلىٰ بعض النفوس، ولكن المسلم الذي يفقه سنة الله عَزَّوَجَلَّ ويتأملها ويرىٰ آثارها وعملها في الأمم السابقة لا يحيك في نفسه شيء من هذا؛ لأنه يرىٰ في ضوء هذه السنة أن الكفرة اليوم وعلىٰ رأسهم أمريكا ودولة اليهود هم الآن يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلىٰ مزيد من الظلم والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلىٰ نهايتهم الحتمية وهي الهلاك والقصم في الأجل الذي قد ضربه الله لهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩].

ففي الإملاء للكفار وتركهم يتسلطون علىٰ المسلمين في مدة من الزمن ابتلاء وتمحيص للمؤمنين، حتىٰ إذا آتت سنة الابتلاء أكلها وتميز الصف المؤمن الذي خرج من الابتلاء نظيفًا ممحصًا؛ عندئذ تكون سنة الإملاء هي الأخرىٰ قد أشرفت علىٰ نهايتها فيحق القول علىٰ الكافرين ويمحقهم الله كرامة للمؤمنين الممحصين الذين يمكن الله لهم عَزَّوَجَلَّ في الأرض ويخلفون الأرض بعد محق الكافرين.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

[آل عمران: ١٤١].

فذكر الله سبحانه التمحيص قبل المحق ولو محق الله الكفار قبل تهيؤ

المؤمنين الممحصين فمن يخلف الكفار بعد محقهم، إن الله عَزَّوَجَلَّ حكيم عليم وما كان سبحانه ليحابي أحدًا في سننه ولله عَزَّوَجَلَّ الحكمة في وضع السنتين، سنة الابتلاء وسنة الإملاء في آيتين متتاليتين في سورة آل عمران، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨]. ثم قال بعدها: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ولعل من الحكمة والله أعلم أن يعلمنا الله عَزَّوَجَلَّ أن هاتين السنتين متلازمتان ومتزامنتان، وأن إحداهما تهيئ للأخرىٰ.

وفي الوقوف مع سنة الإملاء فوائد منها: عدم الخوف والاغترار بقوة العدو؛ ذلك لأن ناصيته بيد الله عَزَّوَجَلَّ والله عَزَّوَجَلَّ يملي له ليمحق لا ليدوم ظلمه ولو شاء الله عَزَّوَجَلَّ لقصمه ولكن الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة في تأجيل هذا القصم؛ وهذا الإيمان يذهب اليأس عن النفوس ويزيل الإحباط والخوف الذي ينشأ من تسلط الأعداء وقوتهم.

- اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا يعز في وليك ويذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء.
- اللهم ارحم عبادك الموحدين والطف بهم في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل مكان.
- اللهم احقن دماءهم واحفظ لهم دينهم وأعراضهم وأموالهم.

- اللهم فك أسر المأسورين من المسلمين في كل مكان.
- اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان.
- اللهم اشف صدورنا وأقر أعيننا بنصرة دينك وأوليائك.
- اللهم قاتل اليهود والأمريكان الذين يكذبون رسلك ويعادون أولياءك ويصدون عن سبيلك وأنزل عليهم رجزك وعذابك إله الحق.
- اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

* * * *

(٩)

ولا تفسدوا
في الأرض بعد إصلاحها[١]

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإبراءً للذمة ونصحًا لمن ابتلاهم الله بتوجيه الأمة عبر وسائل الإعلام المهمَّة من صحافة وإذاعة وتلفاز وقنوات، نتوجه بالنصح والتحذير إلىٰ هؤلاء في بلاد الحرمين بخاصة، وفي بلدان المسلمين بعامة، علَّها أن تجد قلوبًا مفتوحة وآذانًا صاغية؛ والدافع إلىٰ هذه النصيحة والبراءة إنما هو النظر إلىٰ هؤلاء القوم هداهم الله بعينين:

❍ **العين الأولىٰ:**

عين الحكم القدري: الذي يقتضي الرحمة بهؤلاء والشفقة عليهم من هذا الابتلاء العظيم الذي ابتلاهم الله به، وموعظتهم بأن يدافعوا قدرهم هذا بقدر

---

(١) نشر بتاريخ (٢٩/ ٣/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: ردًّا علىٰ تسلط العلمانيين وجرأتهم علىٰ أحكام الشرع والسعي لتغريب المجتمع.

التوبة النصوح مما يمارسونه من تضليل للأمة في أفكارها وأخلاقها قبل مباغتة الأجل وعندها لا ينفع الندم.

كما أن النظر بهذه العين إلىٰ هؤلاء المفتونين ليحتم بذل النصيحة الخالصة لهم عَلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن ينقذهم مما هم فيه من بلاء وفتنة؛ إذ لا بلاء أشد من أن يكون الإنسان سببًا في إفساد نفسه وإفساد غيره، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به فإن قلوب العباد بين أصابع الرحمن.

وهذه النصيحة إنما هي موجب حقهم والرحمة بهم والشفقة عليهم من سخط الله عَزَّوَجَلَّ وعذابه في الدنيا والآخرة، وذلك عندما يلاقون ربهم: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

وهذه النصيحة تقتضي:

أولًا: تذكيرهم بموعظة الله عَزَّوَجَلَّ وتحذيره للمفسدين وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ومطالبتهم بأن يقوموا قومة صدق مع الله عَزَّوَجَلَّ ويتفكروا فيما يقدمونه للناس من كلمة مقروءة أو مسموعة أو منظرًا مشاهدًا، ويسأل كل واحدًا نفسه أو زميله هل هذا المكتوب أو المسموع أو المرئي الذي قام به يعد من الإفساد الذي يسخط الله عَزَّوَجَلَّ وتهدم به أخلاق الأمة، أو هو من الإصلاح الذي يحبه الله عَزَّوَجَلَّ؟ إنكم إن

قمتم لله عَزَّوَجَلَّ وتفكرتم في عملكم بتجرُّد فسترون الإجابة المفزعة لكم وهي الفساد والإفساد وغضب الجبار عَزَّوَجَلَّ هذا إن كان في القلوب حياة.

ونظرة سريعة إلىٰ ما يُكتب في الصحف المحلية في الرياض والوطن وعكاظ والجزيرة، أو ما يكتب في الصحف الخارجية المحسوبة علىٰ هذا البلد كالحياة والشرق الأوسط، أو ما تقوم به القنوات المملوكة لأبناء هذا البلد كالعربية وmbc وغيرها تطلعنا علىٰ هذا الإفساد والتضليل وتوزيع الأدوار بين هذه الصحف.

والقاسم المشترك بينها موضوع المرأة وحجابها وإخراجها من بيتها، أو لمز القائمين علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتتبع أخطائهم، أو الهجوم علىٰ حلقات تحفيظ القرآن للبنين والبنات والتنفير منها، أو السخرية من الجهاد وأهله ووصف من يقوم به في الثغور أو من يدعمه بالإرهاب وضلال الفكر أو الدعوة إلىٰ موالاة النصارىٰ وعدم تكفيرهم، بل قد وصل الحال إلىٰ نشر الإلحاد والزندقة، وغير ذلك مما من شأنه محاربة العقيدة والفضيلة وبث الشبهات والشهوات.

ولقد كان للمرأة نصيب الأسد في هذه الحملات المشبوهة؛ حيث دأبت الصحف المحلية والصحف الخارجية المحسوبة علىٰ هذا البلد والقنوات التابعة لأبناء هذا البلد منذ سنوات في الحديث عن المرأة وحجابها وحقوقها المسلوبة بزعمهم، وحقها في العمل والرياضة واختلاطها بالرجال وحريتها في السكنىٰ

والسفر وتمردها علىٰ قوامة الرجل، هذه الأطروحات المحمومة وكأن المرأة في بلدنا تعيش في حالة من الظلم والذلة والضياع؛ وقد انتشر طرح مثل هذه الأمور في الأشهر الأخيرة، وكأنهم يسارعون الزمن ويراهنون علىٰ تحقيق أهدافهم قبل أن تذهب الفرصة التي بأيديهم وقد لا يجدون مثلها بعد حين.

وإن المتدبر لأطروحات القوم حول المرأة ليقف علىٰ أمر خطير ألا وهو سيرهم في أطروحاتهم علىٰ مخطط مرسوم قد توزعوا فيه الأدوار بين بعضهم؛ كما أن كُتَّاب الصحيفة الواحدة قد وزعوا الأدوار في الصحيفة الواحدة بينهم؛ فهذا يكتب عن عمل المرأة واختلاطها بالرجل، وآخر عن بطاقتها، وثالث عن سفرها وسكنها بلا محرم، ورابع عن نواديها الرياضية، وخامس عن قيادتها للسيارة... وهكذا إلىٰ آخر هذه المنظومة المنظمة المتوادة بينها في الحياة الدنيا.

وأسألكم بهذه المناسبة -إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وإن كنتم تعلمون أن الله يعلم سركم ونجواكم وأن الله علام الغيوب- ما هدفكم مما تطرحون؟ هل تشعرون في ضمائركم بأنكم بقومتكم هذه تريدون وجه الله عَزَّوَجَلَّ وجنته وتريدون إصلاح المرأة وإصلاح أسرتها بما ينفع البلاد والعباد؟ إننا لا نريد الجواب الذي تظهرونه لنا في الدنيا؛ بل نريد الجواب الذي تقولونه لربكم يوم تعرضون عليه لا تخفىٰ منكم خافية يوم يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم بما كنتم تعملون.

يا قوم، تذكروا يوم الحسرة والندامة يوم يتبرأ منكم الأتباع وتتبرءون من الأتباع ولكن حين لا ينفع الندم والاستعتاب ولا التبرؤ والتنصل ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].

ثانيًا: إن لم ينفع واعظ الله سبحانه والدار الآخرة فيكم شيئًا فلا أقل من أن يوجد عندكم بقية مروءة وحياء وشهامة تمنعكم من إفساد أخلاق الأمة وعقيدتها، وتمنعكم من السخرية بالمصلحين الداعين إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ومعالي الأمور والأخلاق.

إن المتأمل في حال قومنا في هذا البلد اليوم ليأخذه العجب والحيرة من أمرهم! فما لهم وللمرأة الحيية التي تَقَرُّ في منزلها توفر السكن لزوجها وترعىٰ أولادها، ماذا عليهم لو تركوها في هذا الحصن الحصين تؤدي دورها الذي يناسب أنوثتها وطبيعتها ماذا يريدون من عملهم هذا؟!

ثم ماذا عليهم لو تركوا أولاد المسلمين يتربون في حلق القرآن علىٰ الخير والدين والخصال الكريمة؟ ماذا يريدون من إفسادهم وتسليط برامج الإفساد المختلفة عليهم؟ هل يريدون جيلًا منحلًّا يكون وبالًا علىٰ مجتمعه ذليلًا لأعدائه عبدًا لشهواته؟ إن هذه هي النتيجة.

وإن من يسعىٰ لهذه النتيجة الوخيمة التي تتجه إليها الأسر المسلمة اليوم لَهُوَ من أشد الناس خيانة لمجتمعه وأمته وتاريخه.

○ **العين الثانية:**

عين الحكم الشرعي: فكما أن عين القدر السابق ذكرها تقتضي الرحمة بهؤلاء المبتلَيْن ودعوتهم إلىٰ التوبة والنصح لهم والشفقة عليهم من سخط الله وعذابه، كما تقتضي النصح لهم بما سبق ذكره إن كانوا يحبون الناصحين؛ فإن النظر هنا بعين الحكم الشرعي يقتضي الأمور التالية:

أولًا: البراءة مما يفعله المفسدون من أرباب الصحف والقنوات والمشاركين فيها بمقروء أو مسموع مما هو مخالف لعقيدة التوحيد، ولأحكام الله عَزَّوَجَلَّ وما يقومون به من نشر للزندقة والفساد.

ثانيًا: الإنكار الشديد علىٰ فعالهم السيئة وحملهم بقدر ما نستطيع علىٰ لزوم أوامر الله عَزَّوَجَلَّ وترك مساخطه بوازع القرآن إن نفع فيهم، وإلا بوازع السلطان ممن يملك السلطان.

ثالثًا: فضحهم وفضح مخططاتهم الإفسادية ومن يقف وراءها من رموز الفساد وتعريتهم للناس، وتحذير الناس من شرهم وشبهاتهم.

وهذا ضرب من الجهاد المسمىٰ بجهاد الحجة والبيان؛ وهذا يحتم تكاتف أهل العلم والإصلاح وتوزيع الأدوار فيما بينهم كما المفسدون يوزعون المهمات فيما بينهم، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]، وقد عزم المصلحون علىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

رابعًا: دعوة عوائل أولئك القائمين علىٰ هذه الصحف ومن يكتب فيها إلىٰ أن يقوموا بواجبهم بدعوتهم إلىٰ التوبة وإلا فيهجرونهم ويعلنون براءتهم منهم.

خامسًا: تحصين المجتمع والأسرة المسلمة من شبهات هؤلاء المفسدين وشهواتهم ودعوة المجتمع إلىٰ مقاطعة هذه الصحف وعدم شرائها؛ لأن ذلك دعمًا لها وبابًا من التعاون علىٰ الإثم والعدوان.

ومن التحصين تربية الناس علىٰ الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ ومحبته وتعظيم حرماته والبعد عن كل ما يسخطه من الأفكار والأقوال والأعمال، وهذا يوجب علىٰ المصلحين استخدام كل وسيلة متاحة لنشر الخير ومحاربة الفساد والشر وما أكثر الوسائل المتاحة لأهل الصلاح في زماننا اليوم والحمد لله.

وأختم هذه الورقات بأبيات بديعة للإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ فيها ملخص لما سبق تفصيله من المواقف من أهل الفساد، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وانظر إليهم بعين الحكم وارحمهم بها ... إذ لا ترد مشيئة الديانِ

وانظر بعين الأمر واحملهم على ... أحكامه فهما إذن نظرانِ

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... من خشية الرحمن باكيتانِ

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرحمنِ[1]

(١) «النونية» (١/ ١٣١).

أسأل الله تعالىٰ أن يهدي ضال المسلمين وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليه ويذل فيه عدوه ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر إنه علىٰ كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.

* * * *

(١٠)

فتنة الدعوة
إلى التقريب والحوار بين الأديان[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة؛ والناس مجتمعون عليه فأتيتهم؛ فجلست إليه؛ فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر؛ فنزلنا منزلًا؛ فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره؛ إذ نادىٰ منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة فاجتمعنا إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم؛ وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها؛ وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها؛ وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا؛ وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي؛ ثم تنكشف؛ وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه! فمن أحب أن**

---

(١) نشر بتاريخ (٢١/ ٥/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: عندما كثر طرح الحوار مع الأديان وتقاربها علىٰ حساب الولاء والبراء.

يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يؤتىٰ إليه...» [١]. الحديث.

وصدق رسول الله ﷺ؛ فما نراه اليوم ونسمع به من الفتن هو من تأويل هذا الحديث العظيم؛ فما يكاد المصلحون من العلماء والدعاة يدافعون فتنة إلا وتأتي بعدها فتنة أكبر منها وهذا معنىٰ قوله ﷺ: «**وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا**»؛ أي: يصير بعضها رقيقًا؛ أي: خفيفًا لعظم ما بعده:

وإن من الفتن الخطيرة التي ترقق ما قبلها، والتي كانت تطرح ما بين الفينة والأخرىٰ ولكنها اليوم تطرح بقوة وكثافة أكثر من أي وقت مضىٰ: فتنة الدعوة إلىٰ الحوار بين الأديان والتقارب بينها؛ حيث تعقد لها الندوات والمؤتمرات؛ ويشعر المراقب لهذه الفتنة ومن يتولىٰ كِبْرها أنها تطرح بصورة تتسم بالكيد والمكر والتلبيس، ويتولىٰ الإعلام بشتىٰ وسائله الدعوة لها وتزيينها للناس بشبهات باطلة يُخْشىٰ أن تنطلي علىٰ كثير من جهلة المسلمين إن لم يجدوا من يبين لهم حقيقة هذه الدعوة الخبيثة ويكشف عوارها وزيفها وضلالها.

ومع خطورة هذه الدعوة ومساسها بثوابت هذا الدين وأصوله، إلا أن من انبرىٰ لكشف حقيقة هذه الدعوة في هذه الأيام هم قلة من الدعاة والعلماء من أمثال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله تعالىٰ- في رسالته القيمة «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان».

والشيخ عبد العزيز آل عبد للطيف في كتابه «نواقض الإيمان العملية». ومن

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٤٤).

آخرها الحوار الذي أجراه موقع شبكة نور الإسلام مع الشيخ عبد العزيز الطريفي؛ فجزاهم الله خيرًا وبارك في جهودهم.

ومع ما في ردودهم من القوة والشمول، إلا أن الأمر من الخطورة بحيث يحتاج إلىٰ مزيد من الطرح والفضح والتكثيف في الوسائل المتاحة المتنوعة التي تصل إلىٰ جميع شرائح الناس لعلهم يفقهون حقيقة هذه الدعوة وخطرها وضلالها وبطلانها.

وإسهاما في مدافعة هذه الدعوة الباطلة أكتب هذه الوقفات السريعة مستفيدًا ممن سبقني من المشايخ الكرام أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ في ذلك الهدىٰ والسداد:

⦸ **الوقفة الأولىٰ: «يا لها من غربة»:**

إن بُعد الإنسان عن بلده وأهله هو نوع من الغربة لا شك، ولكن أشد منها وأخطر غربة الدين وأهله، وذلك حين تصبح أصول الدين وشعائره عرضة لإفساد المفسدين وشبهات الملبسين وتشكيك المشككين، ثم يصبح ذلك أمرًا مستمرءًا، وذلك بين جهل المسلمين وعجز علمائهم.

ولا أدل علىٰ ذلك مما يطرح اليوم من هجوم وتشكيك في ثوابت هذا الدين بل في أصله وأساسه العظيم، ألا وهو التوحيد والبراءة من الشرك وأهله؛ ومهما كان من المفسدين من فساد وكيد وبث للشبهات والشهوات فإنه لم يكن متوقعًا أن يصل الجهل أو المكر بهم أن يتجرءوا علىٰ أصول الدين ويطرحوا هذه الدعوة الباطلة: الدعوة إلىٰ وحدة الأديان وتقاربها.

⦸ **الوقفة الثانية: «دين الله الحق واحد وليس عدة أديان»:**

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال سبحانه عن أهل الكتاب: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

هذا كلام الله ومن أصدق من الله حديثًا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فهل بعد هذا البيان من بيان في أن دين الله الحق واحد وهو الإسلام وليس عدة أديان؟!

وهل يجوز للمسلم وهو يقرأ ويسمع هذه الآيات البينات المحكمات أن يقبل فكرة التقارب بين الأديان أو التحاور معها على أساس الندية والاعتراف بها؟!

إن دين الله الحق واحد وليس هناك شيء اسمه الأديان السماوية أو الإبراهيمية؛ لأن دين الأنبياء جميعًا واحد هو الإسلام قال ﷺ: «**أنا أولى الناس**

بعيسىٰ بن مريم في الأولىٰ والآخرة» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**الأنبياء أخوة من علات وأمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد فليس بيننا نبي**»(١).

فدين إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والسلام هو الإسلام لا غير: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

[يونس: ٨٤].

وقال سبحانه عن عيسىٰ عليه السلام وحوارييه: ﴿ ۞ **فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

واللافت في جل الآيات السابقة أنها في سورة آل عمران، وقد نزلت في الحوار مع نصارىٰ نجران؛ حيث كان الحوار صريحًا حاسمًا، وذلك بإعلان البراءة من دين النصارىٰ الوثني المحرف ودعوتهم إلىٰ ترك كفرهم وشركهم ودعوتهم إلىٰ الدخول في دين الإسلام القائم علىٰ عبادة الله وحده وتوحيده والبراءة من الشرك وأهله.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «والمقصود: أن كل من رغب عن ملة إبراهيم فهو سفيه قال أبو العالية: رغبت اليهود والنصارىٰ عن ملة إبراهيم وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله، وتركوا دين إبراهيم»(٢).

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم (٢٣٧٥).

(٢) «الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٧٢).

فأين هذا من الدعوة الباطلة التي تطرح اليوم بقبول دين اليهود والنصارىٰ أو عدم التعرض له بالنقد والتضليل والبراءة، بل والتقارب معه بحجة محاربة الإلحاد وفي نشر السلام والتسامح والعدل!

وسبحان الله العظيم كيف يقترب فضلًا عن أن يتحد شيئان متضادان؛ كيف يجتمع التوحيد القائم علىٰ عبادة الله وحده لا شريك له مع الشرك القائم علىٰ عبادة غير الله وكيف يجتمع من يقول: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢] مع من يقول: «إن الله ثالث ثلاثة» ومع من يقول: «عزير ابن الله» ومع من يقول: «المسيح ابن الله» تعالىٰ الله عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا؟!

كيف يجتمع الموحد ويتقارب مع من يقول الله عَزَّوَجَلَّ عنه وعن شناعة معتقدة: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]؟!

إن المتضادين لا يجتمعان أبدًا لا في عالم الجمادات، ولا في عالم الحيوانات إلا علىٰ وجه المغالبة حتىٰ يذوب أحد المتضادين في الآخر، وإلا فإنهما حسب السنن الكونية سيبقيان متنافرين لا يلتقي أحدهما بالآخر إلا أن يلتقي الضب بالحوت!

⦸ الوقفة الثالثة: «متىٰ يكون الحوار مع الكفار مقبولًا؟»:

إذا تبين أن فكرة الوحدة أو التقارب بين الإسلام والكفر مستحيلة عقلًا وشرعًا؛ وإن وُجد من يقبلها؛ فإما أن يكون جاهلًا لا يدري ما معنىٰ التوحيد ولا ما هو الشرك، أو يكون عالمًا بذلك لكنه ماكر مغرض يريد هدم الإسلام ونشر الكفر.

إذا تبين لنا ذلك فسيبقىٰ أمامنا سؤال مفاده: متىٰ يكون الحوار مع الكفار مقبولًا؟

والجواب والحمد لله واضح وجلي قد بينه الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم، وذلك أن الصورة المقبولة من الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار هو دعوتهم إلىٰ التوحيد ودخولهم في الإسلام واتباعهم لمحمد ﷺ وترك ما هم عليه، وإن رفضوا فهم كفار نتبرأ منهم ومن كفرهم ونحذرهم ولا نظلمهم؛ وقد سبق في الوقفة السابقة سرد بعض الآيات التي فيها محاورة أهل الكتاب في بيان شركهم ودعوتهم إلىٰ التوحيد وأخص منها.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وصورة أخرىٰ للحوار مع الكفار في حالة القتال معهم سواء في جهاد الطلب ودعوتهم قبل القتال إلىٰ الإسلام أو الجزية أو القتال، أو كان في جهاد الدفع في حالة ضعف المسلمين في التفاوض معهم في دفعهم عن ديار المسلمين بهدنة أو صلح أو نحو ذلك، وكل هذه المحاورات تتم دون التنازل عن عقيدة التوحيد أو

الاستحياء من طرحها ودون تحسين دين الكفار أو قبوله؛ وهذه الصورة من الحوار مرفوضة أصلًا عند الكفار ولا يقبلون بها؛ أما الصورة المرفوضة من الحوار مع الكفار في دين الإسلام التي يدعو إليها الكفار فهي التي تطرح هذه الأيام وتعقد لها الندوات والمؤتمرات؛ والتي يراد منها أن تكون طريقًا إلىٰ التقارب مع أديانهم الباطلة والسكوت عن كفرهم وإبطال عقيدة الولاء والبراء من ديننا، فلا براءة من المشركين ولا عداوة ولا كره للكافرين؛ كل ذلك باسم الحوار والدعوة إلىٰ زمالة الأديان ونشر السلام وبث روح التسامح معهم.

⊘ الوقفة الرابعة: «أهداف هذه الدعوة»:

الجدير بالذكر أن الغرب اليهودي الصليبي هو من وراء هذه الأطروحات الماكرة وقد تشرَّبها بعض المسلمين إما جاهلًا بحقيقتها أو خبثًا ومكرًا ونفاقًا؛ ويمكن ذكر بعض أهداف الحوار بين الأديان والتي يسعىٰ إليها الغرب الكافر وذلك فيما يلي:

١- باعث الصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وبخاصة دين الإسلام الذي رأىٰ الغرب أبناءه يدخلون في الإسلام زرافات ووحدانًا؛ فأرادوا التلبيس علىٰ شعوبهم بأن الفروق بين الأديان فروق شكلية كلها تؤدي إلىٰ عبادة رب واحد فلا حاجة للتغيير.

٢- باعث هدم أصول الدين الإسلامي وثوابته وبخاصة أصل الولاء والبراء الذي يقتضي تكفير الكافر وبغضه والبراءة منه ومن كفره، وهذا غاية ما يسعون إليه في هذه الدعوات الماكرة وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي استيقظ فيها المسلمون ورأوا صورًا صارخة من عداء الكفار

وعدوانهم وحقدهم علىٰ الإسلام وأهله.

ومن الشعائر التي أقضت مضاجع الكفار ووقفت شوكة في حلوقهم شعيرة الجهاد التي انبعثت في هذه الأمة قولًا وعملًا وذاق العدو الكافر الأمرَّيْن من ضربات المجاهدين؛ فجاءت هذه الدعوات الخبيثة لتدجن المسلمين وتبعدهم عن مقومات حياتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وجاءت لتجنيد كثير من حكام المسلمين وبعض المهزومين من الدعاة في مواجهة المجاهدين والمنادين بالبراءة من الكفار وبغضهم وعداوتهم.

٣- باعث التنصير حيث طرح مجلس الكنائس العالمي أن الحوار وسيلة مفيدة للتنصير؛ لأنه وسيلة لكشف معتقدات وحاجيات الآخر وهي نقطة البداية الشرعية للتنصير.

٤- إسقاط جوهر الإسلام واستعلائه وظهوره وتميزه بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف ممسوخ بل مع العقائد الوثنية الأخرىٰ.

٥- الاعتراف بأديانهم واحترام عقائدهم وتجنب البحث في المسائل العقدية الفاصلة للحفاظ علىٰ استمرار الحوار.

٦- الدعوة إلىٰ نسيان الماضي التاريخي والتخلص من آثاره كالذي حصل من الصليبيين في حروبهم الصليبية وما قاموا به من ظلم وتقتيل وتشريد للمسلمين؛ والدعوة إلىٰ فتح صفحة جديدة بين الأديان يسودها السلام والعدل والتسامح بزعمهم؛ ولا يخفىٰ علىٰ اللبيب خبث هذه الدعوة وما وراءها ولكنها لا تنطلي علىٰ المسلم الواعي لعقيدته الواعي

لتاريخه الواعي لواقعه المعاصر الذي يمارس فيه هؤلاء الكفار الذين يدعوننا إلىٰ الحوار شتىٰ صور القتل والتعذيب والتشريد في بلدان المسلمين ويكفينا ما يدور الآن في العراق وأفغانستان وفلسطين والصومال من الغرب الصليبي اليهودي والذي تتولىٰ كبره أمريكا الطاغية الكافرة.

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة بين المسلمين والكفار بحجة التسامح والتقريب والحوار بين أهل الأديان يخطئون في فهم دين الله الحق وفهم الأديان المخالفة كما يخطئون فهم معنىٰ التسامح وفهم الواقع الأليم؛ فالغرب الكافر يريد من المسلمين أن يتسامحوا من طرف واحد ويتقبلوا العدوان عليهم والتقتيل والاحتلال ويستسلموا للأعداء أما هو فلا حسيب علىٰ عدوانه وحقده لأنه جاء ينشر الحرية والعدل والديمقراطية بزعمه.

ومع ذلك نجد من بني جلدتنا من يحسن الظن بعدونا الكافر ولا ندري هل هذا جهلًا منه أو خبثًا ويرىٰ أن في مؤتمرات الحوار والتعاون بين الأديان فرصة لنشر السلام والقضاء علىٰ الفقر والظلم والعدوان انظر ما كتبه جمال خاشقجي في جريدة الوطن (٢٨/ ٣/ ١٤٢٩هـ) بعنوان «إنها ليست دعوة لحوار عقائد وإنما هي للتعاون بين الأديان» وما كتبه علي سعد الموسىٰ في نفس الجريدة في اليوم التالي (٢٩/ ٣/ ١٤٢٩هـ) بعنوان «الأديان في مؤتمر الرياض» فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

⦸ الوقفة الخامسة: «المخرج من هذه الفتنه»:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله**»(١).

ومر بنا قوله ﷺ في حديث الفتن التي يرقق بعضها بعضًا: «**فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر**».

هذا هو المنقذ من هذه الفتنة ومن غيرها: الاعتصام بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ والسير علىٰ هديهما؛ وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسول الله ﷺ من الأدلة التي تدحض هذه الفتن وغيرها، وذلك في بيان حقيقة الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده وبيان سبيل الكافرين وتفنيد عقائدهم الباطلة ما يكفي ويشفي لمن تدبرهما وجعلهما المصدر الوحيد لفهمه وحكمه وتحاكمه وفي ولائه وفي برائه.

والإيمان الحق بالله عَزَّوَجَلَّ واليوم الآخر هما ثمرة من ثمار الاعتصام بالكتاب والسنة؛ والإيمان بالله الحق واليوم الآخر هما العاصمان بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من الوقوع في فتن الاعتقادات والأقوال والأعمال كما جاء في حديث الفتن السالف الذكر «**فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر**».

هذا هو المتعين علىٰ كل مسلم يريد لنفسه النجاة؛ كما أن المتعين علىٰ علماء السنة في ديار المسلمين بيان الحق للناس وربطهم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة

---

(١) مالك في «الموطأ» وذكره الأرنؤوط في «جامع الأصول» (١/ ٢٧٧) وقال: «رواه الحاكم (١/ ٩٣) بسند حسن فيقوىٰ به».

رسوله ﷺ وفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وبيان ما يضاد ذلك من سبيل الكافرين والمنافقين والمبتدعين؛ ويتأكد هذا الواجب في زماننا اليوم الذي كثرت فيه الفتن وأجلب فيه المضلون والملبسون الصادون عن سبيل الله بخيلهم ورَجِلهم يريدون تبديل الدين وزعزعة التوحيد في قلوب أهله؛ فإن لم ينفر العلماء وطلاب العلم في رد هذه الفتن المستطيرة تكن فتنة وفساد كبير علىٰ الناس في دينهم وإثم كبير علىٰ الساكت من أهل العلم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣]؛ أي: لبئس ما يصنعه أهل العلم من الربانيين والأحبار بسكوتهم وعدم نهيهم الناس عن الإثم.

نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يقمع أهل الزيغ والفتن.

كما نسأله سبحانه أن يرزقنا الثبات علىٰ دينه والاستقامة عليه، وأن يجنبنا والمسلمين شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

* * * *

(١١)

يا أهل السنة
في لبنان خذوا حذركم[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله البالغة أن دينه الحق لا ينتشر ولا يظهر إلا بجهد عباده المؤمنين ومدافعتهم للباطل، وبذلهم وتضحياتهم ودمائهم؛ متسلحين في ذلك بالصبر واليقين مستعينين بالله العزيز الرحيم في صراعهم مع الباطل وأهله، ولو شاء الله لأظهر دينه بدون هذه الآلام والمعاناة والابتلاءات ولكنها حكمة أحكم الحاكمين قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

فلو شاء الله عَزَّوَجَلَّ لمحق الكافرين والمنافقين في لمحة بصر ولكنها حكمة الابتلاء والتمحيص ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وكما جاء في الحديث القدسي: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**»[2].

---

(١) نشر بتاريخ (٢٨/ ٥/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: في المواجهة الفكرية العسكرية بين أهل السنة والرافضة في لبنان.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

وإن سنة الابتلاء والتمحيص التي اقتضتها حكمة الله عَزَّوَجَلَّ تعمّ الناس جميعًا مسلمهم وكافرهم وهي سنة مطردة لا تتخلف ولا يحابي الله عَزَّوَجَلَّ فيها أحدًا؛ ولكن عاقبتها خير وتمحيص وصلاح لأوليائه الموحدين وشر ودمار ومحق لأعدائه من الكافرين والمنافقين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤١].

وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وإن ما يجري من أحداث مؤلمة في ديار المسلمين وبخاصة علىٰ أهل السنة في العراق وأفغانستان وفلسطين وآخرها ما يجري لأهل السنة في لبنان علىٰ أيدي الرافضة المجوس إنما هو للابتلاء والتمحيص وفرز الخبيث وفضحه، وظهور أمره للناس، وظهور الطيب النقي الذي يستحق أن ينصره الله عَزَّوَجَلَّ.

وكم من أناس سقطوا وسيسقطون في هذه الابتلاءات وقليل هم الذين يثبتهم الله ويخرجون من هذه الابتلاءات طيبين ممحصين، وهؤلاء هم الذين ينزل عليهم نصر الله ويمكن لهم في الأرض.

وتضامنًا مع إخواننا السنة في لبنان وما يواجهونه من عدوان وحقد دفين من الحزب الرافضي في البلاد، وشعورًا بواجب النصح لهم أكتب هذه الوصايا والتحذيرات علَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعهم بها وأن يخرجوا بإذن الله تعالىٰ من محنتهم هذه ممحصين طيبين منصورين.

❍ **الوصية الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾:**

ما أحوج المسلمين بعامة ومن تصيبه المحن منهم بخاصة إلىٰ تدبر هذه السنة الإلهية العظيمة؛ لأن في تدبرها طريقًا إلىٰ النجاة ودفعًا للبلاء، والموفق من

عباد الله عَزَّوَجَلَّ فردًا كان أو طائفة هو الذي يرده البلاء إلىٰ ربه سبحانه ويجعله يحاسب نفسه ويراجع أحواله ويبدأ التغيير من الداخل قبل أن يلقي بسبب المصيبة والبلاء علىٰ الأعداء، فلعله أتي من داخل نفسه وبسبب ذنوبه ومعاصيه وهو لا يشعر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال عن أصحاب محمد ﷺ بعدما أصابهم من القرح في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فالواجب عند حلول المحن والمصائب محاسبة النفوس وإرجاعها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتفقدها من الذنوب الخاصة والعامة؛ فهذا أول أبواب النجاة من المحن وأهم أبواب المخارج من الفتن، والله عَزَّوَجَلَّ يعلمنا في هذه السنة أنه لا يغير ما بقوم من المصائب ولا يرفع عنهم البلايا حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم ويتخلصوا من المعاصي والذنوب التي تبعدهم عن الله عَزَّوَجَلَّ وتفتح عليهم أبواب الشر والمحن.

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم أن أعداء المسلمين من الكفار والمنافقين لا يفتئون يكيدون للمسلمين ويسعون جهدهم ومكرهم في إلحاق الأذىٰ بالمسلمين، ولكن إذا تحلىٰ المسلمون بالصبر والتقوىٰ التي هي فعل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وترك ما نهىٰ عنه؛ فإن كيد الأعداء لا يضر المسلمين بل يحبطه الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

[آل عمران: ١٢٠].

فالله الله يا أهل السنة في لبنان خذوا حذركم! فلا تُؤْتَوْا من قِبَل أنفسكم

وعودوا إلىٰ بارئكم وتوبوا إليه واحفظوه يحفظكم وانصروه ينصركم، وأخص بذلك الدعاة والمصلحين؛ فهذا يومكم في استنهاض الهمم ودعوة إخوانكم من أهل السنة إلىٰ التوبة النصوح والرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتوظيف الحدث في تغيير الأحوال إلىٰ ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ والتضرع بين يديه سبحانه في إصلاح الأحوال وكشف الكربة.

❍ **الوصية الثانية: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾:**

إن من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ ولطفه أن يقدر أحداثًا ظاهرها المكاره والآلام، ولكن في أعطافها الخير والرحمة لأوليائه؛ ومن ذلك ما يجري الآن في لبنان من أحداث وعدوان علىٰ أهل السنة يتولىٰ كبره حزب الرافضة الصفوي والذي يسمونه زورًا وبهتانًا: حزب الله؛ ولقد كشفت هذه الأحداث أمورًا ستكون عاقبتها خيرًا إن شاء الله تعالىٰ لأهل السنة في لبنان وفي خارجها لم تكن لِتُعْرف لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ قدر هذه الأحداث ومن هذه الأمور ما يلي:

١- معرفة أهل السنة لواقعهم وحقيقة أحوالهم وإيقاظ النائم منهم ومحاسبة أنفسهم في تقصيرهم مع ربهم أو مع بعضهم، وفي تفريطهم في الأخذ بأسباب المواجهة لأعدائهم المتربصين بهم؛ وفي هذا خير إذا أدىٰ بهم ذلك إلىٰ اليقظة وقوة العزيمة والتضرع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والأخذ بأسباب الحيطة والمواجهة مع أعداء الله وأعداء أوليائه.

٢- انكشاف حقيقة الحزب الرافضي في لبنان وتعريته التامة لكل من له أدنىٰ بصيرة وعقل من أهل السنة في لبنان وخارجها، حيث كشَّر عن أنيابه وأهدافه المبيتة في بسط الدين الرافضي المجوسي في لبنان، والقضاء علىٰ أهل السنة هنالك، وارتباطه بالمشروع الإيراني في المنطقة، كما انكشفت

تقيته التي كان يكيد بها السذَّج من أهل السنة من أن سلاحه وقتاله إنما هو لمقاومة اليهود والمعتدين علىٰ أمن لبنان، ولن يكون في صدر أي لبناني! والدم اللبناني حرام!

والآن هاهو سلاح المقاومة يحصد أجساد اللبنانيين وليس كل اللبنانيين، وإنما أهل السنة منهم بخاصة.

وفي هذه المعرفة والفضح خير لمن كان أعشىٰ البصر قبل ذلك؛ لأن من يعرف الرافضة وحقيقة معتقداتهم وأصولهم لا يحتاج في البراءة منهم ومنابذتهم إلىٰ مثل هذه الأحداث حتىٰ يعرفهم.

وهذا ما ذكرته منذ سنتين أيام الفتنة بهذا الحزب الرافضي يوم كان في حرب مع اليهود، وذلك في المقالة التي انتشرت في مواقع كثيرة بعنوان: «احذروا فتنة حسن نصر الله وشيعته» بينت فيها عقيدة القوم وأهدافهم الطائفية، ومن بقي من أهل السنة علىٰ تعاطفه وانخداعه بهذا الحزب المشئوم قبل هذه الأحداث، فأحسب إن كان عنده أدنىٰ فهم لعقيدة التوحيد وأدنىٰ عقل وبصيرة؛ فإنه لن يتردد بعد عدوان هذا الحزب علىٰ أهل السنة وتدمير مؤسساتهم في لبنان، في أن ينفض يده منهم ويأخذ حذره وبراءته منهم؛ وفي هذا خير إن شاء الله تعالىٰ لم يكن ليتحقق لولا تقدير الله لهذه الأحداث.

٣- تعرية الحكومة المهترئة في لبنان وعمالتها المفضوحة للأمريكان؛ وأنها حكومة من ورق؛ وبيان أن الحكومة التي لا تنطلق من هوية الأمة المسلمة وعقيدتها وشريعتها فإنها مخذولة خائنة تحركها المصالح والكراسي؛ ومثل هذه الحكومات الجوفاء سرعان ما تتهاوىٰ وتذل عند أدنىٰ هزة تهدد دنياها

ومصالحها الشخصية، ولا يشفع لها ما تبذله من عمران للبلاد وتحسين للمعيشة.

كما بينت هذه الأحداث عداوة الحكومة لأهل السنة الصادقين ذلك أن المراقب للاعتداءات التي تمت علىٰ مؤسسات الحكومة وتيار المستقبل وتدمير مراكزه الإعلامية والسياسية لتصيبه الدهشة وهو يرىٰ ذلك الحياد والاستسلام من جيش الحكومة أمام هذه الاعتداءات حيث لم يحرك ساكنًا.

ويُظهِر سؤالًا كبيرًا يفرض نفسه ألا وهو أين تلك العنتريات والشجاعة والحراك السريع الذي بذله الجيش علىٰ أفراد فتح الإسلام مع عوائلهم في مخيم نهر البارد؛ حيث أبادوا الأخضر واليابس وطال الدمار كل أهل السنة في المخيم ممن هم من فتح الإسلام وغيرهم؛ أهكذا الشجاعة والحمية من أهل السنة علىٰ بعضهم؟! أم أنه كما قال القائل: «أسد علي وفي الحروب نعامة».

ومن يدري فلعل ما يصيب الحكومة الآن ومؤسساتها والموالين لها هو عقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما فعلوه بأهل السنة في مخيم نهر البارد والله سريع العقاب.

❍ **الوصية الثالثة:** ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾:

لقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين في القرآن من كيد الكافرين والمنافقين، وجاء في أكثر من آية الأمر بأخذ الحذر من الأعداء فقال الله سبحانه عن المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ٧١] وامتثالًا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ فإن علىٰ أهل السنة في لبنان وغيرها

أن يحذروا من مشاريع أعدائهم التالية:

١- خذوا حذركم من المشروع الرافضي الصفوي:

لم يَعُدْ خافيًا ما تخطط له دولة التشييع والرفض إيران من بسط نفوذها ونشر معتقداتها في المنطقة، إما بشكل مباشر أو عن طريق عملائها وأوليائها في بلدان أهل السنة كما هو الحاصل في حكومة العراق الرافضية الأمريكية، أو في لبنان عن طريق الابن البار لدولة الرفض حسن نصر وحزبه المغبون، والمراقب لما تقوم به إيران في المنطقة وأحزابها المنتشرة يشاهد ذلك مصحوبًا بالسرعة والجرأة ولا أدل علىٰ ذلك ما يحصل الآن في العراق من الرافضة علىٰ أهل السنة وفي الشمال اليمني علىٰ أيدي الحوثيين الموالين لها، أو ما يدور في لبنان علىٰ أيدي حزب الرفض هناك.

والواجب علىٰ أهل السنة في كل مكان وبخاصة من يواجهون مثل هذه التحركات الحذر الشديد منها، والمواجهة الصريحة لهذه المخططات وفضحها للسذج من المسلمين السنة، ليأخذوا حذرهم ولا تنطلي عليهم تقية الرافضة وخداعهم، وإن من السذاجة النظر إلىٰ أحداث لبنان الأخيرة علىٰ أنها مؤقتة، وسينسحب الرافضة من بيروت ويكفوا عداوتهم إذا رضخت الحكومة لمطالبهم التي يدلسون علىٰ الناس أنها سبب هذه الأحداث؛ وهاهي الحكومة قد انصاعت لمطالبهم وأرجعت مدير المطار الرافضي إلىٰ منصبه.

فهل يا ترىٰ سيكف حزب الرفض عن مشروعه التوسعي والتضييق علىٰ أهل السنة؟! الجواب: لا، حتىٰ ولو انسحب وكمن وقتًا من الزمن وهدأ فيه فإنه يخطط لهجمة أوسع وأشنع علىٰ أهل السنة عندما يرىٰ الوقت مناسبًا وعندما يرىٰ أن سياسة الخداع والتقية فشلت في تحقيق أهدافه.

فيا أهل السنة خذوا حذركم فإن المعركة مع المشروع الإيراني لم تنته بل إنها الآن تبدأ!

٢- خذوا حذركم من المشروع العلماني الخادم للمشروع الأمريكي:

إن أخذ الحذر من المشروع الإيراني لا يعني الاستنامة والغفلة عن المشروع الأمريكي في المنطقة؛ ولا يعني الانحياز إلىٰ حكومة السنيورة وتيار المستقبل ذات التوجه العلماني الأمريكي ولو كانوا محسوبين علىٰ أهل السنة بل يجب الحذر من المشروع الأمريكي الذي يحاول فرضه في المنطقة بعامة، ولولا فضل الله عَزَّوَجَلَّ برفع راية الجهاد في العراق لتم له ما أراد في كل دول المنطقة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ أفشل مشروعه علىٰ أيدي المجاهدين الأبطال جزاهم الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

وإن فشله في العراق لا يعني فشله في مناطق أخرىٰ؛ فقد ينجح في بعض الأماكن إن لم يكن أهلها من المسلمين علىٰ حذر ويقظة ومواجهة له، ولقائل يقول: إن أمريكا لم تتدخل في لبنان بشكل مباشر كما هو الحال في العراق، وهذا صحيح لكن عملاءها ينوبون عنها وهذا متمثل في الحكومة والتيارات العلمانية فالحذر الحذر من أمريكا وعملائها.

وقد يقول قائل آخر: إن الحكومة أهون علينا من الروافض؛ وهذا صحيح عند المقارنة، ولكنهم كلهم أعداء للسنة الصادقين، ثم إنه لا يبعد أن هناك تنسيقًا وصفقات خفية بين أصحاب المشروع الإيراني والمشروع الأمريكي اليهودي يقدم فيه كل طرف تنازلات للطرف الآخر والضحية في ذلك هم أهل السنة.

فالحذر الحذر من هذه التواطؤات الخطيرة ولا يغرنا ذلك العداء المعلن بين المشروعين، بينما هما متفاهمان في السر علىٰ تقاسم الكعكة، والمحرك لأمريكا هو مصالحها وليس لها صديق ثابت، وإلا فكيف نفسر ذلك الموقف الأمريكي اليهودي

الهادئ إزاء أحداث لبنان، وتركهم لعدوهم المزعوم يصول ويجول؟!

ولربما أن هناك صفقة مقايضة بين المشروع الإيراني والمشروع الأمريكي تغض فيه أمريكا الطرف عن أحداث لبنان مقابل تنازلات تقدمها إيران في مشروعها التوسعي في المنطقة، وما سوىٰ المشروع الرافضي الصفوي والمشروع الأمريكي اليهودي في لبنان، فإنما هي أحزاب يدور بعضها في فلك المشروع الإيراني كالأحزاب الموالية لسوريا، وبعض الأحزاب الباطنية، وبعضها يدور في المشروع الأمريكي الغربي كالأحزاب النصرانية المارونية وغيرها، وكلهم حرب علىٰ الإسلام والمسلمين والكفر ملة واحدة؛ ولم يبق إلا المشروع الجهادي السني النقي المستقل، وهو الذي ينبغي أن يلتف عليه أهل السنة كما سيأتي في الوصية الرابعة.

❍ **الوصية الرابعة: «أجمعوا أمركم وأتوا صفًّا»:**

يا أهل السنة في لبنان وغيرها من بلدان المسلمين كفىٰ بنا نومًا وغفلة عما يراد بنا! ولنعتبر ونتعظ بما يجري لإخواننا السنة في العراق علىٰ أيدي الشيعة الرافضة، ولنعتبر بما جرىٰ لأهل السنة علىٰ أيدي النصيريين الباطنين في سوريا.

ماذا ننتظر؟ أننتظر حتىٰ يجرونا كالخراف للذبح! يا أهل السنة في لبنان إن لم تجمعوا أمركم الآن وتوحدوا صفوفكم وتعدوا ما استطعتم من قوة للدفاع عن دينكم وأعراضكم فمتىٰ تجتمعون؟ ومتىٰ تستعدون؟

إنه لا منقذ لكم بعد الله عَزَّوَجَلَّ إلا اجتماعكم وتناسي خلافاتكم، وأن تجمعوا أمركم علىٰ جهاد العدو الصائل والدفاع عن السنة وأهلها، ووالله لن تنفعكم هيئة الأمم بشيء فهي من ألد أعدائكم الكفرة، ولن تنفعكم جامعة الدول العربية بشيء لأن الشوك لا يجنىٰ منه العنب، كيف وأكثرهم ذنب للغرب أو الشرق!

إنه لن ينفعكم إلا الله عَزَّوَجَلَّ والاستعانة به وحده، ثم الأخذ بالأسباب التي

أمر الله سبحانه بالأخذ بها في مدافعة العدو الكافر عن الدين والنفس والعرض، وإنه قد آن الأوان لتعرفوا قدر المجاهدين السنة في بلادكم فهم الملجأ بعد الله عَزَّوَجَلَّ لكم، وهم الذين سيرفعون رؤوسكم وسيذلون عدوكم بإذنه سبحانه، كما كان ذلك منهم في بلاد الرافدين حيث كانوا صخرة وسدًا منيعًا أمام هجمات أهل الرفض علىٰ مدن أهل السنة، ولولا الله عَزَّوَجَلَّ ثم هؤلاء المجاهدين الأبطال لكان أهل السنة في العراق في عالم النسيان، ولقيل إنه كان في يوم من الأيام سنة في بغداد؛ فاعرفوا للمجاهدين عندكم حقهم والتفوا حولهم وساندوهم تفلحوا وتعزوا إن شاء الله تعالىٰ.

إذن؛ فلا خيار لكم يا أهل السنة وأنتم تنأون عن المشروع الإيراني والمشروع الأمريكي، إلا أن يكون لكم مشروعكم الجهادي المتماسك أسوة بالمشروع الجهادي الذي قام به إخوانكم السنة في العراق وفصائله الجهادية، والتي أحبط الله بهم مشاريع الأعداء وأفشلها والحمد لله رب العالمين.

والحذر الحذر من أن يجركم أحد المشروعين الكافرين إلىٰ صفه لمقاتلة المشروع الآخر، فإنما هي رايات عمية وفتنة جاهلية فاحذروها واستقلوا برايتكم النظيفة التي تجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ مثلها ينزل نصر الله وتأييده.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن ينجينا شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(١٢)

الظواهر الكونية
بين التفسير الشرعي والتفسير المادي[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من أصول الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ التي لا يصح إيمان عبد إلا بها: الإيمان بأسمائه سبحانه وصفاته وآثارها والإيمان بقضائه وقدره، وأنه ما من شيء يحدث في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ من مكروه ومحبوب إلا والله سبحانه قد كتبه وعلمه قبل حدوثه، وهو الذي خلقه وأحدثه بقدرته سبحانه وحكمته البالغة التي قد يظهر للعقول شيء منها ويغيب عنها جوانب كثيرة تعجز عن إدراكها.

ومما يقضيه الله عَزَّوَجَلَّ ويقدره في هذه الأرض التي تقلنا والسماء التي تظلنا هذه الظواهر الكونية التي ينتج عن بعضها الخير كالأمطار ونحوها، أو ما يحصل من بعضها من الكوارث والشرور كالفيضانات والزلازل والبراكين والصواعق والرياح والأعاصير العاتية.

---

(١) نشر بتاريخ (٩/ ٧/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: الرد علىٰ بعض من يفسر الظواهر الكونية تفسيرًا ماديًا.

ولتفسير هذه الظواهر الكونية ميزان قسط وعدل هو الميزان الإلهي القويم وهو المذكور في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؛ وفي المقابل توجد التفسيرات المادية الجاهلية للأحداث والتي لا تجعل لإرادة الله ﷻ وقدره وشرعه وحكمته أيَّ اعتبار في موازينها؛ بل وتسخر ممن ينطلق في تفسيره للحوادث من تفسيرات القرآن الربانية، وإن من المؤسف له أن يوجد من بيننا وممن ينتسبون إلىٰ دين الإسلام من يتبنىٰ هذه التفسيرات المادية.

ومن ذلك ما فاجأنا به الكاتب في جريدة اليوم محمد العصيمي في مقاله المظلم «غبار» بتاريخ (١٨/ ٦/ ١٤٢٩هـ)؛ حيث سخر فيه ممن أخذوا بالميزان الرباني في تفسير الظواهر الكونية.

فكان مما قال: «أما ما أثارني مؤخرًا ووضعني في حيص بيص مع فتاوىٰ الغبار، كما يحدث عندما تطرح شركة جديدة للمساهمة، فهو عدد ما استقبلت من رسائل الجوال من متبرعين بتفسير هذه الظاهرة؛ وهم طبعا ليس لهم من العلم إلا بقدر ما لعالم الذَّرَّة في كوز الذُّرة؛ يرسل بعضهم بفم مليان وثقة عمياء أن الغبار نتيجة المعاصي، وأن المعاصي تزول ومعها الغبار بالإكثار من الاستغفار، فاستغفروا يرحمكم الله وينجلي الغبار الذي تستثيره معاصيكم؛ ويرسل آخر: هل نتعظ أم أننا نبقىٰ سادرين في غينا ليزيد الغبار ونبقىٰ نتنفس ترابًا وقرفًا من طقسنا «ويختم مقاله الكريه بقوله: «أعلم أن للغبار موجة أخيرة، لكنني لا أعلم متىٰ ستكون الموجة الأخيرة لمن يقذفوننا بالمعاصي والذنوب بمجرد أن تهب عاصفة من منخفض المحيط الهندي ومرتفعات البحر المتوسط». اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الكلام الخطير والزلة الشنيعة ونحمدك يا ربنا علىٰ العافية.

لقد وقع هذا الكاتب الظالم لنفسه وجريدة اليوم الناشرة في طامتين عظيمتين لا ينجيهم منها إلا التوبة الصادقة السريعة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ قبل مباغتة الأجل، وألا يغتروا بإمهال الله عَزَّوَجَلَّ وإملائه لهم فإنه سبحانه يقول: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وهاتان الطامتان هما:

الأولىٰ: السخرية ممن يفسر بعض الظواهر الكونية المؤذية للناس كالرياح والغبار وغيرهما بذنوب العباد وما كسبت أيديهم.

الثانية: السخرية ممن يدعون إلىٰ التوبة والاستغفار لدفع مثل هذه الحوادث والكوارث.

ألا يعلم الكاتب هداه الله أنه بهذا الكلام الشنيع يسخر مما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وأحاديث رسوله ﷺ من تفسير لهذه الظواهر.

ولكن ومن باب حمله علىٰ أحسن المحامل نغلب عدم معرفته لما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما في أحاديث الرسول ﷺ مما تفسر به الظواهر الكونية.

ولذا أسوق فيما يلي بعض الأدلة من الكتاب والسنة التي تبطل مقولات هذا الكاتب ويجعله يعرف شناعة ما كتبه لعله أن يتقي ربه ويرجع عن سوء ما قاله حيث بان له ما يجهله.

فمما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من الحكم الإلهية والتفسيرات الربانية للظواهر الكونية ما يلي:

أ- تخويف العباد لعلهم يرجعون؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

ومن ذلك قوله ﷺ عند كسوف الشمس في عهده: «**إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما من آيات الله يخوف الله به عباده فإذا رأيتم كسوفًا فاذكروا الله حتىٰ ينجليا**»[(١)].

ب- عقوبة للكفار وانتصارًا للمؤمنين؛ ومن ذلك ما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ من العذاب والعقوبات الأليمة بأعداء الأنبياء والمرسلين، عندما كفروا بآيات الله ورسوله وصدوا عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ انتصارًا لرسله وأوليائه، كما عاقب الله عَزَّوَجَلَّ قوم نوح بالغرق والطوفان العظيم وقوم هود بالريح العاتية التي أفنتهم، وثمود بالصيحة أو الصاعقة التي قطعت قلوبهم وقوم لوط بالحجارة والبراكين والخسف، وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة الذي أحرقهم؛ ومن ذلك ما سلطه الله عَزَّوَجَلَّ من الريح الشديدة الباردة علىٰ كفار قريش في غزوة الأحزاب حتىٰ رجعوا خاسئين؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا

(١) رواه البخاري (١٠٤٤) رواه مسلم (٩٠١).

﴿تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩].

ج- تكفير ذنوب عباده المؤمنين بما يبتليهم به من المصائب المكفرة وتذكيرًا لهم لعلهم يتوبون ويستغفرون؛ قال سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقوله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذىٰ ولا غم حتىٰ الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»[1].

د- في تقدير هذه الأحداث عبرة وموعظة لمن يراها أو يسمع بها وقد نجاه الله منها فيسعىٰ لأخذ أسباب الوقاية منها والبعد عن مسبباتها؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾ [القمر: ١٥، ١٦].

وقال سبحانه: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧].

هذه بعض الحكم الإلهية من الكوارث الكونية، ولا أدري بم يجيب عنها محمد العصيمي هل يردها ولا يقبلها فهو التكذيب حينئذ لكلام الله عَزَّوَجَلَّ، أم أنه ينقاد لها ويصدق وحينئذ لابد أن يتراجع عن مقالته التي زل فيها، هذا إن كان طالبًا للحق فإن الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل.

ثم إني أسأل هذا الكاتب: أليس لك ذنوب تخاف أن يعاقبك الله بسببها وماذا تفهم من قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٢) رواه مسلم (٢٥٧٣).

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]؟!

شبهتان وجوابهما:

❍ **الشبهة الأولىٰ:** إن كون بعض الناس يعرفون وقت حدوث بعض الظواهر الكونية بالحساب قد يحيك في بعض النفوس، ولكن هذا لا يؤثر هذا عند أهل الإيمان وأهل الموازين الإلهية للأحداث، وذلك باعتقادهم أن ذلك إنما يكون بعلم الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته وتدبيره وأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يحدد أوقاتها حيث يخوف بها عباده وينذرهم بقدرته العظيمة التي تسير هذه الأفلاك ولو شاء لطمسها عن عباده، وحرمهم منها وحينئذ لا حياة ولا عمران علىٰ هذه الأرض.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ - عن ظاهرتي الكسوف والخسوف:

«وما أخبر به النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا ينافي كون الكسوف له وقت محدد يكون فيه؛ حيث لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر ليلة السرار، ولا يكون خسوف القمر إلا في وسط الشهر وليالي الإبدار؛ ومن ادعىٰ خلاف ذلك من المتفقهة أو العامة فلعدم علمه بالحساب، وهذا يمكن المعرفة بما مضىٰ من الكسوف وما يستقبل كما يمكن المعرفة بما مضىٰ من الأهلة وما يستقبل؛ إذ كل ذلك بحساب، كما قال تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ ﴾ [الرحمن: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥].

وقال: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ومن هنا صار بعض العامة إذا رأىٰ المنجم قد أصاب في خبره بالكسوف المستقبل يظن أن خبره عن الحوادث من هذا النوع؛ فإن هذا جهل؛ إذ الخبر الأول بمنزلة إخباره بأن الهلال يطلع: إما ليلة الثلاثين، وإما ليلة إحدىٰ وثلاثين فإن هذا أمر أجرىٰ الله به العادة لا يخرم أبدًا؛ وبمنزلة خبره أن الشمس والقمر ومجاريهما علم ذلك، وإن كان ذلك علمًا قليل المنفعة.

فإذا كان الكسوف له أجل مسمىٰ لم يناف ذلك أن يكون عند أجله يجعله الله سببًا لما يقضيه من عذاب وغيره لمن يعذب الله في ذلك الوقت، أو لغيره ممن ينزل الله به ذلك، كما أن تعذيب الله لمن عذبه بالريح الشديدة الباردة كقوم عاد كانت في الوقت المناسب، وهو آخر الشتاء، كما قد ذكر ذلك أهل التفسير وقصص الأنبياء.

وكان النبي ﷺ إذا رأىٰ مخيلة -وهو السحاب الذي يخال فيه المطر- أقبل وأدبر، وتغير وجهه، فقالت له عائشة: إن الناس إذا رأوا مخيلة استبشروا؟ فقال: «يا عائشة، وما يؤمنني؟ قد رأىٰ قوم العذاب عارضًا مستقبل أوديتهم فقالوا هذا عارض ممطرنا قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤](١)».اهـ(٢).

ومع أن هناك من الظواهر الكونية ما يعلم حدوثه بالحساب، إلا أن هناك منها ما لا يعرف مهما تقدم الإنسان في التقنية والعلوم، ونحن نسأل أهل

---

(١) رواه مسلم (٨٩٩).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٧٥).

التفسيرات المادية من الذي أعلم النبي بحدوث الريح العاتية أو الصاعقة المدمرة أو الزلازل والبراكين قبل حدوثها؟ كيف يفسر خروج النبي والمؤمنين معه من القرية المعذبة قبل حدوث هذه الظواهر المدمرة ونجاتهم منها؟ إنه الله عَزَّوَجَلَّ الذي بيده ملكوت كل شيء والقادر علىٰ كل شيء هو الذي قدر هذه الأحداث بحكمته وعدله وهو الذي نجىٰ أنبياءه وأتباعهم من هذه الحوادث المدمرة قبل وقوعها.

هو سبحانه الذي حدد لثمود ثلاثة أيام يتمتعون فيها ثم يحل بهم العذاب بعد ذلك؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٥، ٦٦].

هو سبحانه الذي أمر لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخرج مع أهله بالليل لأن الخسف والعذاب سينزل بقومه في الصباح؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

وعلماء الفلك والجيولوجيا المعاصرون ومع ما يملكون من تقنيات هائلة ترصد الظواهر الكونية، فإنهم وإلىٰ اليوم لا يستطيعون أن يعرفوا متىٰ يحصل البركان والزلزال فسبحان الله رب العالمين.

- **الشبهة الثانية: قد يقول قائل:** إن هذه الكوارث إذا وقعت فإنها قد تأخذ بعض الصالحين أو من ليسوا من المكلفين كالأطفال ونحوهم.

والجواب أن يقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ إنما ضمن النجاة من عذابه في الدنيا للمصلحين الذين ينهون عن السوء ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥].

ووقوع بعض الصالحين في العقاب هو تكفير لهم وتمحيص وهو خير لهم في الآخرة؛ وعقاب الله لهم إنما كان بسبب سكوتهم عن دفع الباطل وقول الحق؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

وعن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعه الإبهام والتي عليها قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا ظهر الخبث**»[1].

وأما الأطفال وغير المكلفين فنحن نقطع أن الله عَزَّوَجَلَّ أرحم بهم منا ومن والديهم، ولكن هذه الرحمة مغيبة عنا، ولعل منها كونهم يموتون قبل البلوغ وهم أطفال لم يتلوثوا بذنوب ولا تلبسوا بفتن، وهم بذلك يؤهلون للجنة دار الرحمة والحبور والرضوان.

- **ولعله من المناسب في ختام هذا البحث:** أن أذكر ذلك الحوار الذي ذكره

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٦).

الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه بين نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ابنه الكافر والذي يظهر فيه الفرق بين من ينظر بالميزان الإلهي للأحداث والمتمثل في نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين من ينظر إليها بالموازين المادية الصرفة والمتمثل في ابن نوح الكافر.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

ففي هذا الحدث الكوني الهائل والمتمثل في الطوفان العظيم الذي غطىٰ الأرض سهلها وجبلها وكان موجه كالجبال نرىٰ أن نوحًا عليه الصلاة والسلام المؤمن بربه سبحانه وقدرته وتدبيره لكل شيء وحكمته وعدله ولطفه لما نظر إلىٰ هذا الحدث العظيم بهذا الميزان الإلهي المستقيم دعا ابنه ليلحق به في السفينة لينجو من عذاب الله تعالىٰ، وحذره بألا يبقىٰ مع الكافرين الذين لهم العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر.

○ **وهنا لطيفة:** حيث قال نوح لابنه: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ولم يقل «مع الغارقين» أو «مع الهالكين»؛ لأن المصيبة العظمىٰ هي في الكفر وليست في الموت غرقًا؛ ثم إنه بهذا الميزان الإلهي للحدث قال لابنه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾ فليس ثمة اليوم إلا الله عَزَّوَجَلَّ الذي يعصم عباده المؤمنين ويرحمهم وينجيهم برحمته ومن كفر فلا عاصم ولا راحم له من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

أما ابن نوح الكافر؛ فإنه لما نظر إلىٰ الحدث الطوفان الهائل بالنظرة المادية

وفسرها بأنها ظاهرة فلكية تتمثل في طوفان أو فيضان عظيم، ولم يربطها بقدرة الله عَزَّ وَجَلَّ وحكمته وتدبره وسننه ما كان منه إلا أن ينظر إلا أسباب مادية تتعلق بها في نجاته فقال: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ وماذا أغنىٰ عنه الجبل حين انقطعت عنه رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ؟ إنه لم يغنِ عنه شيئًا وإنما كانت عاقبه كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

هذه هي موازين الله عَزَّ وَجَلَّ وموازين رسله وتلك هي موازين الجاهلية المادية وأهلها.

وأوجه بهذه المناسبة الخطاب والنصح إلىٰ نفسي وإخواني المسلمين: إلىٰ أن نتقي شر المعاصي والذنوب فهي سبب كل بلاء وكارثة وما أصابنا في هذه السنوات الأخيرة من قلة الأمطار وغلاء الأسعار وتسلط من الأعداء وكثافة في الغبار، إنما هو بذنوبنا ومعاصينا حيث بلغت عنان السماء، ولولا حلمُ الله عَزَّ وَجَلَّ ورحمته ثم ما يقوم به أهل الدعوة والإصلاح في مدافعة الفساد لحل بنا ما حل بغيرنا من المَثُلات والكوارث.

وأدعو نفسي وإخواني المسلمين إلىٰ التوبة النصوح وكثرة الاستغفار لعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرفع ما بنا من غبار مزعج وأسعار غالية وأمراض مستعصية وغيرها من المصائب قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم

مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

❊ ❊ ❊ ❊

(١٣)

«النكبة الأمريكية... رؤية شرعية»[(١)]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من **أصول الإيمان** بالله عَزَّوَجَلَّ التي لا يصح إيمان عبد إلا بها الإيمان بأسمائه سبحانه وصفاته وآثارها، والإيمان بقضائه وقدره، وأنه ما من شيء يحدث في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ من مكروه ومحبوب إلا والله سبحانه قد كتبه وعلمه قبل حدوثه، وهو الذي خلقه وأحدثه بقدرته سبحانه وحكمته البالغة التي قد يظهر للعقول شيء منها، ويغيب عنها جوانب كثيرة تعجز عن إدراكها.

ومما يقضيه الله عَزَّوَجَلَّ ويقدره علىٰ عباده في هذه الأرض التي نعيش عليها بعض الكوارث من النقص في الأموال والأنفس والثمرات حيث نواصي العباد بيده، ماض فيهم حكمه عدل فيهم قضاؤه.

ولكن هذه الكوارث تختلف في إصابتها والحكمة منها بالنسبة للمؤمنين

---

(١) نشر بتاريخ (٣٠/ ١٠/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: حينما أصيبت أمريكا بالانهيار الاقتصادي سنة (١٤٢٩هـ).

عنها بالنسبة للكفار، فبينما نجدها للمؤمنين لطفًا ورحمة وتطهيرًا أو تكفيرًا للسيئات وتنبيهًا وتحذيرًا من التمادي في المعاصي لعلهم يرجعون، فإنا نجدها للكافرين عقوبة وانتقامًا ووضع حد لكفرهم وظلمهم وبطشهم، وانتصارًا من الله لعباده المؤمنين المستضعفين وتثبيتًا وإظهارًا من الله عَزَّوَجَلَّ لآثار قوته وعزته وبطشه، كما أن فيها أيضًا تنبيهًا للكافرين علىٰ عاقبة كفرهم وظلمهم، لعل بعضهم ممن أراد الله به الخير أن يتعظ ويقلع عن كفره وظلمه.

وإن ما أراه الله لعباده في هذه الأيام من قوته وعقوبته بطاغية العصر وقارون الزمان أمريكا المتغطرسة الظالمة وحلفائها الكفرة، حيث الدمار الذي يحق علىٰ اقتصادهم والهلع الذي يحل بهم من جراء ذلك؛ لهو آية وعبرة للمعتبرين يجب أن يقف عندها المسلمون ولاسيما الدعاة منهم والمجاهدون.

ومن باب النصيحة والتواصي بالحق مع نفسي وإخواني المسلمين أسوق بعض الوقفات والوصايا في ظل هذا الحدث الجسيم، علها أن تساهم في تقوية الثقة بديننا وتقوية اليقين بنصر الله عَزَّوَجَلَّ لدينه وإظهاره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، وعلها أن تسهم في تقوية الصلة بربنا عَزَّوَجَلَّ ومعرفة أسمائه سبحانه وصفاته وآثارها؛ فأقول وبالله التوفيق:

⦸ الوقفة الأولىٰ:

وجوب ربط هذه الأحداث وغيرها بمقتضىٰ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنىٰ وصفاته العلىٰ ومقتضىٰ سننه التي لا تتبدل.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «وأسماؤه الحسنىٰ تقتضي آثارها وتستلزمها استلزام المقتضي الموجب لموجبه ومقتضاه، فلابد من ظهور آثارها

في الوجود، فإن من أسمائه: الخلاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل إلىٰ سائر الأسماء؛ ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤][1]. اهـ.

ما أحوج المسلمين إلىٰ تقوية هذه المفاهيم في قلوبهم ولاسيما في هذا الزمان الذي طغت فيه التفسيرات المادية للأحداث، وأصبحنا لا نكاد نسمع في وسائل الإعلام والتوجيه والتثقيف من يربط الناس وما يجري عليهم من الأحداث بالله عَزَّوَجَلَّ وتفرده في التدبير والقوة والقدرة والقهر والحكمة والرحمة والغنىٰ وغيرها من صفات الله عَزَّوَجَلَّ العلىٰ وأسمائه الحسنىٰ؛ كما لا نكاد نسمع من يربطها بسنن الله عَزَّوَجَلَّ في التغيير وسنته سبحانه في عقوبة العصاة والظالمين وإهلاك الكافرين، وسننه سبحانه في نصره لعباده المؤمنين وانتصاره للمستضعفين.

ولو أن هذا المنهج المادي في النظرة للأحداث قد انحصر في أهل الكفر والإلحاد لم يكن هذا غريبًا، لما يعيشونه من خواء عقدي وروحي، ولما يتقلبون فيه من ظلمات الكفر والتصورات وعمىٰ القلوب والبصائر، قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصفهم: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩]، فهم قد عموا عن قدرة الله وعَزَّوَجَلَّ وقهره، وعما يترتب علىٰ كفرهم وظلمهم من العقوبات.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥٦٤).

وإنما الغريب أن تنتشر مثل هذه التفسيرات في إعلام المسلمين ومجتمعاتهم؛ ولا أدل علىٰ ذلك مما نسمعه هذه الأيام في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية من كلمات وتعليقات حول الاقتصاد في العالم العربي وبنوكه ولاسيما الاقتصاد الخليجي وبنوكه، وقولهم: إننا بمنأىٰ عن هذه الكارثة ولا خوف علىٰ البنوك الخليجية والمصارف العربية؛ لأن مصارفنا منضبطة ومعاملات السوق المالي محكمة، وغير ذلك من التبجحات التي تنبي عن الغرور بالنفس والتعلق بالأسباب المادية ونسيان قوة الله عَزَّوَجَلَّ وقهره، ونسيان أن هذه البنوك تحمل معاول هدمها حسب السنن الإلهية من التعامل بالربا والبيوع المحرمة، وغيرها من أسباب العقوبة والدمار، وسينالها ما ينال غيرها إن لم تتب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتنتهي عن ظلمها وجشعها.

ولعل من المناسب هنا إيراد ذلك الحوار الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم بين نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ابنه الكافر والذي يظهر في الفرق بين من ينظر بالميزان الإلهي للأحداث وبين من ينظر إليها بالموازين المادية الصرفة والمتمثل في ابن نوح الكافر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

ففي هذا الحدث الكوني الهائل والمتمثل في ذلك الطوفان العظيم الذي غطىٰ الأرض سهلها وجبلها، وصار موجه كالجبال، نرىٰ أن نوحًا عليه الصلاة والسلام المؤمن بربه سبحانه وقدرته وقهره وتدبيره لكل شيء وحكمته وعدله ولطفه لما نظر إلىٰ هذا الحدث العظيم بهذا الميزان الإلهي المستقيم دعا ابنه ليلحق به في السفينة لينجو من عذاب الله تعالىٰ وحذره بألا

يبقىٰ مع الكافرين الذين لهم العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر.

⇦ **وهنا لطيفة:** حيث قال نوح لابنه: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ولم يقل «مع الغارقين» أو «مع الهالكين» **لأن المصيبة العظمىٰ هي في الكفر وليست في الموت غرقًا.**

ثم إنه بهذا الميزان الإلهي للحدث قال لابنه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ فليس ثمة اليوم إلا الله عَزَّوَجَلَّ الذي يعصم عباده المؤمنين ويرحمهم وينجيهم برحمته، ومن كفر فلا عاصم ولا راحم له من دون الله عَزَّوَجَلَّ مهما فعل من الأسباب المادية للإنقاذ.

أما ابن نوح الكافر فإنه لما نظر إلىٰ الحدث -الطوفان الهائل- بالنظرة المادية وفسره بأنه ظاهرة كونية تتمثل في طوفان وفيضان عظيم، ولم يربطها بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته وتدبيره وسننه، ما كان منه إلا أن ينظر إلىٰ أسباب مادية يتعلق بها في نجاته فقال: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ وماذا أغنىٰ عنه الجبل حين انقطعت عنه رحمة الله عَزَّوَجَلَّ؟ إنه لم يغن عنه شيئًا وإنما كانت عاقبته كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

وأسوق فيما يلي بعض الآيات من كتاب الله ربنا سبحانه التي تبين لنا المنهج الحق والميزان العدل في التفسير الرباني لما يحدث لأعداء الله الأمريكان وحلفائهم من ظواهر كونية وكوارث اقتصادية، وهذه الآيات من الوضوح والجلاء بحيث لا نحتاج إلىٰ تعليق ولا تفسير.

ومن هذه الآيات:

- قول تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].
- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩].
- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].
- وقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨].
- وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣١].
- وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

[الأنعام: ٦].

- وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

والآيات في تقرير هذه السنة الإلهية كثيرة في القرآن الكريم، وإذا ما نظرنا إلىٰ الكوارث التي تحل اليوم بالكفرة الأمريكان وحلفائهم في ضوء هذه الآيات الكريمات، والتي تمثل سنة الله عَزَّوَجَلَّ في أخذه للظالمين لرأيناها تنطبق عليهم تمام

الانطباق، فما من ظلم وقعت فيه الأمم السابقة التي أهلكها الله عَزَّوَجَلَّ إلا وقد اجتمع في أمة الكفر المعاصرة وذلك في أعتىٰ صوره وأبشعها.

○ ومن ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

١- كفرهم بالله عَزَّوَجَلَّ سواء الملحد منهم أو القائل بعقيدة النصارىٰ في التثليث وتأليه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وسعيهم في الأرض فسادًا بنشر عقيدة النصارىٰ الوثنية وتسخير المليارات للجمعيات التنصيرية لنشر الشرك والكفر في أمم الأرض.

٢- الفساد الأخلاقي المريع الذي لم تصل إليه البشرية في تاريخها الماضي الطويل؛ حيث استباحة الزنا وشرب الخمور وهتك الأعراض وتفكك الأسر، بل وصل بهم الفساد والإباحية إلىٰ أن يكون للشواذ والشاذات جنسيًّا جمعيات ومؤسسات مرخصة لفعل اللواط والسحاق.

٣- الفساد المالي الذريع وقيام اقتصادهم علىٰ الحرية المطلقة الفوضوية، والتي عمودها الربا المضاعف والبيوع المحرمة وتسلط القوي علىٰ الفقير، ونشر ذلك في أمم الأرض وإفساد اقتصادها.

٤- ظلمهم لشعوب الأرض ولاسيما المسلمين في أوطانهم؛ حيث جاءت جيوشهم الجرارة واحتلت بعض بلدان المسلمين وقتلوا النساء والأطفال وسرقوا ثرواتهم وعذبوا أبناءهم في السجون وشردوهم من ديارهم.

٥- حصارهم للمسلمين في ديارهم حتىٰ مات من جراء ذلك مليون طفل في العراق، وكذلك ما قاموا به من حصار الفلسطينيين المستضعفين في غزة

وقطع موارد الحياة عنهم؛ وسبحان الله وبحمده الذي جازاهم بجنس فعلهم فحاصرهم في ديارهم حصارًا اقتصاديًّا لم يجدوا منه مخرجًا.

٦- القضاء علىٰ الجمعيات الخيرية المنتشرة في بلدان المسلمين، وبخاصة في دول الخليج التي كانت تكفل أيتام المسلمين وفقراءهم ودعاتهم فتعطل كثير من هذه الجمعيات وتوقفت الإغاثات التي كانت تقوم بها.

٧- ظلمهم للمسلمين في أديانهم وأخلاقهم؛ حيث تدخلوا في عقائد المسلمين ومناهجهم وعقولهم وسعوا عن طريق المنافقين من المسلمين في تبديل الدين وإفساد الأخلاق بالقنوات الفضائية والإباحية.

٨- ظلمهم لشعوبهم بإغراقهم بالدين والقروض الربوية التي عجزوا عنها، بعد أن امتصوا دماءهم، واستولوا علىٰ أملاكهم وأخرجوهم منها بعد أن عجزوا عن السداد، وأصبح (١٠٪) من طواغيت المال والربا يتحكمون في (٩٠٪) من الناس في بلادهم هم تحت رحمة هؤلاء الظلمة الطواغيت.

هذه مجرد أمثلة لظلم هذه الأمة الطاغية، فهل بعد هذه المظالم من ظلم؟! ولقد عذب الله الأمم السالفة وأهلكها بظلمها وكفرها الذي إذا قيس بظلم هذه الأمة الطاغية لا يساوي عنده شيئًا، ومع ذلك فقد حلم الله عَزَّوَجَلَّ عنهم وأملىٰ لهم إنه حليم حكيم عليم خبير؛ والآن نشهد بدايات عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ لهم وانهيارهم ولعذاب الآخرة أكبر.

فهل بعد هذا يسوغ لمن يتكلم عن هذه الكارثة الاقتصادية أن يغفل الأسباب الحقيقية لها وينسىٰ سنة الله عَزَّوَجَلَّ في الظالمين: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٣، ٤٤].

ومع وضوح هذه الآيات ودلالتها القاطعة علىٰ سنة الله عَزَّوَجَلَّ في إهلاكه الظالمين إلا **أنا نجد من المفتونين من بني جلدتنا من يرفض هذا التفسير الرباني ويسخر من أهله ومثالًا علىٰ ذلك ما كتبه محمد المحمود هداه الله في جريدة الرياض (٢٣/ ١٠/ ١٤٢٩هـ) العدد (١٤٧٣١) حيث يقول:** «ابتهج خطاب الجهل بهذه الأزمة المالية العالمية التي طالت العالم المتحضر خاصة وأن عمق الأزمة ومنشأها في الولايات المتحدة، التي يكنّ لها خطاب الجهل الكثير والكثير من العداء.

ابتهج خطاب الجهل إلىٰ درجة الشماتة -كسلوك بدائي ملازم له- وظن أن هذه الأزمة هي بداية النهاية لعدوه التاريخي المفترض، مطعمًا كل هذه الشماتة بقراءة تقليدية بحيث تستحيل الأزمة المالية -في تفسير خطاب التقليد- إلىٰ عقاب إلهي، يكون مقدمة لـ«الوعد الصادق» الحلم الذي يتراءىٰ له بين اليقظة والمنام!» **فالحمد لله الذي هدانا للحق وعافانا مما ابتلىٰ به هذا الظالم لنفسه، ونسأله سبحانه الثبات علىٰ دينه، وأن يجعل عاقبة هذه الكوارث خيرًا للإسلام والمسلمين، وشرًّا علىٰ الكفر والكافرين.**

⦸ الوقفة الثانية:

وهي امتداد للوقفة السابقة؛ وفيها بيان أن أسباب انهيار أمم الكفر اليوم وعلىٰ رأسها أمريكا الطاغية قد ظهرت وانعقدت منذ عقود من الزمن، ولقد

سقطت وانهارت كحضارة وقيم وتماسك اجتماعي منذ عقود أيضًا، وحسب سنن الله عَزَّوَجَلَّ أن سقوط الأمم والدول وتفككها وضعفها يسبقه دائمًا سقوط حضارتها وقيمها وأخلاقها، وقد يكون بين السقوطين عقود أيضًا، ولكن أكثر الناس لا يفرق بين سقوط الدول الظالمة في تصوراتها وأخلاقها وبين سقوط بنيتها وهيكلها، ويختلط عليه الأمر فتراه يقول: كم من الزمن ونحن نرىٰ ظلم أمريكا وتحللها وفسادها وما زالت قوية مهابة ونسي أن سنة محق الكافرين هي بأجل عند الله عَزَّوَجَلَّ وهي لابد آتية بعد أن يزدادوا إثمًا وظلمًا كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾ [آل عمران: ١٧٨].

يقول الدكتور السلمي حفظه الله: «والسنة الربانية قد تستغرق وقتًا طويلًا لكي تُرىٰ متحققة، في حين أن عمر الفرد محدود، ولذلك فقد لا يمكنه رؤية السنة متحققة، بل قد يرىٰ الإنسان جانبًا من السنة الربانية ثم لا تتحقق نهايتها في حياته مما قد يدفعه إلىٰ عدم إدراك السنة أو التكذيب بها، وهنا يكون دور التاريخ في معرفة أن السنة الربانية لابد أن تقع، ولكن لما كان عمرها أطول من عمر الفرد - بل ربما أطول من أعمار أجيال- فإنها ترىٰ متحققة من خلال التاريخ الذي يثبت أن سنة الله ثابتة لا تتبدل كما قال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢]»[1].اهـ.

ويقول أيضًا: «قد يرىٰ الناس موجبات العذاب والانهيار قد حلت بأمة من

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» (ص٦١).

الأمم ثم لا يرون زوالها بأنفسهم، وقد أوضحنا في أول الكلام عن السنن أن سنة الله لا تتخلف، لكن عمرها أطول من عمر الأفراد ولا تقع إلا بأجل محدد لابد من استيفائه قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ [الحجر: ٤، ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩][1].اهـ.

والذي نراه اليوم من خلال أزمة الأمريكان وما يواجهونه من الكارثة الاقتصادية والاجتماعية أنهم بلغوا الذروة في الظلم، وفي هذا بداية لسقوطهم وتفكك بنيانهم وضعفهم وانكماشهم حسب سنة الله عَزَّوَجَلَّ في إهلاك الظالمين، بعد أن سقطوا كحضارة وقيم منذ عقود، ولقد صرح بذلك بعض مفكريهم وخبرائهم، يقول ديفد وركر «كبير مفتشي الحكومة الأمريكية» وهو ممسك بالملف الوطني الأمريكي كله: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف الآن علىٰ حافة الهاوية، وذلك في صورة سياسات وممارسات لا تطيقها البلاد تسببت في العجز الشديد في الميزانية، والنقص الحاد في الرعاية الصحية، وتزايد التزاماتها العسكرية الخارجية مما يهدد باندلاع أزمة طاحنة؛ إن وضع البلاد يشبه وضع «روما» القديمة قبل احتراقها وانهيارها».

(١) «المصدر السابق».

وقال الفيلسوف البريطاني «جون غراي» معلقًا علىٰ الأزمة الاقتصادية: «ما نراه اليوم هو تحول تاريخي لا رجعة عنه في موازين القوىٰ العالمية نتيجته النهائية أن عصر القيادة الأمريكية للعالم قد ولىٰ إلىٰ غير رجعة».

وإن انهيار أي أمة اقتصاديًّا يعني انهيارها سياسيًّا واجتماعيًّا وعسكريًّا؛ لأن اقتصاد أي أمة يعد عمودها الفقري، وإذا سقط العمود الفقري أصاب الشلل جميع الأطراف؛ إذن فالذي أصاب أمريكا الآن ليس كارثة مالية فحسب وإنما هي ريح صرصر عاتية سخرها الله عليها لتأذن بنهاية المتكبرين والمتجبرين ودمارهم بإذن الله تعالىٰ.

⦸ الوقفة الثالثة: كيف وقع الانهيار؟

بعد أن علمنا السبب الحقيقي لانهيار أمة الكفر اقتصاديًّا من خلال الآيات القرآنية السالفة الذكر، ومن معرفة سنة الله عَزَّوَجَلَّ في إهلاك الظالمين، نتعرف في هذه الوقفة وبصورة سريعة علىٰ ما أجراه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أيدي الكفرة أنفسهم من السياسات والممارسات الجائرة التي دمروا بها أنفسهم، وأخربوا بيوتهم بأيديهم بتبنيهم النظام الرأسمالي الربوي المتوحش، وهذا ضرب من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ وجند من جنده سبحانه سلطه عليهم.

وإن هذا الإعصار العاتي عليهم ليس وليد اللحظة، وإنما هو وليد نظامها السياسي والاقتصادي القائمين علىٰ الظلم الذي لا يعرف الرحمة ولا الشفقة؛ وذلك نتيجة تراكم العمل بالنظام الاقتصادي الليبرالي خلال عقود مضت؛ وإن ما يحدث الآن عبارة عن نتيجة حتمية لسياسات ظالمة تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية بلغت ذروتها في الثمان سنوات التي حكم فيها بوش؛ وهي مؤشر لنهاية النظام الرأسمالي المتوحش ونهاية للهيمنة الأمريكية.

ومن الأمثلة علىٰ هذه السياسات الظالمة التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير والتي تعصف بالاقتصاد الأمريكي:

١- **أزمة الرهن العقاري والقروض الربوية:** حيث كانت المؤسسات المالية تعطي قروضًا لتمليك لعقار للمواطن العادي الذي أصبح عاجزًا عن أن يسد هذه القروض بفوائدها الربوية التي قد تبلغ إلىٰ (١٠٥٪)؛ فحصل فشل في جمع هذه الأموال من المواطنين، فاستولت البنوك المقرضة علىٰ البيوت وباعت بعض البنوك قروضها إلىٰ بنوك أقوىٰ منها بالتخفيض علىٰ البنوك القوية التي باعت بدورها هذه القروض إلىٰ بنوك أقوىٰ منها... وهكذا حتىٰ خرج البيع إلىٰ أوربا ومناطق أخرىٰ من العالم، ثم لم يستطع الجميع استرداد هذه القروض فحصل العجز في السيولة، وانهارت كثير من المصارف والبنوك، وفي الوقت نفسه حرم المواطنون من بيوتهم وأخرج بعضهم منها، وحصلت مشاكل اجتماعية كبيرة من جراء ذلك وصلت إلىٰ القتل والانتحارات، وبيع بعض البيوت بثمن بخس أقل من قيمتها الحقيقية فحصل العجز في السيولة.

٢- أزمة سوق الإقراض الطلابي.

٣- وأزمة إقراض السيارات.

٤- وأزمة البطاقات الائتمانية بدون ضمانات.

وكل هذه الأزمات شبيهة بأزمة الرهن العقاري؛ حيث عجز الطلاب عن تسديد ما عليهم للبطالة وعدم العمل، وأصحاب السيارات



والبطاقات الائتمانية كذلك، وكان من جشع هذه المؤسسات الإقراضية أنها تركت الضمانات لجذب الناس فحصل ما حصل من عجز الناس وانهيار هذه المؤسسات لفقد السيولة.

كل ذلك من شؤم الربا المضاعف المتوحش والجشع المريع.

٥- الإنفاق علىٰ حرب العراق وأفغانستان ومحاربة الإرهاب! حيث أنفقوا مئات المليارات من الدولارات في ذلك، وسيأتي تفصيل هذه الأرقام في وقفة تالية إن شاء الله تعالىٰ.

٦- فتح باب الحرية الاقتصادية المتوحشة لجميع المؤسسات المالية والبنكية والشركات المساهمة دون رقيب ولا حسيب، مما جعل هذه المؤسسات الاقتصادية مكانًا للمضاربات والمقامرات والمغامرات الاقتصادية، وصناعة اقتصاد وهمي سهل الكسب؛ فهي أموال طازجة ساخنة وأرباح بالساعة واليوم بل في نفس اللحظة، قبل أن تبرد كعكة القمار.

فالأمر لا يتعلق بمتاجرة في سلع خدمية تباع ويحصل عليها مقابل ثمن معين ولا بسلعة إنتاجية تحتاج إلىٰ تكاليف إنتاج مدة زمنية لإنتاجها وتخزينها ثم بيعها، وقد يصل مدة التسويق إلىٰ عام (أو أكثر حتىٰ يتبين الربح فيها من الخسارة)؛ وإنما الأمر في هذه الأسواق يتعلق بسلع وهمية معظم الذين يتاجرون فيها لا يملكونها، وقد تتم صفقات ضخمة بالمليارات لشراء أسهم وبيعها بفارق زمني يسير، قد يكون في بعض الأحيان دقائق أو ساعات قبل أن يدفع ثمنها المشتري، وقبل أن يقبضها وتسجل باسمه رسميًّا فيحقق أرباحًا طائلة دون أن

يدفع سنتًا واحدًا.

وهكذا يتحكم كبار المتعاملين في البورصات ويحققون أرباحًا هائلة من الاستثمارات بأموال وهمية وإضافة إلىٰ ذلك أصبحت القيمة السوقية لهذه البورصات والأسهم لا تمثل القيمة الحقيقية لها؛ فقيمة الأسهم المتداولة فيها لا يساوي قيمة الموجودات والأصول الحقيقية لهذه الشركات، فأصبح هناك أرقامًا هائلة من المال هي وهمية.

فإذا أخذ هذا علىٰ مستوىٰ البنوك والمصارف والمؤسسات المالية العملاقة في أمريكا نجد أن قيمة هذا الفرق الوهمي يفوق كثيرًا مجموع الدخل القومي الأمريكي، بما فيه الجهاز المصرفي الأمريكي وهذا من أسباب الكارثة، وهذا السبب المشار إليه هو سبب كل كارثة أو خسارة مالية تحصل في تجارة الأسهم في أي بلد من بلدان العالم، فهل يعتبر المسلمون في بلادنا ويَدَعوا المقامرة بأموالهم التي تجلب سخط الله عَزَّوَجَلَّ ومحق أموالهم؟

٧- **الكساد الاقتصادي**: وهو نتيجة للأسباب السابقة كلها؛ حيث إن انحسار المال واختفاؤه وقلة السيولة في أيدي الناس ينتج عنه الإحجام عن الشراء وضعف الإنفاق، وهذا بدوره يؤدي إلىٰ كساد المصانع وضعف الإنتاج وتكثر بذلك البطالة والجرائم ومن هنا تبدأ الكوارث المالية والاجتماعية.

⦸ **الوقفة الرابعة: آن لنا أن نعرف قدر الجهاد والمجاهدين:**

لقد خرجت أمريكا من ديارها بطرًا وكبرًا ورئاء الناس وهم يقولون من أشد

منا قوة؟ فاستباحت ديار المسلمين واحتلت أفغانستان والعراق وبشروا بمشروع الشرق الأوسط الكبير، زاعمين أنهم سيجعلون العالم أكثر أمنًا واستقرارًا، فغدا أشد خوفًا ورعبًا وأنهم سيضعونه أكثر رفاهًا فغدا أشد فقرًا.

وكانوا يظنون أن احتلال هذين البلدين سيكون نزهة سريعة يعودون بعدها بالثروات العظيمة من الغاز الطبيعي في أفغانستان وحقول النفط في العراق والخليج، وسيعودون بآلاف المليارات التي تعوض خسائرهم، وهاهم يدخلون في سنتهم الثامنة لغزوهم، وهاهي غطرستهم وقوتهم وكبرياؤهم تتحطم وتنهار علىٰ يد من احتقرتهم في أفغانستان وسخرت منهم في العراق، وأصبح المجاهدون علىٰ ضعفهم وقلة الناصر لهم غصة في حلوقهم تلحقهم الهزائم منهم يومًا بعد يوم، حتىٰ قصمهم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الانهيار المريع انتصارًا منه سبحانه لعباده المؤمنين، فجزىٰ الله المجاهدين عنا وعن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها خير الجزاء، فلقد كانوا سببًا رئيسًا فيما لحق ويلحق بالأمريكان وحلفائهم من الهزائم والانهيارات المتلاحقة والحمد لله.

فهلا قدرنا للمجاهدين حقهم وعرفنا قدرهم وقمنا بنصرهم ودعمهم؟ وحتىٰ لا يأتي آت ويستخف بهذا الكلام أسوق ما ذكره مكتب خدمات البحث بالكونجرس الأمريكي من إحصائيات عن خسائرهم في حرب العراق فقط، وذلك في مجلة الفورن بوليسي «نقلًا عن قناة الجزيرة».

في عام (٢٠٠٣) كانت الخسائر (٩٣٠٠٠) دولار كل دقيقة.

في عام (٢٠٠٤) كانت الخسائر (١١١٠٠٠) دولار كل دقيقة.

في عام (٢٠٠٥) كانت الخسائر (١٦٤٠٠٠) دولار كل دقيقة.

في عام (٢٠٠٦) كانت الخسائر (١٨٨٠٠٠) دولار كل دقيقة.

في عام (٢٠٠٧) كانت الخسائر (٢٤٥٠٠٠) دولار كل دقيقة.

في عام (٢٠٠٨) كانت الخسائر (٣٧١٠٠٠) دولار كل دقيقة.

أي ما يقارب مجموعه (٧٠٠) مليار دولار.

مع أن الخبير الاقتصادي الأمريكي «جوزيف ستيجليتز» قدرها بأكثر من ذلك بكثير حيث أوصلها إلىٰ (٣) ترليون دولار.

أما إحصائيات حربهم المزعومة علىٰ الإرهاب حسب ما جاء في المجلة نفسها فهي كالتالي:

في عام (٢٠٠١) كانت (١٨) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٢) كانت (١٣) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٣) كانت (٥٤) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٤) كانت (٧٤) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٥) كانت (١٠٠) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٦) كانت (١١٦) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٧) كانت (١٦٦) مليار دولار.

في عام (٢٠٠٨) كانت (١٩٥) مليار دولار.

أي ما مجموعه (٧٣٦) مليار دولار.

وقد كانوا يعلمون أن هذه الأموال الهائلة ستؤثر علىٰ هيكلة الاقتصاد الأمريكي كله، وأنه سيكون علىٰ حساب الإنتاج المدني الداخلي، ولكنهم كانوا

يراهنون علىٰ أن احتلال أفغانستان والعراق سيكون سريعًا وسيعوضون خسائرهم بوقت سريع فلم يمهلهم المجاهدون ليستردوا ذلك، وهاهي السنة الثامنة وهم يسيرون من هزيمة إلىٰ هزيمة وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وفضله ثم فضل الجهاد وما قام به المجاهدون الأبطال من مقارعة القوم والإثخان فيهم وردهم علىٰ أعقابهم خائبين؛ وقد كانوا مغرورين بقوتهم ناسين قوة الله عَزَّوَجَلَّ فأنساهم سبحانه وأغفلهم عما يترتب علىٰ حماقاتهم من الكوارث والانهيارات فدفعهم الله عَزَّوَجَلَّ دفعًا إلىٰ نهايتهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال:١٧].

ولقد حق عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

⦸ الوقفة الخامسة:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن الهداية لدين الإسلام وعقيدته وأحكامه الشريفة التي تقوم بها مصالح العباد في الدارين لهي أعظم نعمة ينعم بها الله علىٰ عباده المؤمنين، الأمر الذي ينبغي أن يحمد الله عَزَّوَجَلَّ ويشكر عليها بالقلب واللسان والعمل وأن يفرح به الفرح العظيم الذي يهون عنده أي فرح، وذلك كما أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

[يونس: ٥٧، ٥٨].

وإن مما يعظم قدر هذه النعمة ويشتد الفرح بها رؤية من حُرِمها وهو يتخبط في ظلمات الشرك والظلم والأحكام الظالمة الجاهلة؛ وهاهي الثمار الحنظلية للجاهلية المعاصرة تبدو للعيان، وهاهم أهلها يتخبطون كالممسوس، يخربون بيوتهم بأيديهم ونظمهم المدمرة؛ ومثالًا لذلك ما ظهر فيهم من الأزمات المالية التي من أعظم أسبابها أكلهم للربا الذي حرمه الله عَزَّوَجَلَّ أضعافًا مضاعفة فحصل لهم المحق الذي كتبه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهله ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وهاهم خبراؤهم يصيحون ويحذرون من الربا وينادون بالأخذ بنظام الإسلام المالي، ويرجعون أسباب أزمتهم وسقوط النظام الرأسمالي بسببه؛ والمؤمن لا يحتاج إلىٰ أن يجرب أحكام ربه، بل هو مستسلم لربه عَزَّوَجَلَّ عابد له، يؤقن بأن لا أحسن من حكم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

ولكن هذا الانهيار يزيد إيمان المؤمن ويقوي ضعيف الإيمان وينبه المخدوعين بالغرب ونظمه لعلهم يرجعون.

وهنا مسألة يجدر الإشارة إليها ألا وهي أن الغرب ولو أخذ جدلًا بالنظام الاقتصادي الإسلام في بعض مؤسساته؛ فإن هذا لن يحل أزمته ولن ينقذه من انهياره، ذلك أن الإسلام يعني الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ في كل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ولا ينفع الإنسان أخذه بشيء من الإسلام علاجًا وإنقاذًا لمصلحة له منهارة، وليس انطلاقًا من عبودية لله عَزَّوَجَلَّ وانقيادًا لأحكامه؛ هذا أمر، والأمر

الآخر أن أخذ الغرب أو بعض بنوكنا المحلية بالنظام الإسلامي وإلغاء الربا أمر حسن، لكنه ليس حلًّا لأصل الكارثة، ولن يستفاد من ذلك شيء يذكر، ذلك أن الاقتصاد المعاصر معقد ومتشابك.

فلو سلمنا جدلًا أن أسلمنا اقتصاد المصارف فأين أسلمة القطاعات الكبيرة المرتبطة بدورة المال في البنوك؟ أين أسلمة القطاع الصناعي؟! وأين أسلمة القطاع الزراعي والخدمي وشركات التأمين، والبنوك المركزية ومؤسسات النقد؟! لأن كل هذه القطاعات متورطة بآفة الربا والعقود المحرمة.

لذا يجب أن ننقاد للإسلام كافة، وأن نقدمه للغرب كلًّا لا يتجزأ، بداية من تحقيق التوحيد والعبودية لله عَزَّوَجَلَّ وإبراز أحكامه ونظمه وما فيها من المحاسن العظيمة التي يجب الأخذ بها تعبدًا لله تعالىٰ قبل كل شيء، وليس لحل ورطة وكارثة نازلة، وأن نسعىٰ جاهدين لتوظيف هذا الحدث في بيان شمولية الإسلام وعدله، وأن فيه حلًّا لكل المعضلات والكوارث وليس للجانب الاقتصادي فقط.

● **يقول الأستاذ أسامة عبد الرحيم:** «إن الغرب قد قطع شوطًا في محاولة إقناع المسلمين أو جبرهم عن التحول بعيدًا عن شريعتهم، ومنها الشق الاقتصادي وما دعواته الآن إلا إسفنجة يمتص بها الصدمة ويسري بها قليلًا عن المرابين المكلومين من بني الأصفر.

فهل سنطالبهم بتطبيق أحكام الشريعة وهم غير مؤمنين بها، ونتوقع أن يتحاكموا إليها فيما شجر بينهم وهم محادِّين لها، يلزمنا أن نحملهم أولًا علىٰ الإيمان بتلك الشريعة وتعظيم أحكامها، الذي هو تعظيم لمن نزلها وهو الله

سبحانه وتعظيم من أنزلت عليه وهو الرسول ﷺ، وتعظيم للكتاب الذي نزل بأحكامها وهو القرآن الكريم.

ولربما غاب عن أذهان البعض أن الذي دفع بأبنائه الأمريكان في أتون محرقة دموية في العراق وأفغانستان، أكلت أكثر مما أكلت عاصفة الرهن العقاري، وأنفق البلايين علىٰ التنصير في عقر دار الإسلام، وصنف النظريات الوضعية وسكبها ترغيبًا وترهيبًا في عقول نخبة المتغربين، ويؤازر أنظمة حكم فاسدة ومستبدة، لن يطبق شيئًا من شريعتنا، لأن هذا ببساطة انتصار للإسلام بغير حرب، وفتح لقلوب الملايين من أبناء أوربا لدين الله، ولن يرضىٰ بذلك اليهود ولا النصارىٰ حتىٰ نتبع ملتهم»[1].

⦸ الوقفة السادسة: وتصدعت قبلة الليبراليين:

وأعني بالليبراليين أولئك المنادين بالليبرالية في بلدان المسلمين بأنواعها الأربعة الليبرالية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والليبرالية الفردية، والتي كلٌّ منها يقوم علىٰ الحرية المطلقة دون أن يقيدها شرع أو غيره.

والكلام علىٰ هذه الصور من الليبرالية لها مقام آخر، أما الذي يهمنا هنا فهو الليبرالية الاقتصادية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي المتوحش والتي تقول: «اكسب من أي شيء شئت وأنفق حيث شئت» أو بعبارتهم المشهورة: **دعه يعمل دعه يمر**».

● وهاهي الآن تترنح وتتهاوىٰ وبسقوطها ينتهي عصر القطب الواحد أمريكا وتسقط قوته وهيمنته، وبسقوطها يسقط إن شاء الله دعاة الليبرالية

---

(١) انظر: «موقع لواء الإسلام».

والمجموعات التغريبية في البلاد العربية الإسلامية، والتي ربطت مصيرها بمصير أمريكا، وتطاولت علىٰ الثوابت الإسلامية والاجتماعية؛ وظنت أن الهيمنة الأمريكية فرصة سانحة لتغيير عقائد الناس وأخلاقهم وقيمهم ولو بالقوة، والاعتماد علىٰ الضغوط الأمريكية علىٰ الحكومات العربية الضعيفة في فرض أنماط التغريب علىٰ المجتمع من خلال قرارات سيادية في المجتمع الإسلامي، مثل إلغاء التحاكم إلىٰ الشريعة الإسلامية وإلغاء الولاء والبراء وتغريب المرأة، وتغيير المناهج، ومحاصرة العمل الخيري وغير ذلك.

● **وهاهو أحد المغرمين بحب أمريكا يتباكىٰ علىٰ ما أصابها ويدافع عنها ويرىٰ أن وجودها ضمانة حقيقية للأمن العالمي: يقول محمد المحمود في جريدة الرياض العدد (١٤٧٣١) وتاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٤٢٩هـ):** «صحيح أن تراجع الاقتصاد الأمريكي قد يؤدي إلىٰ ضمور النفوذ الأمريكي، وعدم قدرته علىٰ الفعل الحاسم خارج حدود أمريكا، قد يحدث هذا أو شيء من هذا القبيل، فيما لو حدث كساد حاد، لكن هذا ليس في صالح أي من دول العالم التي تريد أن تعيش في سلام، فأمريكا رغم كل شيء ورغم كل الأخطاء، هي في النهاية قوة وإيجابية، وضمانة حقيقة للأمن العالمي، وبدونها قد ينهار نظام الأمن في العالم فلا تستطيع الدول -باستثناء دولتين أو ثلاث- أن تضمن حدودها، ولا أن تحمي نفسها مما يشبه شريعة الغاب.

ما لا يريد أن يعترف به التقليديون والغوغائيون أن أمريكا هي أقل الإمبراطوريات عبر التاريخ إضرارًا بالآخرين، وأن أخطاءها -رغم كل ما يقال- أقل بكثير من أخطاء الآخرين، بل إن العائد الإيجابي الأممي للقوة الأمريكية، يفوق كل ما قدمته الإمبراطوريات عبر التاريخ البشري كله، وهي حقائق يعرفها

الجميع، ومع هذا يحنق عليها الجميع؛ لأن ضريبة النجاح والتفوق تفرض مثل هذا السلوك وخاصة من قبل أولئك الفاشلين الذين لا يملكون إلا جذوة الحسد السلبي الذي نراه منهم في عبارات الشماتة الجوفاء». فالحمد لله علىٰ العافية!

⊘ الوقفة السابعة: هل يفرح المسلم بما أصاب الأمريكان وحلفاءهم من الانهيارات؟

لم أكن لأدرج هذه الوقفة من ضمن هذه الوقفات لولا أن سمعت هذا السؤال طرح في أحد المجالس، بل لقد رأيت مقالة لأحد الكتاب ينتقد فيها الفَرِحين من المسلمين بهذه الكوارث التي تحل بالأعداء!

وهذا أمر مستغرب مستنكر! إذ كيف لا يفرح المسلم بالانهيار الاقتصادي والذي يتلوه الانهيار العسكري والسياسي إن شاء الله تعالىٰ لدولة الكفر والطغيان أمريكا، والتي ما فتئت تسوم المسلمين سوء العذاب! تحتل ديارهم وتفسد دينهم وأخلاقهم وأعراضهم، وتعذب وتقتل أبناءهم وتفسد اقتصادهم وتمنع مؤسساتهم الخيرية، وما تركت ضرورة من الضروريات الخمس في هذا الدين إلا وألحقت به الفساد؟ كيف لا نفرح بهزيمتها وانهيارها وكف شرها وهذه فعائلها؟!

ألم يكن المسلمون في بلاء ومحنة عظيمة بسببها؟ ألم يكونوا يدعون عليها في الليل والنهار بالدمار والانهيار؟!

إذن؛ لماذا لما انتصر الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المستضعفين وسلط عليها الكوارث صار بعضنا في حرج من فرحه بانهيار الطغيان؟ ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ عن انتصار الروم علىٰ الفرس في العهد النبوي وهما أمتان كافرتان: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٤، ٥]؛



وذلك لأن ضرر الروم أهون علىٰ المسلمين من ضرر الفرس.

وقد يقول قائل: إن الضرر من هذا الانهيار سيلحق بعض المسلمين وبعض مؤسساتهم المالية التي يستثمرون فيها أموالهم لدىٰ الغرب!

وهنا نقول: إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وما يصيب المسلمين في أموالهم المودعة أو المستثمرة في الخارج إنما هو جزاءٌ وفاقٌ علىٰ دعمهم لاقتصاد الغرب في ديارهم وعلىٰ أخذهم الربا أو إعطائه للبنوك الغربية في التعاملات المالية، ويقدر المال السعودي المستثمر في الغرب بما قيمته (١٥٠٠) مليار دولار!

وسيصل شؤم الربا إلىٰ كل مصرف ومستثمر يتعامل بالربا في كل بلد، أما المسلم السالم من هذه اللوثات فهو أقل الناس تضررًا إن تضرر.

● **والمقصود**: أن المصالح العظيمة التي يجنيها المسلمون من سقوط أمريكا وحلفائها من الثقل والكثرة بحيث ترجح وبشدة بما ينال المسلمين فيها من الأضرار، هذا إذا اتعظ المسلمون من هذا الحدث، ورجعوا إلىٰ ربهم وتركوا أسباب سخطه، أما أن استمروا علىٰ أحوالهم وتمادوا في عصيانهم؛ فإن هذا هو الأمر المخيف والمحزن والذي لا يفرح به أي مسلم.

وهذا هو الذي أبكىٰ أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يرىٰ سقوط قبرص في أيدي المسلمين وأسر من فيها من الكفار؛ وقد ظن من رآه يبكي أنه يبكي حزنًا علىٰ الكافرين وسقوطهم وهزيمتهم ولكنه بين سبب بكائه بأنه يخاف أن يحل بالمسلمين ما حل بهؤلاء الكفار إن هم عصوا ربهم.

عن جبير بن نفير قال: «لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكىٰ بعضهم إلىٰ

بعض ورأيت أبا الدرداء وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق علىٰ الله إذا هم تركوا أمره... بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك فتركوا أمر الله فصاروا إلىٰ ما ترىٰ».

⊘ الوقفة الثامنة: وصايا متفرقة:

❍ الوصية الأولىٰ:

إلىٰ عامة المسلمين بأن يتعظوا من نزول هذه الكوارث بالكفار بسبب كفرهم وظلمهم وأكلهم الربا أضعافًا مضاعفة؛ والله عَزَّوَجَلَّ ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب إلا طاعته وهو سبحانه لا يحابي أحدًا في سننه.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ ﴾ [القمر: ٥١].

فلعل مثل هذه الأزمات أن ترد المسلمين إلىٰ دينهم الذي هو كله خير ومصلحة للعباد في الدارين؛ فإن أرجعتهم هذه الأحداث إلىٰ ربهم فتركوا معاصيه وأطاعوه وتركوا ظلم العباد في أموالهم وتركوا ما هم عليه من لهو ومجون؛ فإن هذه الأحداث تعد خيرًا للمسلمين وإن لم يتعظوا بما حل بغيرهم؛ فإن هذا نذير شر وسوء عاقبة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل:١١٢].

ومر بنا آنفًا قول أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما أهون الخلق علىٰ الله إذا هم تركوا أمره».

❍ الوصية الثانية: إلىٰ تجار المسلمين وأصحاب البنوك والمؤسسات

المالية المتعاملين بالربا:

نذكرهم بموعظة الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥] فهذه موعظة الله عَزَّوَجَلَّ العليم بمصالح خلقه وما يضرهم؛ والواجب علىٰ المسلم أن يستسلم لأمر ربه عَزَّوَجَلَّ ويقبل موعظته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمجرد الأمر والنهي، فكيف وقد ظهرت عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ في أكلة الربا في هذا الانهيار المريع، إنه لا عذر للمتورطين في الربا سواء كانوا أفرادًا أو بنوكًا أو مؤسسات استثمارية بعد هذه الانهيارات التي هي مصداق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

ومن لم يتب ويقلع عن تعاطيه الربا بعد هذه النذر فلا ندري متىٰ سيتوب؟ إنه يخشىٰ علىٰ من هذه حاله أن يدخل تحت قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٣-٤٥] وما بعدها.

❍ **الوصية الثالثة: إلىٰ المفتين في فقه المعاملات المالية:**

وأكتفي في هذه الوصية بما أوصىٰ به الأستاذ هيثم حداد - وفقه الله تعالىٰ- هؤلاء المفتين في مقاله النفيس «أزمة المال دعوة لمراجعة منهجنا الفقهي» اقتطف

منه بعض المقتطفات بشيء من التصرف وإعادة الترتيب، يقول حفظه الله تعالىٰ:

«يكاد يجمع أولئك الغربيون الكفار الذين تكلموا عن الأزمة أن أهم أسبابها هو ما يعرف عند الاقتصاديين بصناعة المال Creation of money أي صناعة مال وهمي، وهذا هو أسس النظام الاقتصادي الربوي الحالي الذي يمسك بزمامه البنوك، بل إن تاريخ إنشاء البنوك -كما هو معروف- يرجع إلىٰ هذه الفكرة التي يقوم البنك من خلالها بإقراض أموال تفوق ما يملك حقيقة بشكل كبير جدًّا.

وتأمل أخي القارئ في تاريخ جميع الهزات أو الكوارث الاقتصادية التي ضربت بقاع شتىٰ من العالم، تجدها ترجع إلىٰ هذا السبب مع السبب الآخر؛ الربا، بل إن الضربات التي تلقتها أسواق المال -في العالم الإسلامي- بدءًا من سوق المناخ الكويتي إلىٰ أسواق أسهم السعودية ترجع إلىٰ هذا السبب...

ومما زاد المأساة عمقًا أن اتجاه عدد من المشايخ وطلبة العلم -لاسيما بعد أحداث سبتمبر- هو اتجاه التسويغ والإباحة، وحشد الأدلة لذلك أو محاولة الالتفاف عليها بالتقاط ما يناسبهم من أقوال الفقهاء والتلفيق بينها، وتكرس هذا النهج عند كثير من المشتغلين في فقه المعاملات المالية، بل ربما ارتفعت أصوات بعضهم في النكير علىٰ من استصحب الكليات الاقتصادية، والكليات المقاصدية في باب المعاملات المالية، عند الحديث عن آحاد المسائل التجارية، والاقتصادية، والمالية، فكان ينظر بتوجس لهذه الأدوات المالية الحديثة، وينظر بتوجس أكبر تجاه تطبيقات ما يسمىٰ بالبنوك الإسلامية لها...

وكل مهتم بشأن الاقتصاد الإسلامي يدرك أنه ثمة اتهامات كثيرة توجه إلىٰ الاقتصاد الإسلامي، حتىٰ أن البعض يتهمه بأنه حيلة وخداع.

وبعيدًا عن هذا الجدل، إلا أننا نقر بأن كثيرًا من القطاعات المصرفية الإسلامية ليس لها من الاقتصاد الإسلامي إلا الصور الشكلية أو الأسماء المنحوتة، بدءًا من الاقتصاد الإسلامي، وانتهاء بأسماء المنتجات الأخرىٰ؛ أما المضمون والمحتوىٰ فإنه بعيد كل البعد عن روعة وجلال هذا النظام الرباني الفريد.

لكن السؤال الأهم هو من الذي: «غلف» تلك المنتجات غير الإسلامية، بغلاف إسلامي، ومن الذي سوغ ذلك؟ لا شك أن كل منتج إسلامي لا يكتسب هذا الاسم إلا إذا تترس خلف بعض: «أسماء العلماء» أو الأسماء العلمية المعروفة علىٰ الساحة الاقتصادية الإسلامية، فهي التي أصدرت تلك الفتاوىٰ التي تنص علىٰ مطابقة هذا المنتج أو ذلك للشريعة الإسلامية، وهذه الثلة من العلماء اتبعت نهجًا علميًّا في تناول أحكام هذه المعاملات أدىٰ إلىٰ بروز هذا الخديج، والذي سمي إسلاميًّا.

ولا يتسع المجال لبيان معالم هذا النهج، لكن من أهم أسسه التنقيب عمن قال بالجواز، تلفيق الأقوال، النظر إلىٰ جزئيات المسائل دون كليات المسألة، سيطرة الرغبة في الإباحة خوفًا من الاتهام بالتشدد، محاكاة النظم والمنتجات الغربية وهكذا، وأهم مثال علىٰ هذا هو تساهل كثير من العلماء وبالتالي المنتجون لأدوات الاستثمار أو الإقراض الإسلامية في مسألة القبض الحقيقي.

فالمرابحة -والتي لا يكاد يخلو منها منتج أو معاملة إسلامية- أصبحت صورية، شكلية تخلو من أي قبض حقيقي، زعمًا بأن بعض أقوال المذاهب توسعت في مسألة القبض، ومعاملات الأسهم جلها يعتمد علىٰ تجاوز قضية القبض، مع أن جل هؤلاء الشرعيين يصنفون الأسهم علىٰ أنها جزء مشاع من

الشركة، ولا أظن أحدًا من إخواننا المتجرين بالأسهم يظن أنه قد امتلك يومًا من الأيام جزءًا من الأصول الثابتة لشركة ما...

إن التقابض مع أهميته هذه فقد بدأ كثير من المشتغلين بالاقتصاد الإسلامي والإفتاء التساهل في مراعاة أحكامه؛ وتشريعه معجزة ربانية...

والاقتصاديون الإسلاميون استحوذ علىٰ تفكير الكثير منهم العمل علىٰ إثبات إباحة بعض المعاملات الاقتصادية، وحشد الأدلة الفقهية والأصولية لجواز التعامل بالأسهم مثلًا، والبعض الآخر مشغول بتقسيم الأسهم إلىٰ نظيفة ومختلطة ومحرمة، وقليل منهم مشتغل بنقد النظام المالي الحالي، ومَن هو مشتغل منه بذلك فإنه عاجز عن إيجاد رؤية اقتصادية سياسية تستثمر هذا النظام المهترئ الذي هو عرضة للسقوط في بعث الروح في النظام الاقتصادي الإسلامي، فضلًا عن المساهمة في إيجاد رؤية إستراتيجية لإصلاح أحوال هذه الأمة المنكوبة.

كنت أتمنىٰ أن يعي بعض الإخوة من طلبة العلم والمشايخ أن الأمر أكبر من مجرد إباحة إجراء في معاملة أو إباحة المعاملة نفسها؛ لأن فريقًا من الفقهاء قال بها، وأنها تساهم في التخفيف عن الناس، وكم أتمنىٰ أن تكون هذه الكارثة الاقتصادية، تنبيهًا لجميع المشتغلين بالاقتصاد الإسلامي بما فيهم طلبة العلم والمشايخ علىٰ أن الوقت قد حان لتحرير عقولنا أولًا من هذا النهج، والميل إلىٰ الصرامة في اتباع أوامر الحكيم الخبير، لاسيما في مثل هذه القضايا التي تمس عموم الخلق..

هل تكون هذه الأزمة مفتاحًا لتغيير حقيقي في تناولنا لأحكام الشريعة الإسلامية، نسأل الله ذلك»[1].

---

(١) عن موقع المسلم في (١٨/ ١٠/ ٢٩هـ).

❍ **الوصية الرابعة: إلىٰ دعاة الأمة ومجاهديها:**

أُجمل هذه الوصايا في النقاط التالية:

⇦ إن المستقبل لدين الإسلام بإذن الله تعالىٰ، وما هذا الانهيار الذي حل بالكفار المعتدين وظهور رايات الجهاد في أكثر من بلد إلا من بشائر الظهور لهذا الدين وأهله، ولكن بشرط أن يكون الدعاة والمجاهدون علىٰ مستوىٰ هذه الغاية الشريفة في صحة الفهم والاعتقاد، وحسن القصد وصفاء النيات ووحدة الصف ونبذ الفرقة والاختلاف والاستعانة بالله وحده مع الأخذ بالأسباب؛ لذا يجب أن نحاسب أنفسنا ونكمل ما نقصها من شروط النصر والتمكين، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يظهر دينه ويمكن لأوليائه علىٰ أنقاض الإمبراطورية الأمريكية التي بدت علامات انهيارها.

وعلىٰ الدعاة أن يبثوا هذا الأمل في الأمة ويحيوها من سباتها ويأسها، ومن الغريب ما يتردد علىٰ لسان كثير من المفكرين والمحللين السياسيين من السؤال عمن سيخلف القطب الأمريكي بعد انهياره فبعضهم -ومنهم بعض الإسلاميين- يرىٰ أن الصين هي المرشحة لذلك وبعضهم يرىٰ الهند وبعضهم يرىٰ عودة الروس إلىٰ قوتهم، ولم نر من قال إن المرشح هو الإسلام ودولته السنية، وما ذاك إلا من الهزيمة النفسية، التي تراكمت علىٰ كثير من المسلمين حتىٰ وصلت بهم إلىٰ حالة من اليأس والإحباط.

وهنا يأتي دور الدعاة والمجاهدين في إحياء الأمة وتغيير هذه النفسية وبث الأمل والعزة فيها نظريًّا بالكتابة والدرس والخطابة والتربية العلمية علىٰ ذلك؛ وعمليًّا بالدعوة والتضحيات وتكاتف جهود الدعاة والمجاهدين في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ونصرًا ودعمًا للمجاهدين في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

⇦ توظيف هذه الأزمات المالية في نصح الأمة وبيان عظمة هذا الدين وأحكامه الشرعية ومن ذلك تحريم الربا ووعظها في ترك ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ، ولاسيما في مجال المال والاقتصاد، والاتعاظ بما حل بالكفرة المرابين، وبما حل بأهل المقامرة في الأموال الوهمية المتاجرين بالأسهم التي ليس لها غطاء حقيقي من المال أو ينقصها التقابض الشرعي الذي هو من شروط البيع والشراء.

⇦ تقوية عبادة التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في قلوب الناس، ولاسيما في أجواء هذه الكوارث المالية التي غالبًا ما يصاحبها الهلع والخوف علىٰ الرزق والمستقبل مما يدفع بكثير من الناس إلىٰ التعلق الشديد بالأسباب ونسيان مسببها عَزَّوَجَلَّ.

وهنا يأتي دور الدعاة وأهل العلم في تطمين الأمة وربطها بالخالق الرازق الرحيم اللطيف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإحسان الظن به عَزَّوَجَلَّ، وأنه هو الغني الحميد الضامن لرزق عباده، وهو مسبب الأسباب إن شاء نفع بها إن لم يشأ لم تنفع.

ومن إحسان الظن به سبحانه: الاطمئنان إلىٰ أن عاقبة هذه الأزمات ستكون خيرًا وعزة للإسلام والمسلمين إن شاء الله تعالىٰ، ولو ظهر ما ظهر فيها من بعض الأضرار التي تلحق ببعض المسلمين المتورطين في الربا تكفيرًا لهم وموعظة لهم ولغيرهم.

⇦ الاهتمام والعناية بتربية النفس وتقوية الصلة بالله عَزَّوَجَلَّ والتواصي علىٰ ذلك، ولاسيما في مثل هذه الأوقات التي تنتشر فيها الكوارث والفتن ويكثر فيها المتساقطون فكريًّا أو سلوكيًّا؛ فكان لزامًا علىٰ المهتمين بالدعوة وتربية النشء أن يُعْنَوا بأنفسهم وبمن معهم من إخوانهم علمًا وعملًا وحالًا

وأن يكونوا علىٰ حذر ويقظة من أهل الزيغ والتضليل والتلبيس الذين يظهرون عادة زمن الفتن فيقع في حبائلهم ضعيف العلم والتربية فتزل به القدم أو يضل به الفهم.

وأنبه نفسي وإخواني إلىٰ أعظم سلاح نواجه به الفتن والكوارث والنوازل ألا وهو دعاء الله عَزَّوَجَلَّ والتضرع بين يديه بصدق وإخلاص وسؤاله الهداية إلىٰ الحق والثبات عليه، والله عَزَّوَجَلَّ لا يرد من دعاه ولا يخيب من رجاه بصدق.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.

اللهم اجعل عاقبة ما نزل بالكافرين من الكوارث تدميرًا لهم، وللمسلمين خيرًا ونصرًا.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(١٤)

المغالطة
بمصطلح «الإنسانية» في حوار الأديان[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

وبعد:

فمع ما في المصطلحات من فائدة كبيرة في كونها وسائل للتفاهم بأقصر طريق وأوضح دلالة وأقل مجهود ما دامت مقيدة بالكتاب والسنة، كما رأينا ذلك عند علماء الأصول والأحكام إلا أنها ظُلمت عند قوم تلاعبوا بها ووظَّفوها اليوم في التلبيس علىٰ الناس وإضلالهم فشوهوا بها الحق وزينوا بها الباطل.

يصف هذا التلاعب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «إن ظلم الكلمات بتغيير دلالتها كظلم الأحياء بتشويه خلقتهم، كلاهما منكر، وكلاهما قبيح، وإن هذا النوع من الظلم يزيد علىٰ القبح بأنه تزوير للحقيقة، وتغليط للتاريخ وتضليل للسامعين، ويا ويلنا حين نغتر بهذه الأسماء الخاطئة، ويا ويح

---

(١) نشر بتاريخ (١٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ) ومناسبته: استخدام مصطلح الإنسانية في حوار الأديان لمواجهة عقيدة الولاء والبراء وجهاد الكفار.



تاريخنا إذا بني علىٰ هذه المقدمات الكاذبة»[١].

والمصطلحات إذا لم تحرر ولم تضبط فإنها تؤدي إلىٰ انحراف في الفهم والإفهام «والمصطلحات» من أشد العناصر الثقافية أثرًا وفتكًا في ثقافات الشعوب؛ ومع أن «المصطلح» لا يتجاوز كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا ولا تتعدىٰ ذلك إلا نادرًا، إلا أن هذه الكلمة قادرة علىٰ أن تفرغ العقول والقلوب وتملأها.

والمصطلح باختصار هو «حبة» أو «جرعة» سحرية، يتناولها فرد أو جماعة؛ فتحول اتجاه تفكيره أو تفكيرهم من جهة إلىٰ جهة إن لم تفقده التفكير أصلًا.

ومن هنا تأتي ضرورة إلمام المسلم بميزان الكتاب والسنة المبرَّأ من الخلل والشطط لأنه هو الذي يؤهله ليكون أبعد الناس عن الانسياق وراء الشعارات والمصطلحات المضللة مهما كان بريقها ومهما كان مكر الأعداء في التلاعب بها وعرضها في قوالب مزخرفة.

وفي واقعنا المعاصر يظهر لنا خبث أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين، وذلك في التلاعب بالمصطلحات والتلبيس علىٰ الناس بها واستخدموا في ذلك وسائل الإعلام المختلفة التي يتحكمون بها، والتي ما تفتأ تبدئ وتعيد في طرح المصطلحات الغامضة والتلاعب بها في إضلال الناس وغسل أدمغتهم وجعلها مع الوقت والتكرار أمرًا مسلَّمًا ومقبولًا لا يحتمل النقاش.

ومن هذه المصطلحات المضللة مصطلح «الإنسانية» والذي يكثر طرحه

---

(١) «مجلة البيان» العدد (١٤٠) (ص١١٢).

هذه الأيام والدعوة إليه في حوار الأديان والحضارات!

فما حقيقة هذه الدعوة المضللة، وما أهدافها؟ لقد كتب الأستاذ محمد قطب حفظه الله تعالىٰ[١]، ومنذ ما يزيد علىٰ العقدين من الزمن عن هذه النحلة وكأنه يتحدث عن واقعنا المعاصر أنقل منها بعض المقتطفات لتتضح حقيقة هذه الدعوة:

يقول وفقه الله تعالىٰ[٢]: «الإنسانية -أو العالمية كما يدعونها أحيانًا- دعوىٰ براقة، تظهر بين الحين والحين، ثم تختفي لتعود من جديد! يا أخي! كن إنساني النزعة... وجه قلبك ومشاعرك للإنسانية جمعاء... دع الدين جانبًا فهو أمر شخصي... علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب... لكن لا تجعلها تشكل مشاعرك وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين... فإنه لا ينبغي للدين أن يفرق بين البشر... بين الإخوة في الإنسانية! تعال نصنع الخير لكل البشرية غير ناظرين إلىٰ جنس أو لون أو وطن أو دين! دعوىٰ براقة كما ترىٰ... يخيل إليك حين تستمع إليها أنها تدعوك للارتفاع فوق كل الحواجز التي تفرق بين البشر علىٰ وجه الأرض؛ تدعوك لترفرف في عالم النور... تدعوك لتكون كبير القلب، واسع الأفق، كريم المشاعر... تنظر بعين إنسانية وتفكر بفكر عالمي، وتعطي من نفسك الرحبة لكل البشر علىٰ السواء، بدافع الحب الإنساني الكبير!

إن أناسًا قد يخدعون بدعوىٰ الإنسانية لما فيها من بريق، فيؤمنون بها أو

---

(١) رحمه الله تعالىٰ.

(٢) رحمه الله تعالىٰ.

يدعون إليها غافلين عن الحقيقة التي تنطوي عليها؛ وقد لا يصدقون أصلًا أنها دعوىٰ إلىٰ التحلل من الدين يبثها الشياطين في الأرض لأمر يراد.

فلنصدق -مؤقتًا- أنها دعوىٰ مخلصة للارتفاع بالإنسان عن كل عصبية تلون فكره أو سلوكه أو مشاعره، ليلتقي بالإنسانية كلها لقاء الصديق المخلص الذي يحب الخير للجميع..

فلنصدق ذلك في عالم الأحلام... فما رصيد هذه الدعوىٰ في عالم الواقع؟!

ما رصيدها في العالم الذي تجتاحه القوميات من جانب، والعصبيات العرقية والدينية والسياسية والاجتماعية من كل جانب؟!

فلنأخذ مثالًا واحدًا من العالم المعاصر... من المعاملة التي يلقاها المسلمون في كل مكان في الأرض يقعون فيه في حوزة غير المسلمين، أو في دائرة نفوذهم من قريب أو من بعيد..

فلننظر إلىٰ: «الإنسانية» التي يعامَلون بها و«السماحة» التي يقابَلون بها، و«سعة الصدر» و«حب الخير» الذي ينهال عليهم من كل مكان!

هذه فلسطين ظلت أربعة عشر قرنًا من الزمان أرضًا إسلامية... ثم جاء اليهود ليقيموا عليها دولة يهودية... ولم يستنكر أحد من: «الإنسانيين» طرد السكان الأصليين وإجلاءهم عن أرضهم بالقنابل والمدافع، بل بشق بطون الحوامل والتلهي بالتراهن علىٰ نوع الجنين كما فعلت العصابات اليهودية التي كان رأس إحداهما مناحم بيجن... وإنما استنكرت من المسلمين أن يطالبوا بأرضهم، وألا يخلوها عن طيب خاطر للغاصبين!

ويطول الأمر بنا لو رحنا نستعرض أحوال المسلمين الواقعين في غير قبضة المسلمين، أو الذين يتعرضون لعدوان غير المسلمين في كل مكان في الأرض... في روسيا الشيوعية التي قتلت ما يقرب من أربعة ملايين من المسلمين، وفي يوغسلافيا التي قتلت ثلاثة أرباع مليون منهم، وفي أفغانستان التي تستخدم فيها الأسلحة المحرمة: «دوليًّا» و«قانونيًّا» و«إنسانيًّا»! ومثل ذلك في العراق والصومال، ووفي أوغندا، وفي تنزانيا، وفي... وفي... وفي... وفي..

فما بال: «الإنسانيين» ما بالهم لا يتحركون؟! ما بالهم لا يصرخون في وجه الظلم الكافر الذي لا قلب له ولا ضمير؟!

إنما توجه دعوىٰ: «الإنسانية» فقط ضد أصحاب الدين!

فمن كان متمسكًا بدينه فهو: «المتعصب». «ضيق الأفق» الذي يفرق بين البشر علىٰ أساس الدين، ولا يتسع قلبه: «للإنسانية» فيتعامل معها بلا حواجز في القلب أو في الفكر أو في السلوك!

أو قُلْ -علىٰ وجه التحديد- إن الذين يحارَبون اليوم بدعوىٰ: «الإنسانية» هم المسلمون!

يحاربون بها من طريقين، أو من أجل هدفين:

- **الهدف الأول:** هو إزالة استعلاء المسلم الحق بإيمانه الناشئ من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض، وهدم عقيدة الولاء والبراء، لكي تنبهم شخصيته وتتميع.
- **والهدف الثاني:** هو إزالة روح الجهاد من قلبه... ليطمئن الأعداء ويستريحوا!

فباسم الإنسانية يقال للمسلم الحق: يا أخي لا تعتزل الناس! إن الإنسانية كلها أسرة واحدة، فتعامل مع الأسرة كفرد منها، ولا تميز نفسك عنها! وشارك في النشاط: «الإنساني» ومظاهر الحضارة الإنسانية... تلك هي القضية! إن تمسك المسلم بإسلامه شيء يغيظ الأعداء الإسلام بصورة جنونية... ولا يهدأ لهم بال حتىٰ يُذْهِبوا عنه ذلك التمسك ويميعوه.

ومن وسائل ذلك كما أسلفنا: دعوىٰ الإنسانية والعالمية فإذا تميع بالفعل، ولم تعد له سمته المميزة له، احتقروه كما احتقرت أوربا الأتراك بعد أن أزال أتاتورك إسلامهم و«فَرْنَجهم» و«غربهم»! بينما يقول أحد المبشرين في كتاب: «الغارة في العالم الإسلامي» إن أوربا كانت تفزع من: «الرجل المريض» «وهو مريض» لأن وراءه ثلاثمائة مليون من البشر مستعدون أن يقاتلوا بإشارة من يده، وهذا النص الأخير يدخل بنا إلىٰ النقطة الثانية أو الهدف الثاني من استخدام دعوىٰ: «الإنسانية» في محاربة المسلمين.

إن أشد ما يخشاه أعداء الإسلام من الإسلام هو روح الجهاد الكامنة فيه!

«ودعوىٰ الإنسانية» من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهاد عند المسلمين.

يا أخي! لقد تغيرت الدنيا! لا تتكلم عن الجهاد! أو إن كنت لابد فاعلًا فتكلم عن الجهاد الدفاعي فحسب! ولا تتكلم عنه إلا في أضيق الحدود! فهذا الذي يتناسب اليوم مع: «الإنسانية المتحضرة»! لقد كانت للجهاد ظروف تاريخية وانقضت! أما اليوم فقد أصبحت الإنسانية أسرة واحدة! وهناك قانون دولي

وهيئات دولية تنظر في حقك وتحل قضاياك بالطرق: «الدبلوماسية»! فإذا فشلت تلك الهيئات في رد حقك المغتصب فعندئذ لك أن تقاتل دون حقك ولكن لا تسمه جهادًا!... فالجهاد قد مضىٰ وقته! وإنما سمه دفاعًا عن حقوقك المشروعة!

أما نشر الدعوة فإياك أن تتحدث فيه عن الجهاد! هناك اليوم وسائل: «إنسانية» لنشر الدعوة فاسلكها إن شئت... هناك الكتاب والمذياع والتلفاز والمحاضر والدروس... إياك أن تتحدث عن الجهاد فتكون مضغة في أفواه المتحضرين!

إن الإسلام صريح في توجيه أتباعه إلىٰ التميز عن أحوال الجاهلية، التميز بنظافة السمت ونظافة الأخلاق ونظافة السلوك، والاستعلاء بالإيمان علىٰ كل مصدر ليس إسلاميا أو متعارض مع الإسلام، حتىٰ لو لحقت بهم هزيمة مؤقتة أو ضعف طارئ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

[آل عمران: ١٣٩].

- ومصدر التميز هو الإحساس بأنهم علىٰ الهدىٰ وغيرهم علىٰ الضلال، وأن المنهج الذي يعيشون به هو المنهج الأعلىٰ لأنه المنهج الرباني، والذي يعيش عليه غيرهم هو المنهج الأدنىٰ لأنه منهج جاهلي؛ فهو ليس تميزًا مبنيًّا علىٰ الجنس ولا اللون ولا الجاه ولا الغنىٰ ولا القوة ولا أي معنىٰ من المعاني الأرضية التي تعتز بها الجاهلية وتستعلي بها علىٰ الناس؛ إنما التميز المستمَد من معرفة المنهج الرباني واتباعه».اهـ. «مذاهب فكرية معاصرة» (ص٥١٠-٥٢٤) باختصار



وتصرف يسير.

ومن شبه الداعين إلىٰ الإنسانية كهدف لحوار والحضارات قولهم: إن حوار المسلمين مع أهل الديانات الأخرىٰ ليس حوار عقائد، وإنما هو حوار علىٰ القواسم المشتركة المتفق عليها بين الجميع، كخلق التسامح والعدل ومحاربة الظلم ونشر السلام والقيم الفاضلة؛ **ولا يخفىٰ ما في هذا الكلام من غباء ومغالطة ومخالفة لبدهيات العقل والشريعة.**

أي عدل وأي أخلاق فاضلة يُطمع فيها من الكفار الذين كفروا بربهم؟! فهم بين ملحد دهري أو مشرك مؤمن بعقيدة التثليث وتأليه عيسىٰ عليه السلام.

أي عدل وخلق يطلب من الكفار الصليبيين الذين قتلوا الملايين من المسلمين وشردوهم وسجنوهم وحاصروا بلدانهم حتىٰ مات مليون طفل من حصارهم في العراق وغزة وغيرهما؟!

- إن من كفر بالله عز وجل قد وقع في الظلم الأعظم، وعليه فلا يُتَوقع ممن هذه حاله، إلا الظلم والأخلاق الرذيلة والاستبداد والطغيان، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال: ١٧]. والواقع شاهد بذلك.

- **إن من يرجو سلامًا أو عدلًا أو أخلاقًا طيبة من الكفار كمن يستنبت بذورًا في الهواء أو يحرث في البحر.**

- إنه لا شيء يضبط السلوك الإنساني ويزكي النفوس ويأطرها علىٰ محاسن الأخلاق وترك سيئها غير توحيد الله عز وجل، والخوف منه

سبحانه، ورجاء ثوابه، ومراقبته في السر والعلن، والشعور باطلاعه عَزَّوَجَلَّ علىٰ خفايا القلوب ومنحنيات الدروب.

- وهذا كله لا يأتي إلا بالتربية علىٰ التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته ومقتضياتها والتعبد له سبحانه بها مما يكون له الأثر في ظهور آثارها علىٰ أخلاق الناس وسلوكياتهم، وإذا لم يوجد هذا الشعور وهذه التربية علىٰ العقيدة فإنه لا تنفع أي محاولة مهما كانت في تهذيب سلوك الناس، مهما وضع من النظم والقوانين والعقوبات، فغاية ما فيها ضبط سلوك الفرد أمام الناس والقانون، فإذا غاب عن أعينهم ضاعت الأخلاق واضطربت القيم.

- وهذا هو الفرق في علاج انحراف النفس البشرية والمجتمع الإنساني بين منهج الله عَزَّوَجَلَّ القائم علىٰ تربية الناس علىٰ العقيدة وبين المناهج الجاهلية البعيدة عن منهج الله عَزَّوَجَلَّ.

إن عقيدة التوحيد هي الأصل في إصلاح النفوس والأخلاق، وبدونها تفسد الأخلاق والقيم، ولو صلحت بعض الأخلاق، بدوافع أخرىٰ غير العقيدة؛ كالعادات ورقابة القانون أو المصالح النفعية، فإنها لا تدوم بل تزول بزوال المصلحة أو الرقيب.

ويحسن بنا في هذه الوقفة تنبيه المخدوعين من أبناء المسلمين الذين انخدعوا ببعض الأخلاق النفعية التي يجدونها عند الكفار في ديارهم، كالصدق في المواعيد والأمانة والوفاء بالعقود، إلىٰ أن هذه الأخلاق لم يكن دافعها الخوف

من الله عَزَّوَجَلَّ ورجاء ثوابه في الدنيا والآخرة وإنما هي أخلاق نفعية مؤقتة يريدون منها مصالحهم الخاصة والدعاية لهم ولشركاتهم؛ ولذلك فإنها لا تدوم معهم، وإنما تدور معهم حسب مصالحهم، بدليل أن هذه الأخلاق تنعدم ويحل محلها الأخلاق السيئة من الكذب والخداع والظلم والطغيان إذا كانت مصالحهم تقتضي ذلك، ومراجعة سريعة للحروب الصليبية لبلدان المسلمين القديم منها والحديث يشهد علىٰ ذلك.

أما المسلم المتربي علىٰ العقيدة الربانية فأخلاقه ثابتة معه في ليله ونهاره في سره وعلانيته في سرائه وضرائه في بلده وخارجه.

والحاصل: أن الدعوة إلىٰ «الإنسانية» التي تلغي البعد العقدي في علاقة الإنسان بالإنسان إنما هي دعوة مضلله مؤداها أهداف خطيرة من أهمها:

١- **الخطر علىٰ عقيدة التوحيد** التي صلبها الولاء لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين والبراءة والبغض للشرك والمشركين، ونتيجة هذا الخطر التهوين من الكفر وأهله والكف عن ذكرهم بسوء في عقيدتهم وأفكارهم، والمساواة بين المسلم الموحد والكافر الملحد.

٢- **إعادة النظر في مناهج التعليم والإعلام في بلدان المسلمين** وحذف كل ما يشير إلىٰ عداوة الكافر ومجاهدته في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وقد بدأ هذا بالفعل في كثير من بلدان المسلمين.

٣- **المطالبة بفتح الكنائس والمعابد الوثنية** في بلدان المسلمين ولاسيما في

جزيرة العرب.

٤- **هذه الدعوة طريق يمهد إلىٰ تطبيع العلاقات مع اليهود** والاعتراف بدولتهم علىٰ تراب فلسطين.

٥- **فتح المجال للتنصير في بلدان المسلمين** أسوة بالمراكز الإسلامية في ديار الكفار.

٦- **حرية التدين وتغيير الدين وحرية الرأي والتفكير** ولو كان بالإلحاد وسب الدين، وهذا مما يفرح به الزنادقة من الليبراليين والعلمانيين ويغتنمونه في مزيد من الإفساد وبث الشبهات والشهوات.

٧- **محاصرة التوجه السلفي المستعصي علىٰ هذه الأطروحات المضللة** والتمسك بأصول السلف وعقيدتهم في التوحيد والموالاة والمعاداة عليها، ورميه بشتىٰ التهم، والسعي لاحتوائه بالترغيب أو الترهيب وإن لم يجد ذلك فبالتصفية والزج بأهله في غياهب السجون.

٨- **ومما يزيد الأمر خطورة ويشير إلىٰ قوة المكر في هذه الدعوات تبني بعض الإسلاميين من بعض الدعاة وطلبة العلم لهذه الدعوة ومباركتها** ولا ندري هل هذا جهل منهم أو مجاملة ومصانعة لمن يتبناها وينادي بها من وجهاء الناس وكبارهم؟!

وأيًّا كان أحد الأمرين فإنه مصيبة وإن كان بعض المصائب أهون من بعض.

فـإن كنـت لا تـدري فتلـك مصـيبة ... وإن كنـت تـدري فالمصـيبة أعظـم

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق وأن يثبتنا عليه، والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

* * * *

(١٥)

الولاء
والبراء بين النظرية
والتطبيق في نازلة غزة المرابطة[١]

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فالمقصود من عنوان هذه المقالة: التفريق بين من يعلم حقيقة التوحيد ومقوماته، وأنواعه ونواقضه مجرد علم نظري مع ضعف في تطبيقه والتحرك به، وبين من يجمع مع العلم العمل والتطبيق، وظهور آثار التوحيد في حاله وأعماله ومواقفه.

يبيِّن الإمامُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعاني عندما تحدَّث عن التوكل، وحقيقته، والفرق بين مجرد العلم به وبين التحرك به عملًا وحالًا، فيقول: «فكثير من الناس

---

(١) نشر بتاريخ (١١/ ١/ ١٤٣٠هـ) ومناسبته: غياب المواقف العملية للولاء والبراء في نوازل المسلمين ولاسيما مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين.

يعرف التوكُّل وحقيقته وتفاصيله، فيظن أنه متوكل، وليس من أهل التوكل، فحال التوكل: أمر آخر من وراء العلم به، وهذا كمعرفة المحبة والعلم بها وأسبابها ودواعيها، وحال المحب العاشق وراء ذلك، وكمعرفة علم الخوف، وحال الخائف وراء ذلك، وهو شبيه بمعرفة المريضِ ماهيةَ الصحة وحقيقَتها وحاله بخلافها، فهذا الباب يكثر اشتباه الدعاوىٰ فيه بالحقائق، والعوارض بالمطالب، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم»[(١)].

وحريٌّ بهذا الكلام أن تُعقد عليه الخناصرُ، وتعض به النواجذ، وأن يهتم به المربُّون مع أنفسهم ومن تحت أيديهم، فلقد كان من مضىٰ من العلماء الصالحين الربانيين يخافون علىٰ أنفسهم من الضعف العملي، أو ضعف الحال مقابل ما عندهم من العلم الكثير، وكانوا لا يركنون إلىٰ شهرتهم العلمية، بل كانوا يكرهون أن يتضخم علمهم ويشتهروا به بين الناس وليس في قلوبهم وأحوالهم ما يكافئ ذلك من الأعمال الصالحة، والأحوال الشريفة، والتي هي مقتضىٰ الفهم والعلم.

ولنا أن نتساءل ونفكر: أيهما أسعد حالًا ومنزلة عند الله عَزَّوَجَلَّ، رجل أوتي من العلم ما يتمكن به من حشد النصوص الدالة علىٰ فضل قيام الليل والأسباب المعينة علىٰ ذلك ثم هو لا يقوم الليل، وآخر لا يعلم من ذلك إلا أن قيام الليل مستحبٌّ وأجره عظيم فاجتهد ليله بين يدي ربه تعالىٰ ساجدًا وقائمًا، يَحْذَر الآخرة ويرجو رحمة ربه؟!

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٥).

فالمرء لا يكون قائمًا الليل بمجرد علمه بفضل ذلك وأحكامه، ولا يكون ورعًا بمجرد علمه بالورع، ولا يكون صابرًا بمجرد علمه بالصبر وتعريفاته وأنواعه، ولا يكون متوكلًا بمجرد علمه بالتوكل وأقسامه.

وبعد هذه المقدمة التوضيحية لمصطلح العلم والحال أدخل في صلب الموضوع الذي بات يؤرِّق كل مسلم صادق، ويشغل بال كل موحِّد لله عَزَّوَجَلَّ، وذلك في هذه الأيام العصيبة التي نزلت فيها بأمة الإسلام نازلة عظيمة، وذلك بما يدور الآن من عدوان ومحرقة علىٰ إخواننا المسلمين في غزة علىٰ يد إخوان القردة والخنازير، وكل ذنبهم أنهم مسلمون رافضون لمؤامرات الذلة والاستسلام التي تعترف لليهود بالاحتلال، وتقرهم علىٰ مقدسات المسلمين، ويعلنون ولاءهم لله عَزَّوَجَلَّ ولدينه وللمسلمين، كما يعلنون براءتهم من الكفر والكافرين.

وإن مما يقض المضاجع ويثير الأشجان أن تغيب كلمة الحق عند كثير من دعاة المسلمين وعلمائهم في هذا الحدث الذي تمتحن فيه العقيدة، وبخاصة الأصل الأصيل لكلمة التوحيد ألا وهو: «الولاء والبراء»، والذي هو واضح في هذا الصراع غاية الوضوح وجلي أشد الجلاء.

- **وإن المسلم ليحتار ويتساءل: أين ما كنا نتعلمه من ديننا وعقيدتنا من أن كلمة التوحيد إنما تقوم علىٰ الولاء والبراء**، الولاء لله عَزَّوَجَلَّ وعبادته وحده ومحبة ما يحبه ومن يحبه والبراءة من الشرك وأهله ومن كل ما يبغضه سبحانه ومن يبغضه، وإعلان العداوة له وهذه هي وصية الله تعالىٰ لهذه الأمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

- **إي والله! إنه لسؤال محير**: أين دروس المساجد؟ وأين محاضرات أهل العلم، وأشرطتهم المسجلة، وبيانهم للناس فيها عقيدة التوحيد القائمة علىٰ الولاء والبراء؟
- أين الاعتزاز بدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة من بعده، والذين كان جل كلامهم ورسائلهم في شرح هذه العقيدة ولوازمها والتحذير مما يخالفها وينقضها؟
- أين نحن، وأين علماؤنا من بيان هذا الحق الأصيل للناس؟!
- أين هم عن ذلك والأمة تمر في ساعات عصيبة تحتاج مَنْ يبعث فيها عقيدة الولاء والبراء، وبناء المواقف في ضوئها؟

وهنا أعود إلىٰ عنوان هذه المقالة بعد أن تبيَّن لنا معناها، وأقول: إن هناك فرقًا بين تناول التوحيد كعلم مجرد وبين أخذه علمًا وحالًا وسلوكًا.

- إن المواقف المتخاذلة اليوم أمام أمريكا الكافرة وربيبتها دولة اليهود، وعدم الصدع والجهر بعداوتها والبراءة منها ومن يتولاها من المنافقين من بني جلدتنا لهو أكبر دليل علىٰ أن التوحيد عند الكثير منا بقي في حدود العلم المجرد، أما أخذه علمًا وحالًا وعملًا فإنه -ويا للأسف- أصبح مغيبًا عن الأمة، ومغيبًا عن المواقف والممارسات.
- إن هذا الدين يرفض اختزال المعارف الباردة في الأذهان المجردة.
- إن العلم في هذا الدين يقتضي العمل، ويتحول في قلب المسلم إلىٰ حركة وأحوال ومواقف؛ إذ لا قيمة للمعرفة المجردة التي لا تتحول لتوِّها إلىٰ حركة ومواقف؛ نعم، لا قيمة للدراسات الإسلامية في شتىٰ مناهجها

ومعاهدها، ولا قيمة لاكتظاظ الأدمغة بمضمونات هذه المعارف إن لم يصحبها عمل ومواقف.

- **إن العلم المجرد حجة علىٰ صاحبه إذا لم يقتضِ عنده العمل.**
- إن العلم بالدين لابد أن يزاوَل في الحياة، ويُطبَّق في المجتمع، ويعيش في الواقع، **وإلا فما قيمة الدروس المكثفة عن الولاء والبراء وأنواعه، وما يضاده من الشرك وما ينقضه من النواقض، ثم لما جاءت المواقف التي نحتاج فيها إلىٰ تطبيق ما تعلمناه من مشايخنا فإذا بالسكوت**، بل والتشنيع علىٰ من ترجم ما تعلمه إلىٰ سلوك وحال مع أعداء الله عز وجل فأعلن براءته وصرَّح بما تعلمه من علمائه ومشايخه **مِنْ أَنَّ تولِّي الكفار ومناصرتهم علىٰ المسلمين رِدَّة وناقض من نواقض الإسلام.**
- إن شأن التوحيد شأن عظيم من أجله أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب، وقام سوق الجهاد وسوق الجنة والنار، ومن أجل الولاء والبراء -الذي هو أُس التوحيد وركنه الركين-، هاجر المسلمون السابقون الأولون من ديارهم، وضحّوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وفاصلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشائرهم الذين ليسوا علىٰ دينهم متمثلين في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ



﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾

[التوبة: ٢٣، ٢٤].

● **ولما كانت عقيدة الولاء والبراء هي صلب كلمة التوحيد،** وأنها تستلزم أقوالًا وأعمالًا ومواقف وبذلًا وتضحيات **اهتم بها السلف اهتمامًا عظيمًا، وعلموها لأولادهم، وتواصوا بها، وهاجروا، وجاهدوا من أجلها، وعادوا، ووالوا علىٰ أساسها.**

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «فاللهَ اللهَ إخواني: تمسَّكوا بأصل دينكم أوله وآخره أُسِّهِ ورأسه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأَحِبُّوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوابعيدين، **واكفروا بالطواغيت، عادوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب علىٰ الله وافترىٰ، بل كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده، فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلْقَون ربكم لا تشركون به شيئًا»**(١).

وقال في موطن آخر: «إن الواجب علىٰ الرجل أن يُعلِّم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة فيه قبل تعليم الوضوء والصلاة؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة صلاته ولا صحة لإسلامه أيضًا إلا بصحة الموالاة والمعاداة في الله»(٢).

ولما تواجه المسلمون في تاريخهم الطويل مع أعدائهم الكافرين بشتىٰ

---

(١) «الدرر السنية» (٢/ ١١٩).

(٢) «الرسائل الشخصية» (ص٣٢٣).

مللهم برز دور العلماء في وقتهم، وهم يحرِّضون علىٰ نصرة المسلمين وإعانتهم علىٰ الكافرين ويحذرون من تولي الكافرين، ومناصرتهم بأي نوع من أنواع النُّصرة، ويفتون بأن من ظَاهَر الكافرين علىٰ المسلمين فهو مرتدٌّ خارج عن ملة الإسلام.

فهذا الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ- قال عن بابك الخرمي عندما خرج علىٰ المسلمين وحاربهم وهو بأرض المشركين: «خرج إلينا يحاربنا وهو مقيم بأرض الشرك، أيُّ شيء حكمه؟ إن كان هكذا فحكمه حكم الارتداد»(١).

وعندما هجم التتار علىٰ أراضي الإسلام في بلاد الشام وغيرها **أفتىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- بردَّة من قفز إلىٰ معسكر التتار من بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام** (٢).

وعندما هجمت جيوش المشركين علىٰ أراضي نجد لقتال أهل التوحيد، وأعانهم بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام، وذلك بين عامَي (١٢٢٣-١٢٢٦هـ) أفتىٰ علماء نجد بردة من أعانهم، وألف الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ كتاب: «الدلائل» في إثبات كفر هؤلاء.

وفي أوائل القرن الرابع عشر **أعانت بعض قبائل الجزائر الفرنسيين ضد المسلمين، فأفتىٰ فقيه المغرب أبو الحسن التسولي بكفرهم**(٣).

وفي منتصف القرن الرابع عشر **اعتدىٰ الفرنسيون والبريطانيون علىٰ**

---

(١) «الفروع» (٦/ ١٦٣).

(٢) «الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٣٠).

(٣) «أجوبة التسولي علىٰ مسائل الأمير عبد القادر الجزائري» (ص٢١٠).

المسلمين في مصر وغيرها فأفتىٰ الشيخ أحمد شاكر بكفر من أعان هؤلاء بأي إعانة[١].

وعندما استولىٰ اليهود علىٰ فلسطين في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وأعانهم بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام أفتت لجنة الفتوىٰ بالأزهر برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم عام (١٣٦٦هـ) بكفر من أعانهم.

وفي هذه الأيام وفي غزة التي تحالف علىٰ حربها اليهود والمنافقون، ما أحوجنا إلىٰ من يعلنها اليوم من أهل العلم في وجه كل من يتعاون من الحكومات العربية مع اليهود في ذبح أهلنا في غزة ليقال لهم إن ذلك من المظاهرة للكافرين، والتي أجمع فيها أهل العلم في القديم والحديث -كما سبق بيانه- علىٰ كفر فاعلها وردته، ونخص منهم الحكومة التي جندت جنودها في غلق معبر رفح ليُخنَقَ المسلمون في غزة ويمنع عنهم ضروريات الحياة من غذاء ودواء ونقل لجرحاهم ويسلموهم لمحرقة اليهود وجحيمهم، فأيّ تولٍّ لليهود أكبر من هذا؟! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وإن مما يتعلق بالولاء والبراء في مُصاب غزة: وجوب نصرة إخواننا هناك والحذر من خذلانهم وإسلامهم لعدوهم في هذه الظروف العصيبة، وإنه لَمِنَ المُحزن والمؤلم لقلب كل مسلم أن يوجد في هذه الأيام من المنتسبين للعلم

---

(١) «كلمة حق» (ص١٢٦ وما بعدها).

والدعوة -ولا أقول من العلمانيين والمنافقين- من يرفع عقيرته أو يُسخر قلمه للنيل من المجاهدين في غزة ونقدهم، بل والشماتة أحيانًا بهم عياذًا بالله.

● **ونقول لهؤلاء:** اتقوا الله وخافوا ربكم، أفي هذا الوقت الذي تتطاير فيه أشلاء النساء والأطفال وتُهدم البيوت علىٰ أهلها وتُصب عليهم نار القنابل العنقودية والفسفورية التي تصهر اللحم والعظم يقال هذا الكلام؟

إنكم بصنيعكم هذا تضعون أنفسكم في خندق المعتدي وتعطونه المبرر لارتكاب محرقته من حيث لا تشعرون.

● **إن أخطاء المجاهدين لا تُسوِّغ خذلانهم أمام عدوهم فهم بشر وليسوا بمعصومين،** قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وأخطاء المؤمنين لا ترفع الولاية عنهم.

● **ويا ليت أن نقد هؤلاء توجه إلىٰ فضح إرهاب الكافرين ونفاق الموالين لهم وخياناتهم وبيان جرائمهم كالذي تمارسه الحكومة المصرية وعصبة عباس العلمانية من تواطؤ مع العدو علىٰ أهلنا في غزة.**

● **يا إخواننا،** اتقوا الله في أنفسكم وأمتكم، واعلموا أنكم ظلمتم أنفسكم فتوبوا إلىٰ بارئكم واذكروا قوله ﷺ: «**ما من امرئ يخذل امريء مسلمًا في موطن ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالىٰ في موطن يحب فيه نصرته**»(١).

ألا يكفي المسلمين من الحزن والحرقة والألم مما يصيب إخوانهم في غزة

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

حتىٰ يأتي هؤلاء بما يزيد الألم آلامًا من هذه المواقف المخذلة والشامتة.

إن ما يحصل في غزة إنما هو حرب يهودية صليبية علىٰ الإسلام والمسلمين وليس علىٰ حماس وحدها، حرب تميز الناس فيها إلىٰ فئتين متقابلتين: فئة مسلمة لا ترضىٰ بغير الإسلام حلًّا وبديلًا، وترفض الخنوع والاستسلام والتنازل لليهود عن فلسطين، وفئة أخرىٰ كافرة يتحالف فيها اليهود وإخوانهم من المنافقين علىٰ الإسلام وأهله، فمع أي الفئتين يضع المسلم نفسه، وفي أيِّ الخندقين يجب أن يكون، أفي خندق الكفر الحاقد علىٰ الإسلام وأهله! أم في خندق الإسلام وأهله؟! أفي ذلك غموض واشتباه؟! إنه -والله- لا غموض فيه ولا لبس؛ وإن الأمر جِدٌّ خطير، وامتحان للتوحيد في قلب المؤمن القائم علىٰ عبادة الله وحده والكفر بما سواه والموالاة والمعاداة فيه.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من الموحدين الصادقين سلمًا لأوليائه حربًا علىٰ أعدائه كما نسأله سبحانه أن يجعل لإخواننا في غزة من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافيةً، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋ ❋

(١٦)

آمنا بالله وحده
وكفرنا بالشرعية الدولية(١)

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فإن من أخطر ما يعانيه المسلمون اليوم ما يقوم به أعداؤهم من الكافرين والمنافقين من التلبيس والتضليل، حتىٰ أصبح ذلك سمة من السمات البارزة في واقعنا المعاصر، وقد بلغت خطورة هذا الأمر أن انخدع به بعض المنتسبين للعلم فضلًا عن العامة والدهماء، وذلك بما يقوم به الملبسون الماكرون من تلاعب بالمصطلحات، وقلب للحقائق، وعرضها في قوالب مزخرفة، وطرحها في وسائل الإعلام المختلفة بكثافة وتكرار، حتىٰ ألفتها الأسماع وصار يرددها كثير من أبناء المسلمين عن خبث من بعضهم أحيانًا، وعن جهل وتغفيل من البعض الآخر.

ومما زاد الأمر خطورة غفلة كثير من أهل العلم عن التصدي لهذه التلبيسات التي يمس كثير منها صلب العقيدة وأركان التوحيد وهوية الأمة

---

(١) نشر بتاريخ (٧/ ٤/ ١٤٣٠هـ) ومناسبته: انخداع بعض المسلمين بما يسمىٰ الشرعية الدولية وكونها مرجعية عند التنازع.

وأخلاقها، وإن لم يقم أهل العلم بواجبهم في رفع هذا التلبيس وبيان سبيل المجرمين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

● **ومن المصطلحات الكفرية الخطيرة والتي تعمل أجهزة الإعلام الدولية ويتبعها علىٰ ذلك كثير من إعلام البلدان الإسلامية ممن لا خلاق لهم والتي يجب علىٰ أهل العلم فضحها وتعريتها وتبيين خطرها علىٰ العقيدة مصطلح «الشرعية الدولية»** حيث يطرح اليوم بكثافة وينادىٰ بترسيخ هذا المصطلح الوثني في أذهان الناس وذلك بمناداتهم، تارة «باحترام الشرعية الدولية» وتارة «بتحريم الخروج علىٰ الشرعية الدولية» ومرة ثالثة «بالالتزام بقرارات الشرعية الدولية» فماذا يعني هذا المصطلح الطاغوتي؟

إن «الشرعية الدولية» ترمي إلىٰ الاحتكام والالتزام بشرع وضعي وضعته الدول الكبرىٰ الكافرة يحكم علاقات الدول في هذا العالم وفقًا لتشريعاتهم ومعاييرهم وأعرافهم ومصالحهم.

وهذا الشرع الوضعي هو تلك القوانين التي وضعتها الدول الكافرة التي أسست منظمة الأمم المتحدة بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية -أمريكا وبريطانيا وروسيا-، وانضم إليهم بعد ذلك فرنسا والصين وصاغت قوانينها لمصالحها ومصالح حلفائها في تقسيم العالم إلىٰ مناطق نفوذ؛ فوضعت ما سمته بميثاق الأمم المتحدة لتكون له المرجعية الأولىٰ في كل قضية من قضايا العالم؛ حيث تستمد «الشرعية الدولية» منه الأحكام والقرارات وتستند إليه في الخلافات والنزاعات والإجراءات.

وأصبح العدو يستخدم هذا المصطلح في تمرير أي شيء يريده علىٰ دول

العالم ولاسيما دول المنطقة الإسلامية، فتحتل بلدان المسلمين وتغزوها باسم «الشرعية الدولية»، وتؤيد هذا التيار أو ذاك باسم «الشرعية الدولية» وتحارب الدعاة والمجاهدين باسم «الشرعية الدولية» ومن خرج عن ذلك فهو خارج عن «الشرعية الدولية!».

ومن أكبر الأمثلة علىٰ ذلك تكريس الاحتلال اليهودي في فلسطين باسم «الشرعية الدولية»، ومحاصرة العراق وغزة حتىٰ مات ما يقارب المليون طفل باسم «الشرعية الدولية»، ومن آخرها مذكرة المحكمة الدولية باعتقال الرئيس السوداني ومحاكمته بوصفه مجرم حرب، أما الذين أحرقوا غزة والعراق فدعاة سلام وديموقراطية.

● **الحكم علىٰ هذا المصطلح الطاغوتي في ضوء العقيدة الإسلامية:**

إن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره؛ ولذا قبل أن نبين حكم الله عَزَّوَجَلَّ في هذا المصطلح يجب أن نتعرف علىٰ أهم ما يقوم عليه، وهو ما أشير إليه سابقًا في أنه يستند إلىٰ ميثاق هيئة الأمم المتحدة وقوانينها التي أذعنت لها كل دول العالم بما في ذلك دول المنطقة الإسلامية.

فما هي أهم بنود هذا الميثاق الذي يتحاكم إليه دول العالم ويسمىٰ بالشرعية الدولية؟

● إن ميثاق الأمم المتحدة طاغوت وقانون ليس كأي قانون وضعي عادي، وليس هو مجرد وثيقة تأسيسية لمنظمة الأمم المتحدة، فقد جعله واضعوه أكبر من ذلك بكثير، إن خبراء القانون الدولي وفقهاؤه يعلنون بوضوح وصراحة: أن الميثاق هو أعلىٰ مراتب المعاهدات الدولية، وأعظم قواعد القانون الدولي مكانة!

ولذلك نصت المادة (١٠٣) من هذا الميثاق نفسه علىٰ أنه: «إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقًا لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي يرتبطون به، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة علىٰ هذا الميثاق».

● **ومعنىٰ ذلك**: أنه لا يجوز لأي دولة ملتزمة بهذا الميثاق أن تبرم أي اتفاق دولي أو تختار وتلتزم بشرع بينها وبين دولة أخرىٰ تتعارض أحكامه مع القواعد والأحكام الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، ولو كان شرع الله العزيز الجبار!

ومعلوم أنه لا يمكن لأي دولة الانتساب لعضوية الأمم المتحدة حتىٰ تعلن التزامها واحترامها لهذا الميثاق وتسلم له تسليمًا... إذ إن إجراءات الانضمام للأمم المتحدة تتلخص في أن تقدم الدولة التي ترغب في الانضمام للأمم المتحدة طلبًا بذلك إلىٰ الأمين العام للمنظمة الدولية، ويكون ذلك الطلب مصحوبًا بإعلان قبول الالتزام بميثاق الأمم المتحدة.

وكذلك الأمر بالنسبة للفصل من الأمم المتحدة، فإن: «المادة السادسة» من الميثاق تنص علىٰ أنه يجوز للجمعية العامة أن تفصل عضوًا من الأعضاء إذا أمعن في انتهاك مبادئ الميثاق.

هذا البند قد يطبق علىٰ أي أحد إلا الدول الكبرىٰ التي وضعت الأمم المتحدة لرعاية مصالحها أصلًا، ولذلك تتمتع بحق الفيتو الذي يضمن لها ذلك، وعلىٰ رأسها أمريكا التي ترعىٰ مصالح دولة اليهود من خلاله، بل إن الميثاق وأممه المتحدة قد أمست شرطيًّا يحرس مصالح هاتين الدولتين علىٰ كل صعيد، ولا يجادل في هذا حتىٰ العميان.

وعلىٰ كل حال، فهيئة الأمم المتحدة منظمة خاضعة للنفوذ اليهودي

الصليبي منذ تأسيسها، ومن يراجع أقسامها وإداراتها وأسماء القائمين عليها يعرف هذا معرفة اليقين[١]؟! وهي التي أشرفت علىٰ تقسيم فلسطين عام (١٩٤٧).

وطعن هذه المنظمة وطعن إداراتها ومنظماتها المختلفة في دين الإسلام وشرائع القرآن بين واضح مكشوف، واسمها «الأمم المتحدة» من أعظم الأدلة علىٰ اتحاد وتناصر وتعاضد وتعاون الدول المشتركة فيها، والذين ينادون بالشرعية الدولية والالتزام بها واحترامها وتنفيذ قراراتها يتعامون عن هذه الحقائق الدامغة.

● **ويبين الدكتور العلياني في كتابه: «أهمية الجهاد» هذا الأمر بيانًا واضحًا حيث يذكر بعض بنود ميثاق هيئة الأمم الذي تستند إليه الشرعية الدولية نختار هنا بعضها، يقول حفظه الله تعالىٰ:** «جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: أن غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة...». إن هذه العبارة اعتراف وإقرار بحرية الإلحاد وعدم مجاهدة المرتدين وعدم إفزاع الكفار، ونعوذ بالله من حقوق هذه نتائجها.

- **وجاء في المادة الثانية:** «إن لكل إنسان التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز كالتمييز بسبب الدين...».

قلت: إن الله لم يجعل المؤمن كالكافر في كل شيء، بل للمؤمن معاملة وللكافر معاملة ومن راجع أحكام أهل الذمة في الإسلام عرف الفرق بين حقوق المسلم وحقوق الكافر، ولكن أين المتدبرون لكلام الله وكلام رسوله.

---

(١) انظر للتعرف علىٰ هذه الأسماء كتاب: «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور علي العلياني.

- **وجاء في المادة الثامنة:** «لكل شخص أن يلجأ إلىٰ المحاكم الوطنية...» إلخ.

قلت: لا يجوز للمسلم اللجوء إلىٰ المحاكم التي لا تحكم بالكتاب والسنة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

- **وجاء في المادة الثامنة عشرة:** «أن لكل فرد أن يغير عقيدته».

- **وجاء في المادة الحادية والعشرين:** «إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة».

قلت: إن اختيار أهل الحل والعقد -من العلماء والأمراء ورءوس الأجناد المتمسكين بالكتاب والسنة- هو الذي يُبنىٰ عليه تعيين الخليفة، لا قول دهماء الناس وعجائزهم، والحكومة مقيدة بشرع الله، ولا يجوز لها الحكم بالهوىٰ أو بالجهل؛ فلا يتلقىٰ المسلم التشريع إلا من الله.

- **جاء في المادة السابعة والعشرين:** «لا يصح بحال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة».

قلت: بل يجب مخالفة أكثر أغراض الأمم المتحدة؛ لأن مخالفة أصحاب الجحيم هو اقتضاء الصراط المستقيم، وبهذا يظهر أن الخضوع لأنظمة هيئة الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثل الخضوع للقانون الروماني أو الخضوع للياسق الذي يتحاكم إليه التتار؛ فهي طاغوت يشرع للبشر من عند نفسه، نسأل الله أن يرد المسلمين إلىٰ دينهم الحق ويهدي الأمم المتحدة إلىٰ الإسلام.

● **وجاء في مقاصد هيئة الأمم المتحدة ومبادئها ما يلي:**

١- حفظ السلم والأمن الدولي، وتحقيقًا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم لإزالتها ولقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، وتتذرع بالوسائل السلمية وفقًا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلىٰ الإخلال بالسلم أو لتسويتها.

٢- إنماء العلاقات الودية بين الأمم علىٰ أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها وكذلك اتخاذ التدابير الملائمة لتعزيز السلم العام.

٣- تحقيق التعاون الدولي علىٰ حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وعلىٰ تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعًا، والتشجيع علىٰ ذلك إطلاقًا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء.

٤- جعل هذه الهيئة مرجعًا لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة.

أما المؤامرة الرهيبة التي تمارس في هيئة الأمم ضد حكم الجهاد فيدل علىٰ ذلك ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة؛ إذ جاء في تشريعاتها الطاغوتية ما يلي:

- **في المادة الأولىٰ:** أوجبوا علىٰ كل دولة مراعاة أحكام القانون الدولي؛

وهذا غير جائز؛ فإن الواجب علىٰ الدولة المسلمة أن تراعي أحكام القرآن لا أحكام القوانين الموضوعة من البشر.

- **وفي المادة الثانية:** أوجبوا علىٰ الدول تسوية النزاع سلميًّا مع مراعاة أحكام القانون، وهذا إيجاب ما لم يوجب الله، بل الدولة المسلمة تخير الدولة الكافرة بين خصال ثلاث: إما الإسلام أو الجزية مع الصغار أو القتال إلا في حال ضعفها؛ فلها أن تهادنها هدنة مؤقتة كما في صلح الحديبية.

- **وفي المادة الخامسة:** أوجبوا علىٰ الدول عدم الاعتراف بأي زيادة إقليمية تؤخذ عن طرق الحرب، وهذا غير جائز في الإسلام، بل ما فتحه المسلمون عن طريق الجهاد فهو ملك من أملاكهم.

- **وفي المادة الثامنة:** أوجبوا علىٰ الدول معاملة الأشخاص الخاضعين لحكمهم علىٰ مقتضىٰ حقوق الإنسان التي أعلنتها الأمم المتحدة ومنها حرية الإلحاد ومساواة المسلم بالكافر وهذا لا يجوز في الإسلام.

- **وفي المادة التاسعة:** أوجبوا علىٰ الدول الخضوع لكل المعاهدات الدولية وكل ما كان من القانون الدولي العام، ولا يحل للمسلم الخضوع إلا لأحكام القرآن، والمعاهدات لها أحكام في الشرع الإسلامي تخالف ما يوجد في القانون الدولي، فلا يحل للمسلمين أن يستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

- **وفي المادة العاشرة:** أوجبوا علىٰ الدول عدم اللجوء للحرب مطلقًا إلا في حال الدفاع إذا اعتدت قوة مسلحة علىٰ أراضيها؛ وهذا إسقاط لأحد أنواع الجهاد وهو جهاد الابتداء والطلب.

وبهذا يظهر أن ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة مناقض لحكم الجهاد في الإسلام؛ سلك الله بنا سبيل الهدىٰ والرشاد؛ ورد الأمة الإسلامية إلىٰ مصدر عزها ورفعتها كتاب رب العالمين وسنة الهادي الأمين ﷺ وعلىٰ أصحابه أجمعين»[١].

● **الحكم الشرعي في هذه المواثيق والقوانين الدولية:**

وبعد الوقوف علىٰ أهم بنود الشرعية الدولية المنبثقة من قوانين هيئة الأمم المتحدة نصل إلىٰ معرفة حكم الله فيها:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

في هاتين الآيتين يبين الله عَزَّوَجَلَّ أن التوحيد والعبودية الحقة لله عَزَّوَجَلَّ لا تصح إلا بالكفر بالطاغوت واجتنابه وعبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده؛ بل قد قدم الكفر بالطاغوت علىٰ الأمر بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإيمان بالله لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت، والطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

يقول الشيخ الدوسري رحمه الله تعالىٰ عند آية الكرسي: «فالطاغوت مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، يقال: طغىٰ الماء؛ إذا ارتفع مده عن قامة الإنسان بحيث يغرقه، فكل من تجاوز حده الذي حده الله له من وجوب

---

(١) «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» (ص٤٤٥-٤٥٩) باختصار وتصرف يسير.

عبادته سبحانه والوقوف عند حدوده بالتزام شريعته، فتجاوز ذلك وسعىٰ في أن يكون معبودًا لا عابدًا بأي نوع من أنواع المكر والاحتيال أو القهر والإرهاب أو التشريع في التحليل والتحريم والتقنين، فهو طاغوت يجب الكفر به ببغضه وعداوته والابتعاد عنه وبغض أحبابه وأعوانه، ولا يصح الإيمان بالله قطعا إلا بالكفر بالطاغوت.

وكل من يدعو إلىٰ مبدأ قومي يلتقي المسلم فيه مع الطوائف الضالة، أو إلىٰ مذهب مادي من المذاهب اليهودية فهو من الطواغيت الذين يجب الكفر بهم وبغضهم وعداوتهم والابتعاد عن همزاتهم.

فمن حقق الكفر بالطاغوت بجميع أنواعه، وحقق الإيمان بالله بحصر المحبة له ومن أجله وفي سبيله، وبغض كل ما يبغضه الله من أي شخص أو عمل ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥][1].اهـ.

وهل اتباع طاغوت الشرعية الدولية وطاعة قوانينه إلا إيمانًا به وقد أمرنا أن نكفر به، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «هذه الآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلىٰ ما سواها من الباطل وهو المراد بالطاغوت هاهنا»[2].اهـ.

---

(١) «صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير آية الكرسي».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٨).

ويقول ابن القيم في: «إعلام الموقعين»: «من تحاكم أو حاكم إلىٰ غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه»(١).اهـ.

ويقول الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان»: «وكل تحاكمٍ إلىٰ غير شرع الله فهو تحاكم إلىٰ الطاغوت»(٢).اهـ. من تفسير سورة الشورىٰ.

إن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ هما ركنا كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، وهو دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم علىٰ الصلاة والسلام الذي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ باتباعها وذلك في قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وبعد:

فإنه -والله- لَزَمَنُ غربة هذا الزمان الذي تغيب فيه هذه الأصول علىٰ وضوحها، لقد آن الأوان أن يترك العلماء عزلتهم التي يعيشون فيها عن واقع الأمة، وما يحاك لها من التلبيس؛ حيث أراد أعداؤها من الكفار والمنافقين أن يغيِّبوا أهل العلم ويقصوهم عن بيان هذه المحكمات وغيرها من القضايا والنوازل التي تنتظر الأمة قول أهل العلم فيها.

فهل يعي أهل العلم دورهم والأمانة الثقيلة الملقاة علىٰ كواهلهم؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا صراطه المستقيم وأن يبصرنا سبيل المؤمنين ويرزقنا اتباعه، وسبيل المجرمين ويلهمنا اجتنباه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «أعلام الموقعين» (١/ ٤).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ٥٠).

(١٧)

أليس أوباما أخطر
على المسلمين من بوش؟![1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فإن الدافع إلىٰ كتابة هذه المقالة ما رأيته وسمعته من تفاؤل واستبشار لدىٰ كثير من المسلمين بما في ذلك بعض مثقفيهم ودعاتهم بمجيء رئيس أمريكا الجديد «أوباما»، والتعويل علىٰ مجيئه في رفع المعاناة عن بلدان المسلمين ورفع الظلم عن أهلها.

ولقد أسفتُ لهذه السذاجة في النظرة إلىٰ الأعداء والانسياق وراء العاطفة المخدوعة بمعسول الكلام وبريق الشعارات.

وقد يستغرب بعض القراء، بل وقد يستنكر بعضهم عنوان هذه المقالة؛ إذ كيف يكون الشيطان بوش الذي غزا بلدان المسلمين وقتلت طائراته ودباباته أطفال المسلمين ونساءهم وأعلنها حربًا صليبية علىٰ المسلمين أقل خطرًا من «أوباما» ذي الأصول

(١) نشر في تاريخ (٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ) ومناسبته: بعد تولي أوباما رئاسة أمريكا وتفاؤل بعض المسلمين بمجيئه عقب بوش.

الإسلامية، والذي أبدىٰ في خطاباته التعاطف مع المسلمين، وأعلن أمام البرلمان التركي أن الولايات المتحدة ليست في حرب مع الإسلام، وجسد هذا بانحنائه أمام الملك عبد الله عند لقائهما علىٰ هامش قمة العشرين في لندن!

وحتىٰ يزول هذا الاستنكار وهذا الاستغراب الذي باعثه العاطفة وليس العقل أسوق بعض الأدلة علىٰ صحة عنوان هذه المقالة:

● **الدليل الأول:**

إن الجرائم التي قام بها المجرم بوش في عهده هي من الفظاعة والشهرة بحيث لا تحتاج إلىٰ ذكر وتفصيل، ومع ما في هذه الجرائم من آلام ومعاناة علىٰ المسلمين إلا أن ما ترتب علىٰ هذه الحماقات والجرائم من الخير للمسلمين والشرور علىٰ الأمريكان تربو علىٰ ما أصابهم من الشرور والمفاسد؛ ولو كان المجرم بوش يعلم ما تئول إليه حماقاته ومؤامراته ماقدم علىٰ فعائله وجرائمه.

ومن أعظم هذه الثمار التي قدمتها سياسة بوش للمسلمين: تلك اليقظة المباركة التي سرت في أبناء المسلمين نحو عدوهم الكافر ومعرفته علىٰ حقيقته وإحياء عقيدة الولاء والنصرة بين المؤمنين والعداوة والبراءة من الكافرين، وارتفاع علم الجهاد في أكثر من ميدان وثغر.

ومن هذه الثمار أيضًا: افتضاح أمريكا الطاغية في العالم وسقوط أقنعتها الكاذبة التي تروج لحقوق الإنسان ورفع الظلم وحماية الحريات؛ حيث تهاوت هذه الدعاوىٰ الكاذبة وعرفها القاصي والداني، وأصبحت أمريكا في نظر العالم داعية للظلم ومهددة لحقوق الإنسان ومهلكة للحرث والنسل والأخضر واليابس.

ومن هذه الثمار: ما حَقَّ عليها من بأس الله عَزَّوَجَلَّ وظهور تداعيات انهيار نظامها الاقتصادي والسياسي والعسكري؛ وكل هذه الثمار السابقة ما كانت لتحصل لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ أغفل بوش وإدارته المجرمة عما يترتب علىٰ حماقاتهم من هذه المصالح للمسلمين والمفاسد العظيمة التي حقت عليهم.

ولما شعر الأمريكان بهذه المخاطر والمصائب التي حلت بهم جراء سياسة بوش الحمقاء **ذهبوا لترميم أخطاء هذه السياسة في محاولة يائسة لإعادة الهيبة لدولتهم المتداعية وتحسين صورتها في العالم فجاءوا بالرئيس الجديد «أوباما»**، وجاء بسياسته الماكرة ومحاولاته الخادعة للعالم ولاسيما العالم الإسلامي، وأظهر محبته للسلام ونقده الشديد لسياسة سلفه العدوانية، فانخدع بمعسول كلامه كثير من المسلمين وعلقوا علىٰ مجيئه الأمل في رفع المعاناة عن المسلمين وإزالة الظلم عنهم! **وبانطلاء هذه الخدعة والمكر الكُبَّار علىٰ المسلمين يكون إجرام هذا الرئيس الجديد أشد خطرًا من إجرام سلفه، وذلك لما يترتب علىٰ هذه المخادعة من ضعف العداء لأمريكا الطاغية وإحسان الظن بسياستها المستقبلية.**

وهذا يترتب عليه استنامة المسلمين وخفوت الشعور بكره الكافر وإعلان البراءة منه وترك جهاده ومحاربته، وفي هذا شرٌّ كبير وخطر عظيم علىٰ عقيدة الولاء والبراء وعلىٰ قيام شعيرة الجهاد، مع ما فيه من إعطاء الفرصة لدولة الطغيان أمريكا في أن ترمم ما فسد من سياستها واقتصادها، وتحسين صورتها المنهارة في العالم، وليس هذا من مصلحة المسلمين، بل من مصلحتهم استمرار الانهيار في الدولة الطاغية وازدياد عوامل السقوط والتدمير في مفاصلها.

والحاصل: أن سياسة المكر والنفاق التي تؤدي إلىٰ هبوط مستوىٰ العداوة

والبراءة والمدافعة للكفار أخطر من سياسة التحدي والعدوان الذي تقوىٰ فيه عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين، وتستنفر فيه الهمم، ويقوىٰ فيه روح الجهاد والمدافعة للكفار المعتدين.

● **الدليل الثاني:**

يخطئ من يظن أن السياسة الأمريكية العدوانية تقوم علىٰ فرد يتربع علىٰ عرشها، وأنها تتأثر بوجهته ونفسيته ورؤيته الشخصية؛ إنما السياسة الأمريكية سياسة مؤسسية لها أهدافها وأجندتها ولها مراكزها ومخططوها.

دور الرئيس تنفيذ هذه السياسة والسير في ضوئها؛ ولذا فإن تغير شخصية الرئيس الأول في أمريكا لا يغير من الأمر شيئًا يذكر، وإنما الذي يتغير سياسة كل رئيس ووسائله في تنفيذ هذه الأهداف؛ فبينما هي عند بوش العجلة والتهور والحماقة، وفي هذا مصالح للمسلمين سبق ذكر أهمها، فهي عند «أوباما» سياسة المكر والمخادعة ومعسول الكلام لتنفيذ نفس الأهداف التي رسمت لسلفه، فهما وجهان لعملة واحدة.

● **الدليل الثالث:**

ومما يؤيد القول بأن السياسة الأمريكية وأهدافها لا تتغير بتغير الرئيس وإنما الذي يتغير هو الوسائل: ما نراه بعد تولي «أوباما» سُدة الرئاسة في أمريكا من استمرار العدوان الأمريكي الصليبي علىٰ بلدان المسلمين، وتأييد دولة اليهود ودعمهم، والسعي لتفتيت البلدان الإسلامية وتقسيمها إلىٰ دويلات طائفية، هذا ما يجري علىٰ الأرض في الوقت الذي ينافق فيه أوباما ويخادع المسلمين بمحبته للإسلام ونقده لسياسة سلفه وتعاطفه مع قضايا المسلمين، ولكن هذا شيء وما

ينفذه في الواقع شيء آخر.

فهاهو يخرج في وسائل الإعلام وهو يتخشع أمام حائط المبكىٰ اليهودي.

وهاهو ينحاز مع اليهود في محرقة غزة، ويبيح استخدام الأسلحة المحرمة ضد المدنيين هناك، بل إنه أعطاها لليهود ليجربوها في أطفال وأهل غزة.

وهاهو يصرح في خطاب له أمام منظمة إيباك المؤيدة لدولة اليهود ويصرح بأن القدس ستبقىٰ عاصمة إسرائيل ويجب أن تبقىٰ موحدة.

وهاهو يصعد الهجمات الصاروخية علىٰ المسلمين المدنيين في أفغانستان وباكستان.

وهاهو يأمر بزيادة قواته في أفغانستان ويعلن عزمه علىٰ إبقاء قواعد عسكرية في العراق إلىٰ أجل غير مسمىٰ، فماذا أبقىٰ لبوش بعد ذلك؟

فأي أخوة وأي تعاطف يعلنه هذا المجرم الماكر مع المسلمين وهاهي أفعاله ونواياه؟!

فالحذر الحذر من هذا الشيطان الماكر فإنه أخطر من الشيطان الأحمق وسيفشله الله عَزَّوَجَلَّ كما أفشل سلفه من قبله قال سبحانه: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرد كيد الكفرة الصليبيين في نحورهم، وأن يقي المسلمين من شرورهم، كما نسأله عَزَّوَجَلَّ أن ينصر دينه ويعلي كلمته والحمد لله رب العالمين.

(١٨)

التحالف الأمريكي الرافضي الليبرالي في بلاد الحرمين[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من سنن الله عز وجل التي لا تتبدل سنة الصراع بين الحق والباطل والتدافع بينهما حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

ومن أشد هذه التدافعات والابتلاءات التي تدور في واقعنا المعاصر ما

---

(١) نشر بتاريخ (٥/ ٨/ ١٤٣٠هـ) ومناسبته: عندما انخدع بعض المسلمين بشعارات عداوة الرافضة لأمريكا وسكوت الليبراليين عن جرائم الرافضة والأمريكان.

تشهده بلاد الحرمين اليوم من هجوم منظم وحملة حاقدة علىٰ عقيدة أهل السنة ورموزها **يقوم به تحالف مشبوه يتوزع فيه الحلفاء الأدوار بينهم، ويتمثل هذا الحلف المشئوم في أمريكا الصليبية، والرافضة الباطنية، والليبرالية العلمانية،** ويُجمِع هؤلاء الحلفاء علىٰ توهين عقيدة التوحيد القائمة علىٰ الولاء لله عَزَّوَجَلَّ وعبادته وحده لا شريك له، والولاء للمؤمنين والبراءة من الكفر والكافرين والشرك والمشركين، ويصفون المتمسكين بها الداعين إليها بالأصوليين والوهابيين والإرهابيين.

❍ وأدلتنا علىٰ هذا التحالف وأهدافه ما يلي:

أولًا: جاء في تقرير تم إعداده بواسطة: «مؤسسة راند» الأمريكية بعنوان: «الإسلام الديموقراطي المدني: الشركاء والمصادر والإستراتيجيات» بعض المقترحات لمحاربة التيار الأصولي؛ فمن ذلك ما يراه التقرير من تحديد أربعة اتجاهات فكرية في المجتمعات المسلمة للمنافسة في التحكم بقلوب المسلمين وعقولهم وهم:

١- المتشددون الأصوليون الذين يرفضون قيم الديموقراطية والحضارة الغربية المعاصرة.

٢- التقليديون الذين يشككون في الحداثة والتغيير.

٣- الحداثيون «العصرانيون» الذين يريدون من العالم الإسلامي أن يكون جزءًا من التقدم الذي يسود العالم.

٤- العلمانيون الذين يريدون من العالم الإسلامي أن يتقبل فكرة فصل الدين عن الدولة.

ويقول التقرير: إن فئتي أنصار الحداثة والعلمانيين هما أقرب هذه الفئات

للغرب ولكنهما بشكل عام (في موقف أضعف من المجموعات الأخرىٰ حيث تنقصهم البنىٰ التحتية والبرنامج السياسي).

ويقترح التقرير إستراتيجيةً لدعم أنصار الحداثة والعلمانيين، وذلك عن طريق طباعة كتاباتهم مقابل تكاليف مدعومة، وذلك لتشجيعهم علىٰ الكتابة لمزيد من القراء، وطرح وجهات نظرهم في مناهج المدارس الإسلامية ومساعدتهم في عالم الإعلام الجديد الذي يهيمن عليه المتشددون والتقليديون.

كما يقترح التقرير أيضًا: أن يتم دعم التقليديين ضد المتشددين، وذلك من خلال ممارسة الولايات المتحدة سياسة «تشجيع عدم الاتفاق» بين الطرفين.

ومن الإستراتيجيات المقترحة أيضًا في هذا التقرير: مواجهة ومعارضة المتشددين من خلال تحدي تفسيرهم للإسلام، ومن خلال فضح ارتباطهم بمجموعات وأنشطة غير قانونية.

ويقول باول شميدس(١) **في كتابه الخطير**: «**الإسلام قوة الغد العالمية**»: «إنه قد تبيَّن من التاريخ أو من استقرائه: أنه أينما وجدت هذه الحركة الوهابية؛ فإنه يوجد معها مقاومة الغرب ومقاومة المستعمر».

وفي تقرير مطول يصل إلىٰ (١٢٠صفحه) أعده «مركز الحرية الدينية ببيت الحرية»(٢) **عن نشاط الوهابيين في أمريكا نشره موقع «www.islmdaily.net»**

---

(١) Schmidt Paul ، باول شمتز مستشرق رحالة ألماني .

(٢) بيت الحرية أو«فريدم هاوس (بالإنجليزية) House Freedom هي منظمة غير حكومية مقرها الولايات المتحدة الأمريكية تدعم وتجري البحوث حول الديمقراطية والحرية السياسية وحقوق الإنسان، تأسست منظمة بيت الحرية في أكتوبر ١٩٤١م وأصبح المرشح الجمهوري ويندل ويلكي (١٩٤١م)، وإليانور روزفلت (١٩٣٣-١٩٤٥) أول رؤسائها الفخريي. تصف المنظمة نفسها بأنها: «صوت خالص للديمقراطية والحرية في جميع أنحاء العالم».



«**www.islmdaily.net**» **جاء فيه**: «إن انتشار التطرف الإسلامي من قبيل المذهب الوهابي يعتبر من أخطر التحديات الفكرية التي نواجهها في وقتنا الحاضر».

وجاء فيه عن نظرة الوهابيين للمرأة: «إن الوهابية وغيرها من السلفيين يعتبرون المرأة مصدرًا أساسيًّا للفتنة من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية وتستدعي هذه الحالة يقظة دائمة في جانب الرجال».

● **ثانيًا: التحالف الأمريكي الليبرالي في بلاد الحرمين.**

إن المتتبع لكتابات الحداثيين الليبراليين في صحفهم ومجلاتهم في بلادنا ليرىٰ تطابقًا شديدًا في الأهداف بينها وبين ما ذكر آنفًا في تقارير مؤسسة راندا ومراكز الأبحاث الأمريكية **مما يدل علىٰ تحالف مشبوه بين كتاب الصحافة في بلادنا وبين الأمريكان الكفرة في الهجوم علىٰ عقيدة السلف وأخلاقهم تحت مسمىٰ الإرهاب والتطرف والأصولية المتشددة وأن كلًّا منهما يخدم الآخر ويوظفه.**

والدليل علىٰ هذا التحالف ما يقوم به الليبراليون العلمانيون في بلادنا من خلال الكتابة في الصحف المحلية منها الرياض والجزيرة وعكاظ والوطن أو الصحف الخارجية المحسوبة علىٰ هذا البلد كالحياة والشرق الأوسط، وما يقومون به في نواديهم الأدبية من طروحات تتفق مع الأهداف الأمريكية في التطاول علىٰ الأصول العقدية والأخلاقية مما يدل علىٰ أن القوم قد ربطوا مصيرهم بمصير أمريكا الطاغية، وظنوا أن الهيمنة الأمريكية علىٰ الحكومات العربية والإسلامية الضعيفة فرصة سانحة لتغيير عقائد الناس وأخلاقهم وقيمهم ولو بالقوة، والاعتماد علىٰ الضغوط الأمريكية في **فرض أنماط التغريب علىٰ**

المجتمع من خلال قرارات سياسية في المجتمع الإسلامي مثل إلغاء التحاكم إلىٰ الشريعة، وإلغاء الولاء والبراء، وتغريب المرأة، وتغيير المناهج، ومحاصرة العمل الخيري، والنَّيْل من الرموز العلمية السلفية ومحاولة إسقاطها، وإسقاط نظام الحسبة والدعوة، وكل ذلك مما تسعىٰ أمريكا إلىٰ فرضه علىٰ بلادنا وتتحالف مع الليبراليين العلمانيين علىٰ تنفيذه.

وهاهو أحد المغرمين بحب أمريكا يتباكىٰ علىٰ ما أصابها من الانهيارات ويدافع عنها ويرىٰ أن وجودها ضمانة حقيقية للأمن العالمي.

يقول محمد المحمود في جريدة الرياض العدد (١٤٧٣١) وتاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٤٢٩هـ): «فأمريكا رغم كل شيء ورغم كل الأخطاء هي في النهاية قوة وإيجابية وضمانة حقيقية للأمن العالمي، وبدونها قد ينهار نظام الأمن في العالم فلا تستطيع الدول -باستثناء دولتين أو ثلاث- أن تضمن حدودها، ولا أن تحمي نفسها مما يشبه شريعة الغاب.

ما لا يريد أن يعترف به التقليديون والغوغائيون أن أمريكا هي أقل الإمبراطوريات عبر التاريخ إضرارًا بالآخرين وأن أخطاءها -رغم كل ما يقال- أقل بكثير من أخطاء الآخرين، بل إن العائد الإيجابي الأممي للقوة الأمريكية يفوق كل ما قدمته الإمبراطوريات عبر التاريخ البشري كله، وهي حقائق يعرفها الجميع، ومع هذا يحنق عليها الجميع لأن ضريبة النجاح، والتفوق تفرض مثل هذا السلوك، وخاصة من قبل أولئك الفاشلين الذين لا يملكون إلا جذوة الحسد السلبي الذي نراه منهم في عبارات الشماتة الجوفاء».

وهذا هو أحد كُتَّاب هذا التيار المدعو «يوسف أبا الخيل» يكتب في مقال له بعنوان «الآخر في ميزان الإسلام» في صحيفة الرياض بتاريخ (٦/ ١٢/ ١٤٢٨هـ)

يصحح فيه دين النصارىٰ الصليبيين ولا يكفرهم حيث يقول: «إن الإسلام لا يكفر مخالفيه لمجرد عدم اتباعهم رسالته، بل يكفر منهم فقط من يحول بين الناس وبين ممارستهم لحرية العقيدة التي كفلها لهم».

وفي مقال آخر وبنفس الصحيفة في تاريخ (١٥/ ٥/ ١٤٢٩هـ) ينظر إلىٰ اليهود والنصارىٰ أنهم «أتباع الديانات التوحيدية»**!**

● **ثالثًا: التحالف الأمريكي الرافضي علىٰ عقيدة السلف في بلاد الحرمين.**

لم يعد خافيًا علىٰ أحد ذلك التحالف الباطني بين الرافضة المجوس وأمريكا الصليبية وذلك في هجومهم الموحد علىٰ عقيدة أهل السنة ورموزها.

وإنه لمن الغباء والتلبيس أن يعتقد أحد بوجود عداء عقدي بين أمريكا والرافضة، وإنما هو تعارض مصالح سرعان ما يتفق عليها بينهما ويبقىٰ العداء التاريخي المشترك منهما علىٰ أهل السنة وأصولهم فبينما يشن الأمريكان هجومهم علىٰ الأصوليين المتشددين وما يسمونه بالوهابية الرافضة للتبعية الأمريكية والداعية إلىٰ جهاد الغزاة المحتلين والمحاربة للشرك والخرافة نجد هذا الهجوم نفسه من الرافضة علىٰ عقيدة أهل السنة وأهلها.

وما تصريحاتهم الكثيرة ضد أهل السنة ولاسيما من يسمونهم بالوهابيين ومشاغباتهم المتكررة في المدينة النبوية وفي القطيف ومصادماتهم مع أهل الحسبة والشرط ورفعهم لشعارات الشرك هنا وهناك إلا دليل علىٰ تحالف وجهد مشترك بينهم وبين الأمريكان في محاربة التوحيد وأهله، وهذا ما يريده الأمريكان حيث يختصر الرافضة عليهم الوقت والجهد في محاربة أهل السنة وعقيدتهم.

ومن أكبر الأدلة أيضًا علىٰ تعاون وتحالف الرافضة مع الأمريكان في محاربة

أهل السنة: ما يدور الآن وقبل الآن من تعاون شديد بينهما علىٰ تصفية أهل السنة في العراق، والزج بالآلاف المؤلفة في سجون الاحتلال والحكومة الرافضية العميلة، وما يقوم به الطرفان من تعذيب وتصفية لأهلنا أهل السنة هناك، وقد ظهرت دلائل هذا التحالف والتعاون بشكل جلي موثق لا يماري فيه أحد.

ومن الأدلة كذلك علىٰ هذا التحالف الصليبي الرافضي: سكوت أمريكا علىٰ ما تقوم به دولة الروافض إيران من اضطهاد وتصفية لأهل السنة في إيران علىٰ مرأىٰ ومسمع من أمريكا الصليبية التي تدعي حماية الأقليات من الظلم.

وكذلك سكوتها علىٰ احتلال إيران للجزر الإماراتية وتهديدها لاحتلال البحرين ومساندتها القوية للحوثي الرافضي في اليمن.

كل ذلك يجري بسكوت أمريكا بل مباركتها وسرورها بما يحدث من الرافضة علىٰ أهل السنة التي تكنُّ لهم أمريكا أشد الحقد لإعلانهم البراءة منها، ورفعهم لراية الجهاد في سبيل الله ضدها، ولأن مثل هذه الاعتداءات الرافضية علىٰ مناطق أهل السنة تسهم في تحقيق المخطط الأمريكي في تقسيم وتفتيت الدول الإسلامية إلىٰ دويلات وإشعال الحروب والفتن فيها، ولعلم الأمريكان أن الخطر عليهم من أهل السنة الملتزمين بها المجاهدين في سبيلها **وليس من الشيعة الذين لا يعرف عنهم إلا العمالة والمظاهرة للكفر وأهله علىٰ الإسلام وأهله في قديم التاريخ وحديثه.**

ومن هذا التحالف أيضًا: ما قامت به إيران من التسهيلات لإسقاط حكومة طالبان واحتلال العراق، وقد اعترفوا بمساهمتهم الفعالة في ذلك، كما أن علاقتهم بإسرائيل غير خافية بعد فضيحة «إيران جيت» التي قال الخميني علىٰ إثرها: «أنا

علىٰ استعداد للتعاون مع الشيطان».

● **رابعًا: التحالف الليبرالي العلماني مع الرافضة:**

وقد أصبح هذا التحالف باديًا للعيان بعد أن كان خفيًّا.

فالعلمانيون الليبراليون في بلاد الحرمين يلتقون ويتفقون مع إخوانهم الرافضة في حرب السنة الصحيحة وأهلها، ويتنافسون في الهجوم علىٰ عقيدة السلف وأخلاقهم تحت مسمىٰ الوهابية والأصولية المتشددة والإرهابيين.

ومن المواطن التي ظهر فيها اتفاق هذين المتحالفين علىٰ أهل السنة:

- هجومهم علىٰ رموز أهل السنة وعلمائهم، وما هجوم الليبراليين العلمانيين علىٰ الشيخ **البراك والفوزان واللحيدان** وغيرهم بِخَافٍ علىٰ المتتبع لمقالاتهم في الصحف المحلية وكذلك الشأن في المواقع الرافضية.
- هجومهم علىٰ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعمالها الاحتسابية، وعلىٰ رأس الأعمال محاربة الشرك ومنعه في المدينة النبوية وغيرها، وهذا ما يغيظ أهل الرفض والخرافة والعلمنة.
- تساهل الليبرالية مع الشيعة الرافضة بل والثناء عليهم **والتعنيف علىٰ من يعاديهم ويبين شركهم وأصولهم الكفرية، بحجة أنهم أبناء الوطن، وأنا وإياهم إخوة، والفروق بيننا وبينهم فروق، فقهية فرعية ورمي من يتصدىٰ لهم بأنه عدو الوطنية وداعية فرقة وفتنة.**

● ومثالًا علىٰ ذلك ما كتبه د. علي الخشيبان في جريدة الرياض بتاريخ (٢١/ ١٠/ ١٤٢٩هـ) بعنوان «خلاف فقهي أو صراع سياسي» خلاصته: أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة خلاف فقهي وليس في أصول الدين ولا ينبغي أن تكون هذه

الفرقة موجودة بين مذهبين من المذاهب الإسلامية تقوده فيما يبدو السياسة وليس الفقه.

● والمثال الثاني ما كتبه عبد الله القفاري في جريدة الرياض أيضًا بتاريخ (١٩/ ٦/ ١٤٢٩هـ) بعنوان «الفجور المذهبي وصرخة الأمين العام»، وخلاصته: أنه يصف الذين يحذرون من الطوائف الشركية كالرافضة القبوريين بأنهم مثيرون للفتنة المذهبية معرضًا بالبيان الذي أصدره ثلة من علماء السنة ينبهون فيه علىٰ خطر الرافضة، وما يحملون من عقائد شركية وعداوة لأهل السنة الموحدين وسماهم «أهل الفجور المذهبي».

- والغريب العجيب أن المتابع لأهل العلمنة والليبرالية الذين يدعون لأنفسهم التنوير والعصرانية والعقلانية يرىٰ سكوتهم عن جرائم وعقائد الرافضة وخرافاتهم التي تغتال العقل وتطفئ نوره، في الوقت الذي يشنون هجومهم علىٰ عقيدة أهل السنة المنيرة التي تزكي العقل والفطر السليمة، ويصبون جامَ غضبهم علىٰ أهلها الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينبشون عن أخطائهم ونحن نتساءل: أين كلام هؤلاء الليبراليين والعلمانيين عن جرائم الرافضة عند مقبرة البقيع في المدينة النبوية؟!

وأين كلامهم ونقدهم لمظاهرات الرافضة في القطيف والأحساء وتمردهم علىٰ الأمن والشرطة؟!

وأين كلامهم عما ينادي به رموزهم مثل الصفار ونمر النمر في المطالبة بالاستقلال عن بلاد الحرمين وإعلان الولاء والتبعية لمرجعيات الشيعة في إيران؟!

وأين كلامهم عن الرافضة الإسماعيلية الذين رموا قصر الأمارة في نجران

بالأسلحة الرشاشة؟!

لماذا كل هذا السكوت؟! ألا يدل علىٰ تحالف ليبرالي رافضي لتمزيق البلد وأهله الموحدين؟!

- ومن تأمل واقع متنوري هذا العصر من الليبراليين سيجدهم يكثرون من نقد المؤسسات الخيرية والدعوية، حتىٰ صار دعم العمل الخيري جريمة وتهمة يتهم بها كل منتسب للجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية، وفي المقابل نجد سكوتًا منقطع النظير من كتابنا المتنورين عن أخماس الشيعة والتي تصب في جيوب الآيات والملالي والأسياد، وهي أضعاف ما يدفع للعمل المؤسسي التطوعي الخيري، فقد ضاقوا ذرعًا بـ(٢.٥٪) تدفع لمصاريف الزكاة، **بينما نجدهم يغضون الطرف عن أخماس الشيعة والتي تبلغ (٢٠٪) تذهب لجيوب الآيات في دولة تعلن العداء للبلد الذي يسبحون بوطنيته صباح مساء!**

ونجد أن متنوري هذا العصر العجيب يكثرون من نقد تعدد الزوجات وأنه ظلم للمرأة، ويسخرون من بعض صيغ الزواج الحديث كالمسيار والزواج بنية الطلاق وغيرها مما أسيء استخدامه من قبل بعض الشهوانيين المتحايلين، مع سكوتهم المخجل عن جريمة زواج المتعة والذي أضر بالمرأة الشيعية أيما إضرار، فقد جعلها زوجة لساعات معدودة، وربما دقائق قليلة! وعندما حاول أحد المسلسلات التعرض لزواج المتعة بمشهد واحد ثارت ثائرة الشيعة وطلبوا إلغاء المسلسل كاملًا فما كان من القناة المنتجة إلا تلبية نداء الحلفاء بإلغاء عرض المسلسل!

كما نجد أن متنوري هذا الزمان يكثرون التشكيك حول قدسية النص الشرعي -مع أنه كلام الله وكلام رسوله ﷺ- ومن يملك الحق في تفسيره، ويلمزون كل من ينتسب إلىٰ العلم الشرعي من السلفيين حينما يتكلمون عن منهج أهل السنة في التلقي والاستدلال في الوقت الذي يُعرضون فيه إعراضًا تامًّا عن

مناقشة قضية عصمة الأئمة عند الشيعة.

ونجدهم ينتقدون الدعاة حينما يطالبون بحقوق أهل العلم واحترامهم وتقديرهم لعلمهم ولسنِّهم، بينما نجد سكوتًا مطبقًا حول موضوع التبرك بالأسياد والأولياء والتمسح بهم وبآثارهم والطواف حول قبورهم والسجود لها ودعائها من دون الله، وربما تجاوزوا إلىٰ المطالبة بهذه الممارسات من باب حرية الأديان والمذاهب والمعتقدات!

وحينما يأتي وقت الصيف يكثر نقد المراكز الصيفية والملتقيات الدعوية مع التشكيك في نوايا القائمين عليها، مع أنها تحت إشراف مباشر من الوزارات التابعة لها، ولكن هذه الأقلام تجف وهذه الأفواه تخرس حينما يأتي وقت اللطم والتطبير يوم عاشوراء، وحينما يأتي وقت حجهم إلىٰ النجف وكربلاء فلا تجد من ينتصر للعقل ويساهم في إخراج هؤلاء من الظلمات إلىٰ النور!

إن كل هذا السكوت عن جرائم وعقائد الرافضة لَيدل دلالة واضحة علىٰ تواطؤ وتحالف خطيرين بين الليبرالية والرافضة في بلاد الحرمين.

ومن الأدلة علىٰ هذا التحالف: ما يكون من اللقاءات بينهم في منتديات وتجمعات فكرية ثقافية، ومشاركتهم في توقيع بيانات سياسية.

● **خلاصة ما سبق:**

وخلاصة الكلام: أن هناك تحالفًا خطيرًا يشترك فيه الأمريكان والليبراليون العلمانيون والرافضة في بلاد الحرمين يهدفون منه إلىٰ تحقيق **أمرين خطيرين:**

● **أحدهما**: إفساد عقائد الناس وأخلاقهم، وإضعاف عقيدة التوحيد، وما تقوم عليه من ولاء وبراء وجهاد للكافرين، بما يبثونه من الشبهات والشهوات ووسائل متنوعة لنشر الشرك والبدع والأخلاق الرذيلة في سعي منهم لتغريب

المجتمع وتفكيكه، ولاسيما ما يقومون به من إفساد المرأة والأسرة المسلمة.

● **الثاني**: الخطر السياسي وذلك بتحقيق الهدف الأمريكي في المنطقة، ألا وهو تفتيت البلدان الإسلامية إلىٰ دويلات متناحرة، وبما أن أمريكا اليوم قد حل بها بأس الله عَزَّوَجَلَّ، وبدأت مظاهر انهيارها، فلم تعد قادرة علىٰ تحقيق هذا الهدف بنفسها، لأنها منشغلة بمشاكلها السياسية والعسكرية والاقتصادية، فهي الآن منكمشة علىٰ نفسها، ولكنها قد أوكلت مهمتها إلىٰ عملائها من الرافضة والليبراليين في تحقيق هذا الهدف الخطير، وبوادر التفتيت والتقسيم والدعوة إليه من رموز هذا التحالف المشبوه ظاهرة للعيان.

● **وكلمة أخيرة نوجهها بهذه المناسبة إلىٰ من استرعاهم الله سياسة البلد وإدارته** بأن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في عقيدة الأمة وأخلاقها **فَلَكَمْ تكلم الناصحون وارتفعت أصواتهم بالتحذير من خطر هذه التحالفات التي تريد بالبلد السوء والفتنة، ومع ذلك فهم مستمرون في مخططاتهم وممارساتهم من غير أن يردعهم رادع.**

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح الراعي والرعية وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يرد كيد المفسدين في نحورهم إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

* * * *

(١٩)

المنكرات
بين سياسة الفرض وقوة الرفض[1]

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٢، ٦٣].

يقول ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- عند الآية الأولىٰ: «يقول تعالىٰ: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي: قد وجد من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته؛ ولهذا أمر الله تعالىٰ هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) نشر بتاريخ شهر صفر (١٤٣٤هـ) ومناسبته: ظهور المنكرات وتجاهل أهلها للناصحين.



ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]»[١].

ويقول عند تفسير آية المائدة: «يعني: هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار عن تعاطي ذلك -أي: السحت وقولهم الإثم-، والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني: الربانيين، إنهم بئس ما كانوا يصنعون في تركهم ذلك؛ وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما في القرآن آية أشد توبيخًا من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٦٣]»[٢].

وأمثال هاتين الآيتين في القرآن كثير؛ والمقصود بيان مسئولية العلماء والدعاة في تحصين المجتمعات المسلمة من شرور المفسدين، وما يسعون به في نشر المنكرات ومحاولات فرضها علىٰ الناس حتىٰ تألفها النفوس وينعدم من القلوب إنكارها.

والمتابع اليوم لحركات المفسدين وأكابر المجرمين في مجتمعات المسلمين يرىٰ شيئًا خطيرًا يجب أن يتنادىٰ أهل العلم والغيرة للتصدي له وتحصين المجتمع من شره: ألا وهو محاولة المفسدين فرض المنكر الذي يريدونه، وجعل المسلمين أمام الأمر الواقع، مستغلين في ذلك مناصبهم أو قربهم من صنع القرار، متغافلين ومتجاهلين وغير مكترثين بإنكار المنكرين وصيحات

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» (ص٦٥١).

(٢) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» (ص٣٨٨).

المحذرين من هذا المنكر، وفي ظنهم أن هذا الإنكار وهذه الصيحات تتلاشىٰ شيئًا فشيئًا عندما يفرض المنكر فرضًا ويتطبع مع الوقت في حياة الناس ويصبح مألوفًا بعد أن كان منكَرًا ومبغوضًا.

وهنا مكمن الخطر؛ إذ إن تحول المنكر إلىٰ معروف ومألوف أخطر بمئات المرات من تلبس بعض الناس له مع كرههم له وشعورهم بالإثم وهم يفعلونه.

ودفعًا لهذا الخطر العظيم ينبغي اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمدافعة أي منكر يراد فرضه في حياة الناس، ومنها:

أولًا: الاحتساب علىٰ من يكون وراء إقرار هذا المنكر وإبراء الذمة بإنكاره وعدم الرضا به ومحاولة ثنيه عن قراره، وهذا هو المرتبة الثانية في الإنكار، ألا وهو التغيير باللسان أو الكتابة، وتكرار ذلك وعدم اليأس من التغيير.

ثانيًا: وفي حالة الإصرار علىٰ فرض المنكر وعدم الاستجابة لنصح الناصحين وإنكار المنكرين تبذل المحاولات في تخفيف آثاره أو تخفيف مفاسده.

ثالثًا: وفي حال تجاهل ذلك كله والبدأ بتطبيق المنكر وتنفيذه في المجتمع فإنه يبقىٰ واجب كبير علىٰ المصلحين ألا وهو تحصين المجتمع من هذا المنكر واعتقاد مخالفته للشرع، فإن هذا يضمن -بإذن الله تعالىٰ- إفشاله وإضعافه حتىٰ لو تلبس به بعض الناس؛ إذ إن فعل المسلم للمنكر وهو يعتقد تحريمه وإثم فاعله أهون بكثير من فعله له من غير إنكار له ولا تأثم.

وكي يتحقق هذا التحصين وتفويت الفرصة علىٰ المفسدين في تطبيع المنكر، فإنه يجب علىٰ المصلحين بمختلف تخصصاتهم ومجالاتهم أن يتعاونوا في ذلك، فالخطيب في منبره والواعظ في مسجده، والكاتب في مقالته، والشيخ في درسه والمربي والمعلم في مدرسته، والرجل في بيته وقرابته؛ كل أولئك عليهم أن ينفروا في بيان المنكر للناس وبيان إثم فاعله، وذلك ليبقىٰ في القلوب تعظيم حرمات الله ونواهيه، ويبقىٰ في القلوب كره المنكر، ويقطع الطريق علىٰ من يريد للناس أن يألفوا المنكر وأن يطبعوه في حياتهم من غير إنكار ولا رفض؛ لأن القلب إذا خلا من إنكار المنكر فإنه علىٰ خطر بفقد إيمانه بالكلية، وهذا ما يُفهم من قوله ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليه، ويذل فيه عدوه، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهىٰ فيه عن المنكر... والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (٤٩).

(٢٠)

تأملات شرعية
في أحداث الربيع العربي[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من أهم الأمور التي ينبغي الوقوف عندها في خضم هذه الأحداث أن يؤمن المسلم بأن ما يجري اليوم من أحداث ونوازل في الأمة إنما هو بعلم الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وإرادة الله تعالىٰ ومشيئته ليست مشيئة مجردة، بل هي مشيئة صادرة عن حكمة بالغة، والعارفون بربهم عَزَّوَجَلَّ يعلمون ذلك ويوقنون به؛ ولذا فهم يحسنون الظن بربهم ويحمدونه علىٰ كل ما يقدِّره، ويوقنون بأن عاقبة هذه الأحداث التي يقدرها الله عَزَّوَجَلَّ هي خير ومصلحة ولطف بالموحدين إن شاء الله تعالىٰ، ومع أنها مؤلمة إلا أننا نلمس لطف الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته ورحمته في أعطافها.

---

(١) نشر عام (١٤٣٣هـ) ومناسبته: بعيد الثورات وبيان الموقف الشرعي منها.

وهذه وقفات خمس تجاه التغيرات التي تجري الآن في عدد من البلاد العربية:

⊘ الوقفة الأولىٰ:

إن من حكمة الله البالغة في هذه الأحداث أن يعرفنا علىٰ سننه التي لا تتبدل ولا تتحول، ومن معرفة هذه السنن الإلهية يتضح الطريق المستقيم، ويهتدي المسلم ويوفق إلىٰ الموقف الحق والمنهج الصائب، يقول الله عَزَّوَجَلَّ آمرًا لنا بالنظر في سننه المطردة:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

لذا وجب علىٰ المسلمين بعامة وعلىٰ دعاة الحق والمجاهدين في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ بخاصة أن يقفوا طويلًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما تضمن من الهدىٰ والنور، ومن ذلك ما تضمنه من السنن الربانية؛ لأن في معرفتها والسير علىٰ هداها أخذًا بأسباب النصر والتمكين والفلاح، ونجاة مما وقع فيه من يجهل سنن الله تعالىٰ في الأحداث؛ فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق والتخبط والعناء.

إن من السنن التي ينبهنا الله عَزَّوَجَلَّ إليها في مثل هذه الأحداث هاتين السُّنّتين:

١- سنة الابتلاء والتمحيص والمدافعة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا

أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وقال في نفس السورة: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ معقبًا علىٰ غزوة أحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال سبحانه في نفس الحدث: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦].

وبالنظر إلىٰ هذه الأحداث الضخمة المتسارعة في ضوء سنة الابتلاء والتمحيص نرىٰ أن هذه السنة المطردة الثابتة تعمل الآن عملها بإذن ربها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لتؤتي أكلها الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك تمحيص عباده المؤمنين ولطفه بهم ورحمته، وتميز الصفوف حتىٰ تتنقىٰ من المنافقين وأصحاب القلوب المريضة وينكشف أمرهم للناس، وحتىٰ يتعرف المؤمنون أنفسهم علىٰ أنفسهم وما فيها من الثغرات والآفات التي تحول بينهم وبين التمكين والنصر فيتخلصوا منها ويغيروا ما بأنفسهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] .

٢- سنة الإملاء والاستدراج للكفار:

قال الله تعالىٰ عن هذه السنة: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وهذه السنة تعمل عملها في هذه الأوقات، وذلك في معسكر أهل الكفر والنفاق وبخاصة أولئك الذين بلغ بهم الكبر والطغيان مبلغًا عظيمًا، ولا يزالون

يزدادون ظلمًا وطغيانًا، ومع ذلك نراهم ممكنين ولهم الغلبة الظاهرة، كما هو الحاصل الآن في كثير من بلدان المسلمين، وكما هو الحاصل من دولتي الكفر والطغيان أمريكا واليهود؛ حيث ظلموا وقالوا بلسان حالهم ومقالهم: من أشد منا قوة! وقد يحيك في قلوب بعض المسلمين شيء وهم يرون هؤلاء الطغاة يبغون ويظلمون ومع ذلك هم متروكون لم يأخذهم الله بعذاب من عنده!

ولكن المسلم الذي يفقه سنة الله عَزَّوَجَلَّ ويتأملها ويرىٰ آثارها وعملها في الأمم السابقة لا يستغرب ما يرىٰ؛ لأنه يرىٰ في ضوء هذه السنة أن الظلمة اليوم يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلىٰ مزيد من **الظلم** والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلىٰ نهايتهم المحتومة وهي الهلاك والقصم في الأجل الذي قد ضربه الله لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩].

ففي الإملاء للظالمين وتركهم يتسلطون علىٰ المسلمين في مدة من الزمن ابتلاء وتمحيص للمؤمنين، حتىٰ إذا آتت سنن الابتلاء أكلها وتميز الصف المؤمن الذي خرج من الابتلاء ممحصًا نظيفًا، عندئذ تكون سنة الإملاء هي الأخرىٰ قد أشرفت علىٰ نهايتها؛ فيحق القول علىٰ الظالمين ويمحقهم الله كرامة ونصرًا للمؤمنين الممحصين الذين يمكن الله لهم في الأرض ويستخلفهم فيها بعد محق الكافرين.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، فذكر الله سبحانه التمحيص قبل المحق؛ ولو محق الله عَزَّوَجَلَّ الكفار قبل تهيؤ المؤمنين الممحصين فمن يخلف الكفار بعد محقهم؟

ولله عَزَّوَجَلَّ **الحكمة** البالغة في وضع السُنَّتين -سنة الابتلاء وسنة الإملاء- في آيتين متتاليتين في سورة آل عمران قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾ [آل عمران: ١٧٨] ثم قال بعدها: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ولعل من **الحكمة** -والله أعلم- أن يعلمنا الله عَزَّوَجَلَّ أن هاتين السنتين متلازمتان ومتزامنتان وأن إحداهما تهيئ للأخرىٰ.

⃠ الوقفة الثانية:

اختلفت آراء المراقبين من فئات المسلمين لهذه الأحداث وتفسيرها ما بين ناظر إلىٰ هذه الأحداث بأنه عفوية غير مخطط لها، وإنما جاءت لتراكمات وضغوط شديدة علىٰ الشعوب في تلك البلدان في دينها ومعيشتها وأعراضها.

وبعد أن بلغ **الظلم** والكبت منتهاه انفجرت تلك النفوس المكبوتة لتعبر عن معاناتها في مظاهرات وثورات انتهت بأفول نجم الطواغيت في تلك البلدان.

وفي المقابل لهذا الرأي هناك من ينظر إلىٰ هذه الأحداث بأنها نتيجة تخطيط وتواطؤ أمريكي مع الفئات الليبرالية، ومن تراهم أمريكا من المعتدلين الإسلاميين في إسقاط تلك الأنظمة الديكتاتورية التي جثمت علىٰ صدور شعوبها ردحًا من الزمن وأذاقتها **الظلم** والأمرَّيْن بعد أن استنفدت أغراضها وبلغت كراهية الشعوب لها مبلغًا لا يحتمل وتسبب ذلك في كراهية أمريكا التي كانت تدعم هذه الأنظمة الظالمة، فأرادت أمريكا أن تخفف من كراهية الشعوب الإسلامية لها ولاسيما بعد غزوها للعراق وأفغانستان ودعمها الواضح الصريح لدولة اليهود في فلسطين، ولذا

يرىٰ أصحاب هذه النظرة أن الأصابع الأمريكية وراء هذه الأحداث وأن أمريكا أرادت تغيير الوجه الحاكم في تلك البلدان بحيث تخف الوطأة وتخف الكراهية بعد أن تأتي بخليط من الإسلاميين والليبراليين علىٰ نمط التجربة الإسلامية التركية «الإسلام الأمريكاني»، وحينها تمرر أمريكا ما تريد من أفكار وتغييرات في المنطقة بصورة غير استفزازية مقبولة من الشعوب دون إنكار لها.

وهناك رأي ثالث وسط بين الرأيين السابقين ولعله هو الأقرب إلىٰ الصواب: وهو قول من يقول أن هذه الأحداث والثورات جاءت دون تخطيط مسبق لها من الخارج وإنما هي تنفس المكبوت وثورة المظلوم علىٰ الظالمين، وهذا مقتضىٰ ما أشير إليه في المقدمة من أنها من تقدير العزيز العليم اللطيف الخبير الحكيم، وأنها جاءت في وقتها الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ بحكمته ورحمته وعلمه ولطفه وعزته وسنته في الظالمين وهي مقتضىٰ أسمائه سبحانه الحسنىٰ ومقتضىٰ سنته التي لا تتبدل ولا تتحول.

ويرىٰ أصحاب هذا الرأي أن هذه الأحداث وإن لم يخطط لها أعداء الإسلام من الخارج إلا أنهم بذلوا وسعهم في استثمارها وركبوا موجتها ساعين إلىٰ ألا يقطف الثمرة من تسميهم بالإسلاميين الأصوليين وأن يحولوا بينهم وبين استثمار هذه الفرص والفوز بها فسعوا جاهدين لدعم التيار الليبرالي ومن تسميهم بالمعتدلين الإسلاميين في قطف ثمرة هذه الثورات، والتي يضمن الغرب وأمريكا في بقاء الولاء لهم وبقاء هذه الأنظمة الجديدة تدور في الفلك الأمريكي ولكن بصورة غير ظاهرة وغير استفزازية كما كانت في الأنظمة السابقة.

وهذا هو شأن السياسة الأمريكية فعندما تفشل في تحقيق هدف كبير لها فإنها

ترضىٰ بما دونه من الأهداف ولو كان لا يعجبها، فهي لما فشلت في القضاء علىٰ الإسلام في دياره رضيت بما دون ذلك ولو كان فيه ظهور وحرية جزئية للمسلمين ودعوتهم؛ وهذا شأن الشيطان الرجيم حيث إنه لا ييأس من إظهار الشر وإضلال الناس فهو يبدأ بإضلالهم وإيقاعهم في الكفر والشرك الأكبر فإن فشل في ذلك رضي بإيقاعهم في البدع، فإن فشل في ذلك ذهب إلىٰ إيقاعهم في الكبائر، وهكذا حتىٰ إذا يئس من عصيانهم لله تعالىٰ أشغلهم بالمباحات وتقديم المفضول علىٰ الفاضل وهكذا السياسة الأمريكية الشيطانية.

هذا ما يخطط البشر الجاهل الظالم، ولكن لا يبقىٰ ولا يكون إلا ما يريده الله عَزَّوَجَلَّ ويدبره فهو سبحانه مدبر الأمور بعلمه وحكمته وعدله ولطفه ورحمته وعزته، والجميع في قبضته ونواصي الخلق بيده، ولا يأتي من ربنا عَزَّوَجَلَّ إلا الخير لعباده المؤمنين، ومن سنته سبحانه أن **المكر** السيئ لا يحيق إلا بأهله.

⦸ الوقفة الثالثة:

اختلفت مواقف المحبِّين لهذا الدين إزاء النتائج التي تمخضت عن هذه الأحداث، وإزاء القائمين عليها والماسكين بزمام الأمور فيها، ونشأ من جراء ذلك ثلاثة مواقف: طرفان ووسط، وخير هذه المواقف أوسطها، والله أعلم.

- الطرف الأول:

المُفرِطون في التفاؤل، الذين نظروا إلىٰ هذه الأحداث وما تمخض عنها من تخفيف الوطأة علىٰ المسلمين والحرية في تطبيق بعض أحكام الإسلام، بأن ذلك هو النصر المنشود للإسلام والمسلمين، وأن هذا العهد الجديد الذي خلف العهد البائد هو تمكين للإسلام في الأرض وعودة إلىٰ الحكم بالشريعة بين الناس.

- **الطرف الثاني:**

ويأتي مقابلًا للطرف الأول ومضادًّا له، وهم الذين أفرطوا في التشاؤم من هذه الأحداث ونتائجها، فشككوا في كل شيء، ولم يروا أن شيئًا قد تغير، ولم يعيروا اهتمامًا الخير الذي ظهر من هذه الأحداث ولا الشر الذي خفت، ووقفوا خصومًا للقائمين عليها ومن تعاطف معهم.

✍ الموقف الوسط:

وهم الذين استبشروا من هذه الأحداث خيرًا، ففرحوا بما فتح الله فيها من أبواب الخير وارتفاع صوت الإسلام، وفرحوا بما أغلق بها من أبواب الشر والظلم وسقوط الظالمين، لكنهم لم يروا أن هذه الأحداث ونتائجها هو النصر المنشود للإسلام والمسلمين والتمكين لهم في الأرض، حيث لم تتوفر شروط ذلك بعد، بل إن في الواقع من الموانع ما يمنع ذلك، ولعل في التغييرات الجديدة من الأسباب ما يزيل بها سبحانه هذه الموانع حتىٰ يتحقق نصر الله الموعود، فقد تكون هذه التغيرات والأحداث برزخًا بين عهدين: عهد **الظلم** البائد وما كان فيه من إقصاء الإسلام ومحاربة الدين وأهله، وبين عهد التمكين المنشود للإسلام.

وإن أحسن الدعاة إلىٰ الله اغتنام هذه الأحداث واستعلوا علىٰ حظوظ النفس والدنيا وجمعوا كلمتهم ووحَّدوا صفوفهم؛ فإن نصر الله عَزَّوَجَلَّ لآت بإذنه سبحانه؛ وعندها تكون هذه الأحداث إرهاصًا للعودة الحقة للإسلام والحكم بشريعته، أما إن تخلفت أسباب وشروط النصر وتفرق الدعاة واختلفوا بينهم وضعف الإخلاص وقلّت المتابعة للرسول ﷺ فإن نصر الله عَزَّوَجَلَّ لا يأتي والحالة

هذه، فسنة الله عَزَّوَجَلَّ لا تحابي أحدًا؛ فهذا رسول الله ﷺ في غزوة أحد ومن معه من أصحابه الكرام قاسوا من آلام الهزيمة الشيء العظيم وليس في الأرض من يعبد الله سواهم ولكن لما تخلف شرط من شروط النصر تخلف النصر.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين من أسباب الفشل فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

[الأنفال: ٤٦].

⊘ الوقفة الرابعة:

وفي هذه الوقفة: أوصي نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين ألا نغفل عن القواعد والموازنات الشرعية المستنبطة من أدلة الأحكام الشرعية، ولاسيما في خضم هذه الأحداث المتسارعة والنوازل الكبيرة، حيث الحاجة كبيرة وماسة إلىٰ فقه الموازنات، وذلك عند تعارض المفاسد والمصالح مع بعضها، أو عند تعارض المصالح والمفاسد، لأن في الغفلة عن هذه القواعد والموازنات خطرًا كبيرًا يؤدي إلىٰ اختلاف الأمة وتفرقها وشماتة أعدائها بها.

ولكي تتضح هذه المسألة المهمة نُنَزِّلها علىٰ ما يدور الآن من الأحداث والثورات في بعض بلدان المسلمين:

فقد يرىٰ بعض الدعاة أو المجاهدين كثيرًا من الملاحظات علىٰ هذه الثورات والقائمين عليها فيقفون عندها دون النظر إلىٰ ما فتح الله عَزَّوَجَلَّ بسببها من أبواب الخير وأغلق بها من أسباب الشر، وبناء علىٰ هذه النظرة عندهم يقفون منها موقف العداء والخصومة، ولو طبقوا قاعدة الموازنات التي منها: ارتكاب أخف الضررين عند التعارض، والأخذ بأكبر المصلحتين عند التعارض، والمحافظة علىٰ الأصل الذي هو الاجتماع والائتلاف وإن فات بسببه شيء من الفروع، فلو أنهم تنبهوا لهذه الموازنات وفكَّروا فيها بعمق لما كانت هذه المواقف العدائية من هذه الثورات.

ولا يعني هذا الكلام المجاملة في الحق وإقرار الباطل، بل يجب بيان الحق من الباطل، ومناصحة المخالفين للحق، لكن دون المنابذة والافتراق ما داموا في الجملة من أهل السنة الساعين في نصرة هذا الدين، وتتأكد هذه المواقف في مثل أحوال الأمة التي تمر بتغيرات كبيرة وهي لا تزال في ضعفها وتفرقها وبعدها عن دينها، ففي مثل هذه الأحوال تحتاج الأمة ولاسيما دعاتها إلىٰ توحيد صفوفهم وإن اختلفوا في بعض المسائل تغليبًا لمصلحة الاجتماع واتقاءً لمفاسد الفرقة ولاسيما في مواجهة الكفر والطغيان والزندقة.

وقد روىٰ الذهبي في السير أن بعض علماء السنة اتفقوا مع الخوارج علىٰ مواجهة الدولة العبيدية فقال: «وعوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي فقال: وكيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بإذني! وخرج أبو إسحاق

الفقيه مع أبي يزيد الخارجي وقال: هم أهل قبلة وأولئك ليسوا أهل قبلة وهم بنو عدو الله، فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد لأنه خارجي»[1].اهـ.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالىٰ لما واجهت الأمة في بلاد الشام غزو التتار اجتمع مع أهل العلم في ذلك الزمان، وكان فيهم الأشعري والصوفي من غير الغلاة، وذهبوا إلىٰ ملك التتار، ثم جيّش الأمة لقتالهم علىٰ اختلاف مشاربهم، وهذا من فقهه رحمه الله تعالىٰ؛ إذ لو وقف مع الخلاف بين أهل المذاهب في وقته وانشغل بمخاصمتهم لاجتاح العدو بلدان المسلمين وأباد الجميع دون تفريق بين مذهب ومذهب، وهذا لا يعني تساهل ابن تيمية فيما عند الطوائف المبتدعة من باطل، بل كان هذا الموقف في ظرف معين، وإلا فلا يخفىٰ بيانه للسنة ومجادلته لأهل البدع وبيان باطلهم في رسائله وكتبة ومناظراته لهم.

ونظرًا لأهمية هذه المسألة وخطورتها أسوق كلامًا نفيسًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ يتحدث في صميم المسألة، ويبين فيها أهمية فقه الموازنات وقواعد الترجيح عند التعارض فيقول:

فالتعارض إما:

١- بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما؛ فتقدم أحسنهما بتفويت المرجوح.

٢- وإما بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما؛ فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما.

٣- وإما بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما؛ بل فعل الحسنة مستلزم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٥٤-١٥٥).



لوقوع السيئة؛ وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة؛ فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة.

- **فالأول**: كالواجب والمستحب؛ وكفرض العين وفرض الكفاية؛ مثل تقديم قضاء الدين المطالب به علىٰ صدقة التطوع، وكتقديم نفقة الأهل علىٰ نفقة الجهاد الذي لم يتعين؛ وتقديم نفقة الوالدين عليه، كما في الحديث الصحيح: أي: العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة علىٰ مواقيتها**»؛ قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»؛ قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»، وتقديم الجهاد علىٰ الحج كما في الكتاب والسنة.

- **والثاني**: كتقديم المرأة المهاجرة لسفر الهجرة بلا محرم علىٰ بقائها بدار الحرب، كما فعلت أم كلثوم التي أنزل الله فيها آية الامتحان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾، وكتقديم قتل النفس علىٰ الكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، فتقتل النفوس التي تحصل بها الفتنة عن الإيمان؛ لأن ضرر الكفر أعظم من ضرر قتل النفس.

- **وأما الثالث**: فمثل أكل الميتة عند المخمصة؛ فإن الأكل حسنة واجبة لا يمكن إلا بهذه السيئة، ومصلحتها راجحة، وعكسه الدواء الخبيث؛ فإن مضرته راجحة علىٰ مصلحته من منفعة العلاج؛ لقيام غيره مقامه؛ ولأن البرء لا يتيقن به وكذلك شرب الخمر للدواء.

فتبين أن السيئة تحتمل في موضعين:

- دفع ما هو أسوأ منها إذا لم تدفع إلا بها.
- وتحصيل ما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها؛ والحسنة تترك في موضعين: إذا كانت مفوتة لما هو أحسن منها.
- أو مستلزمة لسيئة تزيد مضرتها علىٰ منفعة الحسنة.

هذا فيما يتعلق بالموازنات الدينية... «وهو» مما لا يمكن اختلاف الشرائع فيه وإن اختلفت في أعيانه، بل ذلك ثابت في العقل كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وهذا ثابت في سائر الأمور.

ويرجحون وجود السلطان مع ظلمه علىٰ عدم السلطان، كما قال بعض العقلاء: ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان؛ ثم السلطان يؤاخذ علىٰ ما يفعله من **العدوان** ويفرط فيه من الحقوق مع التمكن.

بل لو كانت الولاية غير واجبة وهي مشتملة علىٰ ظلم، ومن تولاها أقام الظلم، حتىٰ تولاها شخص قصده بذلك تخفيف **الظلم** فيها، ودفع أكثره باحتمال أيسره، كان ذلك حسنا مع هذه النية، وكان فعله لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها جيدًا.

وهذا باب يختلف باختلاف النيات والمقاصد، فمن طلب منه ظالم قادر وألزمه مالًا فتوسط رجل بينهما ليدفع عن المظلوم كثرة **الظلم** وأخذ منه وأعطىٰ الظالم، مع اختياره ألا يظلم ودفعه ذلك لو أمكن: كان محسنًا، ولو توسط إعانة

للظالم كان مسيئًا.

وإنما الغالب في هذه الأشياء فساد النية والعمل، أما النية فبقصده السلطان والمال، وأما العمل فبفعل المحرمات وبترك الواجبات لا لأجل التعارض ولا لقصد الأنفع والأصلح.

فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجبا، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة.

وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما لم يكن فعل الأدنىٰ في هذه الحال محرمًا في الحقيقة.

وهذا باب التعارض، باب واسع جدًّا، لاسيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة، فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل، ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة، فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون إلىٰ الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلىٰ السيئات فيرجحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعنيهم العمل بالحسنات وترك السيئات؛ لكون الأهواء قارنت الآراء؛ ولهذا جاء في الحديث: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات»[١].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٥٢-٥٨) باختصار.

من هذا الكلام النفيس والفقه العميق يتبين لنا أهمية العلم بفقه الموازنات وخطورة الجهل به أو إغفاله، وبالنظر في ضوء هذا الفقه إلىٰ ما يحدث اليوم من النوازل والفتن في بلدان المسلمين يتبين لنا خطأ من يجعل نفسه -من بعض الدعاة والمجاهدين- خصمًا ومناوئًا لمن يقود هذه الأحداث والثورات، وفيها كثير من الإسلاميين وذلك لما صدر عنهم من بعض المواقف والتصريحات الخاطئة، فيحدث من جراء ذلك فرقة وفتنة بين الساعين لنصرة هذا الدين مما ينشأ عنها الفشل والهزيمة لهم، ومما يهيئ لأنصار الباطل والظلمة وأهل الزندقة والكفر والعلمنة المناخ الملائم لقطف ثمرة هذه الأحداث وخطف النصر والتمكين لصالحهم.

● فالوصية لأنصار هذا الدين أن يجتمعوا أمام أهل الزندقة والكفر، وأن يعملوا فقه الموازنات وقواعد الترجيح الشرعية فيما يحقق الخير والصلاح للأمة، ولو كان في هذا الخير شيء من الدخن والمفاسد، والعبرة بارتكاب أخف الضررين وتحقيق أعلىٰ المصلحتين عند التعارض، ولا شك أن تولي المنتسبين لهذا الدين والحكم بشريعته أصلح وأعظم خيرًا وأقل فسادًا من تولي أعداء هذا الدين الكارهين لشريعته، ولقد أفتىٰ بعض أهل العلم بأنه لو كان في بلد من بلدان الكفر رجلان كافران يطلب التصويت علىٰ أحدهما ليكون رئيسًا لتلك الدولة، وكان أحدهما أخف ضررًا علىٰ المسلمين في تلك البلاد، وحرية المسلمين تكون في عهده أكثر من الآخر، لكان علىٰ المسلمين التصويت له والسعي في إسقاط الآخر، وهذا من الفقه الدقيق والعلم الراسخ.

⦸ **الوقفة الخامسة:**

لو قدر الله عَزَّوَجَلَّ أن يمكن لطائفة من المسلمين في بقعة من الأرض وبلد من البلدان ليحكموها بشرع الله عَزَّوَجَلَّ ويأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر؛ فهل يجب علىٰ هؤلاء الممكنين المبادرة إلىٰ تطبيق أحكام الإسلام كلها علىٰ الناس، وإقامة الحدود والعقوبات عليهم دفعة واحدة؟

هذه الوقفة فرع عن الوقفة السابقة، والجواب عنها يحكمه فقه الموازنات والنظر إلىٰ المصالح الكبرىٰ للإسلام والمسلمين، وتطبيق قواعد الترجيح الشرعية بارتكاب أعلىٰ المصلحتين ولو ذهبت أدنهما وارتكاب أهون المفسدتين لتفويت أعظمهما.

فإذا كان في إقامة الحدود من أول يوم ومعاقبة المخالف لأحكام الإسلام مفسدة عامة ينفر بسببها الناس من الإسلام أو ينحازون إلىٰ أعدائه بسبب جهلهم أو عدم قدرتهم علىٰ أخذ أحكام الإسلام كلها وهلة واحدة؛ فإنه قد يكون من **الحكمة** والمصلحة الراجحة الرفق بالناس والتدرج معهم في تطبيق أحكام الشريعة حتىٰ تذل نفوسهم لذلك وتنقاد.

وعندما يقال: التدرج في تطبيق بعض الأحكام فلا يعني ذلك التدرج في بيانها، فبيان دين الله عَزَّوَجَلَّ وحدود شريعته وأحكامها ينبغي أن يكون من أول يوم يتمكن فيه أنصار الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما المقصود: تأجيل الإلزام بها ومؤاخذة الناس علىٰ مخالفتها.

وقد جاء في سيرة الابن الصالح عبد الملك ابن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز -رحمهم الله- أنه قال لأبيه: «يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا

إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة لم تحيها؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان علىٰ الخير، يا بني! إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتىٰ ما أريد مكابرتهم علىٰ انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقًا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضىٰ ألا يأتي علىٰ أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة، حتىٰ يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين؟».

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشارة جميلة إلىٰ أثر الإخلال بهذا الأصل، فقد «وقع بسبب الجهل به غلط عظيم علىٰ الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلىٰ رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن **العدل** إلىٰ الجور، وعن **الرحمة** إلىٰ ضدها، وعن المصلحة إلىٰ المفسدة، وعن **الحكمة** إلىٰ العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلىٰ صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها.

ونحن نذكر تفصيل ما أجملناه... بأمثلة صحيحة، منها: أن النبي ﷺ: «**نهىٰ أن تقطع الأيدي في الغزو**»[(١)].

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٩٧).

فهذا حد من حدود الله تعالىٰ، وقد نهىٰ عن إقامته في الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلىٰ الله من تعطيله أو تأخيره من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبًا...»[(١)].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ هنا كلام متين، بين فيه أنه قد يكون الواجب في بعض الأحوال ترك الأمر ببعض الطاعات، أو ترك النهي عن بعض المنكرات، كما إذا في الأمر بالطاعة فعل معصية أكبر منها، فيترك الأمر بها دفعًا لوقوع تلك المعصية، «مثل أن ترفع مذنبًا إلىٰ ذي سلطان ظالم فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضررًا من ذنبه، ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات ترك لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات، فيسكت عن النهي خوفًا أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر».

... أن ترك الأمر وترك النهي في هذه الحالة لا يعني إسقاط الواجب، ولا تحليل المحرم، وإنما هو سكوت فقط عن الأمر والنهي لمصلحة راجحة، «فالعالم تارة يأمر وتارة ينهىٰ وتارة يبيح وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة.

فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن: إما لجهله وإما لظلمه، ولا يمكن إزالة جهله وظلمه، فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه... كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتىٰ علا الإسلام وظهر.

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك؛ قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلىٰ وقت التمكن، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلىٰ وقت تمكن رسول الله ﷺ

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٥-٨) باختصار.

من بيانها، يبين حقيقة الحال في هذا أن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به.

وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه.

فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول شيئًا فشيئًا بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئًا فشيئًا، ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها، وكذلك التائب من الذنوب، والمتعلم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجبًا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبًا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان كما عفا الرسول عما عفا عنه إلى وقت بيانه.

ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط، فتدبر هذا الأصل فإنه نافع.

ومن هنا يتبين سقوط كثير من هذه الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل؛ لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم، فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجبًا في الأصل، والله أعلم»[١]. اهـ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يولي علىٰ المسلمين خيارهم، والحمد الله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ اله وصحبه والتابعين.



(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٥٨-٦٠).

(٢١)

نعم
نحن طائفيون[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فمن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أن حذر عباده المؤمنين من الفتن قبل وقوعها وبين لهم العاصم منها ألا هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله**»[٢].

كما حذر من الفتن في قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾.

---

(١) نشر بتاريخ (١٤٣٤هـ) ومناسبته: الحديث عن الوطنية وإقصاء الحديث عن الولاء والبراء (يجيز أنه يزكي الطائفية).

(٢) رواه مالك وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٨٦).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

كما حذر نبيه ﷺ من الفتنه في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا فأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء وأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء...**» (١). الحديث.

وقال ﷺ: «**إن السعيد لمن جنب الفتن**»(٢). وإن المتأمل في عصرنا الحاضر ليرىٰ دون ادني جهد ما يموج فيه من الفتن والبلايا التي تموج كموج البحر بعضها يرقق بعضًا كما قال ﷺ: «**... وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنه فيرقق بعضها بعضًا وتجيئ فتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي...**»(٣). الحديث.

ولا تخرج هذه الفتن عن فتنة الشبهات والشهوات.

ولو أردنا أن نبحث عن أبرز فتن الشبهات التي تميز بها واقعنا المعاصر لوجدناها متمثله في «فتنة التلبيس والتضليل والخداع» حيث أصبحت هذه الفتنة سمة بارزة في زماننا اليوم لاسيما بعد هذه الثورة الإعلامية والتقنية التي تدخل بغير استئذان إلىٰ بيوت الناس وعقولهم وأفكارهم ومن ورائها «شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا» ولو شاء الله عَزَّوَجَلَّ ما

---

(١) رواه مسلم (١٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٦٣)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٤٠٥).

(٣) رواه مسلم (١٨٤٤).

فعلوه ولكنها سنة الابتلاء والمدافعة فسبحان الله وبحمده علىٰ علمه وحكمته وعزته ورحمته.

وإن من صور التلبيس والتضليل اليوم ما يحصل من التلاعب بالمصطلحات ووضعها في غير موضعها واستخدام ذلك في تحسين القبيح وتقبيح الحسن.

ومع ما في المصطلحات من فائدة كبيرة في كونها وسائل للتفاهم بأقصر طريق، وأوضح دلالة وأقل مجهود ما دامت لا تتعارض مع الكتاب والسنة ولا مع العقل والفطرة إلا أن قومًا تلاعبوا بها ووظفوها في التلبيس علىٰ الناس وإضلالهم فشوهوا بها الحق وزينوا بها الباطل.

والمصطلحات من أشد العناصر الثقافية أثرًا وفتكًا في ثقافات الأمم، ومع أن المصطلح لا يتجاوز كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا ولا يتعدىٰ ذلك إلا نادرًا إلا أن هذه الكلمة بمدلولها الذي يرمي المتكلم بها لها أثر في تفريغ العقول والقلوب وملئها.

ولها مفعول السحر الذي يستعصىٰ فهمه علىٰ منطق العقل.

وإن من المصطلحات التي يتلاعب بها اليوم ولاسيما في هذه السنوات الأخيرة ويلبس علىٰ الناس بها لتهدم عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين ولتقصىٰ شريعة الله عَزَّوَجَلَّ عن الحكم ما يسمىٰ «بفتنة الطائفية» أو «الحروب الأهلية» ويطرق عليها بكثافة وأساليب متنوعة، ولاسيما عند الرافضة والعلمانيين وسادتهم من الغرب الكافر، وذلك لتحقيق مآربهم في القضاء علىٰ أهل السنة وعقيدتهم وإقصاء شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، حتىٰ باتت بهذا الطرح المكثف مكروهة ومنبوذة عند أكثر الناس دون إدراك لمغزىٰ مشيعيها.

وإبراء للذمة ونصحًا للأمة أذكر فيما يلي ما أحسبه الفهم الصحيح



«للطائفية» ومتىٰ تكون مقبولة ومتىٰ تكون مرفوضة مستضيئًا في ذلك بالميزان الشرعي والمستمد من الكتاب والسنة الذي هدانا الله عَزَّوَجَلَّ له لا من موازين البشر الجاهلية المعوجة الضالة المضلة.

● **المعنىٰ اللغوي للطائفية:**

قال الراغب في «المفردات»: «والطائفة من الناس جماعة منهم؛ ومن الشيء القطعة منه قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

وقال بعضهم: قد يقع ذلك علىٰ الواحد فصاعدًا وهو مروي عن ابن عباس».اهـ. والطائفي نسبة إلىٰ الطائفة.

● **كشف التلبيس في كلمة «الطائفية» اليوم:**

إن لفظ الطائفة ورد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي السنة الصحيحة وذلك في مواطن كثيرة والذي يهمنا من ذلك: المعنيان الكبيران لمفهوم الطائفة الوارد ذكرها في الكتاب والسنة.

المعنىٰ الأول:

إن الله عَزَّوَجَلَّ أطلق علىٰ المؤمنين اسم الطائفة كما أطلق في مقابلها اسم الطائفة علىٰ الكافرين أو المنافقين، وذلك في قوله تعالىٰ عن من آمن من قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن كفر منهم: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَآءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾.

فسمىٰ المؤمنين طائفة ويقابلهم طائفة الكفار الذين لم يؤمنوا؛ وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن طائفة المؤمنين وما يقابلهم من طائفة المنافقين وذلك في سياق غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

وليس بين هاتين الطائفتين التقاء ولا ولاء ولا محبة ولا نصرة، بل المتعين علىٰ طائفة المؤمنين البراءة من طوائف الكفر والنفاق وبذل البغض والعداوة لهم وجهادهم بالبيان والسنان كلًّا بحسبه حتىٰ يكون الدين كله لله وحده؛ فطائفة المؤمنين في شق وطائفة الكفار والمنافقين في شق آخر؛ ولا يجوز للمسلم أن يستحيي من استخدام هذا المصطلح «الطائفية»، بل عليه أن يغتبط ويعتز بأنه من طائفة المؤمنين وأنه مفاصل ومتبرئ من طوائف الكفر والنفاق، وإذا وجدت القدرة علىٰ جهادهم وجب ذلك ولم يلتفت إلىٰ شبهات المشبهين والمضللين الذين يرفعون في وجوه الدعاة والمجاهدين سيف الطائفية ويصفون الدعوة للإسلام والسنة والجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام لإعلاء كلمة الله بأنها «طائفية» أو «حرب أهلية»، نعم نقولها بكل عزة ولا تردد ولا استحياء إنها طائفية يحبها الله ورسوله لكونها بين طائفة الحق وطائفة البطل، بل بين حزبين حزب الرحمن وحزب الشيطان، ونحن بهذا الفهم طائفيون.

إن الذين يتذرعون برفض الطائفية مطلقًا باسم الوحدة الوطنية أو القومية أو الإنسانية يريدون التوصل بذلك إلىٰ ما يسمونه بالتسامح ورفض عقيدة الولاء

والبراء وشريعة الجهاد وتقديس الوطن وجعل أبناء الوطن الواحد أو الإقليم الواحد إخوانًا ولو كان منهم اليهود والنصارىٰ والمشركين والروافض الباطنيين والمنافقين؛ ويصفون الحروب التي تنشأ بين المؤمنين والكفار في بلد أو إقليم واحد بأنها فتنة طائفية وحروب أهلية.

أما إنها طائفية فحق ونعتز بذلك، وأما أنها أهلية فلا؛ لأن الكفار ليسوا من أهلنا وقد تأثر بهذه الشبهات بعض أبناء المسلمين، فراحوا يدافعون عن أنفسهم وينفون أن يكونوا طائفيين وما علموا أن حربنا مع الكفار والمنافقين جهادية طائفية، وليست حروبًا أهلية لأن الحروب الأهلية هي ما يحصل بين طوائف المؤمنين كما سيتبين في الفقرة القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

أما الحروب التي تكون بين المؤمنين والكفار فإنها ليست أهلية بل جهادية لأن الكفار ليسوا أهلنا ولا من فئتنا، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في ابنه من صلبه بعد أن أغرقه الله مع الكافرين: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فالكافر والمنافق الزنديق ليس من أهل المؤمنين ولو كانوا أقرب الأقربين؛ هذا هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا هو شرعه ولكن المنافقين لا يعلمون أو يعلمون ولكنهم بهت ملبسون مضللون، ومن العجيب أن الذين ينددون بالطائفية من الرافضة أو العلمانيين هم طائفيون إلىٰ العظم فلماذا حلال لهم وحرام علىٰ طائفة الحق؟!

المعنىٰ الثاني:

ورد ذكر الطائفة أيضًا في القرآن ويراد منها طوائف المؤمنين حسب مهماتهم أو أوصافهم لكنهم كلهم يشملهم وصف الإيمان كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»(١).

● وكل طوائف المسلمين يجب بذل الولاء والنصرة لهم، كل بحسبه فكل مسلم من أهل القبلة يجب بذل الولاء العام له، ولا ينتفي عنه مطلق الولاء إلا بخروجه عن الإسلام؛ ولكن الولاء يكون بحسب ما يكون عليه المسلم فإذا كمَّل صفات المسلمين والمؤمنين والتزم بعقيدة أهل السنة والجماعة فله بذلك الولاء المطلق؛ وإن أخل بشيء من ذلك كما هو الحال في طوائف البدع غير المكفرة فله مطلق الولاء يوالىٰ بما فيه من الخير والاتباع ويتبرأ مما يتلبس به من الفسق والبدعة، ولا يتبرأ منه من جميع الوجوه إلا إذا خرج عن ملة الإسلام.

وإذا كان الولاء العام يبذل لكل طوائف المسلمين؛ فإن القتال بينهم والحالة

---

(١) رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).

هذه محرم لأنه قتال فتنة؛ ويمكن أن توصف مثل هذه الحروب التي تحصل بين المسلمين بأنها أهلية يجب اجتنابها والسعي في إخمادها، إلا في حالة قتال الصائلين كالبغاة والمحاربين فهذا مشروع ولو كانوا مسلمين.

هذا ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ من كتابته حول هذا الموضوع، والحمد لله رب العالمين.



(٢٢)

الوصايا العشر
في التعامل مع الحوادث والنوازل[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المسلمين ولاسيما الدعاة والمجاهدين منهم، وذلك في خضم هذه الحوادث الكبيرة والنوازل المتسارعة والمتلاحقة التي يشهدها واقعنا اليوم والتي هلك فيها من هلك سواء بيده أو لسانه أو قلمه، إما بغلو وإفراط وإما بتقصير وتفريط، وإما بعجلة وطيش، صادرة كلها إما عن شهوة وهوىٰ أو شبهة وتأويل أو مزيج منهما.

ولن أتعرض في هذه الوصايا لحدث أو نازلة بعينها ولن أتطرق لموقف معين من فرد أو طائفة، وإنما أسوق هنا بعض ما ظهر لي من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ، وبعض ما استقرأته من مواقف السلف الصالح من النوازل والحوادث، في صورة وصايا أحسبها نافعة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في أي حدث ينزل بالأمة؛ ليصل بها

---

(١) نشر بتاريخ (١٤/ ٩/ ١٤٣٥هـ) ومناسبته: الفتن التي تقع في العراق وسوريا واليمن ومصر.

المسلم إلىٰ الموقف الحق والرأي السديد ويسلم من التخبط والشطط والعدوان بإذن الله تعالىٰ.

❍ **الوصية الأولىٰ:**

اللجوء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ودعاؤه والتضرع بين يديه وسؤاله الهداية للحق؛ لأنه سبحانه هو وحده الهادي والموفق للحق والثبات عليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ابنه: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

وقال عن دعاء خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧].

وقال سبحانه عن دعاء نبيه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦].

فهذا باب عظيم من أبواب العصمة من الفتن والانحراف.

فينبغي علىٰ من أراد لنفسه الهداية للحق أن يسأل ذلك ممن يملكها وحده وهو الله سبحانه.

ولو تأملنا أدعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رسول الهداية لرأينا كثيرًا منها في الثبات علىٰ الدين والهداية إلىٰ الحق؛ وأكتفي بالدعاء العظيم الذي كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحافظ عليه في كل ليلة في استفتاح صلاة التهجد ألا وهو قوله: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك**

تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم»[(١)].

وإذا علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق عبده وتوكله عليه وفقه للأسباب التي يهديه بها للحق والسداد، أما إذا نسي العبد هذا الأمر وقل دعاؤه وسؤاله لربه عَزَّوَجَلَّ وأُعجب بنفسه ورأيه؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يكله إلىٰ نفسه ويتخلىٰ عنه، ومن تخلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه فلا تسأل عن خيبته وضلاله وخسرانه.

❍ **الوصية الثانية:**

الحذر من الهوىٰ ودخول حظ النفس في تفسير الأحداث والمواقف منها؛ لأن الهوىٰ وحظ النفس يقودان صاحبهما إلىٰ التعصب والتحزب لهذه الطائفة أو تلك أو لهذا الموقف أو ذاك، وهذا من ضعف التجرد لله عَزَّوَجَلَّ في طلب الحق، ومَن هذه صفته فإنه يحرم في الغالب التوفيق والهداية والسداد.

وقد يدخل العبد في أمرٍ حميةً لله عَزَّوَجَلَّ وهو متجرد لا هوىٰ له فيه فلا يلبث أن يدخل حظ النفس والحمية لها فيفسد عليه قصده فيحرم السداد؛ وهذا يقتضي اليقظة الشديدة للنفس ونوازعها وحظوظها.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «وكذلك الحمية لله والحمية للنفس؛ فالأولىٰ يثيرها تعظيم الأمر والآمر والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها»[(٢)].

وإن مما يتنافىٰ مع التجرد لله في طلب الحق وتحديد المواقف التعصب لشخص أو طائفة وتقليدهم وحصر الحق فيهم وتخطئة أو تضليل من سواهم،

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).

(٢) «الروح» (ص٢٣٤).

وكأن هذا المقلد يدعي العصمة لمن قلده وهذا يتنافىٰ مع منهج أهل السنة والجماعة والذين شعارهم قوله ﷺ في دعائه: «**وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا**»(١).

لذا يرفعون شعار: «اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال» وشعار: «اقبل الحق ممن أتىٰ به ولو كان بغيضًا»، ويرفضون وينبذون شعار: «من لم يكن معي فهو ضدي».

لذا يجب الحذر من هذه الصفة ومجاهدة النفس في قبول الحق بدليله ولو خالف هواها ولو خالف قول من تحب.

فهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع محبته العظيمة لصديق الأمة الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما لم يظهر له الحق في قتال المرتدين في بداية الأمر لم يقلد أبا بكر رضي الله عنه، بل ناظره وناقشه حتىٰ أزال أبو بكر رضي الله عنه الشبهة عنه وانشرح صدر عمر رضي الله عنه للحق فانقاد له، هذا مع أبي بكر الصديق التقي النقي المسدد فكيف بمن دونه ودونه؟!

فالحذر الحذر من اتخاذ موقف من المواقف لأن فلانًا من الناس أو طائفة من الطوائف قال به حتىٰ يتبين الدليل الشرعي في صحته من خطئه ومن ثم قبوله أو رفضه!

وما أحسن وصية عمر لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما في قوله: «ولا يمنعك من قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق؛

---

(١) النسائي (١٣٠٤)، وصححه الألباني.

فإن الحق قديم، ولا يبطل الحق شيء وإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»[(١)].

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن المعلمي -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه النفيس: «التنكيل» مجموعة من الأسباب التي توقع في الهوىٰ والتعصب للباطل أسوقها هنا علىٰ وجه الاختصار والتصرف اليسير لنحذرها ونتوقاها.

فمن ذلك:

- أن يرىٰ الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافه بأنه كان علىٰ باطل؛ فالإنسان ينشأ علىٰ دين أو مذهب أو رأي يتلقاه من مربيه أو معلمه علىٰ أنه الحق، ويكون عليه مدة من الزمن، ثم إذا تبين له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، ولاسيما إذا كان آباؤه وأجداده أو شيوخه وزملاؤه علىٰ ذلك؛ فيشق عليه أن يخطئهم، ويرىٰ أن في ذلك استنقاصهم وأن نقصهم مستلزم لنقصه.
- أن يكون قد صار له في الباطل جاه وشهرة ومعيشة فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد.
- الكبر -أعاذنا الله منه- حيث يكون الإنسان علىٰ جهالة أو باطل، فيجيء آخر فيبين له الحجة فيرىٰ أنه إن اعترف كان معنىٰ ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، ولهذا ترىٰ من المنتسبين إلىٰ العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له.

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٨٦).

⇦ الحسد -أعاذنا الله منه-، وذلك إذا كان غيره هو الذي بين له الحق فيرىٰ أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافًا لذلك المبين بالفضل والعلم والإصابة؛ فيعظم في عيون الناس فيحسده علىٰ ذلك»[١].اهـ.

والمقصود: الحذر من هذه الآفات وأن وجودها يدل علىٰ الهوىٰ وعدم التجرد والإخلاص لله تعالىٰ.

وأختم هذه الوصية بوصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ حيث يقول: «لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ويخالفه إذا خالف هواه؛ فإذن أنت لا تثاب علىٰ ما وافقته من الحق وتعاقب علىٰ ما تركته منه؛ لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعَيْن»[٢].

❍ **الوصية الثالثة:**

حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ وأنه سبحانه حكيم لطيف عدل في قضائه وقدره، وأن رحمته في قضائه للمسلم قد سبقت غضبه، ومن ذلك ما قدره سبحانه علىٰ الأمة من نوازل وحوادث حيث إنها مقتضىٰ أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وله الحكمة البالغة في ذلك.

وتأتي أهمية هذه الوصية في أثرها علىٰ اطمئنان القلوب ورد الوساوس الشيطانية التي تبث اليأس والإحباط والشبهات في النفوس واليقين بأن العاقبة للمتقين.

---

(١) «التنكيل» (٢/ ١٨٠- ١٨٢).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٥٩٠).

○ **الوصية الرابعة:**

ضرورة العلم بالشرع، والبصيرة في الدين، والوعي بالواقع، وأثر ذلك في معرفة الحق والسداد في المواقف؛ فبالعلم تزول الشبهات التي تغطي علىٰ الحق، وغالب من لم يوفق للحق الجهلة من الناس، سواء كان هذا الجهل في الدين وأصوله وأحكامه، أو في الواقع وفهمه والوعي بسبيل المجرمين.

وإن من أهم ما ينبغي العناية به من العلمِ: العلمُ بالقواعد الشرعية وأدلتها ودورها في فقه الموازنات والتعارضات التي تظهر عادة في الحوادث والنوازل، وإن إغفال هذا الجانب المهم من العلم الشرعي هو الذي يوقع في التخبطات والاختلافات.

والمقصود هنا بفقه الموازنات: فقه قواعد الترجيح بين المصالح المتعارضة أو المفاسد المتعارضة أو بين المفاسد والمصالح؛ وذلك حين يتعذر الجمع بين مصلحتين متعارضتين أو مفسدتين متعارضتين أو بين مصلحة ومفسدة متعارضتين. وهذا العلم موجود في كتب الأصول.

فلابد من العناية بفقه الموازنات وإعماله وإنزاله في فهم النوازل والمواقف منها.

وهذا الفقه لا يتم ويصير نافعًا إلا بمعرفة الواقع والوعي به وبأحوال الوقائع والنوازل وتفاصيلها؛ لأن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره، وإن إغفال هذا النوع من الفقه وتجاهله يؤدي إلىٰ تخبط في المواقف وانحراف ومفاسد كثيرة.

وفي هديه عليه الصلاة والسلام مواقف كثيرة من هذا؛ من ذلك: تركه قتل بعض من أظهر نفاقه كراهة أن يقال: إنه يقتل اصحابه، وتركه إعادة بناء الكعبة

علىٰ قواعد إبراهيم ﷺ لأن قريشًا كانوا في أول إسلامهم فخشي من الفتنه، ونهيه عليه الصلاة والسلام عن إقامة الحدود في الغزو وفي البلاد الحربيه؟!

❍ **الوصية الخامسة: التثبت التثبت:**

إن مما يسهم اليوم في مجانبة الحق والصواب في المواقف: المسارعة في نقل وتداول الأخبار ونقل الأحداث دون توثيق وتثبت منها، والتعامل معها كأنها صدق وحق لا ريب فيه، ومن ثَمَّ تُتَّخَذُ المواقف والأحكام المتسرعة علىٰ أساسها، مما ينجم عنه الأحكام والمواقف الجائرة التي قد يندم صاحبها عليها ولكن حين لا ينفع الندم؛ لأنها قد طارت كل مطيَّر، ويشتد خطر هذه المواقف وإثمها إذا كانت قد صدرت من متبوع في علم أو دعوة أو جهاد.

وتتأكد أهمية التثبت والتوثق بصورة أكبر في زماننا اليوم الذي كثرت فيه وسائل النقل والتواصلات الاجتماعية السريعة، وتسارع الناس في نشر أي: خبر والحكم عليه دون أدنىٰ تثبت منه؛ حرصًا من الناشر علىٰ السبق والشهرة في نقل الأخبار، أو حرصًا علىٰ إلحاق الأذىٰ والتهم بخصمه، وفي هذا مخالفة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤].

فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام القويم، ومتىٰ استقام القلب واللسان علىٰ هذا المنهج لم يبق مجال للظن والشبهة في عالم المواقف والأحكام.

فكم من مظلوم في دينه وعرضه أو بدنه أو ماله كان سبب ذلك التسرع في نقل الأخبار وتلقيها دون تثبت وتمحيص، وكم من أواصر قطعت بين الأقارب والإخوان كان سببها الظنون الكاذبة وتلقي الأخبار والشائعات دون تثبت.

والتثبت المنشود هنا يُعنَي به نوعان من التثبت:

⇦ التثبت من صحة الخبر المسموع أو المقروء أو المشاهَد، والتوثق التام من صحته والاطمئنان إلىٰ صدقه لأنه قد يتبين بعد التثبت أنه كذب مختلَق، أو فيه زيادة ونقصان، وعند ذلك يرفض الخبر ويسلم الإنسان من نقل الأخبار المكذوبة والشائعات، ويسلم من إثم ذلك.

⇦ إذا تبين صحة الخبر المنقول فلا يسوغ بناء الأحكام والمواقف منه حتىٰ يقف وقفة أخرىٰ من التثبت: ألا وهي التثبت من خلفيات الخبر والملابسات التي أحاطت به والظروف التي عاشها من نُقل عنه الخبر ومحاولة إحسان الظن به؛ لأن في ذلك سلامة من المواقف والأحكام الجائرة التي يحكم بها علىٰ الخبر في حال عدم معرفة ملابسات حصوله؛ لأنه بمعرفة الملابسات والظروف التي أحاطت بالخبر وتسببت في حصوله يحصل وضع الحكم والموقف منه في حجمه الطبيعي دون جور أو عدوان، وقد يظهر فيه عذر ومبرر شرعي لأصحابه.

وهذا النوع من التثبت هو ما كان عليه الرسول ﷺ في مواقفه من الأخبار أو في مواقفه من الأخطاء التي تنجم من بعض أصحابه رضي الله عنهم؛ فقد تكرر في مواقف

كثيرة وقبل أن يتخذ الرسول ﷺ موقفًا من صاحب الخطأ أن يقول لصاحب الخطأ: «**ما حملك علىٰ ما صنعت**»، وهذا تثبت منه ﷺ من أسباب وملابسات الوقوع في الأخطاء.

وهذا يشمل الأخبار التي تنقل عن الافراد أو الطوائف؛ وهذا من العدل والإنصاف الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ به في أكثر من موطن من كتابه الكريم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**»(١).

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «**أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا**»(٢).

ومن درر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «والله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بظلم وجهل»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٨٢).

(٢) رواه أحمد (٣٠/ ٢٦٤) (١٨٣٢٥)، وقال الألباني في تخريج «الكلم الطيب» (١٠٦) «إسناده صحيح».

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٩٦).

❍ الوصية السادسة: الرفق والحلم والأناة والاستخارة والاستشارة:

إن من أخطر الأمور علىٰ المسلم أيام الحوادث والنوازل عجلته وتسرعه فيها وتركه الرفق والأناة؛ فكم من الذين تسرعوا وتورطوا في الفتن قد أقروا بندمهم علىٰ عجلتهم في أمر كان لهم فيه أناة.

قال الرسول ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه**»(٢).

والحلم والتأني عواقبه محمودة، والخطأ فيه أهون بكثير من الخطأ في التسرع والعجلة.

ولا يعني الدعوة إلىٰ الحلم والأناة في المواقف ألا يكون للمسلم موقف أو أن تفوت الفرص النافعة، وإنما المقصود أن يعطي المسلم نفسه وقتًا كافيًا يتأمل فيه ويتثبت فيه من الأمور وألا ينفرد برأيه فيها، بل يستشير فيها أهل العلم والحكمة والدين والتجربة ويستخير ربه فيما هو قادم عليه؛ لأنه سبحانه هو وحده العالم بمآلات الأمور وعواقبها؛ ولذلك شرع لنا دعاء الاستخارة.

عن مطرف بن الشخير قال: «من استفتح باب الرأي من وجهه وأتاه من طريقه ضمنت له النجاح وتحملت عنه الخطأ قيل: ما وجهه وأين طريقه قال يبدأ بالاستخارة ثم الاستشارة ولا يشاور إلا عارفًا حدبًا عليه»(٣).

---

(١) أبو داود (٤٨١٠)، وصححه الألباني في: «السلسلة» (١٧٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٩٣).



فإذا حصل التثبت والاستشارة والاستخارة بان بإذن الله تعالىٰ الموقف الصحيح، فأخذ به العبد بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن استفرغ الجهد في معرفة الحق والصواب.

ولو فرض أن الحق لم يتبين للعبد بعد ذلك كله فليس ملزمًا باتخاذ موقف، وإنما المتعين عليه في هذه الحال التوقف واعتزال الأمور وعدم الحكم عليها حتىٰ تنجلي وينشرح الصدر للموقف الحق، ولن يضر المسلم اعتزاله هذا، ولن يؤاخذه سبحانه عن موقفه هذا، ما دام أن قصده الحق وابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ واتقاء سخطه.

ومما يدخل في العجلة أمام النوازل والفتن التسرع في تطبيق بعض أحاديث الفتن في آخر الزمان علىٰ واقعة بعينها أو شخص بعينه، وبناء علىٰ ذلك تتخذ المواقف ويحصل من ذلك فتن وبلايا، والسلف علمونا أن أحاديث الفتن لا تنزل علىٰ واقع حاضر، وإنما يظهر صدق النبي ﷺ بما أخبر به من حدوث الفتن بعد وقوعها وانقضائها بعد ظهور أوصاف الرسول ﷺ لها وما آلت إليه.

ومن العجلة المذمومة التسرع في التكفير لمعين من المسلمين لأدنىٰ شبهة لم تستكمل شروط التكفير وانتفاء موانعه.

❍ **الوصية السابعة: ترك الانشغال بحوادث لم تقع والبحث عن الموقف منها:**

ومن ذلك كراهية السلف التعجل في إفتاء الناس في قضايا لم تقع بعد ذلك؛ لأن الوقائع والأحداث تختلف في وصفها وتصورها قبل الوقوع عنها بعد الوقوع، وذلك لما يظهر فيها بعد وقوعها من الملابسات والأحوال ما لم يكن معروفًا قبل الوقوع.

وظهور هذه الملابسات للمفتي تعينه علىٰ تصور الواقعة من جميع جوانبها، ومن ثَم الوصول إلىٰ الصواب في الحكم عليها والموقف منها.

عن عامر الشعبي قال: «سئل عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن مسألة فقال: كان هذا بعدُ، قالوا: لا؛ قال: دعونا حتىٰ يكون، فإذا كان تجشمنا لك»(١).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه إلىٰ الرسول ﷺ: «**لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها، فإنكم إن لم تفعلوا لم ينفك المسلمون أن يكون منهم من إذا قال وفق أو قال سدد، وإنكم إذا استعجلتم بالبلية قبل نزولها ذهبت بكم السبل هاهنا وهاهنا**»(٢).

ومن مخاطر ذلك ما ينجم عن بعض المتحمسين للدعوة والجهاد من افتراض أمور ووقائع لم تقع بَعْدُ، ثم يختلفون فيها وفي الموقف منها لو وقعت، وقد ينتهي الحال بالمختلفين في هذا الأمر الذي لم يقع إلىٰ الافتراق والهجر، بل والتبديع والتكفير، وهذا من عمل الشيطان ونقصان العقل.

❍ **الوصية الثامنة: لزوم الجماعة وتآلف القلوب ونبذ الفرقة:**

والمقصود بالجماعة: جماعة أهل السنة والاتباع قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»(٣).

---

(١) رواه الدارمي (١٢٥) «المطالب العالية» (٣/ ١٠٦).

(٢) رواه الدارمي (١١٨) «المطالب العلية» (٣/ ١٠٦).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٧٢)، وصححه الألباني في: «السلسلة» (٦٦٧).

فالجماعة أصل، ولا يجوز بحال أن يضيع الأصل للمحافظة علىٰ الفرع، كما هو الحال اليوم عند كثير من المختلفين؛ حيث تجدهم يختلفون في فرع أو جزئية؛ فيتسبب هذا في افتراقهم وتخاصمهم، وهذا من الجهل، وقد يكون من الهوىٰ ولم يكن هذا هو هدي أصحاب النبي ﷺ؛ فقد كانوا يحرصون علىٰ الجماعة؛ ومن أجلها كانوا يتركون بعض السنن للحفاظ علىٰ الجماعة فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما أتم عثمان رضي الله عنه الصلاة بالناس في منىٰ أتم معه الصلاة مع رأيه أن ذلك خلاف السنة، ولما قيل لعبد الله بن مسعود: «عبت علىٰ عثمان ثم صليت أربعًا قال: الخلاف شر»[(١)].

وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ولكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد»[(٣)].

ويقول أيضًا: «قد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالىٰ في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة وأخوة الدين»[(٤)].

---

(١) أبو داود (١٩٦٠)، وصححه الألباني في: «صحيح أبي داود» (٧٢٦).

(٢) «السنة» للالكائي (١/ ١٢١).

(٣) «الاستقامة» (١/ ٣١).

(٤) «الفتاوىٰ» (٢/ ١٧٢).

وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ ليونس الصدفي: «يا أبا موسىٰ، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة».

والمقصود: العناية بهذا الأصل العظيم: «أصل الجماعة والائتلاف»، وذلك في اتخاذ المواقف من الأحداث، وأنه إذا تعارض مع فرع ترك الفرع للحفاظ علىٰ الجماعة وتغليب مصلحة الأمة علىٰ المصالح الخاصة، والحذر من الفرقة والاختلاف فهي من عمل الشيطان؛ فالفرقة لا تقف عند حد، بل تبدأ من اختلاف القلوب وتلوثها بالحقد والحسد والظنون السيئة، ثم تمر علىٰ اللسان فيتكلم بظلم وهوىٰ وجهل بلا علم ولا تثبت ولا عدل وقد تنتهي والعياذ بالله إلىٰ فتنة التكفير والسيف والقتال.

والمتتبع لحوادث التاريخ الماضي والمعاصر يلمس هذا بكل وضوح، والسعيد لمن جنب الفتن.

وإن مما يعين علىٰ جمع القلوب وتآلفها إحياء صفة التراحم والتغافر بين المسلمين والعمل بقوله تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فعلينا أن ننمي وننشر الرحمة بيننا، مهما حصل من الخلاف، وعلينا بناء علىٰ ذلك أن نضفي شعور الولاء والمودة والإخاء وحسن الظن.

○ الوصية ا لتاسعة: تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والعمل الصالح والإكثار من العبادات:

كلما كان العبد متقيًا لله عَزَّوَجَلَّ قائمًا بالأوامر تاركًا للنواهي، كلما كان أسعد بالموقف الحق عند النوازل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].



ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤].

وقال سبحانه عن نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ويقول الرسول ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»(١).

والآيات والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة؛ حيث يتضح لنا منها أثر العبادة وتقوىٰ الله عز وجل والعمل الصالح في معرفة الحق، وكونها سببًا في توفيق الله عز وجل للعبد وتسديده كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكما في قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**»(٢).

وما أجمل كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ حيث يقول: «العبد متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل فهو محتاج إلىٰ العون عند الأوامر، وإلىٰ اللطف عن النوازل، وعلىٰ قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل؛

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

فإن كمَّل القيام بالأوامر ظاهرًا وباطنًا ناله اللطف ظاهرًا وباطنًا، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن.

فإن قلت: وما اللطف الباطن؟

قيل: هو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع»[(١)].

ومن الأعمال الفاضلة التي يوفق الله العبد بها للحق: كثرة الاستغفار والتوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والإنابة إليه وكثرة ذكر الله تعالىٰ.

يقول ابن القيم رحمة الله تعالىٰ: «وشهدت شيخ الإسلام قدس الله روحه إذا أعيته المسائل واستعصت عليه فر منها إلىٰ التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ واللجأ إليه واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته؛ فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا»[(٢)].

❍ الوصية العاشرة: الحذر من إرجاف المنافقين وتخذليهم:

أيام النوازل والفتن يشرئب النفاق وأهله ويظهرون بقرونهم: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ويسعون جاهدين لإثارة الوساوس والشبهات والشهوات في مجتمعات المسلمين، مما قد ينخدع بمكرهم فئام من الناس؛ ولذا وجب علىٰ الدعاة وأهل العلم التصدي لهؤلاء المنافقين ورد شبهاتهم وفضحهم وتحذير الأمة مما يقومون به عند النوازل

---

(١) «الفوائد» (١/ ٢٠٢).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٧٨).

من إثارة الخوف والإرجاف والتخذيل والإحباط وبث اليأس في قلوب المسلمين، وهذا من جهادهم الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ به رسوله وأمته تبع له في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التحريم: ٩].

آخر الوصايا؛ والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * * *

(٢٣)

يا علماء الملة
لمن تتركون الأمة(١)

العلماء الربانيون يعيشون هموم الأمة ويعرفون أحوال الناس وواقعهم، وهم الذين تفزع الأمة إليهم بعد الله عَزَّوَجَلَّ في ملماتها ونوازلها، فتجد عندهم القيادة الرشيدة والتوجيه السديد والمأمن من الشرور والفتن، وإذا احتاج الأمر إلىٰ المقارعة والجهاد فهم الذين يقودون الناس ويشعلون فيهم الحماس ويحرضونهم علىٰ ذلك.

والتاريخ مليء بالحوادث والنوازل التي قاد العلماء فيها أمتهم ووجد الناس عندهم الجواب المطمئن لكل نازلة؛ إذ كشفوا الحيرة والاضطراب بأقوالهم السديدة التي انطلقت من فهم للشريعة ومقاصدها وفهم لواقع الناس وأحوال الأمة، كما شاركوا أمتهم النضال والنزال وقادوهم إلىٰ بر الأمان.

ولا يخفىٰ علىٰ المتأمل لحياة السلف هذه الأحوال والمواقف المشرفة لهم؛ فهذا إمام السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالىٰ- وكيف حمىٰ الله به الدين في وقت عصيب قلَّ فيه النصير وقلَّ فيه المتكلم بالحق، فثبته الله عَزَّوَجَلَّ وقاد الأمة في مواجهة فتنة الاعتزال والقول بخلق القرآن حتىٰ انتصر الحق وزهق الباطل.

---

(١) ومناسبته: سكوت أهل العلم عن نوازل المسلمين وبيان الحق فيها.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- وكيف كشف الله عَزَّوَجَلَّ به الحيرة علىٰ الناس أيام التتار وشرح به صدور الناس لقتال التتار، فحمَّسهم وحرَّضهم علىٰ القتال بقوله وفعله، وكان من نتيجة ذلك أن رد الله عَزَّوَجَلَّ كيد الكفار الغزاة في نحورهم وأعز دينه ونصر أولياءه.

وكذلك الحال في الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- وكيف أنقذ الله به الأمة من الظلمات إلىٰ النور ومن الشرك إلىٰ التوحيد، وجاهد مع الإمام محمد بن سعود وأولاده -رحمهم الله تعالىٰ- حتىٰ مكّن الله تعالىٰ لهم في الأرض.

● وهكذا كان دور العلماء المجاهدين في تاريخ الإسلام الطويل، وهذا ليس بمستغرب علىٰ العلماء الربانيين الصدّيقين؛ فهم ورثة الأنبياء، وهم صمام الأمان لأمتهم، وهم مرجعها في سِلمها وحربها، وفي كل شئونها؛ وكلما كان العالِمُ يعيش هموم أمته ويعرف أحوالها وواقعها وما يُكاد لها ويخطط من قبل أعدائها؛ كلما كان ذلك حاجزًا لها من الانحراف والفتنة والمهانة والذلة، وعلىٰ العكس من ذلك؛ فما من فترة من فترات المسلمين تمر عليهم وتكون الأمة في واد وأهل العلم والدين في واد آخر لا يعلمون إلا القليل عن الأمة وهمومها وواقعها، إلا كان من جراء ذلك فتنة وفساد كبير علىٰ الأمة بأسرها علماء وعامة، حكامًا ومحكومين.

● وهل هناك فتنة علىٰ الناس أشد من أن يترك العلماء قيادة الأمة ورعايتها ليتولىٰ أمرها وقيادتها أهل النفاق والفساد؟! إن هذا هو الحاصل اليوم في أكثر بلدان المسلمين...

● إن بُعد أكثر العلماء عن واقع الأمة ومعرفة أحوالها واستبانة سبيل المجرمين الذين يكيدون لها هو من بين الأسباب التي أدت إلىٰ هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية في أكثر البقاع اليوم في عقائدها وشرائعها وأخلاقها.

وحين يبتعد العلماء عن الأمة وقضاياها الكبار ونوازلها العظام، فإنهم في أغلب الأحوال يسلمونها إلىٰ فئتين من الناس: إحداهما توجه العامة، والأخرىٰ توجه شباب الدعوة والصحوة.

- **فالفئة الأولىٰ**: هي فئة المفسدين من المنافقين الذين يفسدون عقيدة الأمة وأخلاقها ويربطونها بأعدائها، ويزيّنون لها التبعية للغرب أو الشرق، مجندين في ذلك كل وسائل الإعلام المختلفة التي تمكر بالناس بالليل والنهار، كل ذلك في غيبة الدعاة الربانيين من العلماء والدعاة الصادقين، ما ترك الأمة كالشياه المطيرة لترعاها الذئاب الضارية، وكفىٰ بذلك فتنة للساكتين من أهل العلم من وزر السكوت وإسلام الأمة لأعدائها... وكفىٰ بذلك فتنة للناس في عقيدتهم وأخلاقهم وأموالهم عندما يتولىٰ توجيههم في ذلك المفسدون في الأرض، قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣]، أي: لبئس ما كان يصنع العلماء الربانيون بسكوتهم.

- **والفئة الأخرىٰ**: فئة المتسرعين من بعض الدعاة الذين لم يكن لهم حظ من العلم والفقه وتصدروا في بعض البلدان قيادة الشباب في الدعوة والجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فوجدوا أنفسهم في منأىٰ عن أهل العلم، وجدَّت في واقع الدعوة والأمة قضايا كبيرة لا يتصدىٰ لها إلا أهل العلم المجتهدون، فاقتحموا هذه النوازل وتجرءوا علىٰ الإفتاء فيها؛ فكان من جراء ذلك فتنة لهم ولمن تبعهم؛ نظرًا

لسيطرة العواطف والحماس عليهم وليس العلم والفقه[١].

وإن كلًّا الفئتين علىٰ ما بينهما من فرق في النوايا والمنطلقات، فإنهما يشتركان في كونهما يجران المفاسد علىٰ الأمة؛ سواء بالتميُّع في أخذ الإسلام والتحلل من أحكامه كما هو الشأن في مقاصد الفئة الأولىٰ، أو في التسرع والانطلاق في اتخاذ مواقف دعوية وجهادية دون مراعاة الضوابط الشرعية كما هو شأن الفئة الأخرىٰ؛ وكما أن كلتا الفئتين لا تسلمان من إثم هذه المفاسد كل بحسبه، فإن من سكت من العلماء المجتهدين يشتركون في إثم هذه الفتن؛ وذلك لبعدهم عن واقع أمتهم وما تحتاج إليه من معرفة الحق في نوازلها وقضاياها الكبار، التي لم تجد الأمة أمامها إلا هاتين الفئتين، فأسلمت لهما القياد... والله المستعان.

وتأكيدًا لخطورة هذه الأمور وتصويرًا لواقع الأمة وما تحتاج إليه من علمائها؛ أسوق بعض الأمثلة من القضايا والنوازل التي تتوق الأمة وتهفو إلىٰ سماع كلمة العلماء الربانيين فيها ومعرفة المواقف العملية إزاءها:

- كثر الحديث في السنوات الأخيرة عما يسمىٰ النظام العالمي الجديد والشرعية الدولية، ولا يخفىٰ علىٰ المسلم الواعي حقيقة دينه وحقيقة أعدائه ما في هذا النظام من رفض لأحكام الإسلام الدولية وتعطيل ذروة سنامه؛ ذلك أن الواضعين لهذا النظام والمطالبين بضرورة التزامه من جميع العالم، يقصدون به

---

(١) ولا يعني هذا أن كل المتصدرين للدعوة اليوم كذلك -معاذ الله!-، فلقد رأينا في بعض بلدان المسلمين مَن جمع بين الدعوة والعلم والحكمة، وظهر أثرهم في استقامة الدعوة وشبابها.

ترك الدين جانبًا وعدم اعتباره في أي: موقف دولي، وأن يُعَطَّل الجهاد وتحترم حدود اليهود الغاصبين في فلسطين، وأن يتحاكم الجميع إلىٰ شريعة هذا النظام، وليس إلىٰ شرع الله ﷿ وأحكامه؛ وهذا أخطر ما في النظام؛ لأن الرضا به هو تنكر للإسلام ورفض لأحكامه التي تتضاد مع هذا النظام وتأباه... فأين علماء الإسلام من النصح للأمة وبيان كفريات هذا النظام ومطالبة الأمة برفضه والانقياد له؟

ولا يكفي في إنكار هذا النظام إفتاء السائلين عنه أو إنكاره في حلقات العلم الخاصة؛ بل إن هذا النظام الطاغوتي من الخطورة بحيث يتطلب قومة لله ﷿ صادقة من أهل العلم يعلنون فيها رفضهم نظام الطاغوت؛ بصورة جماعية تسمعه الأمة الإسلامية في كل مكان، حتىٰ لا تنخدع من قبل أعدائها المتربصين في الداخل والخارج.

- ومن القضايا التي تنتظر الأمة موقفًا صريحًا من العلماء فيها، قضية السلام الدائم مع اليهود وإقرارهم علىٰ احتلالهم وتطبيع العلاقات معهم.

فإلىٰ هذا الوقت لم نسمع حول هذه الفتنة إلا مواقف فردية غير معلنة ولا تأتي إلا عند السؤال والاستفتاء، وإنما الذي تسمعه الأمة وتروَّض علىٰ قبوله هو مكر الليل والنهار من أعدائها وبني جلدتها الذين يزيّنون هذا الاستسلام، ويلبِّسون ويغلطون في طرحه ومناقشته.

فأين موقف العلماء وكلمتهم المعلنة حول هذا الاستسلام المهين؟ وما حكم إقرار اليهود في مقدسات المسلمين؟ وما حكم السلام الدائم معهم وعقد المعاهدات الدائمة علىٰ وضع أوزار الحرب معهم واحترام حدودهم وفتح بلدان المسلمين

لاستثماراتهم الاقتصادية وثقافاتهم الإلحادية وسلوكياتهم المنحرفة؟

- كما تحرص الأمة علىٰ سماع كلمة أهل العلم في قضايا المسلمين وما يواجهونه في بلدانهم من محن وبلاء من أعدائهم الكفرة؛ ولو أن علماء المسلمين لهم مواقف صريحة معلنة من محن المسلمين المختلفة يعلنونها للعالم ويطالبون أعداءهم الكفرة برفع الأذىٰ والنكال؛ لكان لذلك -والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ- أثر كبير علىٰ علماء المسلمين، ومن أهم القضايا محنة المسلمين في كشمير المحتلة، وفي فلسطين، وفي الفلبين، وبورما، وأفغانستان، والعراق، ومصر، وسورية... وغيرها من بلدان المسلمين التي يُضطهد فيها الدعاة والمصلحون.

- كما كثر الحديث في الآونة الأخيرة عما يسمىٰ «الإرهاب»، والمقصود بالدرجة الأولىٰ المسلمون ودعاتهم ومجاهدوهم؛ حيث حصل خلط عجيب بين ما تقوم به بعض الفئات المتسرعة تحت ضغط الواقع في بلدانهم دون مراعاة للمفاسد المترتبة علىٰ فعلهم -وهو اتجاه خاطئ ومردود-، وبين السواد الأعظم من دعاة المسلمين ومجاهديهم ممن يرفضون هذه التصرفات لكنهم يجاهدون الكفرة الغزاة المحتلين لبلدان المسلمين، لكن أعداء الملة لا يفرقون بين هذا وهذا -مع علمهم بذلك-؛ لأن الخطر عندهم يكمن في الإسلام نفسه ومن يدعو إليه، ويكمن عندهم في إعلان الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ليكون الدين كله لله.

وقد قامت وسائل الإعلام في أكثر بلدان المسلمين بتأييد هذه النظرة وترديدها حتىٰ تأثر بذلك فئام من الناس؛ فما أحوج الأمة إلىٰ سماع كلمة أهل العلم في هذه القضية... وما أحوج الأمة إلىٰ أن تسمع دفاع العلماء عن الإسلام ودعاته المضطهدين وألا يسلموهم للكفرة وأتباعهم يشوهون صورة الدعاة إلىٰ

الله عَزَّوَجَلَّ وقصدهم من ذلك كله الإسلام والقضاء عليه...

وما أحوج الأمة إلىٰ أن يرفع العلماء رأسها وتخاطب الكفرة أعداء الدين بنفس خطابهم وأن الإرهاب الحقيقي هو ما يقوم به الغرب الكافر أو الشرق الملحد واليهود الغاصبون من قتل مئات الآلاف من المسلمين، ومن هتك وتشريد وسجن... يا ليتنا نسمع هذا الكلام من ورثة الأنبياء من علمائنا الأجلاء في عالمنا الإسلامي، ويعلنونها صريحة يرهبون بها عدو الله وعدوهم، ويسهمون في رفع الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له دعاة الإسلام في أكثر بلدان المسلمين اليوم.

- لا يخفىٰ علىٰ العلماء المخلصين ما يعيشه المسلمون اليوم من فرقة واختلاف وشحناء وعدوان، خاصة بين دعاتها ومجاهديها وأهل الخير من أبناء السنة فيها... وإن الحاجة إلىٰ تدخُّل أهل العلم أصبحت ملحة وضرورة ماسة للحفاظ علىٰ الدين والأنفاس والأعراض وحمايتها من مفاسد هذا الاختلاف وهذه الفرقة المشينة... وإن كلمة أهل العلم في هذا الشأن مهمة وكفيلة -إن شاء الله تعالىٰ- بحسم مادة هذا الاختلاف أو تقليل أثره في معظم الاحتمالات.

وإن الأمة لا تكتفي من علمائها بكلمة أو كلمات يقولونها في جواب عن سؤال من أحد الأطراف المختلفة، وإنما المطلوب دراسة أسباب الاختلاف وأن يجتمع أهل العلم المخلصون المحايدون علىٰ بيان واضح معلن ينصحون به أهل الاختلاف ويعلنون فيه موقفهم بعلم وعدل من مسائل الخلاف، ما يسع منها وما لا يسع، ويسعون فيه إلىٰ جمع الكلمة ورد المعتدي، ولا يدعون المجال لطرف معين ليقوِّم الطرف الآخر، حيث يعز العدل ويدخل الهوىٰ، وإنما يقطعون الطريق



بموقفهم المعلن علىٰ كل طرف يريد التشهير أو النيل من الطرف الآخر بغير حق، وإنها لفتنة تستحق أن تحظىٰ باهتمام أهل العلم بها؛ لأنها تعد من النوازل التي إن غاب أهل العلم عنها فسيزداد اشتعالها وخطرها، وفي هذا فتنة وإثم علىٰ المسلمين عامة.

- إن الأمة تنتظر الموقف الحاسم والمعلن من علمائها تجاه الذين يبدّلون شرع الله عَزَّوَجَلَّ في أكثر بلدان المسلمين، ويحكمون فيها بدلًا من ذلك حكم الطاغوت من القوانين الوضعية والدساتير الكفرية.

- إن الأمة تنتظر من علمائها الموقف الحاسم والفتوىٰ الصريحة في حكم من ظاهر الكفار والمشركين وعاونهم ونصرهم علىٰ المسلمين في احتلال ديارهم وفرح وشمت بما يصيب المسلمين من أعدائهم الكفرة... إن أبناء الأمة يطالبون علماء الأمة بإعلان ما كانوا يعلمونه لطلابهم في حلق العلم من أن مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين ناقض من نواقض الإيمان وردة عن الإسلام، وإنزال هذا الحكم علىٰ من يمارس ذلك من المنافقين من إعلاميين وساسة.

أخيرًا نذكِّر علماءنا الأجلاء بأن يحذروا من الاستجابة لبعض طروحات المغلطين والملبسين من ساسة وغيرهم، وذلك في استفتاءاتهم التي يريدون بها الاتكاء علىٰ رأي العالم وموقفه إزاءها في تحقيق أغراض سيئة يفتنون بها الأمة! ويبررون بها ظلمهم! فحين لا يتفطن أهل العلم لأغراضهم الماكرة ويجيبونهم عن طروحاتهم إجابات مجردة دون معرفة بمقاصدهم ومآلات أمرهم.

فإن آثار فتوىٰ أهل العلم في مثل هذه الحالات تكون غير محمودة في الغالب.

وعن هذا الموضوع يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في حديثه عن فوائد تتعلق بالفتوىٰ والمفتي: «الفائدة الرابعة والأربعون: يحرم عليه إذا جاءته مسألة تحيُّل علىٰ إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلىٰ مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصّل به إلىٰ مقصوده؛ بل ينبغي له أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ.

وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل وباطنها مكر وخداع وظلم، فالغر ينظر إلىٰ ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينقض مقصدها وباطنها؛ فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج علىٰ الجاهل بالنقد زغل الدراهم، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقود؛ وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق! وكم من حق يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل! ومن له أدنىٰ فطرة وخبرة لا يخفىٰ عليه ذلك، بل هذا أغلب أحوال الناس، ولكثرته وشهرته يستغنىٰ عن الأمثلة»[١].

وقال رحمه الله تعالىٰ أيضًا في موطن آخر وهو يتحدث عن أنواع المسائل التي ترد علىٰ المفتي: «... وتارة تورد عليه المسألة الباطلة في دين الله في قالب مزخرف ولفظ حسن، فيتبادر إلىٰ تسويغها وهي من أبطل الباطل، وتارة بالعكس؛ فلا إله إلا الله، كم ها هنا من مزلة أقدام، ومجال أوهام، وما دعا محق إلىٰ حق إلا

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٢٩).

أخرجه الشيطان علىٰ لسان أخيه ووليه من الإنس في قالب تنفر عنه خفافيش البصائر وضعفاء العقول، وهم أكثر الناس، وما حذر أحد من باطل إلا أخرجه الشيطان علىٰ لسان وليه من الإنس في قالب مزخرف يستخف به عقول ذلك الضرب من الناس فيستجيبون له، وأكثر الناس نظرهم قاصر علىٰ الصور لا يتجاوزونها إلىٰ الحقائق، فهم محبوسون في سجن الألفاظ مقيدون بقيود العبارات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣].

وأذكر لك من هذا مثالًا وقع في زماننا: وهو أن السلطان أمر أن يلزم أهل الذمة بتغيير عمائمهم، وأن تكون خلاف ألوان عمائم المسلمين، فقامت لذلك قيامتهم، وعظم عليهم، وكان في ذلك من المصالح وإعزاز الإسلام وإذلال الكفرة ما قرت به عيون المسلمين، فألقىٰ الشيطان علىٰ ألسنة أوليائه وإخوانه أن صوَّروا فتيا يتوصلون بها إلىٰ إزالة هذا الغبار، وهي: ما تقول السادة العلماء في قوم من أهل الذمة ألزموا بلباس غير لباسهم المعتاد وزي غير زيهم المألوف فحصل لهم بذلك ضرر عظيم في الطرقات والفلوات، وتجرأ عليهم بسببه السفهاء والرعاة، وآذوهم غاية الأذىٰ، فطمع بذلك في إهانتهم والتعدي عليهم، فهل يسوغ للإمام ردهم إلىٰ زيهم الأول وإعادتهم إلىٰ ما كانوا عليه مع حصول التميز بعلامة يعرفون بها؟ وهل في ذلك مخالفة للشرع أم لا؟

فأجابهم من مُنِعَ التوفيق وصُدَّ عن الطريق بجواز ذلك، وأن للإمام إعادتهم

إلىٰ ما كانوا عليه، قال شيخنا: فجاءتني الفتوىٰ، فقلت: لا تجوز إعادتهم، فذهبوا ثم أتوا بها في قالب آخر، فقلت: هي المسألة المعينة وإن خرجت في عدة قوالب؛ ثم ذهب إلىٰ السلطان وتكلم عنده بكلام عجب منه الحاضرون، فأطبق القوم علىٰ بقائهم؛ ولله الحمد»[1].

هذا هو تحذير ابن القيم في زمانه، فكيف لو خرج في زماننا اليوم الذي بلغ فيه المكر والخداع مداهما في كثير من بلدان المسلمين؟

وختامًا: وبعد ذكر بعض مظاهر الفتنة التي تنشأ من بُعْدِ أهل العلم عن واقع الأمة وأحوالها، وبعد ذكر الأمثلة التي تتوق الأمة إلىٰ سماع أهل العلم ومواقفهم منها؛ فإنه لابد من الإشارة إلىٰ أنه لا يزال -والحمد لله- في الأمة وعلمائها خير كثير، ولا يزال فيها أولو بقية ينهون عن الفساد ويعون واقع أمتهم، وقد قال بعضهم كلمته في مثل هذه القضايا المطروحة سابقًا، لكن الأمر من الخطورة والأهمية ما لا يكفي فيه قول فردي يقال في جلسة أو استفتاء، ولا يكفي فيه قول واحد ولا اثنين، ولا عشرة؛ إنما الأمر من الأهمية بحيث يحتاج إلىٰ ترابط أهل العلم وإعلان موقفهم الموحد إزاء هذه القضايا وغيرها حتىٰ يصل إلىٰ الأمة وتسمعه كما يسمعه أعداء الإسلام، ليدركوا أن للأمة رجالها وعلماءها الربانيين الذين قادوها في القديم ورفعوا رأسها، وسيقودونها -إن شاء الله تعالىٰ- في هذا الزمان؛ حتىٰ تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلىٰ.

وهنا لابد من الإشارة إلىٰ مسألة مهمة تتعلق بالأدب مع العلماء والاعتذار لهم؛ فقد يوجد بعض العلماء المخلصين الذين يعون أحوال أمتهم وما تحتاج إليه

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٩٢-١٩٤).

وما يراد لها، ومع ذلك فلا يرىٰ لهم أثر كبير في نصح الأمة وبيان الحق لها، ما يدفع بعض المستعجلين والمتحمسين من الدعاة أو طلبة العلم إلىٰ رمي هذا الصنف من العلماء بالجبن أو المداهنة وحب الدنيا، وهذا غلط، بل فيه فتنة وجور؛ لأن مثل هؤلاء العلماء الذين لا يشك في إخلاصهم وغزارة علمهم، قد يرون ما لا يرىٰ غيرهم، وقد يغلب علىٰ ظنهم أن في إعلان مواقفهم فتنة، وقد يكون بعضهم قد حيل بينه وبين قول الحق، والبعض الآخر قد التبس عليه الأمر... إلىٰ آخر هذه الأعذار، والمهم أن من عُرِفَ عنه العلم والإخلاص وعدم المداهنة وله البلاء الحسن في الإسلام والدعوة إليه؛ فلا ينبغي النيل من عرضه والتشهير به، بل يلتمس له العذر ما استطيع إلىٰ ذلك سبيلًا.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

(٢٤)

أيها الدعاة والمجاهدون احذروا حرب الجيل الرابع[١]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة في تحذير الأمة من الفرقة والاختلاف وبيان أنها سبب الفشل والنكبات؛ كما تبين لنا فيهما أن فرح شياطين الإنس والجن إنما هو في افتراق المسلمين واختلاف كلمتهم لاسيما الدعاة والمجاهدين منهم، وأن غيظ الكافرين من الإنس والجن وغمهم حينما يرون اجتماع كلمة المسلمين وتآلفهم؛ ولذا فهم لا يفتئون في الليل والنهار يسعون بالتحريش والتهريش في أوساط المسلمين؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

كما بين الله تعالىٰ تراحم المسلمين فيما بينهم وتآلفهم وأن هذا يغيظ الكفار فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ

---

(١) نشر عام (١٤٣٥هـ) ومناسبته: التحذير من الأعداء في تفريق الأمة وإشعال الفتنة بينهم.

وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال الرسول ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**»(١).

وقال أيضًا: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجييء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئًا قال: ثم يجييء أحدهم فيقول: ما تركته حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت!» (٢).

ولما رأىٰ اليهود اجتماع كلمة الأوس والخزرج بعد أن صاروا مسلمين ومتحابين متآلفين وقد كانوا قبل ذلك أعداء متحاربين غاظهم ذلك وغمهم وسعوا للإفساد بينهم وتفريق كلمتهم، فذكروهم الحروب التي كانت بيهم وما قيل فيها من أشعار حتىٰ كادت فتنة القتال تنشب بينهم، لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ أخمدها بحكمة نبيه محمد ﷺ ورحمته، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك آيات بينات قال فيها سبحانه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٩ -١١٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).

وهام شياطين الجن والإنس في واقعنا المعاصر من اليهود والنصارىٰ وأوليائهم من المنافقين يمارسون سياسة أسلافهم بمكر جديد ومتنوع يستخدمون فيه الإعلام المسخر في أيديهم ومواقع التواصل الاجتماعي في تنفيذ فتنة التفريق والفوضىٰ وعدم الاستقرار في بلدان المسلمين، وذلك بما يسمونه بـ«حرب الجيل الرابع» فهل نعي أبعاد هذه الحرب ونحذر بألا نكون معاشر الدعاة والمجاهدين أداة لتنفيذ هذه الحرب التي تصب في خانة الخصم الكافر من حيث لا نشعر؟!

يحدد أهداف هذه الحرب أحد المخططين لها «ماكس مايورواينج» الأستاذ بمعهد الدراسات الإستراتيجية بالجيش الأمريكي وأحد أعمدة المخابرات العسكرية السابقين فيقول: «إنها إفشال الدولة المغزوة وزعزعة استقرارها ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية عن طريق السيطرة علىٰ وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، والغرض من ذلك إنهاك وقضم إرادة الدولة المستهدفة ببطء وثبات لتحقيق هدفنا النهائي؛ وهو إرغام العدو علىٰ تنفيذ رغباتنا ويقول: «إن أسلحتنا في هذه الحرب الناعمة ليست المدافع والدبابات والطائرات ولكن قوة المال والقدرات العقلية وهو أهون علينا وأقل تكلفة، لأن من سينفذها لحسابنا هم مواطنون من الدولة العدو الذين يتولون عنا زعزعة الاستقرار ونشر الفوضىٰ».اهـ.

من خلال هذه التصريحات يتبين لنا خطورة هذه الحرب الناعمة التي هي إصدار جديد من إصدارات الحروب الموجهة للمسلمين، حيث تقوم هذه الحرب علىٰ إثارة الفوضىٰ الفكرية والأمنية في الدولة المقصودة بالحرب والسعي لتفتيتها بمواجهات بين أبناء المسلمين عن طريق دعم

طرف دون الآخر، ولاسيما بين الجماعات المختلفة وإذكاء الخلاف بينها وإشاعة الفوضىٰ لإجبار الدولة علىٰ التقسيم والتشرذم لتصبح دويلات لا حول لها ولا قوة؛ دويلات ضعيفة متهالكة لا تستطيع أن تحيا من دون وصايتهم وسيسهل تشكيلها والتلاعب بها بحجة حمايتها، في حين أنها تستخدم وتسخر للاقتتال نيابة عنها بعد أن تمزق أوصالها عن طريق زرع الفتن والانشقاقات وإشاعة الفوضىٰ ونشر الأكاذيب والافتراءات مستخدمة الإعلام الملبس في إثارة الفوضىٰ والغبش في الأفكار وإثارة الشبهات.

وهذا مما يسعىٰ ويخطط له المشروع الأمريكي فيما يسميه الشرق الأوسط الجديد؛ ويتم تنفيذ هذه السياسة الماكرة من خلال العملاء المنافقين من أبناء البلد أو من يزرعه الكفار من أوليائهم داخل البلد وغالبًا ما يكون هؤلاء المنافقون والعملاء من السياسيين والليبراليين وأصحاب الأقلام ورواد منابر الإعلام والفنانين، والذين تكون مهمتهم خلق الأزمات وإثارة الشبهات وزعزعة الاستقرار، بحيث يردد وراءهم عامة الناس ما يرفعونه من شعارات فيخربون بيوتهم بأيديهم وتبقىٰ الدولة المغزوة في فوضىٰ وعدم استقرار تغتنمه الدول الغازية في تمرير ما يريدون من تدخل سافر في شئون البلاد وسيطرة علىٰ مقدراتها وتنفيذ مخططاتها ومشاريعها وذلك بأقل خسارة تنالهم ودون تدخل عسكري يكلفهم الخسائر في الأرواح والمعدات ولو احتاجوا للتدخل العسكري يتم لهم بأقل الخسائر لأنهم يدخلون بلدًا مفككًا ضعيفًا قد اختلفت كلمة أهله وأفكارهم وغاياتهم.

وهذا للأسف ما يجري في هذه الأزمنة من حرب يشنها الأعداء علىٰ بلدان المسلمين دون أن تكلفهم هذه الحرب سلاحًا وجنودًا؛ فهل نعي

معشر المسلمين هذا النوع من الحرب ونسعىٰ لفضحها وتحذير الناس منها وقطع الطريق علىٰ أهلها؟ بألا نكون أداة لتنفيذ خطط الأعداء لتدمير أنفسنا بأنفسنا ونحن لا نشعر وذلك بتفرقنا وإنشغالنا ببعضنا عن عدونا؟!

ونصحًا لنفسي ولإخواني الدعاة أذكر بعض الوقفات التي تعين بأذن الله تعالىٰ المخلصين من الدعاة والمجاهدين علىٰ جمع الكلمة وإحباط خطط الأعداء التي ترمي إلىٰ جعل المسلمين ومنهم دعاتهم ومجاهديهم يدمرون أنفسهم وبلدانهم بأنفسهم وذلك بإشاعة الفوضىٰ وإذكاء التفرق والتخريب بينهم.

⦸ الوقفة الأولىٰ:

يجب علىٰ من يقوم بالرد علىٰ المخالف أن يراجع نيته، وذلك بأن تكون قومته لله عَزَّوَجَلَّ وحميةً لدينه وليست حمية للنفس وإظهار الغلبة وشفاء للغيظ، وهذه مسألة دقيقة فكم من قائم حمية لنفسه لا لدين الله عَزَّوَجَلَّ وكم من قائم حمية لله عَزَّوَجَلَّ ولدينه في بداية أمره ثم لا يلبث أن يدخل حظ النفس والهوىٰ ويتحول الأمر إلىٰ إثبات الذات والغلبة علىٰ الخصم.

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وكذلك الحمية لله والحمية للنفس؛ فالحمية لله يثيرها تعظيم الأمر والآمر، والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها»[1].

ومن الآفات التي تنافي الإخلاص وتسبب الفرقة والاختلاف: العجب

---

(١) «الروح» (ص٢٣٤).

والغرور بالنفس والاعتداد بها وازدراء آراء ومواقف الآخرين، ولا علاج لذلك إلا بالإخلاص والتبري من الحول والقوة وتحقيق التوكل علىٰ الله- عز وجل وحده- بالاستعانة به دون ما سواه واليقين، بأن المرء هالك ضائع خاسر لو وكله الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نفسه طرفة عين، وهذا عين تحقيق قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ينفي الرياء وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ينفي العجب والموفق من وفقه الله.

⦸ الوقفة الثانية:

الأصل في العلاقة بين المسلمين مهما اختلفوا أنها علاقة ولاء وتراحم وتغافر وتناصح، أما مع الكفار فليس لهم إلا البراءة والعزة عليهم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

وبناءً علىٰ علاقة الولاء والتراحم بين المسلمين يكون التعاون بينهم فيما اتفقوا عليه والتناصح بينهم فيما اختلفوا عليه دون أن يحدث هذا الاختلاف منابذة وخصومة وعداوة كما يبنىٰ عليه حسن الظن بينهم وإقامة الأحكام والمواقف علىٰ العدل والإنصاف فيما بينهم والسعي للإصلاح إن حصل ما يفسد الأخوة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

⦸ الوقفة الثالثة:

علىٰ الدعاة والمجاهدين في حال الاختلاف والنقد أن «يسمعوا من بعضهم

لا عن بعضهم» وهناك فرق كبير بين السماع من الجهة المختلف معها؛ وبين السماع عنها إذ السماع عن المخالف يعتريه بالعنعنة مشوشات كثيرة منها سوء الفهم من الناقل أو سوء التعبير من المنقول عنه أو عدم التثبت والتوثيق أو الكذب والهوىٰ، ولاسيما إذا كان الناقل عن المخالف خصم له أو من أقرانه.

وفي ذلك يقول الحافظ الذهبي في «ميزانه» في ترجمة الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ما نصه: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد؛ وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصرًا، من الأعصار سلم أهله من ذلك سوىٰ الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم» «ميزان الاعتدال» (١/ ١١١).

أما السماع من بعضهم؛ فإن كثيرًا من المشوشات السابقة تزول حيث يسمع المختلفون الذين ينتقد بعضهم بعضًا سماعًا مباشرًا من بعضهم يذكر كل فريق حجته والملابسات التي عاشها، والظروف التي أحاطت به حتىٰ صدر منه موقفه كل ذلك وجهًا لوجه، وقد ينفي أحد الأطراف ما نسب إليه من موقف خاطئ أو يكذبه أو يصححه إذا كان النقل مشوهًا؛ كما أن في السماع مباشرة بين الإخوة المختلفين إجابة بعضهم لسؤالات بعض بشكل مباشر، الأمر الذي لا يملكه الناقلون للأخبار بالعنعنة؛ والمقصود أن في سماع الدعاة والمجاهدين بعضهم من بعض لا عن بعض يقضي علىٰ كثير من أسباب الخلاف ونزغات الشيطان وظلم بعضهم لبعض.

⦸ **الوقفة الرابعة:**

علىٰ من يقوم بالدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أو الجهاد في سبيل الله تعالىٰ ولاسيما

القادة منهم أن يكون لهم العناية التامة بعلم القواعد الشرعية، وفقه الموازنات ومقاصد الشريعة، وذلك للحاجة الماسة لهذا العلم في نوازل الزمان والتعارض بين المصالح والمفاسد ومآلات الأمور واختلاف المواقف باختلاف الحال والزمان والمكان، وكما قيل: ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشرين.

● **ومن أهم هذه القواعد التي تعين علىٰ جمع الكلمة ونبذ الفرقة:**

١- الجماعة أصل فلا يضيع الأصل للمحافظة علىٰ الفرع، كما أتم ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة خلف عثمان رضي الله عنه في منىٰ وهو يرىٰ القصر وقال: «إن الخلاف شر».

٢- الموقف من المخالف -ولو كانت مخالفته بدعية ما لم تكن مكفرة- يختلف في حالة الضعف ووجود عدو كافر يستبيح الجميع عنه في حالة القوة والتمكين؛ فبينما يكون الهجر للفاسق والمبتدع في حالة القوة والتمكين؛ فإن هذا لا يصلح أن يكون في حالة الضعف وتسلط الكافر الحاقد علىٰ الجميع؛ بل قد يكون من المتعين أن يتفق مع المخالف ولو كان مبتدعًا في قتال العدو الكافر الصائل مع مناصحة المبتدع في ترك بدعته، فكيف إذا كان المخالف أو المخطئ من أهل السنة؟!

وهذا ما قام به شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- حينما اجتمع مع طوائف الأمة وفيهم الأشعري والصوفي من غير الغلاة وجيش الأمة لقتال التتار ومقابلة ملكهم عندما أراد التتار اجتياح بلاد الشام.

وقد روىٰ الذهبي- رحمه الله تعالىٰ- في «السير»: «أن بعض علماء أهل السنة ومنهم أبو إسحاق الفقيه اتفقوا مع الخوارج بقيادة أبي يزيد الخارجي في

قتال الدولة العبيدية الباطنية، وقال عن الخوارج هم من أهل القبلة وأولئك ـ يعني العبيدين ـ ليسوا من أهل القبلة، وهم بنو عدو الله فإذا ظفرنا بهم لم ندخل في طاعة أبي يزيد لأنه خارجي»[1].

وهذا والله من الفقه والفهم لمقاصد الشريعة.

٣- إذا كان يترتب علىٰ إنكار المنكر منكر أكبر منه فلا يجوز الإنكار في هذه الحالة كما ترك النبي ﷺ هدم الكعبة ليقيمها علىٰ قواعد إبرهيم عليه السلام خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام.

وكما ترك قتل عبد الله بن أبي الذي ظهر نفاقه وكفره خشية أن يقال إن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه؛ ومن ذلك أن مفسدة تفرق المجاهدين من فرح العدو الكافر وإفشال الجهاد تربو علىٰ ما تفرق المجاهدون بسببه فيتنازل عن ذلك حفاظًا علىٰ وحدة الصف؛ ومن ذلك نهيه ﷺ أن تقطع يد السارق في الغزو خشية لحوق صاحب الحد بالمشركين حمية وعصبية.

⦸ الوقفة الخامسة:

ليس لازم المذهب مذهبًا؛ وبناء علىٰ هذه القاعدة فلا يلزم القائل بلازم قوله، وما يترتب عليه ويئول إليه من المآلات ما لم يلتزمه صاحب القول إلا أن يكون حقًّا، ولكن إلزام القائل بلازم قوله يستخدم في المناظرات لإظهار تناقض الخصم وإبطال مذهبه الذي يقول به.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٥٤).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- هل لازم المذهب مذهب أم لا؟

فأجاب: «وأما قول السائل هل لازم المذهب مذهب، أم ليس بمذهب فالصواب أن لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه كانت إضافته إليه كذبًا عليه، بل ذلك يدل علىٰ فساد قوله وتناقضه في المقال»(١).

وقال في موطن آخر: «وعلىٰ هذا فإن لازم قول الإنسان نوعان:

- **أحدهما**: لازم قوله الحق فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإن لازم الحق حق، ويجوز أن يضاف إليه إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من إلتزامه بعد ظهوره، وكثيرًا ما يضيف الناس إلىٰ مذهب الأئمة من هذا الباب.
- **والثاني**: لازم قوله الذي ليس بحق فهذا لا يجب التزامه؛ إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض وقد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام؛ ثم إن من عرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره له فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول لو ظهر له فساده لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا بلازمه»(٢).

وفهم هذه القاعدة وإدراكها يساهم في حل إشكالات كثيرة من شأنها جمع الكلمة، وذلك بعدم تحميل شخص أو طائفة ما لا يحتمل وإلزامه بما لم يلتزمه؛

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٢١٧).

(٢) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٤/ ٢٦).

ذلك أن كثيرًا من الخلافات والاتهامات التي تكون بين الأشخاص أو الجماعات إنما تنشأ من إلزام القائل بلازم قوله، ومن ثم يتخذ معه موقف المفارقة والمفاصلة، لاسيما إذا كان اللازم يوقع صاحبه في البدعة أو الكفر.

ومن أمثلة ذلك: ما يقفه بعض الغيورين علىٰ العقيدة والجهاد برمي من يفرق بين فعل الكفر وفاعله وأن تكفير المعين لابد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع أنه مرجئ مبتدع، أو أن من يرىٰ أن الجهاد العام في الثغور فرض كفاية وليس فرض عين لاكتفاء أهل البلد المغزو برجاله أن هذا من المخذلين عن الجهاد المحسوب علىٰ الأنظمة المفسدة أعداء الجهاد ... والأمثلة كثيرة ذكر بعض أهل العلم منها عدم إلزام المرجئة الذين يقولون بأن الإيمان هو التصديق بأن إبليس وبعض اليهود وأبا طالب مؤمنون لأنهم مصدقون مقرون لكون المرجئة لم تقل بذلك ولم تلتزمه.

⦸ الوقفة السادسة:

مهما اختلف الدعاة والمجاهدون فيما بينهم فإن التكفير واستباحة الدماء بينهم خط أحمر لا يجوز الوصول إليه، وإذا تحول القتال إلىٰ أن يكون بين المجاهدين فلا خير يرجىٰ، ويتحتم علىٰ من يحب لنفسه النجاة اعتزال الجميع والإقبال علىٰ إصلاح النفس والدعوة إلىٰ الله، وإن مثل هذه الفتنة لا يجوز التقليد فيها واتباع الداعين إليها فالجهاد عبادة عظيمة لله تعالىٰ يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، أما القتال بين المسلمين فإنه مكروه مبغوض لله تعالىٰ فلا يجوز تقديم مرادات البشر وما يحبون علىٰ مراد الله تعالىٰ، وكل عبد يأتي يوم القيامة ربه عَزَّوَجَلَّ فردًا يجادل عن نفسه وليس معه أحد من متبوعيه، ولا ينفعه أن يقول اتبعت فلانًا أو

طائفة من الناس.

وهاهو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ رغم حبه العظيم لخليفة رسول الله ﷺ الصديق الأكبر أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثقته في علمه وإيمانه وشفقته، إلا أنه ناظره في قتال المرتدين من أهل اليمامة حين خفي عليه مشروعية قتالهم فكيف بمن دون أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه علىٰ الله**»[1]. قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها؛ قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وهذا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أمر خالد ابن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقتل كل رجل منهم أسيره يوم بني جذيمة فقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره»[2].

وعن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه قال: يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا؟! لا والله حتىٰ أعطىٰ سيفًا إن ضربت به مؤمنًا نبا عنه، وإن

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٩)، رواه مسلم (٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦٧٩).

ضربت به كافرًا قتله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد الخفي التقي**»(١).

وساق الذهبي بسنده عن حميد بن هلال قال: «أتت الحرورية مطرف بن عبد الله يدعونه إلىٰ رأيهم فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرىٰ، فإن كان الذي تقولون هدىً أتبعتها الأخرىٰ، وإن كان ضلالة هلكت نفس وبقيت نفس، ولكن هي نفس واحدة لا أغرر بها»(٢).

⦸ الوقفة السابعة:

إن من الأسباب التي توقع في الفرقة واختلاف الكلمة العجلة في اتخاذ المواقف وقلة الاستخارة والاستشارة، لاسيما إذا صدرت من رموز العلم المتبوعين؛ وعليه فإن التأني والحلم وكثرة استخارة الله عز وجل واستشارة أهل العلم والتقوىٰ والعقل والحكمة تعد من أسباب التوفيق واجتماع القلوب ووحدة الصف ولأن يخطئ الرجل في التؤدة والتأني أهون من أن يخطئ في العجلة والطيش.

⦸ الوقفة الثامنة:

إن من أعظم الوسائل التي تستجلب بها الألفة واجتماع القلوب بين المسلمين سؤال ذلك من علام الغيوب ومالك القلوب ومصرفها؛ إذ لا أحد يؤلف القلوب سوىٰ الله عز وجل بعلمه وعزته وحكمته ورحمته قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٤) بهذا اللفظ وأصل الحديث في مسلم (١٩٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٥).

جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

[الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وإذا علم الله عَزَّوَجَلَّ صدق الداعين استجاب لهم دعاءهم.

لذا؛ ينبغي أن يتوجه الدعاة والمجاهدون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في أوقات الإجابة بأن يجمع كلمة المسلمين وأن يؤلف بين قلوبهم ويوحد صفوفهم وأن يعيذهم من التفرق والاختلاف.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجمع كلمة الدعاة والمجاهدين علىٰ الحق، وأن يؤلف بين قلوبهم ويوحد صفوفهم، وأن يجعل جهادهم في سبيله وإعلاء كلمته وأن ينصرهم علىٰ القوم الكافرين.

والحمد لله رب العالمين.



(٢٥)

الاعتدال
في نقد الغلو[1]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد تميز دين الاسلام في عقيدته وعباداته ومعاملاته باليسر والسماحة والعدل والتوازن والوسطية بين الغلو والجفاء وبين الإفراط والتفريط، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وفي هذه الورقات سيكون الحديث إن شاء الله تعالىٰ عن «ظاهرة الغلو» ولكن لن يكون عن نقد الظاهرة والتحذير منها ومن أهلها؛ فهذا قد تم بحثه بما لا مزيد عليه، وإنما سيكون تناول هذه الظاهرة من جانب آخر منها، ألا وهو التحذير من الغلو في تناولها وتجاوز الحد في نقدها ونقد أهلها ومجانبة العدل في وصفها فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) نشر بتاريخ (١٦/ ١٠/ ١٤٣٦هـ) ومناسبته: عندما كثر الحديث عن الغلو والغلاة وحصر الحديث عن الغلو في فئة معينة، وإدخال أمور في الغلو وليست منه.

إن الغلو الذي هو تجاوز الحدود الشرعية في الاعتقاد والقول والعمل تنبذه الفطر والعقول السليمة فضلًا عن كونه مرفوضًا في الدين والشريعة وأكتفي من ذلك بدليلين من القرآن والسنة.

- فمن القرآن قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

- ومن السنه قوله ﷺ: «**يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[1].

وكما ذكرت آنفًا في أن الكلام في هذه الورقات عن ظاهرة الغلو سيتركز علىٰ جانب وظاهرة لمستها ولمسها غيري من بعض طلاب العلم في تناولها اليوم، ألا وهي ردة الفعل من الغلو وأهله؛ بحيث إنها تجاوزت حد الوسط والعدل عن بعض من كتب عن ظاهرة الغلو؛ وهذا ملاحظ في منهج الردود بوجه عام «لا يسلم منه إلا من رحم الله ﷻ ولاسيما عندما كثر الحديث عن ظاهرة الغلو اليوم وتناولتها وسائل الإعلام المختلفة المقروء منها والمرئي والمسموع والمكتوب، وتحدث فيها العالم والجاهل والصغير والكبير والرجل والمرأة فلا جرم أن يتأثر المرء بما يسمع، وقد يقوده ذلك إلىٰ مجاوزة الحد وعدم الاعتدال في تناول هذه الظاهرة.

وقبل الدخول في ذكر بعض «مظاهر الغلو في نقد الغلو» وعدم الاعتدال في تناوله يحسن التقديم لذلك بالوقفات التالية:

---

(١) رواه النسائي (٢/ ٤٩)، ابن ماجه (٢/ ٢٤٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣).

- **الأولىٰ**: إن العدل في الأقوال والاعمال واجب شرعي أوجبه الكتاب والسنه، بل وجميع الشرائع السماوية مع الموافق والمخالف ولو كان كافرًا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢].
  وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨] .

وعليه فلا يجوز ظلم المخالف ولو كان انحرافه مكفرًا أو بدعة، وأنه وإن وجب كف ظلمه وانحرافه وبيانه للناس، فلا يجوز تجاوز الحدود الشرعية في هذا الرد وظلمهم في رد ظلمهم؛ فمن ذلك تقويل المخالف ما لم يقل أو إلزامه من قوله ما لم يلتزمه.

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالىٰ: «... وذلك أن المظلوم وإن كان مأذونًا له في دفع الظلم عنه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورىٰ: ٤١].

فذلك مشروط بشرطين:

- **أحدهما**: القدرة علىٰ ذلك.
- **والثاني**: ألا يتعدىٰ.

فإذا كان عاجزًا أو كان الانتصار يفضي إلىٰ عدوان زائد لم يجز»[1].

- **الثانية**: أن العدل مع المخالف المتلبس ببدعة أو انحراف والرفق به ورحمته والشفقة عليه، لمن أسباب تأليف قلبه وانقياده للحق وتركه

(١) «الاستقامة» (١/ ٤٠).

لما كان عليه من ضلالات وانحراف، وعلىٰ العكس من ذلك عندما تمارس معه الشدة والغلظة وإظهار الكراهية فإن هذا من أسباب النفور والتعصب وعدم الانقياد للحق.

- **الثالثة:** أن التصدي للضلال والبدع والفساد والغلو مطلب شرعي وهو ضرب من ضروب الجهاد، ولكنه ينبغي لمن يتصدىٰ لذلك أن يكون عالمًا بتفاصيل هذه الانحرافات وثبوتها علىٰ أصحابها؛ كما يجب عليه الفقه بالواقع والملابسات والظروف التي تحيط به وذلك بالنظر إلىٰ عواقب الأمور ومآلات التصدي للفساد والمنكرات، فإن كان سيترتب علىٰ إنكارها مفاسد أكبر منها فيؤجل الإنكار إلىٰ وقت تخف فيه المفاسد، وإن كان سيستغل مثل هذا التصدي عدو كافر أو منافق بحيث يوظفها في تنفيذ مخططاته لحرب الإسلام ولاسيما أهل السنة منهم فهنا ينبغي الحذر من ذلك، ومحاولة صياغة الردود بصورة لا تخدم العدو الكافر.

وبعد هذه الوقفات الثلاث أذكر حالتين من الواقع يظهر فيها عدم الاعتدال في تناول ظاهرة الغلو.

❍ **الحالة الاولىٰ:**

نظرًا لردة الفعل الشديدة لظاهرة الغلو وكثرة الحديث عنها وعن الممارسات المتطرفة لأصحاب الغلو أصبحنا نرىٰ من بعض من يتحدث أو يكتب عن الغلو والغلاة من يدخل بعض المسائل والقضايا في الغلو وهي ليست من الغلو في شيء، بل هي من مسائل الدين والعقيدة المتفق عليها عند أهل السنة؛

ومن أمثلة ذلك: الحديث عن الولاء والبراء ووجوب معاداة الكفار والبراءة منهم وعدم التشبه بهم والتحذير من مظاهرتهم علىٰ المسلمين، وأن ذلك ناقض من نواقض الإسلام؛ إن كل هذا مما اتفق عليه أئمة السلف رحمهم الله، ومع ذلك نجد من يتحسس من طرح هذه الأصول ويصف من يطرحها ويؤصلها بالتشدد والغلو!

ومن أمثلة ذلك أيضًا: التحسس من مصطلح التكفير، وأنه من مظاهر الغلو وهذا صحيح إذا استخدم في تكفير المسلمين دون مراعاة لتوفر الشروط وانتفاء الموانع، أما إذا ضبط التكفير بالضوابط الشرعية بتحقق الشروط وانتفاء الموانع، فإن هذا ليس من الغلو بل هو حكم من أحكام الشريعة قال به وحكم به علماء الملة، ورتبوا عليه من الأحكام والحدود ما هو معروف في كتب الفقه كما في أحكام الردة والمرتدين.

ومن أمثلة ذلك: رمي من يتحدث عن وجوب تحكيم شرع الله عَزَّوَجَلَّ والجهاد في سبيل الله بالغلو والتطرف.

إن إدراج ثوابت هذا الدين وشعائره المجمع عليها كعقيدة الولاء والبراء ووجوب تحكيم الشريعة والجهاد في سبيل الله تعالىٰ تحت مسمىٰ «الغلو» تلبيس وعدوان علىٰ هذا الدين وأهله؛ وهذا ما يريده أعداء الاسلام والسنة من الكفار والمنافقين والمبتدعة، وهذا ما يهدفون إليه ويريدون تمريره في ظل الحديث عن الغلو والغلاة واستخدامه في إلحاق الأذىٰ بالمتمسكين بعقيدة السلف الصالح ووصفهم بالغلو والتطرف والإرهاب، وهذا مما يجب أن يحذره الدعاة وطلبة العلم فلا يستخفنهم الذين لا يوقنون؛ لأنه قد يئول الأمر إلىٰ رمي كل متمسك



بالسنة وهدي السلف في عقيدتهم وسلوكهم بأنه من أهل الغلو، وفي هذا تبرير لضرب الصحوة الإسلامية تحت ستار محاربة الغلو.

❍ الحالة الثانية: الازدواجية والانتقائية في نقد الغلو:

الغلو مرفوض بجميع أشكاله وصوره وهو درجات بعضه أخطر وأولىٰ بالبيان من بعض، ولكن الملاحظ اليوم في أحاديث وكتابات كثير ممن يتناول ظاهرة الغلو انتقاؤهم لظاهرة واحدة من مظاهر الغلو وتركيز الكلام علىٰ نقدها والتحذير منها، وهذا حق ومطلوب؛ ولكن هناك صور من الغلو مسكوت عنها أو لم تأخذ حقها من النقد يمارسها طوائف أخرىٰ لا يقلون خطرًا في غلوهم وفسادهم عن غيرهم إن لم يزيدوا عليهم؛ والواجب حين الحديث عن الغلو وأهله أن يكون شاملًا لكل صور الغلو ومجاوزة الحدود الشرعية وبيان خطرها علىٰ الدين والنفس والعقل والمال والعرض؛ ومن هذه المظاهر الغالية المسكوت عنها أو التي لم تأخذ حظها من النقد:

١- الغلو في الرجال وتعظيمهم ورفعهم فوق منزلتهم؛ وصور هذا التعظيم كثيرة يصل بعضها إلىٰ الشرك الأكبر كغلو الرافضة في أئمتهم وبعض الصوفية في شيوخهم، وكالغلو والتعصب لبعض العلماء وتقديم أقوالهم علىٰ الكتاب والسنة؛ وكالغلو في الرؤساء والملوك والأمراء والمبالغة في مدحهم والثناء عليهم ورفع صورهم وتعظيمها، وغير ذلك من مظاهر الغلو الذي أجمع أهل العلم علىٰ القول بتحريمه وأنه من الغلو المحرم.

٢- الغلو في مواجهة بعض الدعاة والجماعات الإسلامية في كثير من بلدان

المسلمين وظلمهم بزجهم في السجون وتعذيبهم وإعدام بعضهم لا لشيء إلا لقولهم كلمة الحق، وجهاد الكفرة الغزاة وإعلانهم لعقيدة التوحيد والولاء والبراء والمطالبة بتحكيم شرع الله ﷻ.

٣- غلو المنافقين في بلدان المسلمين من ليبراليين وعلمانيين وأصحاب القنوات المفسدة وإغراقهم البلاد بالشبهات والشهوات وجرأتهم علىٰ الدين وثوابته وأهله واستهزاؤهم بشرع الله ﷻ، وتحسينهم لدين الكفار دون أن ينظر إلىٰ هذا التطرف والغلو كما ينظر إلىٰ غلو بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام والسنة ودون عقوبة وردع لهم(١).

٤- غلو الرافضة في تكفيرهم لأهل السنة وكونهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة عندما يكون لهم التمكين؛ وما أخبار آلاف القتلىٰ والمشردين والمعذبين والمسجونين من أهل السنة في العراق والشام عنا ببعيد.

٥- غلو بعض المنتسبين إلىٰ السنه والمتأثرين بالفكر الإرجائي في عداوتهم لبعض علماء ودعاة أهل السنة والمجاهدين في سبيل الله وحصر العداوة والمواجهة معهم، في الوقت الذي يبالغون فيه من مدح الظلمة والتماس العذر لهم والنظر إلىٰ من يحتسب عليهم بأنه مبتدع أو خارجي.

٦- الغلو في المواقف من الجهاد والمجاهدين والتنفير من ذلك بحجة بعض المخالفات والمنكرات الشرعية التي يقع فيها بعض فصائل الجهاد وتعميم ذلك علىٰ كل المجاهدين، وهذا من الغلو والظلم للجهاد وأهله، ومما يخدم أهداف المشاريع الغربية الكفرية ومشاريع

---

(١) «انظر كتاب التطرف المسكوت عنه للدكتور ناصر الحنيني».

الرافضة الباطنيين.

٧- غلو الغرب الكافر في كفره وظلمه، وعلىٰ رأسه أم الظلم والنفاق أمريكا، وما يمارسونه من قتل وسجن وتعذيب وتشريد لا يساوي ما يمارسه بعض الغلاة من المجاهدين شيئًا عند عدوان الغرب وقتله؛ فها هي أفغانستان والعراق وسوريا واليمن كم قتل فيها من الملايين من المسلمين بطيار وغير طيار، وكم قطعت فيها من أطراف، وكم نهبت منها من الأموال، وكم نشر فيها من الفساد للأديان والعقول والأعراض، كل هذا بسبب العدوان الظالم من هؤلاء الكفرة، ومع ذلك لم يأخذ حظه من أهل العلم في فضحه.

- **والغريب العجيب**: أن هؤلاء الوالغين في الغلو والتطرف والإرهاب يتهمون غيرهم بالتطرف والإرهاب: إن عليهم أن يكونوا آخر من يتكلم علىٰ التطرف والغلو وصدق فيهم المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلت».

- **وفي ختام هذه المقالة**: أنبه علىٰ بعض المقترحات التي أرىٰ أنها نافعة بإذن الله تعالىٰ لمعالجة ظاهرة الغلو عند بعض المنتسبين من أهل السنة وإقناعهم بالتخلي عنها؛ لأنه ظهر أن أسلوب المواجهة والعنف والشدة معهم لا يزيدهم إلا تمسكًا بما هم عليه أو زيادتهم عليه:

✍ **ومن هذه المقترحات:**

أولًا: الحرص علىٰ العدل والإنصاف معهم، ومن ذلك: التثبت مما ينقل عنهم والتثبت من الملابسات والظروف التي أحاطت بما نقل عنهم.

ثانيًا: أن يصاحب نصحهم شعور الرحمة والشفقة عليهم.

ثالثًا: من العدل معهم ألا يرد كل ما يقولونه ويفعلونه، بل ما كان موافقًا للشرع يقبل وما خالفه يرد وأن يحذر أن ينظر إلىٰ بعض مسائل الدين الشرعية أنها من الغلو وهي غير داخله في الغلو بحجة أنهم ينادون بها.

رابعًا: ألا يروا فيمن ينتقدهم الانتقائية في تناول ظاهرة الغلو والكيل بمكيالين، بل يلمسوا منه شموليته في نقد الغلو بجميع أشكاله التي أشرت إلىٰ بعضها في الأوراق السابقة؛ وهذا مما يفتح صدورهم للنصح لأنهم حين يرون من بعض أهل العلم الكلام المكرر عن غلوهم وترك غلو غيرهم من الكفار والمنافقين وبعض المنتسبين إلىٰ أهل السنة فإن هذا يشكل حاجزًا يمنع قبول النصح ويجعلهم يشككون في منطلقاته.

خامسًا: علىٰ من يتصدىٰ لظاهرة الغلو في واقعنا المعاصر ألا يغفل عن الوقت والظروف والمؤامرات التي تحاك علىٰ المسلمين، ولاسيما تلك الحملة والحرب العالمية علىٰ أهل السنة الصادقين من قبل أعدائهم الكفرة من الغرب الصليبي والرافضة الباطنيين؛ حيث إن هذه الحملة الغالية الظالمة لا تستهدف طائفة بعينها من أهل السنة والجهاد، ولكنها تستهدف جميع أهل السنة المتبعين للسلف الصالح الرافضين للتبعية الغربية الرافضين لمشروعهم التغريبي المتبرئين من كفرهم وفسادهم.

ولكنهم في هذه الحملة الماكرة علىٰ أهل السنة لا يصرحون بهذا العداء وإنما يعلنون استهدافهم في الظاهر لطائفة معينة، ولا يخفىٰ ما في هذا من المكر الذي ينبغي أن

يحذره من يتصدىٰ لظاهرة الغلو وألا يكون في كتابته ما يمكن أن يوظفه أعداؤنا في حربهم لأهل السنة والجهاد النقي؛ وأن من السياسة الشرعية النظر في مآلات الأقوال والمواقف في مثل أيام الفتن واختلاط الأوراق؛ وأن ينطلق فيها من فقه الموازنات وقواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد عند التعارض.

وبعد:

فهذا مما يسر الله عَزَّوَجَلَّ كتابته عن هذا الموضوع المهم فما كان فيه من حق وصواب فمن الله تعالىٰ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله عَزَّوَجَلَّ.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(٢٦)

آن للمجاهدين أن يتحدوا ولا يتفرقوا وأن يحذروا ولا ينخدعوا[(١)]

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن المتأمل في عصرنا الحاضر وما فيه من الصراعات والنوازل في بلدان المسلمين يرىٰ تلك الحرب العالمية من دول الكفر الصليبية والشيوعية والباطنية وحلفائهم شرقًا وغربًا الموجهة علىٰ الإسلام ولاسيما إلىٰ السنة وأهلها.

وإن هذه الحرب الشاملة علىٰ الإسلام غير مستغربة علىٰ من يتدبر كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما فيه من السنن الإلهية التي لا تتبدل، ومن أبرز هذه السنن التي ظهرت في هذه الأحداث سنة التدافع وحتمية الصراع بين الحق والباطل، والمتضمنة لسنة الابتلاء والتمحيص التي تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب، ومن يستحق أن ينصره الله عَزَّوَجَلَّ ومن يستحق أن يخذله ومن يستحق الجنة ومن يستحق النار يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ

---

(١) نشر بتاريخ (١٦/ ٥/ ١٤٣٧هـ) ومناسبته: الهجوم العالمي علىٰ المجاهدين وأهل السنة وحثهم علىٰ الوحدة والاجتماع وعدم الوهن واليأس والحذر من الحلول السياسية.

ﵟٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ﵞ [البقرة:].

ويقول سبحانه: ﵟذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍۗﵞ [محمد: ٤].

ويقول تعالىٰ: ﵟوَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗﵞ [الفرقان: ٢٠].

وقال سبحانه: ﵟوَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ﵞ [آل عمران: ١٤١].

ويقول تعالىٰ: ﵟأَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ﵞ [آل عمران: ١٤٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**»[1]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

وإن الذي يحدث اليوم في أرض الشام والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان أهل السنة لهو مقتضىٰ هذه السنن الإلهية التي لا تتبدل، ولا تخرج عن هذ السنن التي تعمل عملها اليوم الأحداث والنوازل التي تدور رحاها اليوم في مناطق المسلمين والكل مبتلىٰ في هذه المدافعات والابتلاءات.

فعلماء الأمة ودعاتها مبتلَوْن في قول كلمة الحق ومساندتهم للحق وأهله ومدافعة الباطل وأهله وإزالة اللبس الذي يمارس علىٰ الأمة؛ والمجاهدون مبتلون في إخلاص جهادهم لله عَزَّوَجَلَّ والتخلص من حظوظ النفس والدنيا واجتماعهم وعدم تفرقهم، والأمة مبتلاة في تحديد موقفها من هذا الصراع مع

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

الكفرة الغزاة وتحديد ولائها وانتمائها أَهُمْ في خندق الإسلام والمجاهدين في سبيله أم في خندق الكفار وإخوانهم من المنافقين.

فالكل مبتلىٰ نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا علىٰ الحق، وأن يخرجنا من هذه الفتنة بررة أنقياء، أتقياء كما يخرج التبر بالنار ذهبًا أحمرًا نقيًّا مما خالطه من التراب والشوائب.

وهذه بعض الوصايا والنصائح التي أنصح بها نفسي وإخواني المسلمين والمجاهدين منهم في الثغور بخاصة لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلها من الأسباب النافعة في خروجنا من هذه الفتنة والابتلاء منصورين غير مفتونين.

❍ الوصية الأولىٰ:

إنه علىٰ ضخامة هذه النوازل وشدة آلامها إلا أن المسلم العارف بربه وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ يحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ويتفاءل بأن ينظر إلىٰ هذه الشدائد والابتلاءات أنها ممهدة لنصر وتمكين قريب للإسلام وأهله، ولا نقول هذا رجمًا بالغيب ومن باب التسلية، ولكن هذا هو الذي ننتظره من ربنا عَزَّوَجَلَّ، وذلك مما أظهر لنا من علامات وإرهاصات في هذا الصراع ومن هذه العلامات:

أولًا: وعد الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يتخلف إذا توافرت شروطه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ولا يشك في هذا الوعد إلا كافر أو منافق أو ضعيف إيمان جاهل بربه وصفاته جاهل بسننه في عباده قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٤- ٧].

والملفت في هذه الآية أن الله عَزَّوَجَلَّ قد وصف الذين يشكون في هذا الوعد بأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أشرف العلوم وهو العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وصفاته وسننه وآياته، ومن ذلك قدرته سبحانه وقوته التي لا يعجزها شيء ومحبته ومعيته ونصرته لأوليائه وحكمته وعلمه في توقيت الأمور وخلقها، ومنها النصر والهزيمة.

ثم وصف هؤلاء الشاكين الذين لا يعلمون هذا العلم الشريف بأنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا يؤمنون ولا يقيمون حساباتهم وموازينهم إلا علىٰ الأمور المادية المحسوسة في ظاهر الحياة الدنيا، وهذا من أسباب محقهم وتدميرهم حيث أغفلهم الله عَزَّوَجَلَّ عن الأسباب الحقيقية للنصر والهزيمة، وقد ترتب علىٰ هذا أيضًا أن أغفلهم الله عَزَّوَجَلَّ عما يترتب علىٰ حماقاتهم وقراراتهم في حرب المسلمين وهذا يعجل بنهاياتهم وانهيارهم كما هو المشاهد اليوم وهذا من بشائر قرب نصر الله عَزَّوَجَلَّ.

ولكن تحقق هذا الوعد الرباني مرهون بتحقق شروطه من الفهم الصحيح والقصد الحسن ووحدة الصف، وصدق التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن لم يحقق الدعاة والمجاهدون هذه الشروط فلا يعني ألَّا يأتي نصر الله، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يستبدل قومًا آخرين يحققون الشروط فينصرهم.

ثانيًا: بلوغ الغطرسة عند الأعداء أوجها وبلوغ الظلم ذروته، والله عَزَّوَجَلَّ يرىٰ ويسمع، ولا يعجزه شيء، والله عَزَّوَجَلَّ قد وضع للظلم والظالمين، أجلًا ينتهون إليه فيقصم الظالمين عنده والظلم لا يستمر إلىٰ ما لا نهاية، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يملي للظالم حتىٰ يزداد في ظلمه وكبريائه وغطرسته ليسوقه سبحانه إلىٰ نهايته المحتومة حين يبلغ الظلم مداه، فيأتي وعد الله بمحق الظلم وأهله قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

وإن الناظر اليوم فيما يقوم به أعداء الإسلام من كفرة ومنافقين من قتل ذريع في المسلمين، وما امتلأت به سجونهم وسجون الظالمين من الدعاة والمجاهدين، ثم هم في غيهم وغطرستهم يعمهون وفي ظلمهم يتمادون؛ ليتراءىٰ قرب نهايتهم وانهيارهم ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بالمؤمنين واستدراجه للكافرين، أنه سبحانه يغفل الكفار الظالمين عما يترتب علىٰ حماقاتهم من قرب نهايتهم وسريان روح اليقظة في قلوب المسلمين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

ثالثًا: ما تشهده السنوات الأخيرة من فضائح متلاحقة للمنافقين والكفار والطواغيت والملبسين التي تكشف عداءهم السافر للدين وأهله

وتكشف معاييرهم الزائفة وكذبهم ومكرهم، وكون هذه الفضائح وهذا المكر يظهر للناس فإن هذا من عوامل وقرب النصر للمسلمين؛ لأن بيان سبيل المجرمين وظهور كيدهم وبيان تلبيسهم أمر لازم يسبق محقهم وغلبة المسلمين عليهم.

فهذه نوازل الأمة في أفغانستان والعراق وسوريا ومصر واليمن كم كشفت والحمد لله رب العالمين للمسلمين من فضائح الكفار وعملائهم وفضائح المنافقين من بني جلدتنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾

[آل عمران: ١٧٩].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام:٥٥].

ولقد مر بالأمة حين من الدهر علق بها نبتات وطفيليات خبيثة أثقلت كاهلها خدعت الأمة برايات وهتافات وادعاءات نراها اليوم تنفصل عن جسد الأمة بعد أن ظهر عوارها وخبثها وولاؤها لأعدائها وتنكُّرُها لدينها وعقيدتها!

فهاهم الباطنيون الرافضة تنكشف باطنيتهم ويعرف الناس خبثهم ونفاقهم، وأنهم دين ونحلة غريبة في جسد الأمة تنفصل عنها الآن ولولا أن الله قدر أحداث العراق وسوريا واليمن ولبنان لبقي كثير من المسلمين مخدوعًا بهم وبتقيتهم.

وهاهي الدول العلمانية والمذاهب الليبرالية ورموزها تتكشف لأبناء الأمة فيتبرءون منها وهي في طريقها إلىٰ الانفصال عن جسد الأمة لتستقر مع إخوتها من النحل الباطلة في مزبلة التاريخ، ويبقىٰ الإسلام الصافي عزيزًا شامخًا، وهذا الوعي عند الأمة من عوامل نصرها ونصرها القريب إن شاء الله تعالىٰ.

رابعًا: تلك العودة الحميدة والرجوع الصادق إلىٰ دين الإسلام الحق من كثير وفئام من الناس، سواء من يدخل في هذا الدين من الكفار، أو من يهتدي من أبناء المسلمين الفساق أو من يترك بدعته ونحلته الباطلة إلىٰ منهج السلف أهل السنة والجماعة، هذا مع ما يبذله المفسدون من نشر للشبهات والشهوات وصد عن سبيل الله تعالىٰ، ولكنه دين الله عَزَّوَجَلَّ الذي تحن إليه الفطر النظيفة والعقول الصحيحة والقلوب السليمة، لاسيما بعد أن جرب كثير من الناس مذاهب ودعوات خداعة لم يرو فيها إلا العناء والشقاء والكذب والخداع فحنين الناس اليوم إلىٰ دين الإسلام الحق ودخولهم فيه أفواجًا هو من إرهاصات قرب النصر لهذا الدين وأهله.

خامسًا: تسليط الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ دول الكفر الظالمة، لاسيما الغرب الكافر وعلىٰ رأسه أمريكا الطاغية المتغطرسة تلك الكوارث والنكبات التي تفتك الآن باقتصادهم، وذلك بما يعيشونه من انهيارات وإفلاس وعجز مالي وبما يحصل بينهم من خلافات وتجسسات ستئول بإذن الله تعالىٰ إلىٰ تصدع تحالفاتهم، وبما يعيشونه من جراء

ذلك من تفكك بنيتهم السياسية والاجتماعية يضاف إلىٰ ذلك ما سبق بيانه من أنهم يعيشون الآن مكروهين عند الناس بما تكشف من فضائحهم ومعاييرهم المزدوجة وبيان خداعهم للناس وبما يعيشونه من سقوط أخلاق شهواني ذريع، وهذا كله يؤذن بإذن الله تعالىٰ بسقوطهم وتفككهم كما سقط وتفكك المعسكر الشرقي، وفي هذا تمهيد وإرهاص بقرب نصرة هذا الدين وظهوره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون وذلك بحول الله وقوته.

سادسًا: ما تشهده الأمة من يقظة في مختلف جوانبها وبما تعيشه من نوازل كشفت لها حقيقة وهوية أعدائها والتي أفرزت سريان روح المقاومة، وبعث عقيدة الولاء والبراء في النفوس مما قويت به جذوة الجهاد في كثير من الثغور واليقين، بأنه لن يرفع الذلة والمهانة ويرد كيد الأعداء إلا الجهاد في سبيل الله تعالىٰ والإعداد له نفسيًا وإيمانيًّا وماديًّا، وهذا كله من علامات قرب نصر الله عَزَّوَجَلَّ لدينه وأوليائه.

● **فيا أيها المجاهدون:** هذه علامات النصر وبشائره تلوح في الأفق فلا تؤخروها وتضعفوها بتفرقكم واختلافكم وتذكروا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وتدبروا قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وأنصتوا إلىٰ قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ

تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣] أي: إلا تفعلوا الاجتماع والموالاة بينكم كما تفعله أعداؤكم تكن فتنة.

وقد ظهر لكم في بلاد الشام تحالف الكفار عليكم مع أنهم متشاكسون بينهم ومختلفون ولكنهم عليكم تناسوا خلافاتهم وأصبحوا يدًا واحدة عليكم.

فالله الله في جهادكم وما تنتظره الأمة منكم! فلا تخيبوا آمالها فيكم فالنصر قاب قوسين أو أدنىٰ منكم إن شاء الله فلا تضيعوه باختلافكم: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢]. وغلِّبوا مصلحة الأمة الكبرىٰ علىٰ ما دونها من المصالح.

وكما تحالف أعداؤكم عليكم مع أنهم من مشارب شتىٰ وبينهم من العداوة ما بينهم لكنهم نسوا خلافاتهم هذه في حربهم للإسلام وأهله، فكذلك أنتم اجتمعوا بما اتفقتم عليه وهو الغالب وتناصحوا فيما اختلفتم عليه، وأجمعوا أمركم وأتوا صفًّا أمام أعدائكم فإن المكر كبار والكيد عظيم.

وتذكروا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ عندما انقض التتار المغول علىٰ بلاد الشام حيث حرض الناس علىٰ القتال واجتمع مع الأشاعرة ومن يختلف معهم في بعض جوانب العقيدة وكانوا صفًّا واحدًا في القتال حتىٰ نصرهم الله عَزَّوَجَلَّ بصدقهم ووحدتهم واجتماعهم، إنه لم يبق من شروط النصر إلا اجتماعكم، فالله الله أن تؤتىٰ الأمة من قِبَلكم وإن لم تتحدوا في هذا الظرف الحاسم والنازلة العظيمة فمتىٰ تتحدوا؟!

ونوصي إخواننا المتعاطفين مع المجاهدين، والمساندين لهم، ممن هم خارج ميادين الجهاد؛ أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في الجهاد والمجاهدين، وأن يكونوا

مفاتيح للخير مغاليق للشر، ساعين في جمع كلمة المجاهدين، لا أن يكونوا سببًا في تفرقهم؛ وذلك بنصرة فصيل دون فصيل، أو أن يستخدموا ما يقدمونه للمجاهدين من مساعدات في مساومات، وجعل هذه المساعدات مشروطة.

❍ **الوصية الثانية:**

الحذر الحذر من أمرين خطيرين في مثل هذه الظروف الصعبة والمحن الشديدة والتي اجتمع فيها الأعداء عليكم؛ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وهذان الأمران هما:

١- اليأس والإحباط والوهن.

٢- التنازل عن أصول الدين والانخداع بكيد الأعداء ومكرهم.

⇦ أما ما يتعلق بالأمر الأول؛ فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ مقويًا عزائم المسلمين بعد هزيمة أحد: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨].

❋ فما أحوجنا وإياكم إلىٰ تدبر هذه الآية الكريمة وما تضمنته من وصايا وتحذيرات ربانية في مثل حالات الضعف وتسلط الأعداء والتي من أهمها:

- الحذر من الضعف والوهن والاستكانة التي تؤدي بالناس إلىٰ الإحباط والاستسلام للعدو.

- الصبر وعدم الجزع والتسخط والشك في نصر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من لوازم الإيمان قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [آل عمران: ١٣٩].

- التضرع إلىٰ لله عَزَّوَجَلَّ لمغفرة الذنوب والخطايا، لأن من أسباب الهزائم معصية الله عَزَّوَجَلَّ واقتراف الذنوب.

- سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الثبات علىٰ الدين والنصر علىٰ الأعداء لأن النصر من عند الله وحده.

⇦ **وأما الأمر الثاني الذي يجب علىٰ المجاهدون أن يحذروه:** فهو الحذر من التنازل عن أصول الدين ومحكماته أمام هجمة الأعداء الشرسة وضغوطهم وخداعهم.

إن من أشد ما يخشىٰ علىٰ الدعاة والمجاهدين حين تشتد المحن ويتأخر النصر ومحق الكافرين أن تضعف استقامتهم علىٰ أمر الله وبقائهم علىٰ صراط الله المستقيم، وقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ والدعاة والمجاهدين من بعده من هذا الضعف أمام الضغوط، وذلك في كتابه الكريم الذي من استضاء به فلن يضل ولن يخذل أبدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [الزُّخرُف: ٤١- ٤٥].

ما أعظم هذه الآيات لمن تدبرها وما أنفعها للمجاهدين اليوم وهم يواجهون الصراع والمساومات.

إن الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات يوصي نبيه ﷺ ومن تبعه من الدعاة والمجاهدين بألا يضعفوا ويتنازلوا أمام كيد الأعداء وتسلطهم وعدم الانتقام منهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة في تقدير الوقت الذي ينتقم فيه من الكافرين وأمر النصر وتوقيته هو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ينبغي أن ينشغل به المجاهدون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، أو أن يستعجلوه قبل أوانه بإعطاء الأعداء تنازلات علىٰ حساب العقيدة وأصولها، وأما الانتقام من الكافرين فهو أمر حتم يقدره الله عَزَّوَجَلَّ في وقته المناسب فهو إلىٰ الله سبحانه، وأما عباده المجاهدون فعليهم الثبات علىٰ هذا الدين والاستمساك بوحي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يحذروا أن يضعف استمساكهم أمام ضغوط الكفار وتسلطهم: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

نذكر بهذه الآيات والمجاهدون يمرون بكيد عظيم من الأعداء الصليبيين والشيوعيين والباطنيين يريدون إفشال أهداف الجهاد وجر المجاهدين إلىٰ حلول سياسية تهدر بها مكاسب المجاهدين وتهدر دماء أكثر من ثلاثمائة ألف قتيل من المسلمين بسوريا نسأل الله عَزَّوَجَلَّ لهم الشهادة وأكثر من ثمانية ملايين مشرد، وأعظم من ذلك القضاء علىٰ غاية هذا الجهاد الذي بذل أهله فيه النفوس والأموال؛ وذلك ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا أتذهب هذه الغاية وتذهب هذه الدماء والمعاناة هدرًا بما يكيده الأعداء من تفريغ الجهاد من مضمونه والمناداة بحل سياسي تقوم فيه دولة علمانية كافرة ترفض شريعة الله عَزَّوَجَلَّ التي ما قام الجهاد إلا لإحيائها؟! أهذا نهاية الجهاد؟!

- أيها المجاهدون الصادقون هذه وصية الله عَزَّوَجَلَّ لكم: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

- فلا تلتفتوا إلىٰ حلول سلمية يجركم إليها أعداؤكم الكفرة فمتىٰ كان العدو ناصحًا ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

- اكفروا بحلولهم السياسية ومؤتمراتهم الخادعة وقولوا كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾

[الممتحنة: ٤].

- وأختم هذه الوصية بوصية الله عَزَّوَجَلَّ للمجاهدين من سلفكم الصالح وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١].

- وقوله سبحانه في صلاة الخوف: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [النساء: ١٠٢].

- **فيا أيها المجاهدون:** خذو حذركم ولا تضعوا أسلحتكم ولا ترضوا بها بديلًا، فوالله إن غاية عدوكم الكافر أن تضعوا أسلحتكم وترضوا بالحلول السياسية، فالله الله احذروا كيد الأعداء فإنه لا حل مع الكفار إلا بالجهاد أما الكلام والمؤتمرات والمفاوضات فلن تغني عنكم فتيلًا.

- وفي مسك الختام تذكروا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرد كيد الكفار في نحورهم، وأن يقذف الرعب في قلوبهم، وأن يجعل بأسهم بينهم وأن ينصر دينه وأولياءه المجاهدون، وأن يوحد صفوفهم ويؤلف بين قلوبهم، والله غالب علىٰ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وتذكروا أيضًا قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* * * *

(٢٧)

الإرهاب
في ميزان الإسلام

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفىٰ علي المتأمل في الحملات المحمومة علي دين الإسلام وأهله ولاسيما أهل السنة منهم ذلك التلبيس والتضليل الذي يمارسه الأعداء من الكفار والمنافقين علي هذه الأمه وذلك بتلاعبهم بالمصطلحات وتوظيفها في غزوهم للمسلمين فكريا وعسكريا ومن هذه المصطلحات التي يستخدمها الأعداء في حربهم لأهل السنة من المسلمين مصطلح (الإرهاب) حيث صنعوا له ثوبا وقالبا يجرم فيه جهاد المسلمين ودفاعهم عن دينهم وانفسهم ويبرر فيه جرائم الكفار وعدوانهم من أجل ذلك جاءت هذه المقالة التي تكشف اللبس وتزيله وتجلي الميزان الشرعي العادل لمصطلح الإرهاب فأقول وبالله التوفيق:

قال في لسان العرب: «رهِبَ بالكسر يرْهَبُ رهبة ورُهبًا بالضم، ورَهَبًا بالتحريك أي خاف. ورهِب الشيء رهبا ورهبًا ورهبة: خافه.

وترهب غيره إذا توعده.. والرَّهبة: الخوف والفزع. وأرهبه ورهبه واسترهبه أخافه وفزَّعه»[١].

وقال الراغب: «الرَّهبة والرُّهب مخافة مع تحرز واضطراب»[٢].

ولم أقف في الكتاب والسنة ومعاجم اللغة الأصلية علىٰ لفظة (الإرهاب) إلا ما جاء في تعريف الاجتهاد الفقهي المعاصر الذي أصدره مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بتاريخ ١٠/١/٢٠٠١ حيث قال: «الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيًا علىٰ الإنسان (دينه، دمه، ماله، عقله، عرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذىٰ والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق»[٣].

ومن خلال التعريفات السابقة يتبين لنا أن مصطلح (الإرهاب) والذي يكثر طرحه في هذه السنوات الأخيرة لم يكن معروفًا في معاجم اللغة ولا في المصطلحات الشرعية وإنما هو مصطلح حادث غامض وصحيح أنه مشتق من الرهبة وهو الخوف والفزع وبالتالي يكون معناه الإخافة والإفزاع والتهديد والأذىٰ، لكن منشأ استخدامه وتكثيف طرحه إنما جاء من أعداء الإسلام وبخاصة الغرب الصليبي ليوظفوه في تحقيق أهدافهم ويمرروا من خلاله مخططاتهم العدوانية وحربهم علىٰ الإسلام وأهله وبخاصة من يسميهم بالأصوليين والمتزمتين والرافعين لراية الجهاد والبراءة من الكافرين.

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ١٧٤٨).

(٢) «المفردات» (ص ٢٠٤).

(٣) «يسألونك عن الإرهاب»، د. ضميريه.

ولكي ينجلي لنا المفهوم الصحيح للإرهاب ومتىٰ يكون محمودًا مرضيًا لله عَزَّوَجَلَّ ومتىٰ يكون مذمومًا ومردودًا فلابد من معرفة الميزان الشرعي للإرهاب ومعرفة ما يضاده من الموازين الجاهلية الماكرة.

أولاً: الميزان الإلهي للإرهاب:

ينظر الشرع إلىٰ الإرهاب بمعنىٰ التخويف والإرهاب والتهديد والأذىٰ بعينين:

الأولىٰ: عين المدح والرضا والثناء علىٰ أهله: وهو إرهاب الكفار الذين يتربصون بالمسلمين الغوائل وذلك ببث الرعب والتخويف فيهم وإعداد القوة لقتالهم ليرتدعوا عن المسلمين أو ليستسلموا للمجاهدين الفاتحين لديارهم. وهذا محبوب لله عَزَّوَجَلَّ مندوب إليه ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٧-٦٠].

يقول شيخ المفسرين، الإمام الطبري -رحمه الله تعالىٰ- في تأويل الآية الأخيرة: «وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ثم يقول: ما أطقتم أن تُعِدُّوه لهم من الآلات

التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ثم يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوَّ الله وعدوكم من المشركين، ونقل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ ثم قال: «تُخزون به عدو الله وعدوكم»[1].

-«وإنه لتعبير عجيب، يرسم صورة للاخذ المفزع، والهول المرعب، الذي يكفي السماع به للهرب والشرود. فما بال من يحل به هذا العذاب الرهيب؟ إنها الضربة المروّعة يأمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا علىٰ نقض العهد، وانطلقوا من ضوابط الإنسان، ليؤمن المعسكر الإسلامي أولاً، وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيرًا؛ وليمنع كائنًا من كان أن يجرؤ علىٰ التفكير في الوقوف في وجه الله الإسلامي من قريب أو من بعيد.

إنها طبيعة هذا المنهج التي يجب أن تستقر صورتها في قلوب العصبة المسلمة، إن هذا الدين لا بد له من هيبة، ولا بد له من قوة، ولا بد له من سطوة، ولا بد له من الرعب الذي يزلزل الطواغيت حتىٰ لا تقف للمد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من كل طاغوت. والذين يتصورون أن منهج هذا الدين هو مجرد الدعوة والتبليغ، في وجه العقبات المادية من قوىٰ الطاغوت، هم ناس لا يعرفون شيئًا عن طبيعة هذا الدين!

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ثم إنه لا بد للإسلام من قوة

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٣١- ٤٠).

ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان.

وأوله: ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة علىٰ حريتهم في اختيارها؛ فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء علىٰ «دار الإسلام » التي تحميها تلك القوة.

والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها.

والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها وسلطانها؛ ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده؛ ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه.

وينبغي للمسلم ألا يتمتم ولا يجمجم وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة.

ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني، ينبغي أن يذكر أن الإسلام حين ينطلق في الأرض إنما ينطلق لإعلان تحرير الإنسان بتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد! إنه لا ينطلق بمنهج من صنع البشر؛ ولا لتقرير سلطان زعيم، أو دولة؛ أو طبقة، أو جنس! إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلحوا مزارع الأشراف كالرومان، ولا لاستغلال الأسواق والخامات كالرأسمالية الغربية؛ ولا لفرض مذهب بشري من صنع بشر جاهل قاصر كالشيويعة وما إليها من المذاهب

البشرية.. إنما ينطلق بمنهج من صنع الله العليم الحكيم الخبير البصير؛ ولتقرير ألوهية الله وحده وسلطانه لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعبيد.

هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع، وهم يتمتون ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي! والجهاد الإسلامي.

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة. فالنص يقول:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ثم فهي حدود الطاقة إلىٰ أقصاها.

بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها كذلك يشير النص إلىٰ الغرض الأول من إعداد القوة: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ثم فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمون المسلمون؛ ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم. المسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله[1].

هذا هو ميزان الإرهاب المحبوب المرضي لله عَزَّوَجَلَّ.

العين الثانية: عين الذم والتنفير. وهو الإرهاب الممقوت المحرم عند الله

---

(١) انظر: «في ظلال القرآن» (٣/ ١٥٤٠- ١٥٤٣) باختصار.

عَزَّوَجَلَّ وهو الإرهاب والتخويف والأذىٰ الموجه للأبرياء من المسلمين في دينهم أو دمائهم أو أعراضهم أو أموالهم أو من الكفار ممن ليسوا من المحاربين للمسلمين كالأطفال والنساء والشيوخ الذين لم يعينوا الكفار علىٰ قتال المسلمين وكالمعاهدين والذميين فكل هذا من الإرهاب والتخويف والأذىٰ يمنعه الإسلام وهو في ميزان الشرع حرب من حروب الظلم والعدوان لا يقره الإسلام بل يرتب عليه العقوبة في الدنيا والآخرة ومن الأدلة في منع هذا النوع من الإرهاب والأذىٰ:

قوله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا... »[١] الحديث.

النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ معصوم الدم خشية إيذائه بجرح، أو إتلاف عضو، أو قتل عن طريق الخطأ والمزاح، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا يشير أحدكم عليه أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[٢].

الوعيد الشديد علىٰ من يضرب أبشار الناس، ويعذبهم بجلد أو غيره بغير حق. قال عليه الصلاة والسلام: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، رواه مسلم (١٦٧٦) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٢).

رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإ، إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

وقال ﷺ: «**من ضرب بسوط ظلمًا أقتص منه يوم القيامة**»[٢].

وعن هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه مر بالشام علىٰ أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب علىٰ رؤوسهم الزيت. فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج، وفي رواية: حبسوا في الجزية. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا »، فدخل علىٰ الأمير فحدثه فأمر به فخلوا»[٣].

ومن ذلك تحريم السرقة والزنا وترتيب الحدود الرادعة لذلك كعقوبة قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن أو جلد غير المحصن وجلد القاذف. إلىٰ غير ذلك من التدابير الواقية من إرهاب المسلم أو إيذائه في عرضه أو ماله.

أما تحريم الاعتداء علىٰ الأبرياء من أهل الكتاب والكفار المسالمين فمن النصوص الواردة في ذلك:

عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير علىٰ جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوىٰ الله تعالىٰ وبمن معه من المسلمين خيرًا. ثم قال له: «أغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا

---

(١) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) البخاري في الأدب المفرد (١٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٧٤).

(٣) رواه مسلم (٢٦١٣).

تمثلوا ولا تقتلوا وليدا»[١].

وروىٰ مالك عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ستجدون قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، ولا تقتلن أمرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا».

وقال زيد بن وهب: أتانا كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله في الفلاحين ». ومن وصاياه: لا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدا ووفوا قتلهم إذا التقىٰ الزحفان وعند شن الغارات».

وبهذه النظرة للإرهاب المذموم الممقوت عند الله عَزَّ وَجَلَّ يتبين لنا من هم الإرهابيون علىٰ الحقيقة أهم المسلمون الذين يلتزمون بهذا الطهر وحفظ حقوق الإنسان البريء والبعد عن ظلمه في نفسه أو عرضه أو ماله أم هم الكفرة وأذنابهم ممن تعج الأرض من ظلمهم وقتلهم وسجنهم وتعذيبهم للأبرياء من الناس بما في ذلك الأطفال والنساء والشيوخ كما هو الحاصل اليوم في الحروب التي تشنها أمريكا وحلفاؤها علىٰ بلدان المسلمين في العراق وأفغانستان وغيرهما.

الموازين الجاهلية للإرهاب:

❍ **تنظر هذه الموازين الجائرة إلىٰ الإرهاب بعينين جائرتين ماكرتين متناقضتين:**

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

الأولىٰ: عين الرضا والمدح والإشادة، وهي التي يبررون بها عدوانهم وقتلهم وتشريدهم حيث ينفون عنهم وصف الإرهاب ويبررونه بالدفاع عن النفس أو نصرة المظلوم ونشر السلام والحرية وأوضح مثال لذلك ما يردده الأمريكان واليهود الفجرة في تبريرهم لعدوانهم علىٰ بلاد المسلمين كما في أفغانستان والعراق وفلسطين بأنهم جاءوا لنشر الحرية والديمقراطية وإبعاد شبح التطرف والديكتاتورية عن هذه البلدان.

سبحان الله وبحمده ما أحلمه علىٰ عباده إذ كيف يتحول قتل الملايين من المسلمين وتشريد أعداد ذلك من النساء والشيوخ والأطفال وسجن العشرات والآلاف منهم من كونه إرهابًا وعدوانًا صارخًا إلىٰ أنه طريق إلىٰ السلام والحرية والأمان!!

ومثل ذلك ما يقوم به كثير من حكام المسلمين من متابعة الدعاة والمصلحين والصادقين بالحق والزج بهم في السجون وإرهاب أهاليهم بحجة المحاربة للإرهاب وأهله. لقد أصبح مصطلح (الإرهاب) مشجبًا يعلق عليه كل ظالم معتد ثوب ظلمه وعدوانه، ومع ذلك يوجد -وياللأسف- من ينطلي عليه هذا التلبيس.

الثانية: عين المقت والذم للمتمسكين بأصول الإسلام وشعائره والذين يوالون ويعادون علىٰ أساسها ورميهم بالإرهاب. والنظر من هؤلاء الجاهلين -كفرة ومنافقين- إلىٰ شعيرة الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ سواء كان جهاد الدفع والمقاومة أو جهاد الطلب والفتح. بأن هذا هو

الإرهاب الذي يجب أن يحارب ويقضىٰ علىٰ أهله ومكروا مكرهم في تشويه غاية الجهاد بقولهم أنه عدوان وإكراه علىٰ الدخول في الإسلام. وكان المكر شديدًا حتىٰ تأثر به بعض دعاة المسملين ومفكريهم فراحوا يدافعون عن هذه التهم وكأن الإسلام الذي هو دين الله عَزَّوَجَلَّ في قفص الاتهام ويريدون تبرأته مما نسب إليه وقد أدىٰ ذلك إلىٰ هزيمتهم النفسية إزاء هذا المكر فصرحوا بأن الجهاد في الإسلام للدفاع عن النفس فحسب وما درىٰ هؤلاء أن الكفرة الفجرة المعتدين لا يوافقون حتىٰ علىٰ جهاد الدفع بل يريدون الاستسلام من المسلمين لعدوان الغزاة وعدمالمدافعة وإلا فهم إرهابيون مصاصون للدماء. وقد ذكرني هؤلاء الكفرة بموقفهم هذا حكاية تروىٰ عن أحد الجنود الفرنسيين أثناء استعمارهم لبعض الدول الأفريقية حيث قال لصديقه: تصور مدىٰ وحشية المسلمين في هذا البلد أن أحدهم عضني بأسنانه قبل أن أقتله!

يقول الدكتور عثمان ضميريه: «ولذلك كان من التخطيط اليهودي الصليبي أن يُرمىٰ الإسلام والمسلمون بهذه التُّهم، وأن يُخلط بينها وبين حق المسلمين في العمل علىٰ نشر الدعوة الإسلامية وحمياتها، وتعبيد الناس لربِّ العالمين، ومحاربة الأعداء لاستنقاذ المسلمين المستضعفين، وردّ حقوقهم المغتصبة.

وعند أشاعة هذه التهمة يدخل الإسلام والمسلمون في قفص الاتهام، ويُضطرُّون لإنفاق الجهد في الدفاع عن النفس، والعمل علىٰ نفي التهمة بكل الوسائل والأساليب، وعلىٰ جميع المستويات. ويستتبع هذا: مواقف التبرير والتنازل والتمحُّل، ويومئذ يفرح الأعداء الماكرون بنجاح المخطط الذي أتقنوا

تنفيذه حيث تبادلوا المواقع مع المسلمين، ووقفوا موقف الهجوم علينا، وهم الغارقون في الطين، والضالعون في الجريمة، والمفسدون في الأرض، بكل ألوان الفساد الديني والخلقي والسياسي والاجتماعي والأسري، بل إنهم هم المفسدون للحياة الفطرية والطبيعية في البر والبحر»[١].

وبمناسبة الحديث عن الإرهاب في ميزان الإسلام والجاهلية أذكر نفسي وإخواني المسلمين بأن الحملة الصليبية الني يشنها الغرب اليوم بقيادة أمريكا وحلفائها باسم الأئتلاف لمكافحة الإرهاب يجب أن يعيها المسلمون ويعون أهدافها ولا سيما دعاتهم وعلماؤهم ومجاهديهم فلا ينخدعوا باللافتات التي رفعها الأعداء بحجة مكافحة الإرهاب والإرهابيين فالحرب اليوم من الكفار هي حرب علىٰ الإسلام وأهله ولا سيما أهل السنة منهم وليست ضد فصيل معين منهم كما يدعون فليحذر المسلم أن يقوم بالأصطفاف مع الكفرة الغزاة في خندقهم ومظاهرتهم ضد الإسلام والمسلمين فإن في هذا خزي الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «يسألونك عن الأرهاب» (ص٩، ١٠) بتصرف يسير.

(٢٨)

الولاء والبراء
بين الإفراط والتفريط
في واقع الأحداث المعاصرة[١]

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن المتأمل فيما يدور اليوم من نوازل عظيمة في ديار المسلمين ليَأخذه الفزع والخوف علىٰ إيمانه ودينه، وذلك مما ظهر في هذه الأحداث ويظهر من فتن وابتلاءات يمتحن الله عَزَّوَجَلَّ فيها إيمان عباده، ولاسيما عقيدة الولاء والبراء التي هي صلب التوحيد، ولمن يكون ولاء المسلم ولمن لا يكون، ولمن تكون براءته ولمن لا تكون.

وذلك في هذا الصراع الذي تشهده الأمة بين معسكر الإيمان والتوحيد وبين معسكر الكفر والشرك والردة والنفاق.

ولقد تعرضت عقيدة الولاء والبراء كغيرها من أبواب العقيدة إلىٰ الانحراف

(١) حرر في (١٠ / شوال / ١٤٣٧هـ).

عن الموقف الوسط العدل؛ حيث أفرزت هذه الابتلاءات والمحن فريقين من الناس مالوا بهذه العقيدة عن وسطيتها، وثبَّت الله عَزَّوَجَلَّ أهل الحق وحماهم من الميل إلىٰ أيٍّ من الفريقين.

١- **الفريق الأول**: أهل التفريط والإضاعة.

٢- **الفريق الثاني**: أهل الغلو والإفراط.

وقبل ذكر تفاصيل بعض مظاهر هذين الفريقين وأحوالهما أود تقرير بعض الأمور المتعلقة بهذا الأصل العظيم من أصول التوحيد لأهميتها في بيان وجه الحق في هذه المسألة العظيمة.

- **الأمر الأول**: إن المتدبر لآيات الولاء والموالاة والبراءة من المشركين في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يتقرر عنده أن عقيدة الولاء والبراء هي صلب التوحيد، وأنها قضية إيمان وكفر وتوحيد وشرك وليست قضية جزئية فرعية، إن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) نصفها براءة من الشرك والمشركين من قول: (لا إله)، ونصفها الآخر ولاء لله عَزَّوَجَلَّ بإفراده سبحانه بالعبودية وذلك من قوله: (إلا الله).

- **الأمرالثاني**: كما أن المستقرئ لآيات الولاء والبراء في القرآن يخرج بنتيجة مهمة ألا وهي أنه ليس في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في الكلام علىٰ التوحيد من الأدلة أبين وأوضح وأكثر من الحديث عن الولاء والبراء؛ لأنه الصورة العملية والتطبيقية لكلمة التوحيد.

- **الأمر الثالث**: ومع هذا الوضوح والبيان عن هذه العقيدة؛ فإنا نرىٰ الغياب

المذهل لهذه العقيدة عن واقع كثير من المنتسبين للإسلام، والانشغال عنها بالاستغراق التام في ملذات الدنيا وشهواتها.

● **الأمر الرابع**: في قراءة التاريخ واستقراء السنن الإلهية يتضح لنا أن الذين يتولون الكفار من دون المؤمنين يعاقبهم الله بنقيض قصدهم؛ فبينما هم يقصدون العزة بتولي الكفار؛ فإن أمرهم يئول إلىٰ نقيض ذلك حيث يقهرهم الكفار ويذلونهم ويستعبدونهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩].

● **الأمر الخامس: بيان معنىٰ الولاء والبراء:**

- **الولاء**: يعني المحبة والنصرة؛ ولذا لايجوز صرفها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ والمؤمنين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

- ومن لوازم محبة الله عَزَّ وَجَلَّ محبة من يحبه الله، وما يحبه وبغض من يبغضه وما يبغضه.

- أما موالاة المؤمن؛ فإنها تجب في حقه الموالاة المطلقة إذا كان من الأتقياء الصالحين، أما إذا ظهر عليه الفسق وفعل المنكرات فإن الموالاة المطلقة تنتفي في حقه، ويبقىٰ مطلق الموالاة لبقاء أصل الإيمان لديه، بمعنىٰ أنه لا يكون له الولاء الكامل من كل وجه، وإنما يوالىٰ من جانب لإيمانه وصلاحه، ويعادىٰ من جانب آخر

لفسوقه وعصيانه.

- أما الكافر والمشرك فينتفي في حقه مطلق الولاء؛ فلا يبقىٰ في القلب أي ولاء له وإنما البراءة المطلقة منه.

- **والبراءة** تعني البعد والبغض والعداوة، وهذه لا تكون كاملة إلا للكافر حيث البراءة المطلقة منه، وأما بالنسبة للمؤمن العاصي؛ فإنها تكون مقيدة حيث يكون له مطلق البراءة مع مطلق الولاء؛ حيث يجتمع في حقة الولاء والبراء فلا يوالىٰ بإطلاق لوجود المعاصي، ولا يتبرأ منه بإطلاق لوجود أصل الايمان.

إذن يتحصل من هذا التفصيل الأحوال التالية:

١- من يجب في حقه الولاء المطلق وهو المؤمن التقي الصالح.

٢- من يجب في حقه مطلق الولاء وينتفي عنه الولاء المطلق وهو المؤمن الفاسق بقدر فسقه، فيوالىٰ بقدر ما فيه من الإيمان والصلاح، ويُتَبَرَّأ منه بقدر ما فيه من المعاصي والمنكرات.

٣- من يجب في حقه البراء المطلق، فيُتبرأ منه من كل وجه، وينتفي عنه مطلق الولاء، فلا يوالىٰ من أي وجه، وهو الكافر والمشرك والمرتد.

٤- من يجب في حقه مطلق البراءة ومطلق الموالاة، وذلك في حق المؤمن العاصي فلا يوالىٰ بإطلاق ولا يتبرأ منه بإطلاق. وهذا تفصيل للحالة الثانية الآنفة الذكر.

وعدم معرفة هذه التفاصيل هو الذي يوقع في الغالب الميل بعقيدة

الولاء والبراء إما إلىٰ الإفراط وإما إلىٰ التفريط.

● **الأمر السادس: بيان الولاء المكفر وغير المكفر:**

سبق بيان أن موالاة الكافر لا تجوز بإطلاق، ولكن موالاة الكفار ليست علىٰ درجة واحدة في الحكم والتحريم، وإنما لها الأحكام التالية:

- **الحكم الأول:** موالاة مكفرة ناقضة من نواقض الإسلام.

وهي التي يتلبس صاحبها بأمرين لا شك فيهما:

١- محبة الكفار لأجل دينهم وأنظمتهم المخالفة لدين الاسلام.

٢- نصرة الكفار ومظاهرتهم في حربهم علىٰ المسلمين لاحتلال ديارهم أو فتنتهم عن دينهم، أو للإطاحة بالحكم الإسلامي، والتمكين للحكم العلماني أو الحكم الجاهلي غير الإسلامي أيًّا كانت صورته.

- **الحكم الثاني:** موالاة غير مكفرة لا تخرج صاحبها عن الإسلام، وهي التي لا تدخل في صور الموالاة المكفرة السابقة الذكر، وإنما هي دون ذلك ولها صور وأحوال وأحكام فقد تكون كبيرة محرمة، وقد تكون دون ذلك كالتشبه بهم في لباسهم وهيئاتهم أو حضور أعيادهم أو مداهنتهم والسكوت علىٰ منكراتهم.

وقد يكون بعض صور الموالاة للكفار ظاهرها ولاء ولكنها غير محرمة، وذلك في إظهار الموافقة لهم في بعض المسائل المخالفة لشرعنا تقية ومداراة

لشرهم وضررهم.

أو يكون هناك مصلحة للمسلمين في إظهار موالاتهم لخداعهم في الحروب والتجسس عليهم.

كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ بقوله: «ومثل ذلك اليوم: لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب لم يكن مأمورًا بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يستحب للرجل أو يجب عليه أن يشاركهم في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم إلىٰ الدين أو الاطلاع علىٰ باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك، من المقاصد الشرعية»[(١)].

إن عدم التفريق بين المداهنة المحرمة والمداراة الجائزة أو بين الولاء المكفر وغير المكفر وجَعْل كل صور الموالاة مكفرة أو غير مكفرة دون تفصيل في ذلك، هو الذي أدىٰ ببعض الدعاة أو المجاهدين إلىٰ الإفراط أو التفريط في الحكم علىٰ الناس واتخاذ المواقف.

وبعد هذا التفصيل في هذه المسائل المهمة ندخل إلىٰ صلب الموضوع، ألا وهو ذكر الطرفين والوسط في تناول عقيدة الولاء والبراء وذكر صور من ذلك:

● **الطرف الأول: أهل التفريط والإضاعة:**

وهم الذين فرطوا في فهمهم وتطبيقهم لهذه الشعيرة العظيمة، ووقعوا في

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٧٦).

موالاة الكفار ومداهنتهم بحجة المداراة والتقية أو بعض التأويلات الخاطئة، ولم يفرقوا بين المحرم منها وبين المخرج منها من الملة، بل هي عندهم إما جائزة أو محرمة لا تخرج من الملة.

ومع النصوص الصريحة في كتاب الله عز وجل التي تحذر من موالاة أعداء الله من الكفار والمنافقين إلا أننا نشهد اليوم ضعف هذه العقيدة في بعض النفوس، وتساهل كثير من الناس في الأخذ بها وتحكيمها في المعاملات والمواقف.

وقبل أن أذكر أمثلة لهذا الضعف والتفريط في عقيدة الولاء والبراء أسوق آية من كتاب الله عز وجل وحديثًا من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ يتضح منهما خطورة إثم موالاة الكفار والوقوف في خندقهم وعدم البراءة منهم.

فأما الآية فهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

ذكر عامة المفسرين أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا بمكة قبل الهجرة؛ فلما هاجر ﷺ إلىٰ المدينة تخلفوا عن الهجرة، فلما كان يوم بدر حملهم الكفار مع أنفسهم إلىٰ بدر كرهًا فقُتلوا بين الكفار.

ويقول القرطبي رحمه الله تعالىٰ عند قوله ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: «وقول الملائكة ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: «سؤال تقريع وتوبيخ؛ أي: أكنتم في أصحاب النبي ﷺ أم كنتم من المشركين»[١].

---

(١) «القرطبي» (٥/ ٣٤٦).

ويقول البغوي رحمه الله تعالىٰ في تفسير قوله تعالي: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: «أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أفي المسلمين أم المشركين»[١].

ويقول السعدي رحمه الله تعالىٰ عند قوله (فيم كنتم): «أي: علىٰ أي حال كنتم، وبأي شيء تميزتم عن المشركين، بل كثَّرتم سوادهم وربما ظاهر تموهم علىٰ المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير والجهاد مع رسول الله ﷺ، والكون مع المسلمين ومعاونتهم علىٰ أعدائهم»[٢].

وفي ضوء هذه الآية الكريمة ينبغي للمسلم اليوم وفي هذا الصراع المرير الذي تُشَنُّ فيه الحرب علىٰ الإسلام من كافة قوىٰ الكفر العالمية ومن والاهم وحالفهم من المنافقين- علىٰ المسلم أن يحدد موقفه من هذا الصراع وأهله، وأن يعد لهذا السؤال العظيم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ جوابه ويحدد موقفه في أي الفريقين يكون؟

وأما الحديث: فهو قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون علىٰ الناس**»[٣].

ففي هذا الحديث قسم النبي ﷺ الناس في الصراع بين الحق والباطل إلىٰ ثلاثة اقسام:

١- قسم ناصر لدين الله عَزَّوَجَلَّ مجاهد في سبيله موال لأوليائه معاد لأعدائه.

---

(١) «البغوي» (٢/ ٢٧٢).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ١٩٥).

(٣) رواه مسلم (١٠٣٧).

٢- قسم مخالف لأهل الحق معاد لهم محاربًا لهم سواء من أهل الكفر والنفاق أو من يواليهم ويناصرهم.

٣- قسم خاذل مخذل تارك لمعونة أهل الحق القائمين بأمر الله مخذلًا لهم معتزلًا للكفار ظانًّا إنه ناج بهذا الموقف.

ففي أي هذه الأقسام الثلاثة تضع نفسك أيها المسلم ولمن تعطي ولاءك؟ أنه امتحان عظيم لصدق الولاء والبراء في قلبك.

وبعد هذه الآية وهذا الحديث أسوق بعض الصور والمواقف التي تدل علىٰ ضعف الولاء والبراء أو زواله عن بعض النفوس؛ حيث إن هذه الأحداث والنوازل المعاصرة يمتحن الله عَزَّوَجَلَّ فيها صدق إيمان المؤمنين وصدق ولائهم لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله وللمؤمنين وصدق براءتهم من الشرك والمشركين والنفاق والمنافقين.

● **الصورة الأولىٰ:**

تولي أعداء الله الكفرة ومناصرتهم ومظاهرتهم علىٰ المسلمين، ولاسيما أهل السنة منهم، وهذا لم يعد خافيًا كما هو الحاصل اليوم في بلاد الشام والعراق وأفغانستان واليمن وفلسطين وليبيا وغيرها من بلدان المسلمين، وهذا مشاهَد من كثير من الحكومات العلمانية في أكثر بلدان المسلمين ومن سار في ركابهم من أهل النفاق والإعلام الملبس الذين يمجدون هذه المواقف الخيانية، ويرحبون بالكفار والغزاة، ويسخرون من المجاهدين ويشمتون بهم.

● **الصورة الثانية:**

تولي أعداء الله الكفرة بتمجيد مبادئهم وأنظمتهم الكفريه التي تستحل ما حرم الله وتحرم ما أحل الله، والحكم بها في ديار المسلمين، وتغريب مجتمعات المسلمين، بل وصل الأمر بهؤلاء المنافقين أن يستهزئوا بشعائر الإسلام وشرائعه وحملته، واتهامهم بالتطرف والإرهاب، والخروج علىٰ الشرع، وإثارة الفتن والقلاقل وشن الحرب عليهم سجنًا وتعذيبًا وإعدامًا.

● **الصورة الثالثة:**

مع وضوح هذا التولي للكفار في الصورة الأولىٰ والثانية وتعري أهله في ظل الأحداث المعاصرة؛ فإنا نجد بعض المسلمين يثني علىٰ هؤلاء الظلمة الذين يتولون أعداء الله، ويكيلون لهم المدائح والتبجيل، ويلبِّسون علىٰ الناس بذلك، فيضلون ويضلون، بل وصل بهم الحال إلىٰ أن وضعوا أنفسهم في خندق الظَّلَمة يدافعون عنهم، ويتهمون المصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالإفساد وإثارة الفتن.

● **الصورة الرابعة:**

إعطاء الولاء لتلك الروابط الجاهلية كالوطنية والقومية والموالاة والمعاداة علىٰ ذلك.

إن أيَّ آصرة من هذه الأواصر الجاهلية التي يعطي كثير من الناس ولاءهم علي أساسها هي أواصر فاسدة باطلة شرعًا قد تخرج صاحبها عن الإسلام؛ فإن الله ﷿ يأبىٰ علىٰ المسلمين أن يعطوا ولاءهم إلا لمن ارتبط معهم برباط الإيمان والاسلام؛ فلا ولاء في الإسلام إلا علىٰ أساس هذا الدين وما سواه باطل

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال سبحانه عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٥].

● **الصورة الخامسة:**

معاداة وبغض الجماعات الإسلامية المنتسبة لأهل السنة التي تدعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في مجتمعات المسلمين، أو الفصائل المجاهدة في سبيل الله، والوقوف مع الأنظمة العلمانية في محاربتهم، بحجة بعض الأخطاء التي يرتكبها بعض هذه الجماعات.

فمثل هذه المواقف تعد من صور موالاة أعداء الله والوقوف في خندقهم أمام الدعاة والمجاهدين، وإذا كان المبرر وجود بعض الأخطاء؛ فماذا تساوي نسبة هذه الأخطاء إلىٰ أخطاء وجرائم الحكومات العلمانية التي تعاديهم، والتي من عقود طويلة وهي تفسد أديان الناس وعقولهم وأعراضهم وأموالهم؛ إن الواجب علىٰ المسلم أن يعطي ولاءه لمن يدعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ويجاهد في سبيله لا لمن يحارب الله ورسوله.

إن الأفراد والتجمعات والجماعات الإسلامية التي تعمل في الساحة الإسلامية داخل دائرة أهل السنة والجماعة علىٰ امتداد العالم والتي تجاهد، وتضحي بكل غال ونفيس من أجل إقامة دين الله في الأرض، إن هؤلاء جميعًا

يمثلون اليوم حزب الرحمن ومعسكر الحق والإيمان وإن وُجد عندهم بعض الأخطاء.

وعلىٰ كل من ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم أن يراجع موقفه ويتحسس موقعه: من يوالي اليوم ومن يعين ويناصر ويؤيد ويكثر سوادهم؟ حزب الرحمن أم حزب الشيطان؟ أهل الحق أم أهل الباطل؟ معسكر الإيمان أم معسكر الكفران؟

إن أضعف الإيمان والذي ليس وراءه حبة خردل من إيمان أن يخلع المرء ولاءه عن هذه الأنظمة العلمانية الطاغية، ويكرهها بقلبه، ويتمنىٰ زوالها، ويسأل الله القضاء عليها وألا يعينها علىٰ مسلم بقول أو بفعل، خاصة في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وعلىٰ المرء في الوقت نفسه أن يحب أهل الحق ويتمنىٰ أن ينصرهم الله، ويسأل الله أن يرفع بهم راية التوحيد في الأرض، ثم عليه بعد ذلك متىٰ أمكنه الله أن يجاهر الكافرين بالعداء، وأن يقف مجاهدًا بالقول والفعل في الصف الإسلامي.

فخذلان المسلم لأخيه شيء عظيم، وهو إن حدث ذريعة لخذلان المسلمين جميعًا، وقضاء أعدائهم عليهم واحدًا تلو الاخر.

ومهما كانت صعوبة الظروف المحيطة بنا من أعدائنا في الداخل والخارج؛ فلا يصح أن تكون هي المِشْجَب الذي نعلق عليه قصورنا وتخاذلنا.

فإن ذلك كله لا يعفينا من مسئوليتنا أمام الله عَزَّوَجَلَّ، ثم أمام إخواننا الصامدين علىٰ طريق الجهاد في سبيل الدين، والذين يجاهدون الكفار المحاربين والمنافقين المرتدين.

وعلىٰ الذين يقفون في صف هؤلاء الطواغيت والظالمين أن يسارعوا في مراجعة أنفسهم قبل أن تتوفاهم الملائكة كما توفت أسلافهم وسيسألون عندها فيم كنتم؟ أفي معسكر الحق والإيمان؟ أم في معسكر الظلم والطغيان؟ ويومئذ لن تنفعهم معذرتهم بحجة الاستضعاف أو التعلق بالوطن والمال والولد، كما لم ينفع ذلك أسلافهم، وعليهم أن يسارعوا بالنُّقْلة من هذا المعسكر وقبل فوات الأوان إلىٰ المعسكر المقابل معسكر الحق والإيمان ولو هجرة قلبية(١).

وعن أهمية الموالاة والمعاداة في الله يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالىٰ: «إن الواجب علىٰ الرجل أن يُعلم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة فيه قبل تعليمهم الوضوء والصلاة؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة الصلاة، ولا صحة لإسلامه أيضًا إلا بصحة الموالاة والمعاداة في الله»(٢).

ويقول ابن عقيل رحمه الله تعالىٰ: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلىٰ زحامهم في أبواب الجوامع ولا ضجيجهم في الموقف بـ: لبيك، وإنما انظر إلىٰ مواطأتهم أعداء الشريعة»(٣).

● **الصورة السادسة:**

ما يتعرض له بعض الفصائل المجاهدة من ضغوط عسكرية ومالية وحلول

---

(١) انظر: كتاب «فيم كنتم» بتصرف يسير.

(٢) «الرسائل الشخصية» للإمام محمد بن عبدالوهاب (ص٣٢٣).

(٣) «الآداب الشرعية» (١/ ٢٩٩).

سياسية تدفع بهم إلىٰ أن يقدموا بعض التنازلات، والجلوس مع العدو الكافر المجرم علىٰ مائدة المفاوضات، كما تضطر بعضهم ممن لم يقبل بالحلول السياسية إلىٰ قبول المساعدات المالية المشروطة من بعض الدول التي لها أهدافها من هذه المساعدات، وليس قصدها حب الإسلام والمجاهدين.

ونحن نتفهم أن بعض المجاهدين في بعض الظروف القاهرة قد يضطرون من باب السياسة الشرعية وفقه الموازنات والمداراة أن يحاوروا العدو الكافر أو من يسانده أو يهادنوه لكف شره وقد يضطروا للاستعانة ماليًّا أو عتادًا حربيًّا بالكافر حسب شروط معروفة وضعها أهل العلم، وليس هذا مكان تفصيلها، ولكن هذه الضرورة محكومة بضوابط وشروط إن لم تتوفر فلا يجوز حينها ارتكاب المحظور الشرعي واستباحته.

والمراقب فيما يحصل من مؤامرات علىٰ المشروع الجهادي بعامة والجهاد الشامي بخاصة يلحظ عدم توفر بعض هذه الضوابط والشروط في ما حصل من تنازلات، ومن أهم هذه الشروط ألا يمس التنازل الثوابت الشرعية والأصول الاعتقادية، والرضا بما يخرمها أو يهدمها، ومن ذلك عدم التنازل عن مقصد الجهاد وما بذلت فيه من الأرواح والأموال، ألا وهو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون الشريعة هي الحاكمة المهيمنة في حياة الناس، أما الرضا بإملاءات الأعداء من كفار ومنافقين في إقصاء الإسلام عن الحكم والرضا بحكومة علمانية ديموقراطية فهذا خيانة للجهاد وضرب من ضروب الموالاة للكفار والمنافقين.

ومن موالاة الكفار التي يقع فيها بعض الفصائل المجاهدة وهي خطيرة: أن يستعينوا أو يقبلوا بعرض الكفار لمساعدتهم لقتال فصيل آخر من فصائل

المجاهدين، مهما كان عند هذا الفصيل أو ذاك من أخطاء أو بدع.

● **الصورة السابعة:**

التألم لما يصيب الكفار في ديارهم من الكوارث، أو قتل من يقتل من رعايا الدول التي أعلنت حربها علىٰ المسلمين، أو المسيئين لدين الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، أو من المخنثين والشاذين منهم والتعاطف معهم، وتعزيتهم وإدانة وشجب وتجريم من يقوم بذلك من المسلمين، في الوقت الذي لا نجد مثل هذا التعاطف والتناصر مع إخواننا المسلمين وما يعانونه مما يقوم به الغرب الكافر وعلىٰ رأسه أمريكا الطاغية من قتل وتشريد وتعذيب مئات الآلاف من المسلمين أطفالًا ونساءً ورجالًا بطائراتهم المسيرة وغير المسيرة.

إن مثل هذه المواقف تدل علىٰ ضعف الولاء للمؤمنين وضعف البراءة من الكافرين.

● **الصورة الثامنة:**

وهذه الصورة شائعة في أوساط مجتمعات المسلمين، ولم يسلم منها إلا من رحم الله تعالىٰ، ألا وهي التشبه بالكفار في هديهم وعاداتهم ولباسهم ومآكلهم وأعيادهم مما يعد سمة لهم وهديًا معروفًا لهم، والمقصود الإشارة إلىٰ هذا النوع من موالاة الكفار، وليس المقام مقام تفصيل هذه الأحوال، ومن أراد التوسع في مسألة التشبه بالكفار وصوره وأحكامه؛ فليرجع إلىٰ الكتاب النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

ومما يلحق بهذه الصورة: مؤانسة الكفار لغير مصلحة، والانبساط معهم وتقديمهم في المجالس واحترامهم، ومداهنتهم بالسكوت علىٰ المنكرات والمجاهرة بها، وتهنئتهم بأعيادهم ومشاركتهم فيها... وغيرها من صور المداهنة.

✍ الطرف الثاني: أهل الإفراط والغلو:

وهذا هو الفريق الثاني الذي مال بقضية الولاء والبراء عن طريق أهل الاستقامة والعدل، حيث جنح في مسألة الولاء والبراء إلىٰ التشديد فيها بأن أدخل في موالاة الكفار، ما ليس منها أو جعل الصورة المحرمة من موالاة الكفار ولاءً مكفرًا مخرجًا من الملة.

أو نظر إلىٰ المداراة المطلوبة شرعًا مع الكافر المتسلط نوعًا من أنواع المداهنة والموالاة المكفرة، ولم يلتفت إلىٰ أبواب السياسة الشرعية وفقه الموازنات، فيما يواجه بعض الدعاة والمجاهدين من نوازل وتعارضات بين المصالح والمفاسد.

هذا وإن كنا نقدر حرص هذا الطرف وغيرته علىٰ الدين وثوابته، ونفترض حسن قصده إن شاء الله تعالىٰ إلا أن حسن القصد إن لم يقترن بصحة الفهم للمناط المكفر وغير المكفر من الولاء والبراء، وفهم الواقع ومدىٰ توافر الشروط وانتفاء الموانع فقد يجنح بصاحبه إلىٰ مجانبة الصواب في المواقف والأحكام، فالعبرة بموافقة العمل للشريعة فإن كان مخالفًا لها فلا أثر للنية في الحكم علىٰ الفعل وحسنها.

ومن خطورة هذه المواقف المتشددة أنها لا تقف عند مجرد الحكم بالكفر

والردة علىٰ ما تراه من وقوع في الموالاة المكفرة، بل يترتب علىٰ ذلك عندها استباحة الدماء والأموال لمن وقع في هذا النوع من الموالاة ولتوضيح ما ذكر أسوق بعض الصور لهذه المواقف المُفْرِطة:

● **الصورة الاولىٰ:**

النظر إلىٰ من يرىٰ جواز العمل السياسي مع الحكومات العلمانية والعمل الديموقراطي هذا من الموالاة المكفرة المخرجة من الملة، دون أن ينظر من أصدر هذا الحكم إلىٰ أصناف من يدخلون في العمل الديمقراطي، هل هم ملاحدة علمانيون أم إسلاميون من جماعات إسلامية أو مستقلون، ودون النظر إلىٰ أهداف الإسلاميين وتأويلاتهم في ذلك وغيرها من المعارضات الشرعية، التي تمنع من تكفيره ولا تمنع من تأثيمه.

ومع أننا لا نوافق علىٰ دخول مسلم لمثل هذه المجالس الكفرية ونرىٰ أن في ذلك إثمًا عظيمًا إلا أننا لا نحكم بكفرهم بمجرد دخولهم لوجود موانع تمنع من ذلك؛ وعليه فإن الحكم علىٰ كل من دخل في هذه المجالس أنه وقع في الموالاة المكفرة؛ فيكون بذلك مرتدًّا فإن هذا نوع من الإفراط والغلو في فهم وتطبيق عقيدة الولاء والبراء، والأشد من ذلك غلوًّا تكفير من لم يكفر من دخل في هذه المجالس وأجاز ذلك.

● **الصورة الثانية:**

الحكم علىٰ من جلس مع الكفار أو حاورهم أو صالحهم من الدعاة والمجاهدين لدرء شرهم عن المسلمين أو جلب مصلحة للمسلمين: أن ذلك نوع

من أنواع الموالاة المكفرة، وبالتالي الحكم علىٰ أهلها بالردة المستلزمة عندها إباحة الدماء، بل وصل الحال إلىٰ أن من يثني عليه الكفار فهو موال لهم موالاة مكفرة، وكذلك من اضطر إلىٰ الاستعانة بمال ممن يرونه كافرًا؛ فإن هذا من الموالاة المكفرة.

ولا أدري إن كان هذا الفريق قد اطلع علىٰ سيرة النبي ﷺ وما فيها من الجلوس مع الكفار وعقد الصلح معم واستعانته ﷺ ببعض المشركين وعتادهم، كما جاء ذلك في استعارته لأدرع صفوان بن أمية يوم حنين، ومفاوضة النبي ﷺ مع غطفان يوم الخندق علىٰ نصف ثمار المدينة ليرجعوا، ودخوله مكة عندما رجع من الطائف في جوار مطعم بن عدي وهو كافر؟!.

- **والمقصود**: أنه ليس كل من جلس مع الكافر وحاوره يكون بذلك مرتدًّا وإنما لابد من التفصيل.

والتكفير وعدمه ينبني علىٰ ما ينبثق من هذه الجلسات والحوارات من اتفاقات؛ إذ قد تكون مكفرة وقد تكون محرمة وقد تكون جائزة.

يذكر الدكتور فهد العجلان حفظه الله تعالىٰ سببًا لهذا الغلو فيقول: «غير أن ما جعل هذه الابواب، وكأنها أبواب سهلة ميسورة هو أن البعض يحفظ قواعد كلية عامة؛ فيرىٰ أن المسألة واضحة جدًّا لا تحتاج لأي بحث أو نظر بل يطبقها مباشرة، وحين يأتي من يعارضها لا يرىٰ أن الموضوع يستحق المعارضة، وإنما يفتش عن الخلل في دين المعارض أو نيته، بل حتىٰ من يتحفظ أو يحتاط في الفتيا في قضايا الدماء والتكفير؛ فمن السهولة بمكان أن يرمىٰ بالإرجاء والجهل والخيانة!

فهو يحفظ مثلًا أن «مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين من نواقض الإسلام» أو أن «التشريع المخالف لما أنزل الله كفر» وهذا حق، لكنه يبني علىٰ معرفته الإجمالية اليسيرة لهذه النواقض كافة منظومته القضائية والفقهية، مع أن كل طالب علم يدرك أن في هذه النواقض من التفصيلات والدقائق ما يتطلب بحثًا ونظرًا وتوقفًا.

وحين ينتقل إلىٰ مرحلة تنزيلها علىٰ الوقائع والأعيان فهذا يتطلب تحفظًا أكثر، كما أن ما تقتضيه من أحكام فقهية يتطلب علمًا أوسع، إلا أن صاحب المعرفة الإجمالية لا يدري عنها فيجعل جهله حجة له علىٰ جرأته؛ ولهذا قيل: أجرأ الناس علىٰ التكفير أقلهم علمًا به؛ لأنه أصبح يتعامل مع التكفير كمثل مسائل الرياضيات فهي حسابات واضحة ما عليه سوىٰ أن يجمع فيها ويطرح!»[(١)]. اهـ.

● **الصورة الثالثة:**

الانطلاق من المعرفة الإجمالية لقاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر» إلىٰ تكفير كل من يرونه كافرًا بموالاته للكفار في نظرهم، دون التفريق بين كفر النوع وكفر العين، ودون النظر في هذا الكافر هل هو من الكفار المقطوع، بكفرهم كاليهود والنصارىٰ والشيوعيين؛ حيث إن هذه القاعدة تنطبق في حق من لم يكفرهم، أما أن تنزل هذه القاعدة علىٰ شخص أو أشخاص مشتبه في كفرهم، وهناك من الموانع ما يمنع من تكفيرهم؛ فإن أعمال هذه القاعدة بأن يكفر كل من

---

(١) «موقع أنا المسلم». بتصرف يسير.

لم يكفرهم نوع من التحكم والتعصب ومصادرة عقول الآخرين ومواقفهم؛ فكون هذا الشخص عندك قد بان لديك كفره، كالشمس فليس لك الحق أن تلزم غيرك أن يكفره لعدم اكتمال البينات والأدلة لديه.

● **الصورة الرابعة:**

وهي من أشد أنواع الغلو ألا وهي تكفير المخالف المنتقد لأفكار أهل الغلو والإفراط ورفضه الانحياز إليهم بحجة وقوفه أمام المشروع الإسلامي، لإقامة شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا يتحول الموضوع إلىٰ تعصب وصراع حزبي، يكون فيه الحزب هو الإسلام فمن حاربه فهو محارب للإسلام مرتد مباح الدم، ومن كان مع الحزب فهو المؤمن الموحد المجاهد. ومن كان خارجه فإنه وإن لم يكن كافرًا فهو علىٰ خطر في إيمانه وولائه.

يتحدث دكتور فهد العجلان عن مفاسد الخصومة الحزبية فيقول: «الخصومة الحزبية تعمي الشخص عن الواجب الشرعي المطلوب اتخاذه قبل نسبة أحد إلىٰ قول أو فعل كفري؛ فقد يكون الفعل أو القول كفرًا لا شك فيه إنما قبل أن تنزله علىٰ أحد من الناس، لابد أن تكون لديك دلائل قطعية تثبت ذلك، غير أن الخصومة الحزبية تعمي فئة من الناس فتغير كل المعايير البديهية للتثبت؛ فيكون من السهل جدًّا أن يكفر شخصًا، أو ربما جماعة بل تيارًا واسعًا من الناس بناء علىٰ خبر في صحيفة غربية قرأها علىٰ الشبكة الاجتماعية، أو من ترجمة من لا يدري حتىٰ ما مصدرها، وحين يطالب بالإثبات العلمي الذي يتطلب دقة موضوعية ومنهجية؛ فإنه يبدأ بسرد ما يفعل هذا التيار وما تقع فيه هذه الجماعات بما يعني أن الإشكال الحزبي والصراع مع الجماعات كان هو الدافع الأكبر

للتكفير بما خفف من وسائل الإثبات؛ فأصبح يبحث بعدها عن أي شيء ليستند إليه...» [(١)].

● **الصورة الخامسة:**

الغلو في الحب والموالاة لشيخ أو جماعة بحيث يحمله هذا الغلو في المحبوب علىٰ الطاعة المطلقة له، وكأنه معصوم لا يخطئ، ومن ذلك الانطلاق في تكفير وردة شخص أو جماعة في كونه وقع في الموالاة المكفرة، لا من بحث علمي شرعي ولا واقعي لحال الشخص والجماعية، إنما لمجرد أن القائد الفلاني في حزبه وجماعته كفرهم دون أن يأتي بالمبررات الشرعية والواقعة لهذا الحكم، وإنما مجرد التقليد والثقة العمياء بما يقوله شيخه أو تتبناه جماعته لغلوه في حبه له وبغضه لمخالفه.

بل أن الامر في الحب والتقليد الأعمىٰ للشيخ أو الحزب ليَصل أن ينفذ التابع أمر متبوعه المطاع في استباحته الدماء، دون أن يعرف التابع المقلد أسباب الاستباحة الشرعية، وإنما لمجرد أن قائده أو شيخه أمره بذلك.

وليتدبر هؤلاء المقلدون النصين التاليين ليعلموا منهما منهج السلف في الاتباع والتثبت، وعدم التقليد الأعمىٰ لشخص غير الرسول ﷺ ولو كان محبوبًا:

روىٰ البخاري رحمه الله تعالىٰ في «صحيحه» بسنده عن حرمله: «مولىٰ أسامة قال: «أرسلني أسامةُ إلىٰ عليٍّ وقال: إنه سيسألُكَ الآن فيقول: ما خَلَّفَ

---

(١) «موقع أنا المسلم».

صاحبك؟ فَقُلْ له: يقول لك: لو كُنْتَ في شِدْقِ الأَسَدِ؛ لأَحْبَبْتُ أن أكون معك فيه، ولكن هذا أَمْرٌ لم أَرَهُ»[1].

كما روىٰ البخاري رحمه الله تعالىٰ بسنده إلىٰ سالم بن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة فدعاهم إلىٰ الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا؛ فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلىٰ كل رجل منا أسيره، حتىٰ إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل: كل رجل منا أسيره فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتىٰ قدمنا علىٰ النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يده فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**» مرتين [2].

❍ **كلمتان أخيرتان:**

الأولىٰ: أنصح نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين بأن نتقي الله عَزَّ وَجَلَّ في أنفسنا وأمتنا، وأن نخاف الموقف العظيم بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ يوم يقوم الناس لرب العالمين ويسألنا عن مواقفنا، وأحكامنا في هذه الأحداث هل اتقينا الله وتحرينا الحق فيها ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ فما جوابنا وعذرنا عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وهاهي أمم الكفر قد رمتنا عن قوس واحدة اليهود والنصارىٰ الصليبيون، والروس الملاحدة والرافضة الباطنيون والمنافقون من بني جلدتنا وقد تناسوا خلافاتهم في حربهم لنا

(١) رواه البخاري (٦٦٦٥).
(٢) رواه البخاري (٣٩٩٢).

فهلَّا تناسينا خلافاتنا في حربنا لهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣].

الثانية: ينبغي أن نعلم بأن رأس الأفعىٰ في هذه الحرب المشبوبة علىٰ المسلمين هي أمريكا الطاغية دون التهوين من شركائها في هذه الحرب.

أن المشروع الأمريكي هو الأخطر في المنطقة فينبغي علىٰ الدعاة والمجاهدين أن يعوا هذا الخطر.

أقول هذا القول لِمَا لمسته من غفلة عن هذا المشروع مقابل المشروع الإيراني والروسي في المنطقة الذي أخذ حقه من البيان والفضح، لقد نجحت أمريكا إلىٰ حد كبير في صرف أنظار كثير من المسلمين، ومنهم بعض الدعاة والمجاهدين عن خطرها، وحاولت توجيه الكره والعداوة إلىٰ إيران ومشروعها؛ الرافضي فكثرت البيانات والتحذيرات من الخطر الصفوي وهذا حق وواجب ولكن هذا يجب ألا يصرفنا عن خطر، وجرائم المشروع الأمريكي، ومن سار في فلكه؛ فإنهم أخطر ما يكون علىٰ المسلمين.

بل إن المشروع الصفوي الرافضي إن هو إلا أداة من أدوات تنفيذ المشروع الأمريكي وتمريره في المنطقة؛ فينبغي أن يأخذ حقه من الفضح وبيان خطره وألا ينسينا الحديث عن خطر المشروع الصفوي بيان الخطر الأمريكي وضرورة التصدي له ولألاعيبه وأهدافه.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء الىٰ صراط مستقيم، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋ ❋

(٢٩)

المشروع الأمريكي في حرب المسلمين السنة

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفىٰ علىٰ أدنىٰ متأمل ما تشهده هذه السنوات الأخيرة من حرب سافرة حاقدة ماكرة يشنها الغرب، وعلىٰ رأسه أمريكا؛ التي تتولىٰ كبر ذلك علىٰ الإسلام وأهله، ولاسيما أهل السنة منهم، ولسنا في حاجة لإثبات ذلك بالوثائق والمواقف والأدلة؛ فهي من الوضوح بحيث يدركها اليومَ الصغيرُ، والكبير، والشيخ، والعجوز، والمثقف، والأمي.

ولئن عُذر أحدٌ في خفاء هذا العداء والحرب فيما مضىٰ من عقود؛ فإنه لا يعذر اليوم، وقد تساقطت الأقنعة، وتعرت النوايا، وظهرت فيه المعايير المزدوجة، والمكاييل التي تكيل بمكاييل مختلفة.

وإن المسلم المتدبر لكتاب ربه عَزَّوَجَلَّ، وما فيه من السنن الإلهية التي لا تتبدل، والتوجيهات الربانية التي تبين لنا حقيقة أعدائنا الكفرة، وتحذرنا منهم، ومما تخفي صدورهم من الكيد والمكر للمسلمين؛ إن المسلم المتدبر لذلك كله

يصير بذلك أسعد الناس بمعرفة عدوه، وأخذ الحذر منه، والبراءة منه، وإظهار العداوة له، والتحذير من مكره وكيده.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ﴾ [النساء: ٨٩].

ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ويقول سبحانه: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: ٨].

والآيات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في التحذير من الكفار، وبيان عداوتهم للمسلمين كثيرة، والمسلم المتدبر لكتاب ربه تكفيه هذه الآيات وأمثالها، في

توجيه العداوة للكفار، والبراءة منهم، والحذر من مكرهم، وجهادهم، ولا يحتاج المسلم في إثبات هذه العداوة والبراءة إلىٰ مزيد من الأدلة الواقعية حتىٰ يوقن بذلك؛ لأنه موقن بكلام ربه سبحانه، ولكن ما يظهره الله عَزَّوَجَلَّ من وقائع وفضائح، وسقوط للأقنعة تزيد المؤمن إيمانًا ويقينًا.

إن المدافعة والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية، اقتضتها حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، وعلمه ورحمته، منذ أن هبط آدم عليه الصلاة والسلام إلىٰ الأرض، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

يقول الأستاذ عبد العزيز كامل[1] عن هاتين الآيتين: «والمعنىٰ من الآيتين:

---

(١) هو فضيلة الدكتور الشيخ/ عبد العزيز مصطفىٰ كامل: حصل علىٰ ماجستير في الشريعة من =

لولا دفع الله بأس المشركين بممانعة وجهاد الموحدين، وحكمهم بالوحي المنزل، لزاد الفساد، واستحكم الظلم، وحرم العباد من عبادتهم لرب العباد، فالتدافع هو الأصل بين سبيل الأبرار والفجار، ليس في ميادين المعارك العسكرية فقط؛ بل قبل ذلك في ساحات المواجهة الفكرية؛ وحقيقته صراع بين من يحملون المنهج السوي من أتباع الرسل، وبين من يحْتَمون بسواهم من ملل الجهالات والمقالات والأهواء؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾

=

جامعة الإمام بالمملكة العربية السعودية، والدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، في تفسير القرآن الكريم.

حاضر بجامعة الملك سعود، وأشرف علىٰ موقع «لواء الشريعة»، وعمل عضوًا بهيئة تحرير ومجلس إدارة مجلة البيان، كما عمل مديرًا لمركز «أجيال» للبحوث.

* من مؤلفاته:

١- قبل أن يهدم الأقصىٰ.
٢- معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية.
٣- فقه الوفاق، متىٰ نحييه؟.
٤- أمريكا وإسرائيل، وعقدة الدم.
٥- روح الصيام ومعانيه.
٦- بشائر الهزيمة الأمريكية في العراق وتحديات ما بعد أمريكا.
٧- العلمانية إمبراطورية النفاق.
٨- قبل الكارثة ، نذير ونفير.
٩- نظرات في منازلة النوازل.
١٠- العلمانيون وفلسطين.

وله العديد من المقالات المنشورة، ومشاركات في مؤتمرات متعلقة بالشأن الإسلامي.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾

[إبراهيم: ١٣، ١٤].

والصراعات تكون أيضًا بين باطل وباطل، وقد يكون ذلك خير لأهل الإيمان، كما كان الصراع بين الفرس والروم؛ حيث أنهك كل منهم الآخر؛ لتسهل المهمة بعد ذلك علىٰ عباد الله الموحدين في الانتصار عليهما.

إن صراعات عصرنا ليست استثناءً في كون أصلها صراعًا بين عقيدة وعقيدة.

والصراع الدولي اليوم -الناشب في ميادين متعددة علىٰ أرض العالم الإسلامي- يتضح فيه يومًا بعد يوم أنه صراع بين الحق والباطل، بين حق الإسلام وباطل الأعداء؛ الذي تأتي فيه الصِّهيونية الأمريكية بشقيها اليهودي والنصراني في مقدمتهم؛ حيث أطلقت أمريكا علىٰ حربها هذه: «الحرب العالمية علىٰ الإرهاب» بعد أن لعبت بمصطلح «الإرهاب» لكي يكون مرادفًا للإسلام وأهله؛ الذين وقفوا في وجهها؛ لكي يكون هذا المصطلح صالحًا لأن يطلق علىٰ أشخاص دون أشخاص، ودول دون دول، وجماعات دون جماعات، وممارسات دون ممارسات»[(١)].

وقد كتب الله عَزَّوَجَلَّ هذا الصراع، وقدَّره لحكم ومصالح عظيمة، أظهر الله عَزَّوَجَلَّ لنا بعضها، وأخفىٰ عنا بعضها.

---

(١) انظر: مقال «حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين وبأسهم» د. عبد العزيز كامل، مجلة البيان الإسلامية، العدد (٢٣٨)، بشيء من الاختصار والتصرف اليسير.

*** ومن هذه الحكم التي تضمنتها الآيات السابقة:**

١- في سنة المدافعة درء لمفاسد عظيمة عن العباد، في أديانهم وأنفسهم، وعقولهم وأموالهم وأعراضهم؛ إذ لو أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يقيض للباطل من يرده ويدفعه من أهل الحق، لفسدت الأرض ومن عليها، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك.

٢- في سنة المدافعة يستخرج الله عبودية أوليائه وحزبه، في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون.

٣- في سنة الصراع بين الحق والباطل تمحيص وابتلاء، يتميز فيها المؤمن الصادق، الذي يستحق مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وجنته، من المنافق الذي كان يخفي نفاقه في الأمن؛ فتأتي شدة الصراع لتظهر نفاقه، وفي هذا مصلحة للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٤- في سنة الصراع والمواجهة بين الحق والباطل مصلحة عظيمة، في كون هذا الصراع الشديد يبرز الحق ويظهره للناس، ويتعرف عليه الناس الجاهلون به، ويصلب عوده، ويظهر للناس صدق أهله، وبطلان أعدائه، وهذا لا يأتي بتعايش الحق مع الباطل، ومسالمة كل طرف للطرف الآخر.

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ**: «**من بعض فوائد ذلك**: أن يعلو الحق علىٰ الباطل، وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحًا عظيمًا؛ لأن معارضة

الباطل للحق مما تزيده وضوحًا وبيانًا وكمالَ استدلالٍ، وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة، وبأهل الباطل من العقوبة»[(١)].

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها أدخل في صلب هذه المقالة وموضوعها، ألا وهو «المشروع الأمريكي في حرب أهل السنة».

ولكي يسهل تناول الموضوع وفهمه، أصوغه في الوقفات التالية:

*** الوقفة الأولى:**

إن ما يدور الآن من أحداث مؤلمة في بلاد الشام، والعراق، واليمن، وفلسطين، وأفغانستان، ومصر، وليبيا، وما يخطط لغيرها من البلدان الأخرىٰ، إنْ هو إلا نتيجة لمخطط إجرامي قذر، يشنه الغرب الكافر بزعامة رأس الفساد أمريكا، وذلك في مشروعها الإفسادي وحربها العالمية لأهل السنة وإسلامهم، وهذا ما يصرحون به ولا يخفونه كما سيأتي تفصيله لاحقًا إن شاء الله تعالىٰ.

وأود التنبيه في هذه الوقفة إلىٰ أمر مهم ألا وهو:

ضرورة أن نعلم بأن رأس الأفعىٰ في هذه الحرب المشبوبة علىٰ المسلمين هي أمريكا الطاغية، دون التهوين من شركائها في هذه الحرب.

إن المشروع الأمريكي هو الأخطر في المنطقة، فينبغي للدعاة والمجاهدين أن يعوا هذا الخطر.

أقول هذا القول لما لمسته من غفلة عن هذا المشروع، مقابل المشروع

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٨٢).

الإيراني والروسي في المنطقة، الذي أخذ حقه من البيان والفضح، لقد نجحت أمريكا إلىٰ حد كبير في صرف أنظار كثير من المسلمين (ومنهم بعض الدعاة والمجاهدين) عن خطرها، وحاولت توجيه الكره والعداوة إلىٰ إيران ومشروعها الرافضي؛ فكثرت البيانات والتحذيرات من الخطر الصفوي، وهذا حق وواجب، ولكن هذا يجب ألا يصرفنا عن خطر وجرائم المشروع الأمريكي ومن سار في فلكه؛ فإنهم أخطر ما يكون علىٰ المسلمين؛ بل يمكن القول بأن المشروع الصفوي الرافضي والروسي؛ إن هو إلا أداة من أدوات تنفيذ المشروع الأمريكي، وتمريره في المنطقة، فينبغي أن يأخذ حقه من الفضح، وبيان خطره، وألا ينسينا الحديثُ عن خطر المشروع الروسي والصفوي بيانَ الخطر الأمريكي، وضرورة التصدي له، ولألاعيبه وأهدافه.

وعندما نقول «المشروع الأمريكي» فإننا نعني بذلك وجود أموال، وعلماء، وعملاء وأجهزة استخبارات، ومراكز أبحاث، ووسائل إعلام، وأسلحة، وكلها مجندة لخدمة المشروع.

*** الوقفة الثانية: لماذا تركز أمريكا في حربها على أهل السنة؟:**

كان العداء، في القرن الماضي، والمدافعة بين قطبين كافرين من القوىٰ الكبرىٰ: المعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة أمريكا، ومن معها في حلف الأطلسي، والمعسكر الشرقي الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي، ومن حالفه في حلف وارسو، واستمرت الحرب الباردة بين المعسكرين عقودًا من الزمن.

وقد استخدمت أمريكا بعض الدول الإسلامية في حرب المعسكر الشرقي بحجة إلحاده، وعقيدته الشيوعية، ودعمت المجاهدين الأفغان في حرب الاتحاد

السوفيتي، إبَّان غزوه لأفغانستان، لا حُبًّا للمجاهدين، وإنما لإسقاط الروس وإضعافهم، وحصل بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، ثم جهاد المجاهدين، أن انسحبت روسيا منهزمة من أفغانستان، ثم تلا ذلك السقوط الذريع للاتحاد السوفيتي وتشرذمه.

بعد ذلك انفردت أمريكا كقوة عظمىٰ في العالم، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ -بعلمه وحكمته ورحمته وعزته وسنته التي لا تتبدل- قيض لهذه القوة المتغطرسة دين الإسلام وأهله من المجاهدين، وبدأت المدافعة بين المعسكر الغربي وعلىٰ رأسه أمريكا، وبين المعسكر الإسلامي، وأيقنت أمريكا أن عدوها الأول هو الإسلام وأهله، ولاسيما بعد الصحوة الإسلامية العارمة، واشتعال جذوة الجهاد في أمكنة كثيرة من بلدان المسلمين، حتىٰ وصل الخطر إلىٰ عقر ديارهم، فأجلبت بخيلها ورَجِلها، وكشفت عن ساق الحرب، وشنتها علىٰ أكبر خطر يهددها، ألا الإسلام وهو دين الله الخالد، وحملته من الدعاة والمجاهدين.

ومن خلال هذه الحرب اكتشفت أمريكا وبما تملكه من مراكز بحوث وأحداث متتالية، أن المنتسبين للإسلام ليسوا سواء، وليسوا كلهم أعداء لها، فصنفت المسلمين إلىٰ معتدلين، وأصوليين متطرفين؛ فأخرجت من حربها من تراه في نظرها من الموالين لها، ممن تسميهم بالمعتدلين من الليبراليين، والعصرانيين، والمتصوفة الخرافيين، والباطنة المنافقين من الرافضة والشيعة، ورأت أنهم لا يشكلون خطرًا عليها؛ بل لقد رأت فيهم صيدًا ثمينًا، وذراعًا قوية، استخدمته ووظفته في حرب التيار السلفي، الذي استعصىٰ عليها، وأعلن عداوتها والبراءة منها، وحرص علىٰ مفاصلتها وجهادها، بالبيان والسنان؛ فحصرت حربها فيهم (كمرحلة أولىٰ، يتلوها حرب المسلمين كافة؛ وسوريا والعراق خير شاهد)،

فاستعرت نار الحرب، وحمي وطيسها بين معسكر الإيمان ومعسكر النفاق والكفران.

ولم تكن هذه الحرب علىٰ الصعيد العسكري فحسب؛ بل علىٰ صعيد آخر أكبر منه، وأخطر؛ ألا وهو حرب الأفكار، وتشويه العقيدة السلفية النقية، وأصعدة أخرىٰ.

وهذا تقرير «راند» الشهير، وهو من مراكز الأبحاث الأمريكية الخطيرة المؤثرة في صنع القرار الأمريكي.

يقول في تقريره الشهير «بناء شبكات إسلامية معتدلة»: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حربًا علي الصعيدين الحربي والفكري؛ فهي تقود معركة بالأسلحة، ومعركة بالأفكار؛ حيث لن تكون الغلبة علىٰ الجانب الآخر إلا بتشويه الأيدولوجيات المتطرفة في أعين معتنقيها ومؤيديها»[(١)].

ويوصي التقرير في مواطن أخرىٰ: بأن تدعم الإدارة الأمريكية قيام شبكات وجماعات تمثل التيار العلماني، والليبرالي، والعصراني، في العالم الإسلامي، لكي تتصدىٰ تلك الشبكات والجماعات لأفكار وأطروحات التيار الإسلامي؛ التي يصفها التقرير بالجملة أنها تيارات متطرفة.

كما يوصي التقرير أن يستخدم التيار التقليدي والصوفي في مواجهة الإسلام السلفي، وقد تم تعريف التيار التقليدي والصوفي في هذا التقرير، بأنه التيار الذي

(١) انظر: «قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧»، باسم خفاجي، مجلة البيان، عدد (٢٣٦)، وانظر: النسخة الأصلية الإنجليزية بموقع راند علىٰ هذا الرابط:

.www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2007/RAND_MG574.pdf

يصلي في الأضرحة، خلاف ما تدعو إليه الوهابية، ويميل إلىٰ التصوف والتعصب للمذاهب»[١].

والحاصل: أن طاغية العصر أمريكا، وحلفاءها من الغرب، ومن دار في فلكها من الطواغيت والمنافقين، قد حددوا عدوهم الإستراتيجي؛ الذي ينبغي أن توجه إليه الحرب بكل أشكالها، وأنه جميع التيارات السلفية التي تنطلق من عقيدة التوحيد، والولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

والله عَزَّوَجَلَّ غالب علىٰ أمره، وله الأمر من قبلُ ومن بعدُ، والعاقبة للمتقين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يقول د. عبد العزيز كامل: «الصراع بين الصحيح والمحرف من العقائد، هو جوهر «حرب الأفكار» الراهنة، والإسلام (غير المحرف) يمثله في أنصع صورة، منهج أهل السنة والجماعة؛ ولهذا فإن حملة هذا المنهج هم المستهدَفون الأوائل في حرب الأفكار؛ مرة باسم الأصوليين، ومرة باسم السلفيين، ومرة ثالثة باسم الوهابيين؛ ولهذا نجد تقارير «معهد راند» وغيرها، تصب في اتجاه تجييش العالم بكفاره، ومنافقيه، ومرتديه، ومبتدعيه، ضد أنصار هذا المنهج الذي يمثل الدين الصحيح»[٢].

*** الوقفة الثالثة: أنواع الحرب المشبوبة على أهل السنة الموحدين:**

ينطلق المشروع الأمريكي -ومن سار في ركابه- في حربه العالمية علىٰ أهل

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) عن مقال: «حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين وبأسهم»، مجلة البيان، عدد (٢٣٨).

التوحيد والسنة، من خمسة محاور أسوقها مجملة، ثم أفصلها بعد ذلك إن شاء الله تعالىٰ:

المحور الأول: الحرب العسكرية.

المحور الثاني: الحرب الفكرية العقدية.

المحور الثالث: الحرب الاقتصادية.

المحور الرابع: الحرب السياسية ذات الوجهين.

المحور الخامس: الحرب علىٰ الأخلاق والسلوك.

وقد سُخِّر الإعلام بقنواته كلها، المسموع والمرئي والمقروء، في إذكاء هذه الحرب وتسويقها.

هذه محاور الحرب الإجرامية القذرة علىٰ الحق وأهله، والتي اجتمع فيها العالم كله، بجميع أطيافه، وتناسوا خلافهم ووحدوا حربهم، علىٰ الموحدين من أهل الإسلام؛ هذه الحرب التي لو وجهت لأي عدو غير الإسلام لانتهىٰ وانمحىٰ وجوده منذ زمن بعيد، ولكنه دين الله عَزَّوَجَلَّ، الذىٰ اختاره لعباده، والذي تكفل بحفظه، ونصره، وظهوره علىٰ الدين كله، ولو كره المشركون؛ قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

وعن هذه الأنواع من الحرب الموجهة لأهل السنة، يقول المخذول زعيم المهزومين «بوش»، في خطاب له بعد أحداث (١١) سبتمبر: «نحن نحارب في

جهات مختلفة؛ عسكرية، واقتصادية، وسياسية، وفكرية، ونحن واثقون بأننا سننتصر في كل جهة».

وبمثل هذا صرح وزير الحرب الأمريكي آنذاك في حديث أدلىٰ به إلىٰ صحيفة الواشنطن بوست في (٢٧/ ٣/ ٢٠٠٦)؛ قال فيه:

«نخوض حرب أفكار، مثلما نخوض حربًا عسكرية، ونؤمن إيمانًا قويًا بأن أفكارنا لا مثيل لها».

وأردف قائلًا: «إن تلك الحرب تستهدف تغيير المدارك، وإن من المحتم الفوز فيها، وعدم الاعتماد علىٰ القوة العسكرية وحدها»[١].

أولاً: الحرب العسكرية

وهي تلك الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها، وتشنها علىٰ بلدان المسلمين بذريعة محاربة الإرهاب، فاحتلت بعض بلدان المسلمين، ثم سلمتها لعملائها المنافقين من علمانيين ورافضة؛ كما حصل ذلك في حربها علىٰ أفغانستان، وإسقاطها حكومة طالبان، وما حصل في العراق وإسقاطها حكومة صدام، بذريعة الأسلحة ذات الدمار الشامل، وسلمتها لأعداء السنة من الرافضة الشيعة، ومكنت لهم في البلاد، وما يحصل اليوم في بلاد الشام، وفلسطين، واليمن، وليبيا التي يراد منها قطع الطريق علىٰ أهل الجهاد والسنة، ومنعهم من إقامة دولة

---

(١) انظر: «حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين وبأسهم»، مجلة البيان، عدد (٢٣٨).

إسلامية، ومساندة العلمانيين والشيعة والباطنين وتمكينهم من إقامة دولة الرفض والنفاق، التي توالي الغرب الكافر، وتعادىٰ أهل الإسلام الحق.

ولقد عانىٰ المسلمون السنة من تلك الحروب المجرمة (في تلك الديار كلها)، من الإبادة بمختلف الأسلحة الفتاكة، رجالًا ونساءً وأطفالًا، وسجن الكثير منهم، وتشريد الملايين من ديارهم، وكل ذلك يجري تحت سمع العالم وبصره، ويتحجج هؤلاء الغزاة (بلا خوف ولا حياء) بأنهم قد أتوا لنشر الحرية والكرامة والديموقراطية في تلك البلاد، وتطهيرها من الفساد والإرهاب!

ولهذا ابتهج المنافقون من رافضة وليبراليين بهذا الغزو، وبهذه الحروب علىٰ السنة وأهلها، وتعاونوا مع الغزاة في حربهم، ومكنوا لهم من دخول الديار المسلمة، وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحشر: ١١].

وقال سبحانه: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وأسوق فيما يلي بعض صور المعاناة والآلام التي عاناها ويعانيها المسلمون السنة من الغزاة الكفرة، وأوليائهم المنافقين؛ وذلك فيما يقومون به في تلك البلدان من عدوان صارخ علىٰ كرامة الإنسان وحقوقه، في نفسه وماله وعقله وعرضه؛ فأين الكرامة والحرية التي يتذرع بها هؤلاء الكفرة الغزاة، في أنهم جاءوا – بزعمهم – لإحيائها ونشرها في بلدان المسلمين؟!.

نشر موقع (Thawra on line) تقريرًا بعنوان «عشرة أعوام على الغزو الأمريكي للعراق؛ عقد مملوء بالفوضى، والموت، والنزوح، والفقر - دفنت شعارات أمريكا الكاذبة» قال التقرير:

«أعطى القرار الأمريكي المشئوم، بغزو العراق، متخطيًا بصَلَف كل الشرائع السماوية، والإنسانية ــ الضوء الأخضر، لمرحلة عارمة بالفوضى، والموت، والتشتت، والتمزيق في هذا البلد؛ الذي شكل على الدوام نقطة ثقل لحضارة المنطقة واستقرارها، في المراحل الأولى، لعقد مضى على هذا الغزو.

كما كشفت الوثائق التي حصل عليها الموقع، والتي تجاوز عددها (٤٠٠) ألف وثيقة، معلومات جديدة عن ضحايا لشركة «بلاك ووتر» من المدنيين، وعن تستر الجيش الأمريكي على التعذيب داخل السجون العراقية، بأمر من الإدارة الأمريكية.

وأكدت الوثائق السرية أن القوات الأمريكية كانت تحتفظ بتوثيق للقتلى والجرحى العراقيين، برغم إنكارها علنيًّا لكل ذلك؛ حيث تم الكشف عن توثيق لـ (٢٨٥) ألف ضحية عراقية، بينهم (١٠٩) آلاف قتيل على الأقل.

وتعني هذه الأرقام بوضوح أن نسبة القتلى بسبب الحرب الأمريكية على العراق يصل إلى أربعة أضعاف تلك التي سجلتها الحرب الأمريكية في أفغانستان، وأن بقية الخسائر تصل إلى ستة أضعاف، في سياق المقارنة نفسها.

وأظهرت الوثائق أن قرابة (٦٣٪) من القتلى هم من المدنيين؛ أي أنهم يشكلون ثلثي مجموع القتلى، وكشفت تحليلات الوثائق ارتفاع معدلات القتلى في العراق، شهرًا بعد شهر، منذ اليوم الأول للغزو الأمريكي.

وبحسب موقع إحصاء الضحايا العراقيين؛ فإن عدد القتلىٰ من المدنيين وصل إلىٰ (١١٠) آلاف قتيل، منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق، ولكن مع نشر وثائق «ويكيليكس» بات يتعين علىٰ المواقع رفع أرقامها بنسبة (٥٠٪)؛ إذ إن العدد الحقيقي وصل إلىٰ (١٥٠) ألف مدني، دفعوا حياتهم جراء الغزو الأمريكي؛ حيث شكل المدنيون العراقيون فريسة سهلة علىٰ الدوام لكل مصادر النيران الأمريكية، علمًا بأن الإدارة الأمريكية لم تكلف نفسها عناء الإحصاء الممنهج للقتلىٰ الذين سقطوا بنيران قواتها.

وفضحت الوثائق كذب الرواية الأمريكية المعلنة علىٰ صعيد الحواجز، ونقاط التفتيش؛ حيث تُظهر عددًا كبيرًا من العراقيين قضوا عند هذه النقاط، أو بهجمات جوية أمريكية مباشرة؛ حيث اعتادت الطائرات الأمريكية استهداف ما تسميهم «مشتبهًا فيهم» علىٰ أنهم مقاتلون مناوئون لها.

وكثيرًا ما كانت النتائج مدمرة، ففي الفلوجة في التاسع من أيلول عام (٢٠٠٥) أكدت تقارير عدة: أن الولايات المتحدة أسقطت كميات ضخمة من الفسفور الأبيض علىٰ مدينة الفلوجة، خلال العدوان علىٰ المدينة في تشرين الثاني عام (٢٠٠٤)؛ الأمر الذي أسفر عن مقتل عدد كبير من أهالي الفلوجة، مع إصابتهم بحروق هائلة، كاشفةً أن هذه الهجمات تسببت في تدمير نحو ستين إلىٰ سبعين بالمِائة من المنازل والمباني بشكل كامل، وأسفرت عن سقوط الكثير من الضحايا، بينما أكدت إحصاءات طبية ارتفاع نسبة التشوهات الخلقية لدىٰ الأطفال المولودين حديثًا، بنسبة (٦٠٪) منذ عام (٢٠٠٣)، مع توقعات بتزايد هذه الظاهرة وتفاقمها.

وبلغ عدد النازحين أكثر من (٢.٨) مليون عراقي ما زالوا مهجَّرين من ديارهم، ويعيشون في ظروف بائسة، هائمين علىٰ وجوههم في مشارق الأرض ومغاربها، متأبطين البؤس والمذلة والعوز علىٰ أعتاب سفارات أمم الدنيا، بينما عُلقت قصص المئات والآلاف من العراقيات اللواتي دفعهن الفقر والعوز للانزلاق في المحظور علىٰ مناشير الإعلام الأصفر، وصرن عامل جذب لآلاف المتابعين، والمتطفلين العابثين». [انتهىٰ التقرير][(١)].

وفي (١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ) الموافق (٢/ ٥/ ٢٠٠٤م)، عرضت القنوات الإخبارية صورًا منقولة عن قناة (CBC) الأمريكية يظهر فيها تعذيب الأسرىٰ العراقيين في «سجن أبو غريب» قرب بغداد؛ بلغت الغاية في الوحشية، والهمجية، والظلم، وامتهان الكرامة الإنسانية، والتعذيب الذي يؤدي إلىٰ القتل؛ فظهر في الصورة جندي أمريكي يضع قدمه علىٰ المواطن العراقي السجين، وفي صورة أخرىٰ يتبول الجندي الأمريكي علىٰ السجين، وسط استهزاء الجنود، وإظهار الاحتقار؛ وفي صورة ثالثة ظهر المعتقلون عراة، والمجندات يتحسسن بعض المواضع من أجسادهم، ويتندرون بهم، مما دعا الهيئات العالمية إلىٰ استنكارها وشجبها وإظهار الاشمئزاز.

هذه هي الكرامة والحرية ومحاربة الإرهاب، التي تدعيها أمريكا وحلفاؤها وأولياؤها من الحكومات العلمانية، والليبراليين المنافقين من بني جلدتنا؛ كهدف لها في غزوها للعراق وبلدان المسلمين![(٢)].

---

(١) انظر للمؤلف: «ولو شاء ربك ما فعلوه» (ص ٦٢-٧٢)، نشر العبيكان، (ط١، ٢٠١٤).

(٢) انظر: المرجع السابق.

وهاهي أمريكا اليوم تصول وتجول في سماء العراق، يساعدها التحالف الدولي، تضرب مناطق أهل السنة وأهلها، وتمهد الغطاء الجوي للحشود الشعبية الرافضة؛ لتستولي علىٰ أماكن وبلدان أهل السنة؛ كل ذلك بحجة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي.

فهاهي الرمادي، والفلوجة، وتكريت، والقرمة، والموصل، وغيرها من أماكن وجود أهل السنة، دمرت وأبيدت.

فبم يفسر هذا من حملة الصليب وحلفائهم؟!

إنه لا تفسير لذلك إلا أنها حرب صليبية باطنية، يقصد منها القضاء علىٰ أهل السنة، والتمكين للرافضة الجبناء الخونة، الذين أثبتوا عمالتهم لليهود والنصارىٰ، وخيانتهم لأمتهم.

وأما ما فعلته أمريكا (وتفعله الآن) بمعاونة حلفائها الكفرة في بلاد الأفغان، فلا يقل عما حصل في العراق من قتل وتدمير، وزادت عليه ما تقوم به منذ عدة سنوات من قتل للمسلمين، بطائراتها المقاتلة دون طيار.

ويرىٰ الصحفي البريطاني «روبرت فيسك» تحت عنوان «إرهاب الحرب ضد الارهاب» أن الغرب بحضارته أصبح مجرم حرب، منذ قرار حرب أفغانستان، وتجييش الجيوش والتحالفات لها، قبل إعلان الأدلة والوثائق المدنية لهؤلاء أو هؤلاء[1]، وهذا ما عبر عن معناه وزير العدل الأمريكي السابق «رمزي كلارك» في مداخلة مع قناة الجزيرة القطرية؛ حيث وصف عمليات القصف

---

(١) انظر: «القطاع الخيري ودعاوىٰ الإرهاب»، (ص١٣٩)، د. محمد السلومي.

الأمريكي علىٰ أفغانستان بأنها جرائم حرب بالتأكيد، وجرائم ضد الإنسانية وضد السلام[1].

ولا يخفىٰ ما مارسته وتمارسه في سجون «جوانتنامو» من تعذيب، وإهدار لكرامة الإنسان وحقوقه؛ فسبحان الله العليم الحكيم العزيز الرحيم الحليم.

وأخيرًا هاهم الروس، والباطنيون الرافضة في إيران والعراق ولبنان، بمشاركة ومباركة من أمريكا وأوليائها، يتحالفون الآن في حرب شرسة علىٰ أهل السنة المسلمين في سوريا، وبلاد الشام، لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ، ويقاتلون رموز الجهاد والسنة، والغرب والشرق يؤيدهم علنًا أو سرًّا، فسبحان الله العظيم، ما أحلمه وأحكمه وأرحمه.

فهل بعد ذلك من شك في أنها حرب عالمية علىٰ أهل السنة؟

ونقلة إلىٰ عدوان اليهود الفجرة علىٰ إخواننا السنة في فلسطين، بمساعدة ومباركة أمريكا الطاغية، ولاسيما ما يحصل في غزة، من حصار ظالم، وتدمير للبيوت علىٰ أهلها، وقتل للنساء والأطفال - ترينا حقد الكفرة علىٰ أهل السنة، وحرصهم علىٰ إبادتهم، وإفساد أديانهم وأموالهم وأعراضهم.

أما إذا جئنا إلىٰ ما يدور في اليمن وليبيا، فسنجد نفس المخطط والأهداف الأمريكية، في حرب السنة وأهلها؛ بارزة في أحداث هذين البلدين؛ حيث تستميت أمريكا الطاغية في ألا ينتصر أهل السنة، وألا يهزم الحوثيون الرافضة، ولا

---

(١) انظر المرجع السابق، وللاطلاع راجع: كتاب «النار هذه المرة، جرائم الحرب الأمريكية في الخليج»، تأليف رَمزي كلارك، ترجمة مازن حماد، ط١، منشورات الشركة الأردنية للصحافة والنشر، عمان، (١٩٩٣).

العلمانيون الموالون لها في ليبيا؛ لأنه بهزيمتهم يتمكن أهل السنة (أعداؤها) من حكم البلاد بشريعة الإسلام.

ولذلك أيضًا فهي تسعىٰ في تتبع رموز أهل السنة ودعاتها في اليمن، وتصفيتهم جسديًا بالطائرات، والاغتيالات، أو سجنهم وتغييبهم عن الساحة اليمنية وقيادتها، وقل مثل ذلك في دعمها لمستبدين مجرمين في مناطق أخرىٰ، وتأييدها لهم، متناسية تبجحها بالديموقراطية، واحترام حرية الشعوب في اختيار من يحكمها.

ألا ما أقذرها من أمة، وما أحطها من دولة، وما أعظم نفاقها وإجرامها!

إنها والله حرب عالمية لم يُشهد مثلها في تاريخ المسلمين، اجتمعت فيها ملل الكفر، بقيادة دولة الكفر والطغيان أمريكا، وذلك سعيًا منها لتنفيذ مشروعها الإجرامي القذر، في حربها لأهل السنة، وصدها عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

ويبقىٰ في الحديث عن المحور العسكري في حرب أهل السنة، أن نتعرف علىٰ أهم الأهداف الخبيثة لهذه الحملة البائسة:

* **الهدف الأول:** احتلال بلدان المسلمين، والتمكن من أدوات التوجيه في البلدان المحتلة، واستخدامها في إفساد عقائد وأخلاق المسلمين وأعراضهم، ونشر الرذيلة بينهم وبث الشقاق بينهم.

* **الهدف الثاني:** مساومة أهل السنة من الدعاة والمجاهدين،

ومحاولة احتوائهم تحت ضغوط حرب الإبادة؛ التي يشنونها ليحصلوا علىٰ تنازلات منهم في أمر دينهم.

* **الهدف الثالث:** اضطهاد المسلمين السنة في البلدان التي احتلوها، بقتلهم وسجنهم وتشريدهم، واغتيال رموزهم ومرجعياتهم، من الدعاة والعلماء، وإضعاف التيار السني؛ وذلك لينفردوا بتغريب مجتمعات المسلمين، والقضاء علىٰ روح الجهاد لديهم، وإسقاط جدار الولاء والبراء؛ الذي يرفعه أهل السنة في وجوه الكفار، والذي طالما أزعجهم.

* **الهدف الرابع:** الاستيلاء علىٰ خيرات المسلمين والتحكم في مقدَّراتهم واقتصادهم وثرواتهم.

* **الهدف الخامس:** استخدام البلدان التي احتلوها لتكون مقرًّا لقواعدهم العسكرية والاستخباراتية؛ لتوسيع نفوذهم.

* **الهدف السادس:** التمكين لأوليائهم في تلك البلدان، من المنافقين والعملاء من ليبراليين، ورافضة، وصوفية (من بني جلدتنا)، وتسليمهم مقاليد الأمور في بلدانهم؛ ليتولوا حرب أهل السنة بأنفسهم، والسعي إلىٰ تشويه عقيدتهم وتغييرها.

* * * *

ثانيًا:
الحرب الفكرية

وهذا النوع من الحرب أشد خطرًا من الحرب العسكرية؛ بل إن الحرب العسكرية إنما هي أداة لتمكين الفكر الكفري والغربي في أمة الإسلام، وتشويه العقيدة الربانية التي يتبناها أهل السنة المسلمون.

والحرب العسكرية تكون في العادة مؤقتة بتحقيق أهدافها؛ أما الحرب الفكرية فهي مستمرة بين الحق والباطل إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

*** ويمكن بيان هذا النوع من الحرب في الفقرات التالية:**

الفقرة الأولى:

سبق ذكر بعض المقولات عن صناع القرار في الحكومة الأمريكية؛ التي يؤكدون فيها علىٰ أهمية الحرب الفكرية علىٰ أهل السنة من المسلمين، لتشويه عقائدهم وإقناعهم بالفكر الغربي، أو ما يسمونه بالفكر الإسلامي المعتدل، وأن الحرب العسكرية لا تحقق لهم أهدافهم، ما لم يصاحبها حرب فكرية، وأعيد هنا قول أحد طواغيتهم، وزير الدفاع الأمريكي في حكومة بوش المهزوم؛ حيث يقول: «إن الحرب تستهدف تغيير المدارك، وإن المحتم الفوز فيها وعدم الاعتماد علىٰ القوة العسكرية وحدها»[1].

وقد نص تقرير لجنة التحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

(١) «صحيفة واشنطن بوست» (٢٧/ ٣/ ٢٠٠٦م).

علىٰ ذلك التوجيه؛ **حيث جاء فيه:** «إن العدو الرئيسي لأمريكا هو تيار إسلامي راديكالي متطرف، تعود مرجعيته إلىٰ أفكار ابن تيمية وسيد قطب، ولا يوجد مجال للتصالح مع هذا التيار، ولابد من عزله وتصفيته تمامًا، لكن لابد أولًا من منازلته في ميدان حرب الأفكار، من أجل كسب الغالبية المحايدة التي يمكن أن تتحول إلىٰ متعاطفة معه».

وجاء في تقرير راند الشهير «بناء شبكات إسلامية معتدلة»: «أن الولايات المتحدة اليوم تقود حربًا علىٰ الصعيدين الحربي والفكري، فهي تقود معركة بالأفكار؛ حيث لن تكون الغلبة علىٰ الجانب الآخر إلا بتشويه الأيديولوجيات المتطرفة في أعين معتنقيها ومؤيديها»[١].

الفقرة الثانية:

يوضح الأستاذ حسن الرشيدي، في دراسة له بعنوان: «حملة للترويج لإسلام جديد»، من إصدارات مجلة البيان في إصدارها الثاني من إصدارات «موسوعة التقرير الارتيادي»؛ الفرق بين آلية الغزو الفكري الذي بدأ بعد الاستعمار في القرن الماضي، وبين آلية الحرب الفكرية الجديدة.

فيقول: «فحروب الأفكار التي شنها الغرب، عندما استتب له احتلاله لمناطق العالم الإسلامي، منذ أواخر القرن التاسع عشر، كانت حملة لفرض أفكاره وتوجيهاته؛ ولذلك أطلق عليها المفكرون المسلمون في هذه العصور «الغزو الفكري»، وشرعوا في تسطير الأدبيات في مواجهة الفكر الغربي، وبيان

---

(١) انظر رابط تقرير مؤسسة «راند»:

www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2007/RAND_MG574.pdf

جذوره، وإظهار عواره وضرره علىٰ الأمة والإنسانية.

كان ما اصطُلِح علىٰ تسميته الغزو الفكري موجهًا للأمة بعمومها، وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلىٰ السرية، وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده، والوقوف في وجهه، حتىٰ تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس؛ تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه...

ولكن بمرور الوقت وتعاقب الأزمات ظهرت الصحوة الإسلامية، وتصدت لهذه المحاولات؛ حتىٰ أصبحت هذه الفئة العلمانية معزولة عن الجماهير، لا تستطيع التوغل في الأمة بأفكارها ومعتقداتها، وخاب ظن الغرب في شأن هذه الطائفة، بتراجع الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط عمومًا.

ولكن مع تجدد الإستراتيجيات التغريبية بذراعها الأمريكي، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واصطدام الجيوش الغربية بالمقاومة الإسلامية في مناطق عديدة؛ بدأ التفكير من جديد في مرحلة أخرىٰ من الغزو الفكري، أصبح يطلق عليها «حرب الأفكار»، عبر عنها الكاتب الأمريكي «توماس فريدمان» الذي نشر مجموعة مقالات، حاول فيها شرح وتحليل مفهوم أو مقولة حرب الأفكار؛ حيث يرىٰ أنها بصورة أساسية ينبغي أن تكون في داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، وبإشراك المعتدلين في هذه المعركة.

فهو يعتقد أن الأكثر أهمية هو إيجاد سبل لجعل المجتمعات؛ التي يأتي منها هؤلاء الأصوليون، هي التي تردعهم أولًا، فهي (أي: هذه المجتمعات) الوحيدة

التي تعرف أناسها، وهي الوحيدة أيضًا (حسب تقدير فريدمان) القادرة علىٰ كبح متطرفيها، ودعا الغرب لتبني أساليب وتكتيكات، تساهم في تعزيز مكانة ونشاط هؤلاء المعتدلين»[1].

فالجديد في هذه الحملة: أن الهدف الرئيسي لحرب الأفكار الجديدة، هو تشويه معتقدات المسلمين في أعين معتنقيها، وتفريغ الإسلام من مضمونه وأصوله.

كما أن الجديد فيها أيضًا من خلال تقرير «راند» وكلام «فريدمان» السابق: أن التركيز والاعتماد في تنفيذ هذه الحرب علىٰ ما يسميهم التقرير بالمعتدلين من المنتسبين إلىٰ الإسلام، كدعاة الإسلام الديموقراطي والليبرالي والعصرانيين، وعلىٰ الصوفية والشيعة الرافضة؛ الذين يجتمعون علىٰ الخرافة والبدعة والشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

ويوصي تقرير «راند» بأن تدعم الإدارة الأمريكية هذه التيارات المعتدلة المناوئة للتيار السني السلفي؛ لكي تتصدىٰ لهذه التيارات السنية الجهادية، وأطروحاتها، والتي يجب محاربتها، وإسقاطها، وتشويهها، والقضاء عليها، وفي هذا الإطار يجب تشجيع الاتجاهات الصوفية والشيعية، ولولا التشيع ما كان التصوف، ويجب دعم ونشر الفتاوىٰ الشاذة؛ لتقف في مقابل النصوص الصحيحة؛ التي ترتكز عليها الوهابية السلفية وتعظمها.

(١) انظر: «حملة للترويج لإسلام جديد» ص (٤،٣)، من إصدار مجلة البيان الإسلامية.

الفقرة الثالثة: المعتدلون في نظر أمريكا:

ذكر التقرير الصادر من مؤسسة «راند» في ربيع الأول (١٤٢٨)؛ ماذا يقصد الأمريكيون بالمعتدلين؛ الذين تحرص علىٰ دعمهم، وتوظيفهم في تشويه العقيدة الصافية عند المسلمين، وذكر هذا التقرير بعض الملامح الرئيسية؛ التي يمكن من خلالها تحديد الاتجاهات الإسلامية المعتدلة؛ ومن أهمها:

١- القبول بالديمقراطية:

يعتبر قبول قيم الديمقراطية الغربية مؤشرًا مهمًّا علىٰ التعرف علىٰ المعتدلين، فبعض المسلمين يقبل بالنسخة الغربية للديمقراطية، في حين أن بعضهم الآخر يقبل منها ما يتواءم مع المبادئ الإسلامية، خصوصًا مبدأ «الشورىٰ» ويرونه مرادفًا للديمقراطية، كما أن الإيمان بالديمقراطية يعني في المقابل رفض فكرة الدولة الإسلامية.

٢- القبول بالمصادر غير المذهبية في تشريع القوانين:

وهنا تشير الدراسة إلىٰ أن أحد الفروق الرئيسة بين الإسلاميين المتطرفين والمعتدلين: هو الموقف من مسألة تطبيق الشريعة، وتؤكد الدراسة أن التفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع مبادئ الديمقراطية، ولا تحترم حقوق الإنسان.

٣- احترام حقوق النساء والأقليات الدينية (حسب النظرية الأمريكية):

وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلىٰ أن المعتدلين أكثر قبولًا بالنساء، والأقليات المختلفة دينيًّا، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها؛ نظرًا لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبان عصر النبي محمد ﷺ.

٤- نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع (حسب النظرية الأمريكية):

وتؤكد الدراسة هنا علىٰ أن الإسلامين المعتدلين يؤمنون (كما هو الحال في معظم الأديان) بفكرة «الحرب العادلة»؛ ولكن يجب تحديد الموقف من استخدام العنف، ومتىٰ يكون مشروعًا أو غير مشروع.

إن من يقرأ هذه الملامح والصفات، يدرك علىٰ الفور أن تعريف الاعتدال بالمفهوم الأمريكي لا يعبر إلا عن المصالح الأمريكية، الهادفة إلىٰ تحويل المسلمين بعيدًا عن الإسلام، تحت دعوىٰ الاعتدال العالمي[١].

*** الفقرة الرابعة:**

انتهت مراكز الأبحاث الأمريكية إلىٰ أن التيار السلفي (العلمي والجهادي) هو عدوها اللدود؛ الذي شكل مصدر قلق وإزعاج وخوف، منذ ظهوره وانتشاره؛ لأنه ينطلق من عقيدة الولاء والبراء، وبُغض الكافر وجهاده، ونبذ الشرك بجميع صوره، وبتحديد هذا التيار (من قِبل مراكز البحوث الأمريكية، وأنه الأخطر علىٰ الغرب الكافر) وضعوا في حربه ثلاث طرق، تحدث عنها الأستاذ أحمد فهمي **حفظه الله تعالىٰ؛ فقال:**

«الطريقة الأولى: استبدال السلفية:

يقوم مفهوم الاستبدال علىٰ قيام جهات الضغط الغربية (بطرق غير مباشرة غالبًا)؛ بتحفيز وتشجيع تيارات ومناهج أخرىٰ؛ لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي

---

(١) انظر الرابط:

www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2007/RAND_MG574.pdf

في الدول الإسلامية، وترتكز فكرة الاستبدال علىٰ وجود رغبة عامة وعارمة لدىٰ الجماهير في التدين.

وانبعاث هذه الفكرة (التبديل بين أنماط التدين) في العقلية الغربية وتناميها لدرجة القناعة؛ يدل علىٰ تطور خطير في نظرتهم وتفسيرهم للسلوك الديني للمسلمين، وقد كانت الفكرة القديمة تنحصر في تجفيف منابع التدين، واستبدال الدين بأفكار علمانية براقة، ولكن مع فشل هذه الفكرة، بدأ الكثيرون ينتقلون إلىٰ مرحلة تالية؛ وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن (التوليفة) المناسبة للتدين.

وتكمن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم: في أنهم يقودون الناس في قطار سريع يصلهم مباشرة بين الواقع ومصادر التشريع، أما غيرهم من التيارات، فيأخذون الناس في جولة سياحية تطول وتقصر بحسب المنهج، وأحيانًا تتحول الرحلة بمجردها إلىٰ هدف منشود.

*** والعناصر الرئيسة المتضمنة لـ (توليفة) التدين الأمريكية:**

١- رموز ودعاة مستقلون، يقدمون نمطًا متطرفًا في تسامحه واعتداله؛ ليبرز النمط السلفي للتدين علىٰ أنه متطرف في فهمه وتمسكه بتعاليم الإسلام.

٢- غطاء وحاجز سياسي توفره التيارات السياسية، التي تنظر للتيارات السلفية علىٰ أنها معوق لتقدمها السياسي، كما أنها علىٰ استعداد لتقديم تنازلات دينية في سبيل تحقيق مكاسب سياسية.

٣- الربط الوثيق بين السلفية العلمية والدعوية، وبين السلفية الجهادية؛

بحيث يصبح الجميع منهجًا واحدًا متعدد المراحل أو المستويات.

٤- إفساح المجال في عدد من البلدان الإسلامية لدعاة التصوف، وخاصة الذين طوروا خطابهم في مرحلة ما بعد (١١) سبتمبر؛ والذي يقفزون فيه علىٰ كل ما يثير الغرب في الإسلام، ويقدمون صياغة جديدة قابلة للتسويق في الثقافة الغربية.

ونقدم تفصيلًا أكثر لعنصري: دعاة الاعتدال، والمتصوفة الجدد.

❍ العنصر الأول: دعاة الاعتدال:

وقد بدأ نجمهم في البزوغ في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد (١١) سبتمبر، وأهم صفتين تمثلان جواز المرور لهذه الفئة من الدعاة أنهم يتجاوزون نقاط الاختلاف الساخنة مع الغرب، ويقفزون علىٰ قضايا الولاء والبراء، والقضايا العقدية إجمالًا، كما أنهم لا يرتبطون غالبًا بأي انتماءات لجماعات إسلامية، عليها علامات استفهام غربية.

❍ العنصر الثاني: المتصوفة الجدد:

ونحتاج إلىٰ بعض التفصيل لهذا العنصر؛ نظرًا لأهميته وخطورته علىٰ الدين الحق، وهناك دلائل كثيرة تشير إلىٰ أن السياسة الأمريكية باتت تنظر إلىٰ الصوفية «المعدلة»؛ علىٰ أنها يمكن أن تمثل بديلًا مناسبًا للتدين لدىٰ عامة المسلمين، ونذكر فيما يلي بعض هذه الدلائل، ثم نقدم نموذجين للمتصوفة الجدد:

❋ في عام (٢٠٠٣م) عقد مركز نيكسون للدراسات في واشنطن مؤتمرًا عنوانه

«فهم الصوفية، والدور الذي ستلعبه في السياسة الأمريكية»، وكان من أبرز الحضور الدكتور برنارد لويس، وهو من أبرز الناقمين على الإسلام، والدكتور كوركوت أوزال، شقيق الرئيس التركي الأسبق تورجوت أوزال، ومحمد هشام قباني رئيس المجلس الإسلامي الأمريكي.

* ووزع في المؤتمر دراسة بيانية توضح الجماعات والمذاهب الإسلامية والمنتمين إليها، وجاء فيها أن مجموعة السلفية هم الذين ينتمون إلى مدرسة ابن تيمية، وأطلقوا عليها «مجموعة الإسلام السياسي»، ووضعوها داخل دائرة حمراء، واعتبروا من بينها: الوهابية، الجماعات الفلسطينية الإسلامية، الجماعات الإسلامية السلفية، حزب التحرير، جماعة التبليغ.

* يعتبر المجلس الإسلامي الأمريكي الصوفي؛ الذي أسسه هشام قباني؛ مصدرًا مهمًّا للمعلومات لدى الإدارة الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، وكان بول وولفويتز، مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق، يعقد لقاءات دورية مع أعضاء المجلس؛ للتشاور معهم حول قضايا الإرهاب «الإسلامي».

وقد استرعى انتباه متخصصين أمريكيين الصراع بين الحركات الإسلامية السلفية وبين الطرق الصوفية؛ ولذلك قررت الإدارة دعم الصوفية، ولكن بصورة غير مباشرة.

وذكرت المجلة الأمريكية أنه في إحدى الدول العربية في شمال إفريقيا، دعا قادتها في هدوء زعماء الصوفية المحليين، وقدموا لهم ملايين الدولارات كمعونة لاستخدامها

كحصن ضد الأصولية المتشددة.

كما أوصت لجنة في الكونجرس الأمريكي مختصة بالحريات الدينية، بتشجيع الحركات الصوفية في العالم الإسلامي، والحال هكذا؛ فليس غريبًا أن تنشر مجلة «يو إس نيوز» الأمريكية، أن واشنطن تسعىٰ لتشجيع ودعم الحركات الصوفية؛ كإحدىٰ وسائل التصدي للجماعات الإسلامية؛ ويشمل ذلك تشجيع إعادة بناء الأضرحة، وترجمة المخطوطات الصوفية القديمة، ويعتقد إستراتيجيون أمريكيون أن أتباع الصوفية ربما كانوا من بين أفضل الأسلحة الدولية ضد الإسلاميين «المتشددين»![1].

---

(١) ومما يؤكد دعم الغرب بقيادة أمريكا للحركات الصوفية، وتوظيفها في حرب السنة وأهلها؛ تلكم المؤتمرات التي تعقد بين الفينة والأخرىٰ؛ والتي يتبناها ويدعو إليها التيار الصوفي العالمي؛ ومن آخرها مؤتمر «جروزني» في الشيشان المنعقد في (٢٥-٢٧) من ذي القعدة (١٤٣٧)، تحت عنوان «من هم أهل السنة والجماعة؟» بمباركة الولايات المتحدة وروسيا.

والذي أود التنبيه عليه في هذا المؤتمر؛ ما يلي:

- إن المؤتمر يأتي في ظرف عصيب ومآسي وآلام تمر بها الأمة في كثير من البلدان، وتعاني فيه من حرب إبادة، ومع ذلك لم يتطرق هذا المؤتمر الخياني في توصياته المضحكة المبكية إلىٰ حال المسلمين في سوريا والعراق، واستنكار ما يفعله الدب الروسي في أهلنا وأطفالنا، في حلب وغيرها من المدن السورية، ولا ما يقوم به الروس من تحالف مع العدو الإيراني الرافضي في عدوانهم علىٰ أهل السنة في الشام، ولا ما يقوم به التحالف الدولي في العراق من تدمير لمدن أهل السنة وأهلها، وكأن أصحاب المؤتمر في كوكب آخر غير كوكب الأرض، وكأنه يرسل للعالم رسالة مفادها أن الدين ليس له دخل في السياسة ولا في أحوال الأمة ومآسيها ودمائها.
- ورسالة أخرىٰ يريد تقريرها ألا وهي طمأنة قوىٰ الكفر في الغرب والشرق، أن عداء المجتمعين في هذا المؤتمر ليس ضد المشروع الأمريكي ولا الروسي الرافضي، وإنما هو لأعدائنا السلفيين المتشددين، وهاتان الرسالتان هما ما يريده الغرب والشرق =

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلىٰ نموذجين، يمثلان التيار الصوفي الجديد:

أولهما: الداعية علي الجفري.

والثاني: الدكتور محمد هشام قباني المقيم في الولايات المتحدة.

فالأول «الجفري» برز بقوة عن طريق مواعظه للنخبة الفنية، والطبقة الغنية في مصر، ثم عبر الفضائيات؛ وذلك بعد (١١) سبتمبر، وبدا أن الطريق أمامه مفروش بالورود؛ ففي خلال وقت قصير زار الولايات المتحدة، وطاف في تسع ولايات، وألقىٰ دروسًا ومحاضرات بعضها في جامعات أمريكية.

والنموذج الثاني «هشام قباني» (من أصل لبناني) الذي أسس ما يسمىٰ المجلس الإسلامي الأعلىٰ، وهو منظمة صوفية في الولايات المتحدة، ويحظىٰ الرجل بدعم كبير من الإدارة الأمريكية، ودُعي إلىٰ البيت الأبيض والخارجية، وألقىٰ محاضرات علىٰ مسئولين في واشنطن، إحداها كانت بعنوان «التطرف الإسلامي وخطورته علىٰ الأمن القومي الأمريكي».

ويبدي الدكتور هشام قباني عداءً خاصًّا للسلفية، ممثلة في الدعوة الوهابية، ويُعتبر أحد مصادر المعلومات والتحريض ضدها في أمريكا، وهو يعرض الصوفية كبديل واضح للوهابية، فيقول مخاطبًا من يعنيه الأمر: «علِّموا الطلاب الصوفية،

=

الكافرين من عزل الدين عن السياسة، وفي قيام الحركات الصوفية، في حرب التيارات السنية السلفية بدعم معنوي ومادي من الولايات المتحدة (في سياق مشروعها الإجرامي في حرب السنة وأهلها)؛ هذا يدل علىٰ ما ذكر آنفًا من توصيات مراكز الأبحاث الأمريكية، في استخدام التيار الصوفي وتراثه كذراع من أذرع الحرب الفكرية علىٰ السنة وأهلها.

يجب أن يتعلم الطلاب كيف يصبحون محبين للسلام، وكيف يصبحون جزءًا من المجتمع الكبير؛ فالوهابية تحرض الطلاب علىٰ ألا يكونوا جزءًا من المجتمع الكافر، ولكن ينبغي الاندماج والتكامل مع النظام الذي يعيش فيه المرء؛ أما الدين فمسألة بين المرء وبين الرب، هكذا يقول الإسلام». (نقلاً عن صحيفة صنداي استريت تايمز، موقع إسلام ديلي).

- الطريق الثاني: احتواء السلفية:

هناك فكرة دقيقة تحتاج إلىٰ تأمل، وهي وجود فرق بين السلفية والسلفيين، وهذا يعني أنه عندما نتحدث عن احتواء السلفية كفكر؛ فهذا يختلف عن احتواء السلفيين، كحاملين لهذا الفكر، وإذا كان احتواء الفكر أهم وأخطر من احتواء حامليه من وجهة نظر الخصوم، إلا أنه لن يمكن احتواء الفكر إلا بعد احتواء حامليه، أو علىٰ الأقل احتواء عدد ممكن من رموز السلفيين وأتباعهم، وبات من الأمور المعتادة أن نجد جماعات ورموزًا سلفية لهم مذهبان قديم وجديد.

والخطة التي تنفذ اليوم لاحتواء السلفيين - ومن ثم السلفية في الوقت الحالي - هي في ممارسة مزيد من الضغوط والحصار عليهم، وأخطر وسائل الضغط (وعلىٰ غير ما يتوقع الكثيرون) هو أن يفتح المجال أكثر للرموز السلفية؛ كي يخرجوا من ميدانهم الرئيسي، ويبرزوا للعلن وللجماهير، من خلال الإعلام، وفي ميادين لا يملكون أدواتها، حيث يواجهون عالمًا تغيرت مفاهيمه وثوابته، وأصبحت له قواعده الخاصة، وعندها سيجد السلفيون المطروحون للعلن أنه لابد من تقديم جوازات المرور؛ المتمثلة في التخلص من عبء بعض الثوابت، ولا بأس من طَمْأنة الغيورين، ودغدغة مشاعرهم بأنه لا يوجد تغير أو تراجع،

ولكن كل ما في الأمر أنه لابد من التعامل مع الإعلام بقدر من المداراة والمواربة.

وهناك آلية أخرىٰ لاحتواء الفكر السلفي، وهي ضغط الاعتقال، وقديمًا كانت السجون تعتبر أحد محفزات الغلو والتكفير كما حدث في مرحلة الستينيات في مصر، ولكن في السنوات الأخيرة أصبحت السجون عاملًا حافزًا للتراجعات والمراجعات، كما حدث مع الجماعة الإسلامية في مصر أيضًا.

- الطريق الثالث: إقصاء السلفية:

في أوقات سابقة في بعض الدول الإسلامية، كان تصريح أحدهم: أنا سلفي؛ يعد بمثابة إذن مرور لممارسة كثير من الأنشطة والتحرك الدعوي بحرية ويسر، ولكن الآن أصبح الوضع مختلفًا، وأصبحت السلفية في قفص الاتهام في بلدان كثيرة، وبات السلفيون تحت المجهر؛ فما الذي تغير؟! إنه ببساطة: الإقصاء، والمنطلَق الأول لتبرير وتسريع إقصاء السلفية، هو الربط التعسفي بين السلفية العلمية، والسلفية الجهادية(١).

إنها إذن إستراتيجية متعددة المراحل: استبدال، احتواء، إقصاء.

وهذا يعود بنا إلىٰ السؤال المطروح في مقدمة المقال عن كيفية مواجهة التيارات السلفية؛ فالإجابة الصحيحة تتضمن الخيارات الثلاثة، وليس خيارًا واحدًا.

---

(١) ومن سياسات الإقصاء التي تتبعها أمريكا، ووكلاؤها من كثير من حكام الشعوب المسلمة؛ تغييب الرموز السلفية، ولاسيما الصادعين بالحق والمجاهدين؛ إما بالسجن أو بالاغتيالات الفردية، وكذلك ما تقوم به أمريكا ومن معها من التحالف الدولي، من دعم جوي عسكري لرافضة العراق، لتدمير مدن أهل السنة، وقتل أهلها وتشريدهم.

ولا ريب في أن هذا التنوع في مواجهة السلفية يبدو متناسبًا أكثر مع كون التيارات والفكر السلفي يتفاوت حجمه، ومستوىٰ انتشاره بين البلدان الإسلامية؛ ومن ثَم لابد أن تختلف طرق مواجهته من المنظور الغربي؛ فبعض الدول حققت إنجازات مسبقة، وتجاوزت مرحلة الاستبدال بالفعل، وهي الآن ما بين الاحتواء والإقصاء مثل مصر، وبعض الدول تجاوزت المراحل الثلاث مثل تونس وليبيا، ودول أخرىٰ لا تزال بين الاستبدال والاحتواء.

هذا التحليل يفرز لنا نتيجة بالغة الأهمية؛ وهي أن سياسة الاحتواء تمثل عاملًا مشتركًا حاليًّا، في عدد كبير من الدول الإسلامية[1].

* **ويقول الباحث د. عبد الوهاب المسيري:** «مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس، الخاصة بالحريات الدينية، بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يُضعِف، ولاشك، صلابة مقاومة الاستعمار الغربي» [2].

* وينبه الأستاذ محمد بن عبد الله المقدي، في مقال له طويل بعنوان «نقض العرىٰ، رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي»؛ إلىٰ مظاهر تستدعي الانتباه فيقول: «حين دخلت القوات الصليبية الأمريكية والبريطانية إلىٰ البلاد الأفغانية، كان

---

(١) انظر: مقال «ممنوع دخول السلفية والسلفيين»، أحمد فهمي، مجلة البيان عدد (٢٢١)، بشيء من الاختصار والتصرف اليسير.

(٢) نقلًا عن موقع شبكة الجزيرة.

أول ما قاموا به أنهم فتحوا المزارات والأضرحة، وسمحوا للموالد أن تقام وروجوا لها.

يقول أحد شيوخ الطرق، واسمه «صوفي محمد» (وهو في الستين من عمره)، لوكالة «رويترز»:

«إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات، وأوقفت الاحتفالات، ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشاد طوال فترة حكمها، رغم أنها لم تتوقف حتىٰ في وجود الحكم الشيوعي والاحتلال الروسي! وأنا سعيد جدًّا بسقوط تلك الحركة المتعصبة، وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا، وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدة».

هكذا قال، وهكذا فعلت أمريكا: فتحت الأضرحة، وأقامت الموالد لإحياء البدعة، ومحاربة السنة، ولتشويه الإسلام.

* وفي صيف (٢٠٠١م)، شنت الحكومة اليمنية هجمة شرسة علىٰ جميع المعاهد الدينية، بحجة مكافحة الإرهاب، فقامت بإغلاقها عدا «دار المصطفىٰ» بـ «تريم»؛ وهي تتبنىٰ النهج الصوفي.

* وفي زيارة هامة للرئيس الباكستاني «برفيز مشرف» إلىٰ الهند، شملت إجراء محادثات مع رئيس الوزراء الهندي «مانموهان سينج»؛ توجه الرئيس «مشرف» لولاية راجستان، بغرب الهند، لزيارة ضريح إسلامي بارز، ثم توجه إلىٰ العاصمة دلهي.

* وفي (١٦ شوال ١٤٢٦) حضر مولد البدوي السفير الأمريكي في القاهرة،

معلنًا عن إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، لافتا إلىٰ ما تنطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة، مثل الحق والخير والجمال!.

* وقام الرئيس الجزائري «عبد العزيز بوتفليقة» بزيارات مكثفة، لعدد من زوايا وأضرحة «الأولياء والصالحين» المنتشرة في مختلف أنحاء الجزائر؛ لزيادة شعبيته لدىٰ عدد كبير من الجزائريين؛ الذين يتبركون بهؤلاء الأولياء، وذلك قبيل الانتخابات الرئاسية التي أقيمت في الثامن من أبريل (٢٠٠٤م).

* وفي العراق أيضًا (في مدينة كركوك) أوضح عدد من أهالي المدينة أن مِن المتصوفة في المدينة مَن أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعينة، خوفًا من الاعتقال، خاصة شيخ الطريقة الكسنزانية ويدعىٰ محمد الكسنزاني؛ والذي أعلن قبل أشهر أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه عدة شروط قبل إعلانه؛ منها: صفاء القلب، وتحقيق الصلة بين العبد وربه؛ وهو ما أثار حفيظة المقاومة العراقية، وأهالي المدينة علىٰ حد سواء[١].

ولعل ما أراد الكاتب لفت النظر إليه، هو أن المشروع الأمريكي، في استخدام التيار الصوفي لحرب التيار السلفي؛ يساعده في ذلك كثير من حكام الشعوب المسلمة، تلك الحكومات العلمانية التي تعادي التيار السلفي، وتقرِّب التيار الصوفي؛ لما تعلمه من أصالة المذهب السلفي ومشروعه المنادي بتحكيم

(١) انظر: المقال وتوثيق النقولات في مجلة البيان، عدد (٢٢٣).

شرع الله؛ لاطمئنانها للتيار الصوفي المعادي للمشروع السلفي.

ومما يدل علىٰ تمالؤ هذه الحكومات مع المشروع الأمريكي استجابتها في تغيير مناهج التعليم، وحذف كل ما يشير إلىٰ عداوة الكفار، كالولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله، واستجابتها وتشجيعها لابتعاث الآلاف من الطلاب إلىٰ أمريكا، للدراسة، وتغيير الأفكار، والتأثر بأنماط السلوك والتربية في المجتمعات الأمريكية، فما ظننا بحال هؤلاء المبتعثين بعد بقائهم سنوات في بلاد الكفر، وما يحملون في عقولهم من الأفكار التي تأثروا بها وأثروا.

وفي نهاية الحديث عن هذه الحرب الفكرية يمكن أن نحدد أهداف الحرب وآلياتها، فيما كتبه الأستاذ عبد العزيز كامل حفظه الله، في مقال له بعنوان «حرب الأفكار بين بأس الأمريكان ويأسهم».

أقتطف منه قوله: «وقد حدد تقرير لجنة التحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، هدفًا جوهريًّا من أهداف «حرب الأفكار»؛ عندما نص علىٰ أنه لابد من منازلة التيار غير المعتدل في ميدان حرب الأفكار، من أجل كسب الغالبية المحايدة التي يمكن أن تتحول إلىٰ متعاطفة معه.

«كسب الغالبية» إذن؛ هو الهدف والرهان الإستراتيجي، للاستيلاء علىٰ القلوب والعقول، والوصول إلىٰ ذلك لا يكون إلا عبر تحركات تكتيكية، يكون «الدولار» فيها هو الوقود المحرك لأفكارهم، والمحرق لأفكار غيرهم، وهذا ما ذهب إليه تقرير مؤسسة راند السابق الصادر في (١٨/ ٤/ ٢٠٠٥م)، بعنوان «قلوب وعقول ودولارات»، والذي نص علىٰ أهمية مزاحمة «العدو» علىٰ عقول الناس وقلوبهم، عن طريق تسخير الدولار، في تغيير الأفكار، باتجاه العلمنة والأمركة

واللبرلة؛ أي: باختصار: «تغيير الإسلام» في فهم واعتقاد متبعيه.

لهذا؛ فإن الحرب الأمريكية الراهنة علىٰ العالم الإسلامي، ستبقىٰ في جوهرها -وإن سكنت المدافع- حرب أفكار؛ ولذلك فمن غير المتوقع أن تتوقف بشكل نهائي، أو ترتبط بتغيرات سياسية عندنا أو عندهم، لارتباط تلك الحرب بمعايير رضاهم عنا، وعن عقائدنا، ومبادئنا، وأفكارنا، وهذا الذي لن يحصل، ما دام المسلمون مسلمين، والنصارىٰ نصارىٰ واليهود يهودًا: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فالمعركة بيننا وبينهم ستظل دائمًا معركة علىٰ الثوابت، بين ما عندنا من منهج الحق والهدىٰ، وما عندهم من أفكار الغي والهوىٰ»(١).

ثالثًا:
الحرب الاقتصادية

وهذا النوع من الحرب علىٰ أهل السنة لم يعد خافيًا علىٰ أحد؛ حيث تستخدم أمريكا وحلفاؤها في المنطقة هذا النوع من السلاح، لعدة أهداف منها:

* **الهدف الأول:** وسيلة ضغط علىٰ أهل السنة، وذلك بالتضييق عليهم في أرزاقهم، وضرورياتهم، وإضعاف معنوياتهم، حتىٰ يقبلوا التنازل عن عقيدتهم، والتبعية لأعدائهم، وإضعاف أيِّ مقاومة للغزاة والمحتلين، وقبول الهجرة من ديارهم، والأمثلة في ذلك واضحة وصارخة؛ وذلك

---

(١) انظر المقال في: مجلة البيان العدد (٢٣٨).

فيما يقوم به اليهود من حصار خانق لأهل السنة في غزة، بدعم وتحريض الولايات المتحدة؛ وما يقوم به الروس، وطاغية الشام، والروافض، من حصار لأهل السنة في حلب، وحمص، والغوطة والزبداني، لم يعد خافيًا علىٰ أحد، وأمريكا من وراء ذلك داعمة ومغتبطة، وقل مثل ذلك في حصار مدن أهل السنة في العراق، من قِبَل الحشد الرافضي الخبيث، وما تقوم به أمريكا وحلفاؤها من دعم جوي بالطائرات، ودعم عسكري علىٰ الأرض.

* **الهدف الثاني**: تركيع المجاهدين وقبولهم بالمساومات والتنازلات؛ التي يفرضها عليهم المشروع الأمريكي؛ من التخلي عن أهداف الجهاد، ومعاداة الكفار؛ بل التخلي عن مشروع الجهاد أصلًا، والقبول بحلول سياسية مَهينة ومذلة.

* **الهدف الثالث**: انفضاض الحاضنة الشعبية عن مجاهدي أهل السنة، والإيحاء إليهم أن ما يصيبهم من حصار وجوع وخوف، إنما هو بسبب المجاهدين، فينفروا عنهم، وذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المنافقين في عهد الرسول ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: ٧].

من صور هذه الحرب الاقتصادية الإجرامية:

أولًا : تجفيف منابع الدعم المالي لأهل السنة؛ حيث بذلت أمريكا - ومن يدور في فلكها - كل وسعها في القضاء علىٰ أي جهة خيرية فردية أو

جماعية، يُدعَّم من خلالها المجاهدون، أو حاضناتهم الشعبية في مناطقهم المحررة، وأرهبوا الناس، وجرَّموا من يقوم بدعم المجاهدين، أو المدن السنية المحاصرة، وسنوا القوانين والتشريعات الإجرامية، التي تمنع من ذلك، وتجرِّم من يمتنع عن ذلك، فتحكم عليه بالسجن، وعلىٰ كل من يتعاطف أو يدعم أو يحض علىٰ الدعم، وصادروا أموالهم التي جمعوها، أو جمَّدوها، فكم من جمعية خيرية كانت تدعم الأيتام والأرامل، وحلق تحفيظ القرآن؛ أُغلِقت، وسجن القائمون عليها، وكم من تاجر محسن أُرهب بالسجن، وتجميد أمواله؛ عندما علم الظلمة أنه يدعم إخوانه من أهل السنة، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جدًّا.

ثانيًا: الحصار الخانق الذي يضربه الشيعة الرافضة-بدعم عسكري من أمريكا وحلفائها- علىٰ مدن أهل السنة في العراق، كتكريت، والرمادي، والفلوجة، والموصل، وما يقوم به الروس المجرمون، وجيش الطاغية بشار، وإيران الرافضة، وحزب الشيطان اللبناني، من حصار ظالم علىٰ مدن أهل السنة في سوريا كالزبداني، وغوطة دمشق، وحمص، وحلب؛ حتىٰ مات كثير من الأطفال والشيوخ من الجوع، وانتشرت الأمراض والأوبئة؛ بسبب نقص التغذية، وانتشار النفايات، وتلوث المياه بمياه المجاري؛ وكل ذلك يتم تحت سمع العالم وبصره، ومباركة وتأييد واغتباط من أمريكا الطاغية وحلفائها.

ثالثًا: التدمير المتواصل لمدن أهل السنة بالقصف الجوي والمدفعي

بمختلف الأسلحة المدمرة؛ التي تسعىٰ إلىٰ إبادة أهل السنة، وتدمير البنية الاقتصادية في تلك المدن الظاهرة منها والتحتية، بما في ذلك البيوت والعمارات، والمدارس والمستشفيات، والمزارع والأسواق التجارية؛ حتىٰ انتشر الغلاء، وجرائم السرقة، ومساومة الناس في أديانهم وأعراضهم مقابل لقمة العيش؛ التي لم يعودوا يحصلون عليها بسبب هذا التدمير الممنهج.

ونظرة سريعة إلىٰ ما حصل من تدمير رهيب للرمادي، والفلوجة، والموصل، في العراق، أو ما كان منه في حلب، وحمص، وداريا، في سوريا، تطلعنا علىٰ هول ما حصل في هذه المدن السنية؛ وكل ذلك بدعم مباشر ومشاركة من الطيران الأمريكي، ومَن معه من التحالف الدولي، أو دعم غير مباشر ومباركة لما يقوم به الدب الروسي، وجيش بشار، من قصف وتدمير لمدن أهل السنة.

رابعًا: إنهاك اقتصاد الدول ذات الأغلبية السنية، وربطه بالاقتصاد الرأسمالي الربوي، وتوريطه في مشاكل وحروب تأكل مدخرات هذه الدول؛ فتعيش شعوبها في ضيق من العيش والغلاء؛ ليكونوا ذليلين لأعدائهم، وهذا هو الرق الاقتصادي.

رابعًا:
الحرب السياسية

السياسة المعاصرة في دول العالم اليوم -ولاسيما السياسة الأمريكية- تقوم

علىٰ الكذب والمكر والدجل والخداع، وهذه التي يسمونها بالدبلوماسية والميكافيلية، والتي تقوم علىٰ سياسة ذي الوجهين، أو الكيل بمكيالين، حسب ما تقتضيه مصلحة الدول، وقد فضح الله عَزَّوَجَلَّ هذه السياسة بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١-٣].

ومن سياسة الدجل والكذب والتضليل: التي تمارسها دولة الكفر والطغيان، أمريكا، في حربها السياسية على أهل السنة:

- **أولًا**: اختراعها مصطلح «الحرب علىٰ الإرهاب» في مواجهة وقتال كل مَن يعاديها، ويقاوم غزوها واحتلالها، ووصف المجاهدين بناء علىٰ ذلك بالإرهابيين، وكل من لم يكن معها فهو ضدها، واستخدمت هذا المصطلح في إعلامها، وإعلام الدول المتحالفة معها؛ حتىٰ كاد هذا التلبس والخداع أن ينطلي علىٰ كثير من الناس، ثم هي -وبكل صفاقة وقلة حياء وعدم احترام لعقول الناس - تصف إرهابها وتدميرها وقتلها الممنهج بأنه دفاع عن الحرية والعدالة والكرامة، ونشر وإحياء لها في مناطق أهل السنة التي تدمرها، وصدق فيهم قول القائل: «رمتني بدائها وانسلت».
- **ثانيًا**: تشويه المنهج السلفي وعلمائه ودعاته ومجاهديه، وإشعال الحرب الإعلامية المضادة لهذا المنهج ورموزه، ورميه بأبشع التهم، ووصفه بمنهج الكراهية والقتل والعدوان، والوقوف أمام التطور والتقدم، وتسميتهم بأصحاب الإسلام السياسي الذي يسعون فيه

إلىٰ تصفية كل من خالفهم، وإقصاء وإلزام الناس بأحكام الإسلام القاسية، التي تهدر –بزعمهم– حقوق الإنسان!

- **ثالثًا**: تشويه صورة المجاهدين، بما تبثه وسائل الإعلام المختلفة من أكاذيب وافتراءات مختلقة ومفبركة، تصور المجاهد بأنه مصاص دماء، غاصب للنساء، لاهث وراء الدنيا والمناصب والزعامات.

- **رابعًا**: ومن أخطر سياساتها الإجرامية العمل بمبدأ «فَرِّقْ تَسُدْ»؛ فجندت كل ما تملك من استخبارات وأموال وعملاء، وضغوط عسكرية واقتصادية، في استمالة فريق من المجاهدين علىٰ حساب الفريق الآخر، وسعت لبثِّ الفرقة والاختلاف، وتبادل التهم بين المجاهدين، حتىٰ وصل الأمر ببعض الفصائل إلىٰ الاقتتال والاحتراب فيما بينها.

- **خامسًا**: وجهت عملاءها من المنافقين إلىٰ اختراق صفوف بعض الفصائل الجهادية حتىٰ وصلوا إلىٰ قياداتها، أو ما يقرب منها، ووظفوا هذا الاختراق في التجسس علىٰ المجاهدين، وفي دفعهم إلىٰ مواقف يريدونها، ولا يحمد المجاهدون عقباها.

- **سادسًا**: محاولة إجهاض المشروع الجهادي، وجر بعض الفصائل المجاهدة إلىٰ طاولة المفاوضات، والحلول السياسية السلمية، بعد أن أقنعتهم بعدم جدوىٰ الحلول العسكرية، وبث روح الإحباط واليأس في نفوس المجاهدين، والاستماتة في ألا يقوم حكم إسلامي مصدره الوحيد شريعة الله عَزَّوَجَلَّ وخداع بعض

الدعاة والمجاهدين بتشكيل حكومات مدنية علمانية، يشارك فيها جميع أطياف المجتمع .

- **سابعًا**: الرق السياسي الذي تمارسه أمريكا علىٰ دول أهل السنة؛ بحيث يكونون تابعين لها في مواقفها السياسية.

- **ثامنًا**: ومن سياسات أمريكا الخبيثة تجاه السنة وأهلها ومجاهديها؛ أنها تفتعل في مناطقهم مشاكل وأزمات، قد جهزت مسبقًا حلولًا لها، ثم بعد حدوثها تساهم في تحقيق أهداف لها من افتعال هذه الأزمات.

- **تاسعًا**: الكيل بمكيالين إزاء حوادث القتل والعدوان وحقوق الانسان؛ فإن كان المقتول في ديار المسلمين والسنة من المسلمين، ولو كان بالآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ؛ فلا تحرُّك، ولا يقظة ضمير، ولا تعاطف مع المقتول، ولا كف للظالم القاتل، ولا مكان لحقوق الإنسان هنا؛ أما إن كان المقتول علجًا من علوج الكفار في ديارهم، أو خارج ديارهم؛ فإن الإنكار والشجب، وتهديد الجاني، والتعاطف مع الضحية؛ هو المسيطر علىٰ الموقف؛ بل قد تتخذ إجراءات عملية رادعة، وهنا يرفع شعار حقوق الإنسان وكرامته والحرب علىٰ الإرهاب!

- **عاشرًا**: السيطرة علىٰ مجلس الأمن وعلىٰ قرارات هيئة الأمم؛ حيث تقرر وتنفذ أمريكا من خلال مجلس الأمن وهيئة الأمم، باسم طاغوت الشرعية الدولية؛ ما تريده من المواقف، والواضح حيفها وضررها علىٰ أهل السنة وقضاياهم، وليس للمجتمعين إلا الموافقة.

خامسًا:
الحرب على الأخلاق والسلوك

إن الحرب علىٰ الأخلاق والقيم الفاضلة تزداد يومًا بعد يوم، ولم يعد خافيًا علىٰ أحد ذلكم الطوفان؛ الذي يبذل فيه المفسدون جهدهم من خلال وسائل الإعلام، والقنوات والشبكة العنكبوتية، في إفساد أخلاق المجتمعات المسلمة، وبث الانحلال في أوساط شباب الأمة، وإفساد المرأة وتغريبها، وامتلأت بيوت كثير من المسلمين بأجهزة الفساد، التي تعج بصور النساء شبه العاريات، والأغاني الماجنة، وامتلأت شبكات الإنترنت بالمواقع الإباحية والإجرامية، وسَخِر الإعلام الموجه من العلاقات الأسرية والاجتماعية؛ التي تحكم الأسرة والمجتمع المسلم، ولا عاصم من هذه الشرور إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

إن خطورة الانحلال، وفساد الأخلاق والأعراض، في كونه بابـًا من أبواب التبعية للغرب الكافر، وعلىٰ رأسه أمريكا الطاغية، وإذا انحلت أخلاق الأمة سهل تغريبها، ومن ثَم سهل غزوها؛ ذلك أن في ذهاب الأخلاق مدعاة للذلة والمهانة، وعدم القدرة علىٰ المقاومة؛ والانحلال من أقوىٰ الأسباب التي تُسَهل للعدو الغازي احتلال البلاد والعباد.

كما أن في ذهاب الأخلاق ورِقَّة السلوك ضعفَ العقيدة، وضعف أركانها من الولاء والبراء، والإخلاص والتوكل، والخوف والرجاء، وهذا ما يبغيه أعداء الأمة الكفرة؛ الذين ما فتئوا يسعون لإبعاد الناس عن عقيدتهم، وتفريغ الإسلام من مضمونه، ليصبح إسلامًا بالهوية، أو إسلامًا علىٰ الطريقة العلمانية الأمريكية،

والعدو يدرك أن نجاحه في حرب الأخلاق يسهِّل نجاحه في حرب الأفكار.

*** واجبنا في مواجهة هذه الحرب:**

○ **أولًا:** يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١]، إنه لا خيار للمسلم بعد قراءة هذه الآية وفهمها، في ظل الواقع الذي نشهده اليوم، وفي هذه الحرب المشبوبة علىٰ أهل السنة، بمحاوره الخمسة التي ينطلق منها العدو الكافر في حربه وغزوه لبلدان المسلمين من أهل السنة، وفتنتهم في دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم؛ نعم لا خيار لمسلم يعي هذا الواقع، ويعي حقيقة أعداء الأمة، وأهدافها؛ أن يقعد متفرجًا بارد القلب.

إن جهاد أعداء الله الكفرة أصبح متعينًا علىٰ كل مسلم (حسب قدرته، وجهده، وعلمه)، وأعنى بالجهاد هنا: كل أنواع الجهاد المذكورة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة نبيه ﷺ: (الجهاد بالسنان، والجهاد باللسان والبيان، والجهاد بالمال)؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ عن جهاد البيان بالقرآن: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]، وسورة الفرقان مكية، لم يفرض فيها جهاد السنان والسيف بعد، وقال الرسول ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[1].

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٩٦) بنحوه، وأبو داود (٢٥٠٤)، وأحمد (١٢٢٤٦، ١٣٦٣٨)، واللفظ لهما، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٢٥٠٤).

فكما أن حرب الكفار لنا تنطلق علىٰ الصعيد العسكري بالسلاح، وعلىٰ الصعيد الفكري العقدي، وعلىٰ الصعيد الاقتصادي، والصعيد السياسى، والأخلاقي، كما فصلته في الأوراق السابقة، فهذا يوجب علىٰ المسلمين أن يواجهوا كل حرب بما يناسبها ويبطلها.

فالحرب العسكرية: تواجَه بالجهاد بالسلاح في ميادين القتال؛ وهو ما يقوم به (نيابة عن الأمة) فصائل الجهاد المختلفة، التى أثخنت في العدو، وأحبطت عليه مكره، فجزاهم الله عن أمتهم خيرًا، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتهم، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم، وأن يعيذهم من الفرقة والاختلاف.

وأما الحرب الفكرية: فتواجه بجهاد البيان من أهل العلم، والبيان برد شبهاتهم، وبيان باطلهم، ورفع اللبس عن الأمة، وبيان دين الله الحق للناس؛ الذي هو سبيل المؤمنين، وبيان سبيل المجرمين.

وأما حربهم السياسية: فتكون مواجهتها بفضحها، وبيان كذبها ومكرها، والحذر منها، وتحذير الناس من ألاعيبها، وإبراز السياسة الشرعية العادلة الرحيمة، وبيانها للناس.

وأما حربهم الإباحية الموجهة للأخلاق والأعراض: فتكون بمزيد من التحصين والاحتساب والتربية لأبناء الأمة، وتوظيف جميع الوسائل الدعوية والإعلامية، والمحاضرات التربوية في التحذير من هذه الحملات، وتربية الأفراد والأسر علىٰ الأخلاق الإسلامية، وعلىٰ بُغض أخلاق الكفار المنافية للشرع والعقل والفطرة، والتركيز في التربية علىٰ إقامة واعظ الله وتعظيمه وخشيته في القلوب.

ومواجهة حربهم الاقتصادية: بتحذير الناس من نار الربا المحرقة، وبتوظيف أموال أهل السنة من المحسنين في دعم الدعوة إلىٰ منهج السلف، وحرب المناهج الباطلة، ودعم الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالىٰ، وإعانة المسلمين، وألا يكترثوا بتخويف شياطين الجن والأنس وإرهابهم.

فهذه بعض حالات الجهاد؛ التى تُدفَع بها حروب الكفار الموجهة لأهل السنة من المسلمين، فليختر المسلم أي نوع من أنواع الجهاد يناسبه، ويمكن أن يدافع من خلاله عن الحق وأهله، ولا عذر لقاعد بعد ذلك.

وهنا مسألة مهمة يجب التنبيه عليها؛ ألا وهى وجوب التعاون بين القائمين بواجب الجهاد، بمختلف مجالاته، العسكرية، والفكرية، والتربوية، والاحتسابية، والمالية، وأن يكمل بعضهم بعضًا، وألا تُهوِّن ولا تُحقِّر طائفة (نفرت في نوع من أنواع الجهاد) جهد الطائفة الأخرىٰ؛ التى نفرت في مجالات أخري؛ بل يجب أن يتم التعاون والمحبة والإخاء والفرح بما يتحقق من الخير، أو يندفع من الباطل، سواء تحقق هذا علىٰ يد هذه الطائفة أو تلك، وأن يكونوا أشبه بجامعة تضم كليات مختلفة التخصص، يكمل بعضها بعضًا؛ لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

وإذا تحول هذا الاختلاف المحمود إلىٰ اختلاف تضاد وفرقة، وخصومة وتحزب؛ فإن هذا ما يريده العدو الكافر، ويفرح به، لكونه سببًا للفشل والهزيمة وذهاب الريح؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال:٤٦].

❍ **ثانيًا:** علىٰ النافرين في مواجهة حرب الكفار الشاملة علىٰ أهل السنة؛ أن

يحققوا شروط النصر والتوفيق في قيامهم لنصرة الدين؛ ألا وهي:

- **الشرط الأول:** الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في قَوْمتهم، وعدم إرادتهم شيئًا من أعراض الدنيا؛ ومن الإخلاص الحرصُ علىٰ الجماعة والائتلاف، والاستعلاء علىٰ حظوظ النفس.

- **الشرط الثاني:** المتابعة لرسول الله ﷺ، وكونهم قائمين في أمر مشروع، وحق يحبه الله عَزَّوَجَلَّ.

- **الشرط الثالث:** استعانتهم بالله عَزَّوَجَلَّ، وتجريد التوكل عليه سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة إلىٰ حول الله وقوته، واليقين بأنه لولا الله تعالىٰ لما حصلت الهداية، ولا التوفيق، ولا التسديد، وهذا ينفي العجب والغرور بالنفس، ويقتضي سؤال الله تعالىٰ التسديد والإعانة والتوفيق.

- **الشرط الرابع:** اتخاذ كافة الأسباب المتاحة والممكنة والمشروعة، في مواجهة أعداء الأمة، وبذل كل ما في الوسع والطاقة لنصرة هذا الدين وأهله.

- **الشرط الخامس:** التحلي بالصبر، وعدم الاستعجال في جنى الثمار، أو اعتساف الطريق.

وعن أهمية الشروط الثلاثة الأولىٰ في حصول التوفيق والنصر والتأييد.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: «فإذا قام العبد بالحق علىٰ غيره، وعلىٰ نفسه أولًا، وكان قيامه بالله، ولله؛ لم يقم له شيء، ولو كادته السموات والأرض والجبال؛ لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجًا ومخرجًا؛ وإنما يؤتىٰ العبد من تفريطه

وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد.

فمن كان قيامه في باطل لم ينصر، وإن نُصر نصرًا عارضًا فلا عاقبة له، وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله، وإنما قام لطلب المَحْمدة والشُّكور والجزاء من الخلق، أو التوصل إلىٰ غرض دنيوي، وكان هو المقصود أولًا، والقيام في الحق وسيلة إليه؛ فهذا لم تضمن له النصرة؛ فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه ولهواه؛ فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين، وإن نصر فبحسب ما معه من الحق؛ فإن الله لا ينصر إلا الحق.

وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر، والصبر منصور أبدًا فإن كان صاحبه محقًّا، كان منصورًا، وله العاقبة، وإن كان مبطلًا لم يكن له عاقبة؛ وإذا قام العبد بالحق لله، ولكن قام بنفسه وقوته، ولم يقم بالله مستعينًا به، متوكلًا عليه، مفوضًا إليه، بريئًا من الحول والقوة إلا به؛ فله من الخذلان، وضعف النصرة، بحسب ما قام به من ذلك؛ ونكتة المسألة: أن تجريد التوحيد في أمر الله لا يقوم له شيء ألبتة، وصاحبه مؤيَّد منصور، ولو توالت عليه زمر الأعداء»[(١)].

- **ثالثًا**: التحذير لمن شرفه الله عَزَّوَجَلَّ بنصرة دينه، والقيام بواجب مدافعة هذه الحرب العالمية الإجرامية، من أن يقع في فخ الأعداء وخندقهم؛ فيقدم لهم خدمة وهو لا يشعر، كأن يدعوه للقتال تحت رايتهم، وغطائهم الجوي، لقتال فصيل آخر بحجة إرهابه وجرائمه، فيصطف في صف الكفار، والواجب عليه عداوته لهم، وقتالهم.

---

(١) أعلام الموقعين (٢/ ١٧٨).

أو أن يقع في فخ آخر؛ بأن يكون له موقف معين من أخطاء بعض الفصائل المجاهدة، أو بعض الجماعات الإسلامية السنية، فيسعىٰ جاهدًا في بعض المنابر الإعلامية إلىٰ نقدها، وتخطئة أصحابها، وإلصاق بعض التهم بهم، كتُهَم الغلو أو العمالة وغيرها، ولا شك أن هذا مما يفرح الأعداء المحاربين، ويجعلهم يسعون لتوظيفها في حرب المجاهدين، والدعاة من أهل السنة؛ الذين يتصدون لحرب مشروعهم الخبيث، ويستخدمون ذلك في تشويه منهجهم الذي يحملونه.

ولا يعنى هذا السكوت عن الأخطاء، وعدم مناصحة أهلها؛ بل يجب أن تتم المناصحة والتحذير من هذه الأخطاء ولكن بصورة خاصة، وليست علىٰ منابر عامة، يوظفها الأعداء في تحقيق أهدافهم، وتبرير عدوانهم، وهذا مما تقرره الشريعة، ويتفق مع أصولها ومقاصدها الثابتة، ومسألتنا هذه المذكورة آنفًا تندرج تحت قاعدة سد الذرائع؛ حيث إن الفعل في حد ذاته قد يكون جائزًا أو مستحبًا، ولكن إذا كان سيؤدي إلىٰ أمر محرم أو إلىٰ مفسدة متحققة؛ فإن المتعين في هذه الحالة تركه.

وقد قرر الفقهاء: أن المنكر إذا كان سيترتب علىٰ إنكاره منكر أكبر منه؛ فلا يجوز، والحالة هذه، إنكاره، والأصل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ فنهىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ المسلمين عن سب آلهة المشركين؛ لما سيترتب علىٰ ذلك من سب الله تعالىٰ ولدينه، مع أن سب آلهة المشركين جائز؛ بل متعين وواجب أحيانًا.

○ **رابعًا**: التفاؤل بنصرة الحق وأهله وبسقوط الباطل ودولته؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ففى **الآية الأولىٰ** خبر يقين صادق من فاطر السموات والأرض ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء: ٨٧] أن مآل الكفار، وما ينفقونه في الصد عن سبيل الله ﷻ إلىٰ أن يُغلَبوا، وإلىٰ أن يرتد ذلك عليهم بالحسرة والخسران، وفي الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير.

وفي **الآية الثانية** سنة من سنن الله ﷻ؛ وهى أن كل كيد ومكر يكيده الكفار علىٰ المسلمين فإن الله سيبطله، ويحمى عباده المؤمنين من شره وضرره، ولكن ذلك مشروط بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾، والصبر والتقوىٰ يقتضيان إخلاص العمل لله تعالىٰ، والمتابعة لرسول الله ﷺ، والاستعانة بالله وحده، وصدق التوكل عليه، والتبرؤ من الحول والقوة، إلا به، وسلامة القلوب واجتماعها وتآلفها.

ومما يؤكد قرب نصر الله ﷻ، وسقوط المحاربين والكائدين لدين الإسلام وأهله، علاماتٌ بدت، وملامح ظهرت، في تصريحات وممارسات وأحوال الغرب الكافر، بقيادة دولة الكفر والطغيان؛ منها:

- **أولًا: اعترافات الكفرة بفشل حربهم ويأسهم:**

يقول د. عبد العزيز كامل: «لقد بدءوا يعترفون بخسارة «حرب الأفكار» مثلما خسروا حرب الحديد والنار، في بقاع عديدة من العالم الإسلامي.

وقد اعترف رامسفيلد نفسه -مُشعل «حرب الأفكار»- في تصريح له في (١٦ فبراير ٢٠٠٦م)، بأن أمريكا تخسر حربها الدعائية والفكرية ضد «المتشددين» الإسلاميين، وأضاف: «ينبغي إيجاد وسائل أخرىٰ بديلة لكسب قلوب وعقول الناس في العالم الإسلامي؛ حيث نجح المتشددون في تسميم الأفكار عن أمريكا».

وكذلك أقرَّ تقرير أعدَّته هيئة استشارية تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» أن أمريكا عجزت عن إقناع العالم الإسلامى بإستراتيجيتها الدبلوماسية والعسكرية، وهو ما اعتبره التقرير خسارة لما يسمىٰ «حرب الأفكار»، وقال التقرير الذي قُدم في نوفمبر (٢٠٠٤م): «إنه لا أحد يصدِّق وعود أمريكا عن الحرية والديمقراطية»، وبيَّن أن تدخلات أمريكا في العديد من بقاع العالم الإسلامي، رفعت من أسهم القوىٰ المناوئة لها.

وقد صرح «مارك جنزبيرج» السفير الأمريكى السابق في المغرب، وأحد الخبراء الأمريكيين المتخصصين في شئون الشرق الأوسط بأن أمريكا تواجه هزيمة في حرب الأفكار، رغم ضخامة الإمكانات المرصودة لها.

وقال في حديث له نشرته صحيفة «الواشنطن بوست»: «نحن نُهزم في حرب الأفكار لسببين:

الأول: أننا تركنا الساحة للمتشددين الإسلاميين؛ ليزاحمونا بما عندهم.

والثاني: أننا لم نساعد حلفاءنا بالقدر الكافي في مواجهة هؤلاء المتشددين».

ومؤخرًا صدر للبنتاجون تقرير (كان سريًّا) عن نتائج الحرب الأمريكية العالمية علىٰ ما تسميه بالإرهاب، اشتمل علىٰ انتقادات حادة لإدارة بوش لهذه الحرب، وقد أعد التقرير «المجلس العلمي للدفاع» في البنتاجون، واختص هذا التقرير بوضع تصور عن كيفية كسب حرب الأفكار ضد ما أسماه: «الجماعات المعادية لأمريكا».

ونصت خلاصة التقرير علىٰ ضرورة العمل علىٰ إجراء تحول في الاتصالات الإستراتيجية للولايات المتحدة، بعد أن فشلت في إيصال رسالتها في الداخل والخارج عن أهمية الحرب علىٰ الإرهاب، وبدأت تخسر معركة الأفكار أيضًا، وأكد التقرير علىٰ أن أساليب إدارة بوش كانت فاشلة في إدارة تلك الحرب بشِقَّيْها العسكري والفكري.

إن مئات الملايين من الدولارات التي أُنفقت ولا تزال تُنفق لإطفاء نور الوحي؛ لم تزده إلا وهجًا وضياء؛ فهناك عدد من مراكز الأبحاث المتخصصة في شئون الشرق الإسلامي المسمىٰ بـ«الشرق الأوسط»؛ مثل: مركز «أمريكان إنتربرايز»؛ الذي يهيمن عليه المحافظون اليهود الجدد، ومعهد «بروكنجر»، ومعهد «كارنيجي»، ومعهد «الشرق الأوسط»؛ الذي يعرِّف منطقة الشرق الأوسط بالأراضي الممتدة من أفغانستان إلىٰ المغرب العربي، وهذه المراكز تُرصَد لها ميزانيات بالملايين سنويًّا؛ لأنهم لا ينتظرون منها أرباحًا، إلا إثبات النجاح في اختراق حصوننا، من الداخل أو الخارج!

وقد رُصد لمعهد الشرق الأوسط وحده ميزانية تصل إلىٰ مليون دولار سنويًّا، وهي ميزانية تجيء من أرباح وقفية؛ وقفتها علىٰ ذلك المركز شركات

عديدة كبرىٰ، لكنَّ نتائج جهود تلك المراكز تعكس حتىٰ الآن الفشل والخيبة والخذلان، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

مع كل ما يبدو من إشاراتٍ علىٰ الهزيمة الأمريكية والغربية في «حرب الأفكار»؛ فإنَّ هذا لا ينبغي أن يصرفنا عن استشعار خطرها، والاستمرار في تطوير الأساليب للتصدي لها، باعتبارها أدقَّ وأخطر من الحرب العسكرية؛ لأن حرب الأفكار - بالمعنىٰ الذي سبق استعراضه- هي حرب باردة جديدة، وهي أخطر من الحروب الساخنة؛ لأنها تستهدف ما في العقول والقلوب، بينما تستهدف الحروب الساخنة ما تحت الأيدي والأرجل؛ ولأن هذه يمكن أن تتوقف أو تبرد، ولكن صراع الفكر والمناهج يظل مستعرًا.

والذي نعتقده أنَّ الإسلام العظيم، عظمته ذاتية، ولذلك فإنه يسجل بخلوص الولاء له أمجادًا لأهله وحامليه، كما يسجل انتصارات ومعجزات عسكرية (بإذن الله) بأدنىٰ الإمكانات المادية المستطاعة، كالذي هو حاصلٌ في العراق وأفغانستان وغيرهما؛ وبدون سندٍ ولا مددٍ لأنصاره إلا من الولي النصير سبحانه؛ فإنه سوف يحرز انتصارات أُخرىٰ مماثلة في «حرب الأفكار» بعونٍ من الواحد القهار، مكور الليل علىٰ النهار، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف:٢١]»[1].

ثانيًا: الظلم الذي بلغ منتهاه في دول الغرب الكافر، ولاسيما دولة الطغيان

---

(١) انظر مقال : «حرب الأفكار بين يأس الأمريكيين وبأسهم»، مجلة البيان عدد (٢٣٨).

أمريكا، وسنة الله عَزَّوَجَلَّ أنه يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته:

فالله عَزَّوَجَلَّ بعزته، وقوته، وحكمته، ورحمته، لا يترك الظالم يظلم للأبد؛ بل له موعد قد جعله الله لمحقه وسقوطه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

والآيات في تقرير هذه السنة الإلهية كثيرة في القرآن الكريم، وإذا ما نظرنا إلىٰ الكوارث التى تحل اليوم بالكفرة الأمريكان، وحلفائهم، في ضوء هذه الآيات الكريمات، والتى تمثل سنة الله عَزَّوَجَلَّ في أخذه للظالمين، لرأيناها تنطبق عليهم تمام الانطباق؛ فما من ظلم وقعت فيه أمة من الأمم السابقة؛ التى أهلكها الله عَزَّوَجَلَّ؛ إلا وقد اجتمع في أمة الكفر المعاصرة؛ وذلك في أعتىٰ صوره، وأبشعها.

ومن ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

١- كفرهم بالله عَزَّوَجَلَّ، سواء الملحد منهم، أو القائل بعقيدة النصارىٰ في التثليث وتأليه عيسىٰ عليه السلام، وسعيهم في الأرض فسادًا، بنشر عقيدة النصارىٰ الوثنية، وتسخير المليارات للجمعيات التنصيرية؛ لنشر الشرك والكفر في أمم الأرض.

٢- الفساد الأخلاقي المريع، الذي لم تصل إليه البشرية في تاريخها الماضي الطويل؛ حيث استباحة الزنا، وشرب الخمور، وهتك الأعراض، وتفكك الأسر؛ بل وصل بهم الفساد والإباحية إلىٰ أن يكون للشواذ والشاذات جنسيًّا جمعيات ومؤسسات مرخصة لفعل اللواط والسحاق.

٣- الفساد المالى الذريع، وقيام اقتصادهم علىٰ الحرية المطلقة الفوضوية، والتى عمودها الربا المضاعف، والبيوع المحرمة، وتسلط القوي علىٰ الفقير، ونشر ذلك في أمم الأرض، وإفساد اقتصادها.

٤- ظلمهم لشعوب الأرض، ولاسيما المسلمين في أوطانهم؛ حيث جاءت جيوشهم الجرارة، واحتلت بعض بلدان المسلمين، وقتلوا النساء والأطفال، وسرقوا ثرواتهم، وعذبوا أبناءهم في السجون، وشردوهم من ديارهم.

٥- حصارهم للمسلمين في ديارهم، حتىٰ مات من جراء ذلك مليون طفل في العراق، وكذلك ما قاموا به علىٰ أيدي اليهود من حصار الفلسطينيين المستضعفين في غزة، وقطع موارد الحياة عنهم، وما يجري اليوم من حصار علىٰ مدن أهل السنة في العراق والشام، وسبحان الله وبحمده الذي جازاهم بجنس فعلهم؛ فحاصرهم في ديارهم حصارًا اقتصاديًّا لم يجدوا منه مخرجًا.

٦- القضاء علىٰ الجمعيات الخيرية المنتشرة في بلدان المسلمين، وبخاصة في دول الخليج التى كانت تكفل أيتام المسلمين، وفقراءهم، ودعاتهم؛ فتعطلت كثير من هذه الجمعيات، وتوقفت الإغاثات التي كانت تقوم بها.

٧- ظلمهم للمسلمين في أديانهم وأخلاقهم؛ حيث تدخلوا في عقائد المسلمين ومناهجهم، وعقولهم، وسعوا عن طريق المنافقين من أبناء المسلمين في تبديل الدين وإفساد الأخلاق.

كل ذلك ليصدوا عن سبيل الله تعالىٰ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ

عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[المائدة: ٦٤].

٨- ظلمهم لشعوبهم بإغراقهم بالديون والقروض الربوية؛ التي عجزوا عنها بعد أن امتصوا دماءهم، واستولوا علىٰ أملاكهم، وأخرجوهم منها بعد أن عجزوا عن السداد، وأصبح (١٠٪) من طواغيت المال والربا يتحكمون في (٩٠٪) من الناس في بلادهم، هم تحت رحمة هؤلاء الظلمة الطواغيت.

هذه مجرد أمثلة لظلم هذه الأمة الطاغية، فهل بعد هذه المظالم من ظلم، ولقد عذب الله الأمم السالفة وأهلكها بظلمها، وكفرها؛ الذي إذا قيس بظلم هذه الأمة الطاغية؛ لا يساوي عنده شيئًا، ومع ذلك فقد حَلُم الله عَزَّوَجَلَّ عنهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة، وأملىٰ لهم، إنه حليم حكيم عليم خبير.

والآن نشهد بدايات عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وانهيارهم، وتسليط الكوارث الكونية والاقتصادية عليهم، والفضائح السياسية والأخلاقية التي عمَّت وطمَّت، ولَعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون!

ولقد صرح بذلك بعض مفكريهم وخبرائهم.

يقول «ديفيد وركر» (كبير مفتشي الحكومة الأمريكية)؛ وهو ممسك بالملف الوطني الأمريكي كله: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف الآن علىٰ حافة الهاوية؛ وذلك في صورة سياسات وممارسات لا تطيقها البلاد، تسببت في



العجز الشديد في الميزانية، والنقص الحاد في الرعاية الصحية، وتزايد التزاماتها العسكرية الخارجية، مما يهدد باندلاع أزمة طاحنة، إن وضع البلاد يشبه وضع «روما» القديمة قبل احتراقها وانهيارها»(١).

وقال الفيلسوف البريطاني «جون غراي» معلقًا علىٰ الأزمة الاقتصادية الأمريكية: «ما نراه اليوم هو تحول تاريخى لا رجعة عنه في موازين القوىٰ العالمية، نتيجته النهائية أن عصر القيادة الأمريكية للعالم قد ولىٰ إلىٰ غير رجعة»(٢).

ثالثًا: ما تشهده الأمة من يقظة في مختلف جوانبها وبما تعيشه من نوازل، كشفت لها حقيقة وهوية أعدائها، والتى أفرزت سريان روح المقاومة، وبعثت عقيدة الولاء والبراء في النفوس، مما قويت به جذوة الجهاد في كثير من الثغور، واليقين بأنه لن يرفع الذلة والمهانة، ويرد كيد الأعداء إلا الجهاد في سبيل الله، والإعداد له نفسيًّا وإيمانيًّا وماديًّا، وهذا كله من علامات قرب نصر الله عَزَّوَجَلَّ لدينه وأوليائه.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفع عَلَم الجهاد، وأن يؤلف بين أهله، ويوحد صفوفهم، وأن يجنبهم الفُرقة والاختلاف، وأن ينصرهم علىٰ القوم الكافرين.

وفي خاتمة هذه البشائر أقول لإخواني الدعاة والمجاهدين، القابضين علىٰ الجمر،

---

(١) انظر مقالًا بعنوان: « تشبعوا بالأنانية الوطنية، واقفزوا من السفينة الجانحة للغرق»، لزين العابدين الركابي، بجريدة الشرق الأوسط، العدد (١٠٤٩٧)، بتاريخ (٢٥/ ٨/ ٢٠٠٧م).

(٢) انظر: موقع شبكة الجزيرة في خبر بعنوان: «فيلسوف بريطاني: مستقبل أمريكا بيد الآخرين ونفوذها ولىٰ»، بقلم «جون جراي»، نقلًا عن الأوبزرفر.

أصحاب النفوس الكبيرة، والعزائم الشريفة: هنيئًا لكم ما أنتم عليه؛ فأنتم صفوة الناس وأشرافهم، وأولياء الله، ولا أحد أحسن منكم قولًا ولا عملًا ولا غاية؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وأنتم صمام الأمان لمجتمعاتكم؛ لأنكم تقومون بما قام به أنبياء الله ورسله، عليهم الصلاة والسلام.

فلا تستوحشوا الطريق، ولا تشعروا بأنكم قلة وضعفاء، فأنتم أقوياء بإيمانكم، وأنتم الأكثرون إذا تذكرتم أنكم ضمن قافلة شريفة عظيمة، تنتسب إليها ملائكة الرحمن، الذين لا يُحصون عددًا، وأنبياء الله عَزَّوَجَلَّ، والصالحون من عباده؛ بل والكون كله رفيق المؤمنين؛ لأنه مسبح عابد لربه تعالىٰ، ولم ينفرد عن هذه العبودية الشرعية إلا الكافر الظالم لنفسه، فماذا يساوي بالنسبة لبقية العوالم المستسلمة لربها عَزَّوَجَلَّ؟ إنه لا يساوي شيئًا، وإنما هو نشاز عن الطريق اللاحب الواسع، الذي هو طريق الله عَزَّوَجَلَّ وسبيله، قال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غافر: ٤].

فاجتَمِعوا ولا تفرقوا! واصبروا علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وترك معاصيه، ولا يهولنكم ضغط الواقع، وقوة العدو؛ فالله عَزَّوَجَلَّ أقوىٰ وأعز، وهو القاهر فوق عباده، ونواصي الخلق بيده، «**والله مولانا ولا مولىٰ لهم**» ولا تستطيلوا الطريق.

واتقوا الله واصبروا؛ فإن العاقبة للمتقين الصابرين، مهما أجلب أعداء الدين وتكالبوا علىٰ حربه، ومهما كثر المنافقون والمخذلون؛ فإن العاقبة لأهل الاستقامة؛ الذين ثبتوا علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يضعفوا، ولم يهنوا، ولم يستكينوا، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا

وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أنصار دينه، الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ من فضله.

كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يرد كيد الكافرين في نحورهم، وأن يخالف بين كلمتهم، وأن يجعل بأسهم بينهم شديد، وأن يُقِرَّ أعيننا ويشفي صدورنا بهزيمتهم، وذهاب دولتهم، إنه سميع قريب، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الثلاثاء ١٧/ محرم / ١٤٣٨هـ

❋ ❋ ❋ ❋

(٣٠)

فِقْهُ النَّوَازِلِ
فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
ثَلاَثَةُ عُلُومٍ ضَرُورِيَّةٍ لِفِقْهِ النَّوَازِلِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الرسول ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»(١).

فهنيئًا لمن تمسك بكتاب ربه سبحانه وسنة نبيه ﷺ وجعلهما مصدر هدايته ومنطلَقًا لموازينه وأحكامه ومواقفه! ويا خيبة وخسارة من أعرض عنهما ولم يجعلهما مصدر هدايته وأحكامه! لأن مفهوم الحديث يدل علىٰ أن مَن لم يجعل الكتاب والسنة منطلَقًا لفهمه وموازينه فإن مآله التخبط والحيرة والضلال.

وعجبًا لمن كان عنده هذان المصدران المعصومان كيف يضل؟! ولكن كما قال الشاعر:

---

(١) «موطأ مالك» (٣٣٣٨)، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٨٦).

كـــالعيس في البيـــداء يقتلهـــا الظمـــا والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــول

وإن المسلمين اليوم وخاصة دعاتهم وعلماءهم ومجاهديهم لفي أمسِّ الحاجه إلىٰ أن ينهلوا من الكتاب السنة أهم العلوم الضرورية لفقه النوازل والأحداث التي تعينهم علىٰ اتخاذ الموقف الصحيح والميزان الحق إزاءها، وبيان تلك المواقف للناس وإزالة اللبس والتضليل الذي يمارسه الملبِّسون الماديون الذين لا يعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

وقبل الدخول في ذكر هذه العلوم الضرورية للفهم الصحيح والموقف الصحيح في ضوء الكتاب والسنة أقدِّم لذلك بكلام نفيس للإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ ليكون منطلَقًا لذكر هذه العلوم وتطبيقاتها المعاصرة.

يقول رحمه الله تعالىٰ: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها علىٰ عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعَم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوىٰ الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوىٰ، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوىٰ.

- **ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوىٰ والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:**

  - **أحـــدهـــما:** فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتىٰ يحيط بها علمًا.

  - **والنوع الثاني:** فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو علىٰ لسان رسول الله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما علىٰ الآخر»[1].

ألا ما أعظم هذا المنهج القويم وهذه القواعد النفيسة التي لا يهتدي إليها ولا يسعد بها إلا من جعل الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح مرجعًا وظِلالًا يرجع إليهما ويستظل بظلهما!

وما أتعس وأشقىٰ من أعرض عنهما واستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير!

إن الهداية للحق والثبات عليه -بإذن الله تعالىٰ- لا يسعد بهما إلا مَن اتصف بما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالىٰ من الوصفين العظيمين الَّذين هما صراط الله تعالىٰ المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ألا وهما: **صحة الفهم، وحسن القصد.**

وحسن القصد: هو صلاح السريرة، والإخلاص لله تعالىٰ،

---

(١) «أعلام الموقعين» (١/ ٨٧).

وابتغاء وجهه الكريم، والتخلص من الهوىٰ وحظوظ النفس، وإرادة الحياة الدنيا وزينتها، وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ والتضرع بين يديه في طلب الهداية للحق والانقياد له والتبرؤ من الحول والقوة؛ فلا هادي لمن أضل الله ولا مضل لمن هدىٰ وقد كتبت عن حسن القصد وصلاح السريرة كتابًا منذ سنوات بعنوان «يوم تبلىٰ السرائر» نصحت فيه نفسي وإخواني المسلمين، ونبهتُ فيه إلىٰ ضرورة العناية بالقلب وأعماله وإصلاح ما فسد من أعماله.

وأما صحة الفهم: فهو موضوع هذه المقالة وهدفها، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالىٰ أنه يقوم علىٰ ركنين:

- **الأول** : فهم الواقع الذي يراد الحكم عليه والموقف منه.
- **والثاني**: فهم الواجب في هذا الواقع، وهو فهم حكم الله تعالىٰ الذي يحكم به علىٰ لسانه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ علىٰ هذا الواقع أو علىٰ نظائره وتطبيق أحدهما علىٰ الآخر.

- **العلوم الضرورية لصحة الفهم والفقه في النوازل:**

- إن الفقه والفهم الصحيحين في النوازل والموقف منها لا يتحقق - بعد توفيق الله عَزَّوَجَلَّ - إلا بالعلوم الآتية:

١- العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وبأسمائه الحسنىٰ.

٢- العلم بالسنن الإلهية.

٣- العلم بفقه الموازنات والأولويات وفقه المآلات.

العِلمُ الأَوَّلُ

العِلْمُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وبِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى

وما تقتضيه من الخلق والأمر، المستلزمان لتوحيده سبحانه وحده لا شريك له قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وهذا العلم هو أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم، ولا أشرف ولا أعظم ولا أجلَّ من الله عَزَّ وَجَلَّ، وعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وتوحيده والبراءة من الشرك وأهله والموالاة والمعاداة فيه هو أول الواجبات.

والعلم بالله عَزَّ وَجَلَّ وبأسمائه وصفاته هو أصل العلوم ومنطلقها الذي يجب أن تنطلق منه وتحاكم إليه الوقائع وتفسر به الأحداث في ضوئها.

ولبيان ذلك أقول وبالله التوفيق:

إن كل ما جرىٰ وما يجري وما سيجري من أحداث ونوازل عظيمة علىٰ هذه الأرض ومنها بلدان المسلمين إنما يقع ويتم بعلم الله عَزَّ وَجَلَّ وكتابته لها ومشيئته وتدبيره لها فالخلق خلقه والملك ملكه ولا يجري شيء في ملكه سبحانه إلا بعلمه وإرادته وتدبيره وحكمته سبحانه، قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] .

وقال سبحانه عن علمه ومعرفته وحكمته ورحمته في تسليط أعدائه علىٰ أوليائه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي ضوء هذه الآيات ومثيلاتها يتبين للمسلم العالم بالله عَزَّوَجَلَّ وبأسمائه وصفاته أن ما يجري اليوم من أحداث مؤلمة ونوازل عظيمة في بلدان المسلمين إنما وقعت بعلم الله عَزَّوَجَلَّ وكتابته لها ومشيئته وخلقه لها، وله سبحانه الحكمة البالغة في خلقه وأمره، ومن ذلك ما نشهده من صراع بين الحق والباطل، وما تمخَّض عن ذلك من آلام وآمال وأحداث ونوازل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «وأسماؤه الحسنىٰ تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضي الموجب لموجَبه ومقتضاه، فلابد من ظهور آثارها في الوجود؛ فإن من أسمائه: الخلَّاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل... إلىٰ سائر الأسماء.

ومنها: الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ فخلقه وأمره صَدَرَا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين الاسمَيْن المتضمنَيْن لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن سبحانه بينهما عند ذكر إنزال كتابه وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر

الخلق والأمر»[١].

ومشيئة الله عَزَّوَجَلَّ صادرة عن حكمة بالغة وعلم شامل، والعارفون لربهم سبحانه ولأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ يوقنون بذلك؛ ولذا فهم يحسنون الظن بربهم ويحمدونه علىٰ كل ما يقدِّره، ويوقنون بأن أسماءه وصفاته وأفعاله كلها حسنىٰ، ممتثلين لأوامره الشرعية مجتنبين لما ينهاهم عنه، وذلك لكونها من الأسباب الشرعية التي أمرهم الله بها لجلب خيري الدنيا والآخرة، ودفع شري الدنيا والآخرة.

إن ما تشهده بلدان المسلمين من حوادث جسيمة ومحن شديدة وغزو مكثف متنوع من أعداء الدين من الكفار والمنافقين آلت ببعض المسلمين إلىٰ حالة من اليأس والإحباط أثار في النفوس وساوس وشبهات وشكًّا في وعد الله عَزَّوَجَلَّ، وتساؤلات مفادها: ألسنا مسلمين؟ أليس أعداؤنا هم أعداء الله من الكفار والمنافقين؟ أليس الله علىٰ كل شيء قدير؟ فلماذا لا ننتصر عليهم؟ ولماذا يمكَّن لهم علينا؟ وغير ذلك من السؤالات التي تنمُّ عن خلل في الفهم وضعف إيمان، وإساءة ظن بوعد الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه التساؤلات: إما بلسان الحال أو لسان المقال.

ومنشأ مثل هذه الظنون إنما هو الجهل بالله عَزَّوَجَلَّ والجهل بأسمائه الحسنىٰ ومعانيها وآثارها.

والمقصود: أن العلم بأسماء الله الحسنىٰ هو أشرف العلوم وأنفعها للعبد المؤمن، وهو من العلوم الضرورية التي لا غنىٰ للمسلم عنها، وهو يواجه

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥٦٤).

الأحداث والنوازل والابتلاءات لكي تسكب في قلبه الطمأنينة والسكينة والميزان القسط وإحسان الظن بالله تعالىٰ والتفاؤل مما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ، واليقين بأن فيها الحكمة والرحمة واللطف والعدل، وأن فيها الخير للمؤمنين والمحق للكافرين، وهذا مما لم يوفَّق إليه الماديون الغافلون فهم في ريبهم يترددون.

كما أن الفقه في أسماء الله الحسنىٰ وما تثمره في القلوب من المحبة لله تعالىٰ ومحبة ما يحب ومن يحب وبغض ما يبغض ومَن يبغض- كل هذه الثمار من شأنها أن تقوي عقيدة الولاء والبراء في قلب المسلم، وأن ينظر إلىٰ نفسه وهو يواجه الأحداث والنوازل، أين يقف؟ ومع من يقف؟ ولمن يعطي ولاءه وبراءته؟ وفي أي خندق يصطف؟

تنبيه:

لا يُفهم من الإيمان بقضاء الله وقدره علمًا وكتابة ومشيئة وخلقًا أن يستنيم المسلم ويرضىٰ بالمهانة والذلة والتبعية للشرق أو الغرب الكافرَيْن، كلَّا؛ فإن هذا مما يمقته الله عَزَّوَجَلَّ، والواجب علىٰ المسلم أن يدافع أقدار الله بأقدار الله فيدفع عدوان الكافرين بدفعهم وجهادهم، ويدفع إفساد المفسدين بالإصلاح وبيان سبيل المجرمين، تمامًا كما يدفع قدر الجوع بالأكل وقدر المرض بالتداوي، قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤].

❊ ❊ ❊

العِلْمُ الثَّانِي
الْعِلْمُ بِالسُّنَنِ الإِلـهِيَّةِ

إن العلم بالسنن الإلهية من أعظم العلوم التي لا غنىٰ للمسلم عنها في مواجهة الأحداث والنوازل وتقلُّباتها؛ لأنه بهذا العلم يهديه ربه إلىٰ المواقف والأحكام والتفسيرات والموازين الصحيحة، وبدونه يحصل الاضطراب والخلل والانحراف.

ويعني بالسنن: تلكم الموازين والنواميس الثابتة التي يدبر الله عَزَّوَجَلَّ بها خلقه وأمره ويسير بها نظام ملكوته في السموات والأرض، وتلكم السنن المطردة والموازين الثابتة التي مَن تعرَّف عليها وسار في حياته وأحكامه ومواقفه وتفسيراته في ضوئها فلن يضل ولن يتخبط بإذن الله تعالىٰ، بل إنه يكون علىٰ صراط مستقيم؛ لكونه سار منسجمًا مع هذه السنة مهتديًا بها غير مصادم لها ولا غافل عنها.

وسنن الله عَزَّوَجَلَّ ونظامه الذي يدبر به هذا الكون العظيم لا طاقة لعقول العباد بالإحاطة به، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يمنُّ علىٰ مَن يشاء من عباده بمعرفة ما يحتاجه منها في عمارة هذه الأرض، كما يحب الله عَزَّوَجَلَّ من القيام بعبادته سبحانه والدعوة إليه والجهاد في سبيله وما يقتضيه ذلك من سنن المدافعة والابتلاء والصراع بين الحق والباطل والثواب والعقاب.

وقد حفل القرآن العظيم بكثير من هذه السنن الربانية والنظم الإلهية.

ومن ذلك: سننه سبحانه في الخلق والأمر والهدىٰ والضلال وفي الأرزاق والآجال وفي نصر المؤمنين وإهلاك الكافرين... وغيرها من السنن والتفسيرات الربانية التي فيها الإجابات المريحة لما يحتاج العباد إلىٰ معرفته مما لا سبيل لهم إلىٰ معرفته إلا عن طريق هذا الكتاب الكريم.

وقد فَقِهَ الصحابة رضي الله عنهم هذه السنن وساروا في ضوئها ففتح الله علىٰ أيديهم الدنيا وأوصلوا نور الإسلام وهدىٰ القرآن إلىٰ العالمين فعاشوا في ظله منعمين آمنين، وكان من نجباء الصحابة رضي الله عنهم الذين فقهوا هذه السنن الإلهية وعملوا بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان من فقهه لسنن الله عز وجل في النصر والهزيمة: وصاياه لجنود المسلمين؛ حيث يدعوهم بأن يحذروا الذنوب وأنها عنده أخوف من عدوهم وعددهم وعتادهم، وأنها هي سبب الهزائم والفشل.

ومن فقهه أيضًا رضي الله عنه لسنن الله عز وجل في قضائه وقدره: قصته المشهورة حينما ذهب إلىٰ الشام وأُخبر بانتشار الطاعون فيها.

روىٰ البخاري رحمه الله تعالىٰ في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم.

قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد

خرجت لأمر ولا نرىٰ أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرىٰ أن تقدمهم علىٰ هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء فنادىٰ عمر في الناس: إني مصبح علىٰ ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله؛ أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عُدوتان إحداهما خصبة والأخرىٰ جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟! قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[1].

فما أحوجنا في هذا الزمان الذي غفل فيه أكثر الناس عن تدبُّر سنن الله عَزَّ وَجَلَّ والسير في ضوئها إلىٰ العناية بهذا العلم العظيم النافع لاسيما في واقعنا المعاصر الذي برزت فيه أحداث جسيمة ونوازل عظيمة أحاطت بالإسلام وأهله.

تعريف «السنة الإلهية»:

«**السنن**» جمع سنة وهي في اللغة: الطريقة والعادة المطَّردة حسنة كانت أو قبيحة.

---

(١) البخاري (٥٧٢٩)، مسلم (٢٢١٩)

وفي «**النهاية**» **لابن الأثير**: «والأصل في هذا اللفظ: الطريقة والسيرة وفي حديث المجوس «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»؛ أي: خذوهم علىٰ طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية منهم مجراهم».

وقال الفيروزابادي في معنىٰ «السنة»: «والأصل فيها الطريقة والسيرة، ومنه قول النبي ﷺ: «**من سن سنة حسنة**»، أي: طرق طريقة حسنة، وسنة النبي ﷺ طريقته التي كان يتحراها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسنة: هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول؛ ولهذا أمر الله تعالىٰ بالاعتبار»(١).

والحاصل: أن هذه الكلمة يدور معناها علىٰ معنىٰ «الطريقة المطردة» فيكون معنىٰ «سنة الله» هي الطريقة والقانون المطرد الذي تخضع له جميع الكائنات؛ أي: أنه النظام والقانون الذي يدبر الله عز وجل به خلقه وأمره بعلمه وقدرته وعزته وحكمته ورحمته قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله تعالىٰ في كتاب «السنن الإلهية»: «إن هذا العالم بكل ما فيه ومَن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية، وما يصدر عن هذه الموجودات وما يتعلق بها ويحل فيها، وما يقع من

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٠).

حوادث كونية كنزول المطر وهبوب الريح وثوران بركان وتعاقب الليل والنهار، وما يحصل للإنسان من أطوار خلقه وتكوينه في بطن أمه، وما يحدث له وللأمة من شقاء وسعادة ورفعة وسقوط وعلو وانحطاط وقوة وضعف وبقاء وفناء ونحو ذلك -كل ذلك الذي ذكرنا- وجوده وحدوثه في العالم لا يقع صدفة ولا خبط عشواء، وإنما يقع ويحدث وَفق قانون عام دقيق صارم، بتدبير من الله عَزَّ وَجَلَّ ناشئ عن قدرته سبحانه وحكمته وعلمه ورحمته وعزته، لا يخرج عن أحكامه ذرة في الأرض ولا في السماء...».

إلىٰ أن قال:

«أقسام «السنة الإلهية»:

- **«السنة الإلهية» لها وجهان:**

  - **الوجه الأول:** وهو القانون الذي تخضع له جميع الكائنات في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه، مثل نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حيًّا ونحو ذلك، وهذا الوجه من القانون العام وما يخضع له مما ذكرناه من الأمور المادية للكائنات، أقول: هذا الوجه من هذا القانون لا يختلف في وجوده أهل العلم بهذه الأمور المادية، ولا يختلفون في خضوع ما ذكرناه له.

ومن سمات هذا القانون العام في وجهه الأول: ثباتُه

واستمراره، بدليل اطِّراد أحكامه وسريانها علىٰ الحوادث والظواهر التي يحكمها هذا القانون، فالأرض تحيا بالمطر ويخرج به منها النبات، قال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس: ٣٣].

وكذلك جريان الشمس والقمر، وجريان الفلك في البحر وفقًا لهذا القانون العام.

ومما يدل علىٰ ثبات هذا القانون بوجهه الأول الذي نتكلم عليه: أن الله تعالىٰ يلفت الأنظار إلىٰ هذه الظواهر الكونية ويجعلها من الآيات الدالة علىٰ خالقيته وربوبيته لقوم يعقلون ويتفكرون، ولولا اطِّراد حدوثها مما يدل علىٰ خضوعها لقانون ثابت لَمَا صح لفت الأنظار إليها واعتبارها من آيات الله تعالىٰ.

فمن هذه الآيات: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومعرفة هذا القانون في وجهه الأول مباحة للجميع، ويمكن الحصول عليها من قِبَل المسلم والكافر، وأكثرهما جدية

ونشاطًا ونظرًا وبحثًا وسعيًا أكثرهما وقوفًا عليه وإحاطة بجوانبه وجزئياته؛ فهذا العلم مشاع للجميع ولا يختص المسلمون بشيء منه باعتبارهم مسلمين، اللهم إلا في القصد من تعلُّمِه وفي أوجه الانتفاع منه؛ لأن قصد المسلم وأوجه انتفاعه بالأشياء وبما يعلم، كل ذلك محكوم بحكم الشريعة الإسلامية؛ فما تبيحه أو توجبه فهو المباح أو الواجب، وما تنهىٰ عنه فهو المكروه أو الحرام، وهذا النوع من السنن يخرقها الله عَزَّوَجَلَّ لمن شاء من خلقه إذا شاء.

- **والوجه الثاني:** هو القانون العام الذي يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفرادًا وأممًا وجماعات، وأعني بخضوعهم له: خضوع تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب علىٰ ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء والعز والذل والرقي، والتأخر والقوة والضعف، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم وفقًا لأحكام هذا القانون بوجهه الثاني(١).

- **مما سبق ذكره فإنه يمكننا أن نقسم السنن الإلهية إلىٰ قسمين كبيرين:**

١- **السنن الكونية**: المشاهدة في الآفاق والأنفس، وكونها تخضع لنظام دقيق بتدبير العزيز الحكيم العليم الخبير الرءوف الرحيم، قال تعالىٰ:

(١) انظر: «السنة الإلهية» د. عبد الكريم زيدان (ص٢١).

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢].

٢- **السنن الاجتماعية:** وهي التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ **تحكم حياة البشر** ويسيِّر الله عَزَّوَجَلَّ أمورهم وأحوالهم بها؛ كسنن السعادة والشقاء، وسنن السراء والضراء، والهدىٰ والضلال، والهزيمة والنصر، والأسباب ومسبباتها، ويتسم هذا النوع من السنن بالثبات والاطراد والعموم والشمول.

فأما أنها ثابتة: لقوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وأما كونها مطردة: فلأنها لا تتخلَّف إذا توفرت شروطها.

ويدل علىٰ اطرادها: أن الله قص علينا قصص الأمم السابقة، وما حل بها من العقوبات لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطِّرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها، كما قال تعالىٰ معقبًا علىٰ ما حل بيهود بني النضير من الذلة والجلاء عن المدينة: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: ٢]؛ أي: احذروا أن تفعلوا فعلهم فيحل بكم ما حل بهم.

وأما كونها عامة: فلأن سنة الله عَزَّوَجَلَّ لا تحابي أحدًا وإنما يسري حكمها علىٰ الجميع؛ قال تعالىٰ: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣﴾ [القمر: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ

سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

ولولا ثبات السنن واطرادها وعمومها لما كان هناك معنىٰ في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل لهم، وهذا النوع من السنن لم يُعرف أن الله عَزَّوَجَلَّ خرقها لأحد من خلقه.

وتشترك السنن الكونية والاجتماعية في كونهما يتسمان بالثبات والاطراد، ولكنهما يختلفان -بالاستقراء- في كون السنن الكونية واضحة بينة مضبوطة يسهل التعرف عليها بحيث إذا عُرفت أمكن الحكم علىٰ نتائجها وميقات هذه النتائج؟ فالماء مثلًا يتجمد إذا بلغت برودته درجة معينة، ويغلي عند درجة معينة، ومن ذلك: معرفة كسوف الشمس والقمر ومواسم الأمطار وغيرها، وكذلك كون النار تحرق والجاذبية تجذب الأشياء من الأعلىٰ إلىٰ أسفل وهكذا.

كما يختلفان أيضًا فيما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه من أن سننه الكونية يخرقها الله إذا شاء سبحانه لمن يشاء من عباده؛ فالنار التي طبيعتها الإحراق تحولت إلىٰ برد وسلام علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، والرضيع في المهد من سننه سبحانه أنه لا يعلم شيئًا ولا يتكلم ولا يفهم، وأنه يولد من أب وأم فخرق الله عَزَّوَجَلَّ هذه السنة بميلاد عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير أب وكلامه في المهد.

وعن التوازن بين ثبات السنن الكونية وطلاقة المشيئة الإلهية يقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ: «المشيئة الإلهية طليقة لا يرد عليها قيد ما مما يخطر علىٰ الفكر البشري، وهي تبدع كل شيء بمجرد توجهها إلىٰ إبداعه، وليست هنالك قاعدة ملزمة ولا قالب مفروض تلتزمه المشيئة الإلهية، حين تريد أن تفعل ما تريد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ

أَرَدْنَهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

- قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٠].

- وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

- وقال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

وهكذا... وهكذا... مما يقرر طلاقة المشيئة الإلهية وعدم تقيدها بقيد مما يخطر علىٰ الفكر البشري مما يحسبه قانونًا لازمًا وحتمية لا فكاك منها.

وبين ثبات السنة وطلاقة المشيئة الإلهية يقف الضمير البشري علىٰ أرض ثابتة مستقرة يعمل فيها وهو يعلم طبيعة الأرض وطبيعة الطريق، وغاية السعي وجزاء الحركة، ويتعرف علىٰ نواميس الكون وسنن الحياة وطاقات الأرض وينتفع بها وبتجاربه الثابتة فيها بمنهج علمي ثابت، وفي الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله معلق القلب بمشيئته لا يستكثر عليها شيئًا ولا يستبعد عليها شيئًا ولا ييئس أمام ضغط الواقع أبدًا، يعيش طليق التصور، غير محصور في قوالب حديدية يضع نفسه فيها ويتصور أن مشيئة الله سبحانه محصورة فيها، وهكذا لا يتبدد حسه ولا يضمر رجاؤه ولا يعيش في إلف مكروه»(١).

(١) انظر: «خصائص التصور الإسلامي» سيد قطب (ص١٢٢).

الصيغ الواردة في القرآن للفظ السنن:

١- ورد ذكر السنن في القرآن بالصيغة الصريحة بلفظ السنة أو السنن كما في قوله تعالىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣] وهذه الصيغة كثيرة في القرآن.

٢- كما ترد بناء علىٰ وصف معين أو حالة معينة أو بناء علىٰ سبب أو شرط كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف: ٥٩] .

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

ووصفها أحيانًا بأيام الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ [إبراهيم: ٥].

٣- غالبًا ما يتقدم ذكر السنة قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

وقوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

مِنْ ثَمَرَاتِ التَّعَرُّفِ عَلَى السُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ:

إن من علامات توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لعبده المؤمن أن يرزقه معرفة ربه سبحانه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ وما تقتضيه من الخلق والأمر، ومعرفة ما تقتضيه من السنن الثابتة والحكم البالغة والرحمة المسداة والقدرة والقوة العظيمة والعلم المحيط بكل شيء، ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل فيما نراه من الخلق والأمر والحوادث سننًا مطردة نستضيء بها ونكيِّف حياتنا لتنسجم معها ولا تصادمها، وهذا من تسخير الله عَزَّوَجَلَّ الذي يمنُّ الله به علىٰ خلقه قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣].

● **ويمكن إجمال الثمرات التي تدل على أهمية العلم بالسنن الإلهية فيما يلي:**

○ **أولًا:** إن معرفة السنن الإلهية هي من معرفة الدين، وهذه المعرفة ضرورة شرعية؛ لأنها تزيد من معرفة العبد لربه ومحبته وتعظيمه له ولأسمائه الحسنىٰ وآثارها ومقتضياتها فيزيد بذلك الإيمان.

«من الثمرات التي نجنيها من فهمنا لطبيعة السنن ثمرة الإيمان، بأن ندرك مثلًا أن هذا الكون ما كان له أن يقوم علىٰ هذه الصورة البديعة من التناسق والجمال والتوازن والاستقرار لو لم يكن خالقه ربًّا واحدًا وإلهًا حكيمًا عالمًا مريدًا، خبيرًا، قويًّا، عظيمًا، محيطًا بكل شيء، وقادرًا علىٰ كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **هذا من جهة.**

ومن جهة ثانية: فإن التوجيهات الإلهية للمؤمنين للتدبر والتفكر في سنن

الوجود، هي توجيهات دقيقة للعقل المؤمن ليتفتح علىٰ رصد الوقائع واستقراء الظواهر لمعرفة قوانين المادة والكشف عن أسرار الكون؛ إذ ما ينبغي أن يعرض عن ملاحظة دقيق صنع الخالق جل وعلا في الأرض والسماء بعد أن أمره بذلك ليتعرف علىٰ كمال الله تعالىٰ ودقيق صنعه، فيعبده علىٰ بينة وعلم، وليتعامل مع عالم الشهادة بإدراك قوانينه وتسخيرها(١).

- **ثانيـًا:** زيادة محبة الله ﷿ التي تثمرها معرفة سننه سبحانه وما تقتضيه من الرحمة والحكمة والعظمة وسعة العلم والقدرة والتدبير، وهذا يؤدي إلىٰ طمأنينة القلب وسكينته وثباته.

- **ثالـثًا:** إن التعرف علىٰ السنن الإلهية تدلنا علىٰ رحمة الله ﷿ بعباده؛ إذ إننا يمكننا بمعرفة السنن اختصار كثير من الجهود التي كان علينا أن نبذلها لفهم ما حولنا والتعامل معه، ولنتصور أن قانون إحراق النار أو قانون الجاذبية أو قانون تغير الحال إلىٰ الأحسن أو الأسوأ تبعًا لجهد الإنسان وسلوكه لم يكن ثابتًا ولا مطردًا فكيف ستكون حالنا إذن؟

  - **ومظهر آخر للرحمة في اطراد السنن:** هو أن التحول في أكثر الظواهر الاجتماعية يتم ببطء، وعمر الإنسان قصير إذا ما قِيسَ بعمر الحضارات؛ مما يجعله يبصر مقدمات الحدث دون نتائجه، ونتائجه دون مقدماته وأسبابه، وحينئذ فإن من السهولة بمكان أن يصاب المرء بغبش الرؤية وضلال الأحكام، والسنة بتجسيرها للعلاقة بين الماضي والحاضر

(١) انظر: «الإسلام وأزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق» أحمد كنعان (ص ١٠٥).

والمستقبل جعلت في إمكان المسلم أن يعرف النتائج من خلال الوقوف علىٰ الأسباب والمقدمات من خلال رؤية نتائجها»(١).

○ **رابعًا:** إن معرفة السنن في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ ضرورة لكي نفهم التاريخ علىٰ حقيقته، وأن نفسر أحداثه التفسير الصحيح والذي ينتج عنه الحكم الصحيح عليها وصوابية الموقف منها، وبفهم التاريخ في ضوء «السنة الإلهية» نستطيع التعرف علىٰ عوامل البناء والأمن والاستقرار وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف، علىٰ العكس ممن حرم معرفة هذه السنن وكان مبلغه من العلم تلك التفسيرات المادية الجاهلية، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧].

كما أنه بمعرفة سنن المدافعة بين الحق والباطل المتمثلة في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج: ٤٠]، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد أراد ذلك لحكم عظيمة - كل ذلك من شأنه أن يجعل المؤمن لا يُصدَم ولا يستغرب ما يقع من إدالة الكافرين علىٰ المؤمنين في بعض الأوقات فتثمر عند المؤمن طمأنينة وقوة وطاقة كبيرة لمواجهة الباطل وإحقاق

---

(١) انظر: مقال «ولن تجد لسنة الله تبديلًا» د. بكار مجلة البيان عدد (٥٦).

الحق الذي يقوي في المسلم قوة انتمائه للحق وأهله وتشعل فيه قوة المواجهة.

وبمعرفتنا من خلال السنن لأسباب الأمن والاستقرار والعيش الرغيد في الدنيا والآخرة، ولأسباب المصائب والشقاء والضيق نستطيع الأخذ بأسباب النجاة وتجنب الأخطاء وأسباب الهلاك، كما نستطيع معرفة أسباب النصر والتمكين وأسباب الهزائم والمذلة.

وهذا ما تثمره المعرفة بسنة الله عَزَّوَجَلَّ المتمثلة في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن»(١).

- **خامسًا:** إن المعرفة بالسنن الإلهية يفيد في تحليل الأحداث واستشراف المستقبل وأحداثه المتوقَّعة وتحليلاتها والإعداد الصحيح لمواجهتها.
- **سادسًا:** إن المعرفة بسنن الله عَزَّوَجَلَّ تضبط الإنسان في تفكيره وموازينه ونظرته للأحداث والنوازل وتقلباتها وموقفه منها، ومثل هذا يضفي علىٰ النفس الطمأنينة والثبات؛ فلا يتيه ولا يضطرب مع مَن يتيه ويضطرب

---

(١) «جامع الرسائل» (١/ ٥٥).

في المواقف والأحكام والموازين فلا تجده إلا قلقًا محتارًا.

ومثل العارف لسنن الله عَزَّوَجَلَّ السائر في ضوئها المنسجم معها: كمن يمشي في مفازة شاسعة ومعه نور وضوء يرىٰ به طريقه وما فيه من العثرات والعقبات ومعه الخريطة والبوصلة التي يهتدي بها في طريقه ليصل إلىٰ هدفه المنشود، وهذا يختلف عمن يضرب في هذه المفازة دون نور ولا خريطة ولا بوصلة فلا تسأل عن تخبُّطه وحيرته وضياعه في هذه المفازة، وعندما تنضبط الموازين والمواقف بمعرفة السنن الإلهية؛ فإن هذا يقود للمنهج الصحيح لتغيير ما بنا والنهوض من ضعفنا والتمكين لديننا مستعينين به سبحانه واضع السنن وخالق الأسباب ومسبباتها متعبدين له عَزَّوَجَلَّ بالخضوع لسننه والحركة بها، وبفعل الأسباب التي أمرنا بالأخذ بها متبرئين من الحول والقوة غير متعلقين بغيره سبحانه من الأسباب ونتائجها، وهذا من ثمار السنة الربانية المتمثلة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد:١١].

«والمسلم يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها، ويعمل وفق السُّنَّة لأنه مأمور بمراعاتها، لا لأنه يعتقد أن الأسباب والوسائل هي المنشئة للمسببات والنتائج استقلالًا؛ فهو يردُّ الأمر كله إلىٰ خالق الأسباب، ويتعلق به وحده من وراء الأسباب، بعد أداء واجبه في الحركة والسعي والعمل واتخاذ الأسباب طاعة لأمر الله؛ وهكذا ينتفع المسلم بثبات السنن في بناء تجاربه العلمية وطرائقه العملية، في التعامل مع الكون

وأسراره وطاقاته ومدخراته؛ فلا يفوته شيء من مزايا العلوم التجريبية والطرائق العملية، وهو في الوقت ذاته موصول القلب بالله، حي القلب بهذا الاتصال، موصول الضمير بالمشاعر الأدبية الأخلاقية، التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه، وتسمو بالحياة الإنسانية إلىٰ أقصىٰ الكمال المقدر لها في الأرض، وفي حدود طاقة الإنسان»[١].

- **سابعًا:** في معرفة السنن والسير علىٰ هداها اجتماع للكلمة ووحدة للصف؛ لأن فيها استعلاءً علىٰ أسباب الخلاف الجزئية أو النفسية للمحافظة علىٰ الكليات الأساسية المرتبطة بالسنن الإلهية.

- **مثال ذلك:** قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦] هذه سنة مطردة شاملة، وأصل من أصول النصر؛ فلا يجوز أن نضيعه للمحافظة علىٰ فروع مختلف عليها.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «خصائص التصور الإسلامي» (ص ١٢٥).

العِلْمُ الثَّالِثُ
العِلْمُ بِفِقهِ الموَازَنَاتِ وَالأَوْلوِيَّاتِ وَفِقْهِ المآلاتِ

إن هذا العلم الشريف لَمِنْ أهم علوم الشريعة ومقاصدها، وهو فقه لا يستغني عنه أحد من أهل الدنيا ولا من أهل الدين؛ حيث إن أهل الدنيا في تعاملاتهم ومؤسساتهم وتخطيطهم ومنهم أهل السياسة والحكم قد بنوا إداراتهم ومصالحهم علىٰ فقه الموازنات والأولويات، وبالجملة فالموازنة بين المصالح والمفاسد مركوز في الفطر ولاسيما المصالح الشخصية؛ فهو حقيقة شرعية وعقلية وبديهية.

أولًا: العلم بفقه الموازنات والأولويات:

فقه الموازنات أخص من فقه الأولويات، بمعنىٰ: أن فقه الموازنات فرع من فقه الأولويات؛ ذلك أن فقه الموازنات يبحث في الترجيح بين المتعارضات التي لا يمكن الجمع بينهما كتعارض المصالح مع بعضها حيث لا يمكن معها إلا تفويت الأخرىٰ؛ فحينئذ تفوت المصلحة الصغرىٰ للحصول علىٰ المصلحة العظمىٰ، وكذلك عندما يتعارض مفسدتان لابد من ارتكاب أحدهما فحينئذ تُرْتَكَبُ الصغرىٰ لتفويت الكبرىٰ، وكذلك عندما تتعارض مصلحة ومفسدة

فيكون درء المفسدة مقدمًا علىٰ جلب المصلحة، وذلك بعد التأكد من تحققهما في الواقع.

وأما فقه الأولويات: فهو يبحث في الترتيب بين المصالح ليتبين ما الذي ينبغي فعله منها وحقه التقديم علىٰ غيره أو لا، ثم ما ينبغي فعله ثانيًا وثالثًا حسب أهميته وتحققه في الواقع، وكذلك يبحث في الترتيب بين المفاسد فيتبين ما الذي ينبغي تركه أولًا ثم ثانيًا ثم ثالثًا، وقد يكون فقه الأولويات مبنيًّا علىٰ فقه الموازنات إذا كان هناك تعارض، وقد لا يكون مبنيًّا عليه عندما لا يكون هناك تعارض، وإنما حسب الترتيب، ومما يدخل في الأولويات التدرج في تطبيق الأحكام حسب أحوال المكلف وقدرته.

أنواع التعارضات في فقه الموازنات:

فقه الموازنات كما سبق ذكره هو الفقه الذي يبحث في الترجيح بين المتعارضات وماذا يؤخذ منها وماذا يترك، ولا تخرج هذه المتعارضات عن ثلاثة أنواع:

- **الأول:** تعارض مصلحتين بحيث لا يمكن الأخذ بأحدهما إلا بتفويت الأخرىٰ؛ فحينئذ تفوت المصلحة الصغرىٰ للحصول علىٰ المصلحة الكبرىٰ في نفعها وعمومها ودوامها بشرط تساويهما في تحققهما في الواقع، أما إذا كانت أحد المصلحتين حقيقية والأخرىٰ وهمية فتقدم الحقيقية علىٰ الوهمية، ولو كانت الوهمية هي الأكبر والأعم والأدوم نفعًا.

- **دليل هذا النوع من القرآن:** قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧] فهنا تعارضت مصلحة الإثخان وقتل الكفار وإرهابهم مع مصلحة أخذهم أسرىٰ والاستفادة من المال الذي يفدون به أنفسهم فقدمت مصلحة الإثخان لأهميتها وعظمها علىٰ مصلحة الفدية لصغرها.

- **ودليله من السنة:** تقديم مصلحة أداء الفرائض علىٰ مصلحة أداء النوافل قال ﷺ: «**قال الله عز وجل: من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه**»(١).

ومثاله في الواقع المعاصر: تقديم طاعة الوالدين علىٰ الجهاد الكفائي؛ لأن مصلحة طاعة الوالدين أعظم من مصلحة الجهاد الكفائي، بينما لو كان الجهاد عينيًّا كجهاد الدفع؛ فإنه يقدم علىٰ طاعة الوالدين؛ لكون مصلحة الجهاد العيني أعظم من مصلحة طاعة الوالدين؛ لأن مصلحة الجهاد عامة ومصلحة طاعة الوالدين خاصة.

وهنا قد يتبادر سؤال ألا وهو: في حالة كون الجهاد مختلفًا في حكمه هل هو كفائي أو عيني فهل يقدم علىٰ طاعة الوالدين؟

فهنا يقال: إن طاعة الوالدين مقطوع في وجوبها فتقدم علىٰ المظنون في وجوبها.

○ **الثانـي:** تعارض مفسدتين مع بعضهما؛ حيث ترتكب المفسدة الصغرىٰ لتفويت

---

(١) البخاري (٥/ ٢٣٨٤).

المفسدة الكبرىٰ إذا كانت درجة وقوعهما واحدة.

- **دليل هذا النوع من القرآن:** قوله تعالىٰ عن تعليل الخضر في خرق السفينة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩] فهنا ارتكب الخضر المفسدة الصغرىٰ وهي عيب السفينة بعيب لا يضرها ولا يتلفها لتفويت المفسدة الكبرىٰ وهي أخذ الملك الظالم للسفينة برمتها غصبًا وبالقوة.

- **ودليله من السنة:** تركه ﷺ قتل المنافقين وعلىٰ رأسهم عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول مع ظهور كفرهم ونفاقهم وتعليل ذلك بقوله ﷺ: «**كراهية أن يتحدث الناس بأن محمدًا يقتل أصحابه**»(١).

فهنا تعارضت مفسدتان: مفسدة ترك المنافقين يفسدون ومفسدة قتلهم لكون ذلك يفتن الناس ويظنون أن النبي ﷺ يغدر بأصحابه ويقتلهم لعدم علمهم بنفاق المنافقين؛ فكان أن ارتكب المفسدة الصغرىٰ وهي تركه قتل المنافقين لدرء المفسدة الكبرىٰ التي تترتب علىٰ قتلهم.

• **ومثال ذلك في الواقع المعاصر:**

إذا هجم الكفار علىٰ بلد من بلدان المسلمين وكان في هذا البلد سنة ومبتدعة من أهل القبلة والسنة بمجموعهم لا يستطيعون دفع العدو؛ فهل يتحالف ويتعاون أهل السنة مع المبتدعة ممن بدعته غير مكفرة في قتال الكافر المهاجم؟

---

(١) البخاري (٣٥١٨).

يبرز في هذا المثال مفسدتان متعارضتان لابد من ارتكاب إحداهما:

○ **الأولىٰ:** مفسدة هجوم الكفار وما يترتب عليه من احتلال البلاد وإفسادها وإعلان الكفر فيها لعدم القدرة علىٰ دفعهم من قِبَل أهل السنة بمفردهم.

○ **والثانية:** مفسدة الاستعانة والتحالف مع بعض أهل البدع لتشكيل قوة يدفع بها الكافر الصائل فأي المفسدتين أعظم وأكبر؟

لا شك أن مفسدة دخول الكفار للبلاد وإفسادها أعظم من مفسدة التعاون والتحالف مع المبتدعة في دفع الكافر ومنعه من دخول بلاد المسلمين، فهنا تُرتكب هذه المفسدة الصغرىٰ لتفويت المفسدة الكبرىٰ، وهذا ما قام به علماء المسلمين في حروبهم مع الكفار، كما حصل ذلك من شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ حينما خرج مع الأشاعرة وبعض الصوفية من غير المشركين في قتال التتار ومقابلة قازان ملك التتار؛ فردَّ الله بذلك الكفار بغيظهم عن بلاد المسلمين.

○ **الثالـث: تعارض مصلحة ومفسدة؛** وهنا ينظر إلىٰ درجة تحققهما في الواقع فتقدم الحقيقية علىٰ الوهمية، وإذا تساويتا في الحقيقة ينظر إلىٰ عظمهما فيؤخذ بالمصلحة الكبرىٰ ولو ترتبت عليها مفسدة صغرىٰ، وإن تساويتا في التحقق والأهمية فهنا يكون درء المفسدة مقدمًا علىٰ جلب المصلحة.

دليل هذا النوع من القرآن: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ فالمصلحة هنا

سب آلهة المشركين وتحذير الناس منها ولكن لما يترتب علىٰ تحقيق هذه المصلحة من مفسدة تتمثل في سب الله عَزَّوَجَلَّ جاء النهي عن ارتكاب هذه المصلحة وقدم درء المفسدة عليها.

- **ودليل هذا النوع من السنة:** قوله ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض...**» الحديث(١).

فهنا تعارضت مصلحة إعادة بناء الكعبة علىٰ قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمفسدة التي قد تنشأ من نكوص بعض المسلمين الذين هم حديثو عهد بشرك؛ فقدم درء هذه المفسدة علىٰ جلب المصلحة التي كان الرسول ﷺ يراها في هدم الكعبة.

- **ومثاله في الواقع المعاصر:** قيادة المرأة للسيارة وزجها في النوادي الرياضية؛ حيث إن المفاسد التي تترتب علىٰ ذلك كبيرة وكثيرة ومتحققة بحيث تربو علىٰ المصالح التي يدعيها المطالبون بقيادتها.

وعن فقه الموازنات يقول شيخ الاسلام رحمه الله تعالىٰ: «ولهذا جاءت الشريعة عند تعارض المصالح والمفاسد بتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وباحتمال أدنىٰ المفسدتين لدفع أعلاهما»(٢).

---

(١) مسلم (١٣٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣١/٩٢).

مؤهلات مَن يفتي في فقه الموازنات والأولويات:

١- لا يفتي في فقه الموازنات إلا العلماء الملمون بالشريعة ومقاصدها وأحكامها وأدلتها.

٢- أن يكون المفتي في فقه الموازنات علىٰ علم ودراية تامة بفقه الواقعة أو الواقعتين المتعارضتين، وملابسات وقوعهما، والظروف المحيطة بهما، وما يكتنفهما من مصالح ومفاسد، وأن يكون علىٰ دراية بتفاوت هذه المصالح والمفاسد من حيث الكبر والصغر، ومن حيث التحقق من التوهم، وكونها عامة أو خاصة.

٣- الإخلاص لله تعالىٰ في تطبيقات هذا العلم، والحذر من الهوىٰ وحظوظ النفس والتأويلات الباطلة، والخوف من الله تعالىٰ، والحرص علىٰ إرادة وجهه الكريم ورضاه، والانقياد للحق إذا بان واتضح، واستصحاب النصح للمسلمين وتحقيق المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم.

أمثلة على الخلل في الموازنات وترتيب الأولويات في واقعنا المعاصر:

يتميز عصرنا الحاضر بكثرة مشكلاته وهمومه ونوازله، وكثرة الواردات علىٰ التفكير من أمور وقضايا بعضها أهم من بعض، وبعضها يعارض بعضًا، وتتزاحم الواردات علىٰ الفكر حتىٰ لا يدري صاحب التفكير بأيِّها يبدأ، ولا أيَّها يترك عند التزاحم؛ ولذلك يقع كثير من الناس في الخلل الفكري والعملي في ترتيب هذه الأولويات؛ فيقدم الأقل أهمية علىٰ المهم، والمهم علىٰ الأهم، ويقدم الصغير التافه علىٰ الكبير الخطير؛ مما ينشأ عنه فوات مصالح كبيرة أو الوقوع في مفاسد كبيرة.

وقد قعَّد أهل العلم قواعد عظيمة مستنبطة من الكتاب والسنة يتم بها ترتيب الأولويات، وذلك عند تعارض المصالح بعضها مع بعض أو عند تعارض المفاسد، أو تعارض المصالح مع المفاسد.

وإذا تعارضت مصلحتان بأيهما يبدأ ويهتم؛ فإنه ينظر إلىٰ أيهما يغلب علىٰ الظن تحققه منهما فيأخذ بالغالب ويترك المتوهم؛ فإن تساويتا في درجة تحققهما فإنه ينظر إلىٰ أيهما أعظم خيرًا ومصلحة فيقدم المصلحة العظمىٰ علىٰ الأقل منهما.

وكذلك الحال في تعارض مفسدتين يخشىٰ من الوقوع فيهما؛ فإنه ينظر إلىٰ أيهما يغلب علىٰ الظن وقوعها فتدفع، وإن تساوتا في تحقق وقوعهما فإن المتعين حينئذ ارتكاب أهون المفسدتين لدفع أعظمهما.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ: «فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين؛ فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعًا، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعًا»(١).

ثم يضرب لهذه القاعدة مثالًا فيقول: «فإذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور إلا بضرر زائد علىٰ ضرر إمامته لم يجز ذلك، بل يصلىٰ خلفه ما لا يمكنه فعلها إلا خلفه؛ كالجُمع والأعياد والجماعة إذا لم يكن هناك إمام غيره؛

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٣).

ولهذا كان الصحابة يصلون خلف الحَجَّاج، والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما الجمعة والجماعة؛ فإن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فسادًا من الاقتداء فيهما بإمام فاجر، لاسيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجوره فيبقىٰ ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة»(١).

ينبغي أن يجلس كل واحد منا مع نفسه يفكر بما يعتقد أنه في مقدمة الأمور المهمة في حياته -وبالنسبة للمسلم فإن أهم شيء في حياته دينه ورضا ربه سبحانه-، لكن لو سأل الواحد منا نفسه بعد ذلك: هل أعطىٰ هذه الأمور التي هي أهم شيء في حياته الاهتمام والوقت اللازَميْن أم أنه أعطىٰ ما دون ذلك الاهتمام والوقت؟

إننا وللأسف نلحظ فجوة واسعة بين ما نعتقد أنه هو المهم في حياتنا وبين الأمور التي نعطيها فعلًا اهتمامنا وأوقاتنا.

• **ولتوضيح هذا الكلام أضرب لذلك الأمثلة التالية:**

◦ **المثال الأول: تقديم الدنيا علىٰ الآخرة وأمور الدين:** لقد خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ لغاية عظيمة: لنعبده ونوحده، ثم يميتنا، ثم يبعثنا ليوم الجزاء والحساب، ومن رحمته سبحانه أن سخر لنا ما في الأرض جميعًا لنستعين به علىٰ عبادته سبحانه، وإقامة دينه في الأرض، ومع هذا فقد انعكس الأمر عند أكثر الخلق، ولم يسلم منه كثير من المسلمين؛ فبدلًا من أن تكون الدنيا خادمة ومملوكة في

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٣).

سبيل عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، أصبحت مالكة مخدومة، ولو تعارضت مع الدين قدمت عند كثير من الناس علىٰ عبادة الله عَزَّوَجَلَّ ومرضاته، وبذلك تنقلب الأولويات لتصبح الغاية وسيلة والوسيلة غاية.

وإذا أردنا أن نختبر أنفسنا لنكتشف أهم الأمور التي تشغل تفكيرنا فلنسأل أنفسنا عن الأمور التي تحتل مكان الأولوية في اهتمامنا وتفكيرنا وما ترتيبها في سلم الأولويات، وعندئذ سيظهر التفاوت بين الناس، ويعرف كل شخص أهم الأولويات في تفكيره -سواء كانت خطأً أو صوابًا-، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان!

فمن الناس من يسيطر علىٰ فكره واهتمامه توافه الأمور من هذه الدنيا الفانية غافلًا عن عظائم الأمور في دينه وآخرته، وذلك كمن يسيطر علىٰ فكره مثلًا منزله الجديد، وما يحتاج إليه من أنواع الزخارف والألوان والكماليات وغيرها من التوافه التي تشغل فكره وتقوم وتقعد معه في اليوم والليلة، غافلًا عن مصاب المسلمين وجراحاتهم في كل مكان، غافلًا عن الموت والاستعداد للرحيل.

○ **المثال الثاني**: إن تربية الأولاد تربية إسلامية يدركون من خلالها لماذا خُلقوا فيعبدون ربهم ويستعدون ليوم رحيلهم ويتخلقون بالأخلاق الإسلامية الرفيعة ويجاهدون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ مهمة عظيمة.



وإن هذه المهمة لمن أهم المهمات وأوجبها علىٰ الآباء، ولكنَّ كثيرًا منا اليوم قد غفلوا عن هذه المهام العظيمة والتفكير فيها، وقدموا عليها ما هو أقل منها كالانشغال بالعمل والوظيفة والتجارة والانتدابات؛ فآثروها علىٰ جلوسهم مع أولادهم ليسمعوا منهم ويؤدبوهم ويربوهم.

- **ومن ذلك**: تقديم الانشغال في التفكير بدراسة الأولاد وطعامهم ولباسهم وصحتهم -مع أهميتها- علىٰ التفكير في دينهم وأخلاقهم وتربيتهم التربية الإسلامية التي تجلب لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

- **المثال الثالث**: بر الوالدين وخدمتهم واجب شرعي لا يُقدَّم عليه إلا ما هو أوجب منه؛ ومع ذلك نجد الكثير منا مَن يقدم بعض النوافل علىٰ طاعة الوالدين، أو ينشغل بأصدقائه أو ببعض جوانب الدعوة الكفائية عن خدمة والديه وإرضائهما، بل قد يقدم بعض التوافه من المباحات علىٰ هذا الواجب العظيم.

- **المثال الرابع**: في أداء الصلاة المكتوبة، أو النافلة نجد الكثير منا ينصرف بفكره عن عبادته العظيمة التي يناجي فيها ربه، ويشغل فكره بأمور الدنيا التي لا تساوي شيئًا عند تدبر الصلاة وأذكارها؛ ولذلك -والله أعلم- شرع لنا في الصلاة أن نقول: الله أكبر! بين كل ركن وآخر حتىٰ ينتبه الشارد ويرجع الفكر إلىٰ الأمر المهم، وكأنه يقول: الله أهم وأعظم وأكبر مما يشرد إليه الذهن

وينشغل به الفكر عن صلاته.

○ **المثال الخامس:** الانشغال عن النفس وإصلاحها ومحاسبتها والتفكير في عيوبها وآفاتها بالانشغال بالناس وعيوبهم.

○ **المثال السادس:** الخلل في ترتيب الاهتمام بالأوامر والمنهيات؛ حيث نجد من يعطي اهتمامه وأولوياته في النوافل من العبادات علىٰ حساب الفرائض والواجبات، أو يتورع ويسأل عن صغائر الذنوب والمكروهات مع تلبُّسه ببعض الكبائر من الذنوب، كمن سأل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أهل العراق عن نجاسة دم البعوض فقال لهم: «ما أسألَكُم عن الصغيرة وأجرَأَكُم علىٰ الكبيرة! تقتلون الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ وتسألون عن دم البعوضة»(١)!

- **ومثل ذلك:** من يهتم ببعض المنكرات الصغيرة فيهتم بها وبإنكارها وتحذير الناس منها، وهناك من المنكرات الكبيرة التي يلحق بعضها بالشرك والنفاق ولم تأخذ حظها من الإنكار والبراءة وبيانها للناس، وكمن يتمعر ويشتد علىٰ المظاهر التي تتعلق بالمرأة ولباسها وعملها ولا يكون هناك مثل هذا التمعر والإنكار علىٰ مَن يوالي الكفار ويظاهرهم علىٰ المسلمين.

وهنا تنبيه مهم: لا يفهم من الكلام السابق عدم العناية

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٨٥)، وصححه الألباني.

بالمستحبات أو التورع عن الشبهات والمكروهات، أو ترك المنكرات الجزئية دون إنكار، كلا؛ بل يجب علىٰ كل قادر الإنكار والتغيير حسب الاستطاعة، وإنما أردت الإشارة إلىٰ الخلل في ترتيب الأولويات في العبادات وإنكار المنكرات وأن تكون الأولوية عند التزاحم للأهم قبل المهم والكبير قبل الصغير، وإن جاء بالجميع فهذا هو الكمال.

- **قال بعض السلف:** «من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور»(١).

○ **المثال السابع:** الخلل في ترتيب الفروع والأصول حيث يوجد من يجعل جل اهتمامه وأولوياته بالمحافظة علىٰ الفروع والالتزام بها، ولو أدىٰ ذلك إلىٰ التفريط في بعض الأصول، وهذا خلل في معرفة الأولويات، فلو تعارض أصل وفرع فإنه ينبغي تقديم الأصل ولو فات الفرع أو ضعف.

- **وأوضح ذلك بمثال واقعي:** ألا وهو ذلك التفرق الداخلي بين بعض الجماعات الدعوية أو الجهادية بسبب الاختلاف علىٰ مسائل اجتهادية من فروع الدين لا تصل إلىٰ المعاداة والتفرقة، ومع ذلك نجد من يهدم أصل التجمع والحرص علىٰ الجماعة لأجل أن يحافظ علىٰ فرع، مع أن الأولىٰ المحافظة علىٰ اجتماع الكلمة ولو بقي الإختلاف في الفرع أو فات الفرع.

---

(١) «ولاية الله والطريق إليها» إبراهيم هلال (ص٤٠٤).

وهذا هو منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلىٰ خلف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيام الحج بمنىٰ وكان عثمان يتم الصلوات الرباعية ولا يقصرها مع أن قصرها هو السنة وهو الذي عليه أكثر الصحابة ومنهم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فكان يتم مع عثمان الصلاة فقيل له في ذلك فقال: «**الخلاف شر!**» فالأولىٰ عند عبد الله بن مسعود اجتماع الكلمة ولو فاتت بذلك سنة.

- **المثال الثامن**: تقديم الاهتمام بأعمال الجوارح علىٰ أعمال القلوب، مع أن عمل القلب هو الأصل لأعمال الجوارح؛ فمن الخلل في ترتيب الأولويات تقديم العناية بأعمال الجوارح الظاهرة علىٰ العناية بإصلاح القلب وأعماله والتخلص من آفاته ومفسداته.

- **المثال التاسع**: الخلل في ترتيب منازل الخصوم والأعداء؛ لأن الأعداء ليسوا علىٰ درجة واحدة، وليس انحرافهم علىٰ مرتبة واحدة؛ فخطورة الكافر والمنافق وعداوتهما ليست كالمبتدع من أهل القبلة، وخطورة الكافر تختلف أيضًا حسب شدة الكفر وإفساده؛ فالكافر المسالم ليس كالكافر المحارب الصاد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وفي ضوء هذه الأنواع من الكفرة وغيرهم نستطيع أن نحدد أولوياتنا فيمن نوجه إليه حربنا وصراعنا؛ لأنه كلما حصرت بؤرة الصراع وركز عليها كانت أشد أثرًا ونكاية في العدو، والعكس من ذلك فيما لو تعددت بؤر الصراع،

وبخاصة في مثل زماننا اليوم الذي ليس للمجاهدين فيه شوكة قوية تستعد لمواجهة أكثر من عدو وجبهة في وقت واحد؛ فتحديد الأولويات في جهادنا مع الأعداء أمر مهم ومطلوب حتىٰ لا نترك الأخطر ونشتغل بما دونه.

وهذا الأمر يحتاج إلىٰ فقه عميق بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وإلىٰ فقه بمقاصد الشريعة وترجيح خير الخيرين، ودفع شر الشرين.

- **وخير مثال لذلك:** موقف ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في تجييش الأمة بما فيها بعض المبتدعة كالأشاعرة والصوفية من أهل القبلة في حرب التتار الكفرة.

إن معركتنا اليوم في ظل هذه النوازل العظيمة التي تمر بالأمة ليست مع الجماعات الإسلامية التي عندها شيء من الإنحراف، وليست مع أهل البدع من أهل القبلة، ولكنها مع الكفرة والملاحدة الذين يريدون سحق الإسلام من جذوره ومسخ الهوية الإسلامية وعلىٰ رأسهم أمريكا الطاغية ومشروعها الإجرامي في حرب المسلمين السنة، وهذا لا يعني السكوت عن أخطاء أهل البدع بل يناصحون عليها، ولكن دون أن ننشغل بهم عن العدو الأعظم.

◦ **المثال العاشر**: الخلل في ترتيب الحقوق بحيث لا يتقدم حق علىٰ حق آخر؛ فقد يجد المسلم لذة وأنسًا في عبادة من العبادات قد تُنسيه أو

تجعله يغفل عن عبادة أخرىٰ أو حق آخر يتعلق بحقوق العباد هو أوجب عليه وأَحَبُّ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأرضىٰ له سبحانه.

- **وخير مثال لذلك**: ما جاء في الرواية الصحيحة التالية: عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: آخىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأىٰ أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كُلْ فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتىٰ تأكل؛ فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلِّيَا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه؛ فأتىٰ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدق سلمان**»(١). وزاد الترمذي فيه: «**ولضيفك عليّك حقًّا**»(٢) .

المثال الحادي عشر: وهذا المثال كان الأولىٰ في حقه التقديم علىٰ كل ما سبق من الأمثلة، ألا وهو الخلل في ترتيب الأهم والمهم في دعوة الناس؛ حيث نجد من بعض الدعاة أو بعض الجماعات الإسلامية من لا عناية له بأمر العقيدة والتوحيد وما يضاده

---

(١) «أخرجه البخاري في الأدب، باب: صنع الطعام.

(٢) الترمذي في الزهد، باب: «أعط كل ذي حق حقه».

من الشرك، ويقدم علىٰ ذلك ما هو دون ذلك كالدعوة إلىٰ فضائل الأعمال والأخلاق والأحكام، مع أن النبي ﷺ يوصي دائمًا رسله الذين يرسلهم يدعون الناس في الآفاق إلىٰ أن يكون أول ما يدعوهم إليه عبادة الله وحده لا شريك له وتوحيده.

ومن هذا: ما رواه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتَهم فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ علىٰ فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجابٌ**»(١).

وعن التفاوت بين العبادات وكيف يرتبها المسلم حسب الأولوية عند التزاحم يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «**والأفضل** في وقت حضور الضيف مثلًا القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

---

(١) البخاري (٤٣٤٧).

- **والأفضل** في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار...
- **والأفضل** في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن...
- **والأفضل** في أوقات ضرورة المحتاج إلىٰ المساعدة بالجاه، أو البدن أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفه، وإيثار ذلك علىٰ أورادك وخلوتك...
- **والأفضل** في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد -لاسيما التكبير والتهليل والتحميد- فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.
- **والأفضل** في العشر الأخيرة من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتىٰ إنه أفضل من الإقبال علىٰ تعليمهم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.
- **والأفضل** في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك علىٰ خلوتك وجمعيتك...
- **فالأفضل** في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت

ووظيفته ومقتضاه»[(١)].

• **ويضاف إلىٰ ما ذكره ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- الأمثلة التالية:**

- إذا ضاق وقت صلاة حاضرة وفائتة فيقدم أداء الحاضرة علىٰ الفائتة في الأداء.
- إذا تزاحم واجب بأصل الشرع وواجب بالنذر قدم الواجب بأصل الشرع؛ كمن نذر أن يتصدق وعليه زكاة ولا يمكن أن يؤدي الواجبين معًا؛ فإنه يؤدي الزكاة ولو فات الوفاء بالنذر.
- **ومثال ذلك أيضًا:** لو ضاق الوقت علىٰ قضاء رمضان وهناك نذر صوم فعليه أن يقدم القضاء علىٰ النذر.
- لو تزاحم واجب عيني متعلق بمصلحة عامة للمسلمين مع واجب عيني متعلق بمصلحة خاصة؛ فإن الواجب العام مقدم علىٰ الخاص، كما لو تعارض أداء الجهاد العيني مع طاعة الوالدين.
- لو تعارض واجب مقطوع بوجوبه مع واجب مختلف في وجوبه؛ فإن الواجب المقطوع بوجوبه يقدم علىٰ المختلف في وجوبه، كما لو تعارض الجهاد المختلف في وجوبه مع طاعة الوالدين المقطوع بوجوبها.

ثانيًا: العلم بفقه المآلات:

وهذا العلم من العلوم المهمة الشريفة التي تهدي صاحبها -بإذن الله تعالىٰ-

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨٨-٨٩) باختصار.

إلىٰ السداد والصواب في الأحكام والمواقف، وفي الغفلة عنه وعدم العناية به يكون التخبط والشرور والعواقب السيئة، فتكثر المواقف والأحكام الخاطئة التي يتسرع فيها أصحابها كانت نتيجة ردود أفعال غير مـدروس عواقبها ومآلاتها وإن عدم الأخذ بفقه المآلات، أو التهاون فيه لا يتوقف ضرره علىٰ التخبط والأخطاء في مجال الأحكام الفقهية فحسب، بل قد يتجاوزه إلىٰ العقائد وما قد تتضرر به عقيدة الولاء والبراء من جراء إغفال هذا العلم الشريف.

ومَن تأمل ما جرىٰ علىٰ الإسلام وأهله من الفتن الكبرىٰ والصغرىٰ قديمًا وحديثًا يرىٰ أن أغلبها جاء من إضاعة هذا الأصل، وأن الحاجة إلىٰ الفقه فيه ماسة وضرورية لتخليص الأفكار والمواقف من النزعة الشكلية وردود الأفعال المتسرعة التي تشكل عقبة في المواجهات الفعالة(١).

وعن أثر ردود الأفعال علىٰ المآلات وأثر القرآن والسنة في تهذيبها وترشيدها يقول د. جمال نادي حفظه الله تعالىٰ: «القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة جاءت بتوجيهات دقيقة جامعة مانعة في نشر الخير وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وتربية الدعاة علىٰ أن تكون أفعالهم وردود أفعالهم وليدة التأني والتفكير في المآلات والعواقب، بدل الحماسة المفرطة التي توصل صاحبها إلىٰ حد التهور أو السطحية التي تفضي بصاحبها إلىٰ الهلاك.

- **ثم قسم الناس في مراعاتهم لمآلات الأفعال في ردود الأفعال من عدمها فقال:**

◦ **الأول:** أن يتخذ رد الفعل دون تفكير في نتائجه ومآلاته وما يحدثه من ردود أفعال ممكنة.

---

(١) انظر: «في مآلات الأفعال». د حسن ابراهيم: مجلة البيان عدد (٣٩).

○ **الثاني**: أن يتخذ مع تفكير في بعض مآلاته دون الأخرىٰ أو تغليب جانب من المآلات وإهمال أخرىٰ.

○ **الثالث**: أن يتخذ مع تفكير جدي في كل أو جل مآلاته الممكنة والمحتملة[١].

والعلم بفقه المآلات ينبني عليه قواعد شرعية من أهمها (قاعدة سد الذرائع) التي عظم أهل العلم شأنها ووصفها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ بأنها تمثل ربع الشريعة وذلك في قوله رحمه الله تعالىٰ: «وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف؛ فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه والثاني: وسيلة إلىٰ المقصود.

والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلىٰ المفسدة؛ فصار سد الذرائع المفضية إلىٰ الحرام أحد أرباع الدين»[٢].

• **والأدلة علىٰ هذه القاعدة من القرآن الكريم كثيرة أشهرها:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالىٰ أمثلة لهذه القاعدة أوصلها إلىٰ تسعين وجهًا من القرآن والسنة[٣].

---

(١) انظر: مقال «أسس ترشيد العقل الدعوي»: مجلة البيان عدد (٢٠١).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣ / ٢٠٨).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢١٠).

واعتبار المآلات أصل من أصول الفقه جار علىٰ مقاصد الشريعة؛ لأنه يحدد كثيرًا من المواقف والممارسات متىٰ نُقْدِم، ومتىٰ نحجم، متىٰ نصرح ومتىٰ نلمح، متىٰ نداري ومتىٰ نواجه... إلخ.

وينبه الشاطبي رحمه الله تعالىٰ إلىٰ ضرورة اعتبار المآلات في فتوىٰ المجتهد فيقول: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يجتهد علىٰ فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلىٰ ما يئول إليه فعله»(١).

ويقول أيضًا: «وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود الغِبِّ جار علىٰ مقاصد الشريعة»(٢).

ويعلق الأستاذ الريسوني علىٰ كلام الشاطبي فيقول: «أي: أن المجتهد حين يجتهد ويحكم ويفتي عليه أن يقدر مآلات الأفعال التي هي محل حكمه وإفتائه، وأن يقدر عواقب حكمه وفتواه، وألا يعتبر أن مهمته تنحصر في «إعطاء الحكم الشرعي»، بل مهمته أن يحكم في الفعل وهو يستحضر مآله أو مآلاته، وأن يصدر الحكم وهو ناظر إلىٰ أثره أو آثاره، فإذا لم يفعل، فهو إما قاصر عن درجة الاجتهاد أو مقصر فيها، وهذا فرع عن كون «الأحكام بمقاصدها».

فعلىٰ المجتهد الذي أقيم متكلمًا باسم الشرع أن يكون حريصًا أمينًا

---

(١) «الموافقات» (١/ ١٤٠).

(٢) «الموافقات» (٤/ ١١٠).

علىٰ بلوغ الأحكام مقاصدها، وعلىٰ إفضاء التكاليف الشرعية إلىٰ أحسن مآلاتها»(١).

• **والأعمال بالنسبة لمآلاتها أربعة أقسام:**

◦ **الأول:** مايكون أداؤه يئول إلىٰ الفساد قطعيًّا؟ كمن حفر بئرًا مكشوفة في طريق المسلمين؛ فهذا ممنوع بالإجماع.

◦ **الثاني:** ما يكون أداؤه إلىٰ المفسدة نادرًا؟ كزراعة العنب مع أنه قد يُتَّخذ خمرًا؛ فهذا حلال لا شك فيه.

◦ **الثالث:** ما يكون أداؤه إلىٰ المفسدة من باب غلبة الظن، كبيع السلاح وقت الفتن وبيع العنب للخمار؛ وهذا ممنوع أيضًا.

◦ **الرابع:** مايكون أداؤه إلىٰ المفسدة دون غلبة الظن كالبيوع التي تتخذ ذريعة للربا؛ وهذا موضع خلاف(٢).

والمتأمل في فقه المآلات يرىٰ أنه لا ينفك عن فقه الموازنات والأولويات التي سبق الحديث عنها؛ حيث إن كثيرًا منه مبني علىٰ قاعدة الترجيح بين المصالح والمفاسد وأيهما أولىٰ بالتقديم والارتكاب حسب درجة تحققهما في الواقع وحسب أهميتهما.

- **ومن ذلك:** إنكار المنكر وأن غايته إزالته أو تخفيفه أو حدوث المعروف، فإذا كان الإنكار سيؤدي إلىٰ منكر أكبر منها فإنه لا يسوغ إنكاره.

---

(١) انظر: «المقاصد عند الإمام الشاطبي» (ص ٣٥٣).

(٢) انظر: «أصول الفقه» لأبي زهرة (ص ٢٨٩).

- **ويتضح من هذا:** أن القواعد الشرعية مرتبطة بعضها ببعض، والفقه في إنكار المنكر وما يئول إليه يمكن إدخاله تحت فقه المآلات، كما أنه يدخل تحت قاعدة سد الذرائع كما سبق ذكره، ويمكن أن يندرج أيضًا تحت قاعدة «تغيير الفتوىٰ بتغير الحال والزمان والمكان».

وهذا هو الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ يحذر من مكر وخداع بعض المستفتين الذين يسعون إلىٰ توجيه فتوىٰ المفتي وتوظيفها في تحقيق المقاصد والمآلات التي يريدونها؛ فإن لم يتفطن المفتي إلىٰ مآلات فتواه وإلىٰ هذه المقاصد الفاسدة التي يريدها المخادعون في تحقيق مآربهم الفاسدة فإنه يَضل ويُضل.

قال رحمه الله تعالىٰ: «يحرم عليه -أي: علىٰ المفتي- إذا جاءته مسألة فيها تحيُّل علىٰ إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها ويرشده إلىٰ مطلوبه أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلىٰ مقصوده، بل ينبغي له أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها ظاهرٌ جميل، وباطنها مكرٌ وخداعٌ وظلم! فالغِرُّ ينظر إلىٰ ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينقد مقصدها وباطنها.

- **فالأول:** يروج عليه زَغَل المسائل كما يروج علىٰ الجاهل بالنقد زَغَل الدراهم.
- **والثاني:** يُخرج زيفها كما يُخرج الناقد زيف النقود.

وكم من باطلٍ يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق،

وكم من حقٍّ يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل! ومن له أدنىٰ فطنة وخبرة لا يخفىٰ عليه ذلك، بل هذا أغلب أحوال الناس، ولكثرته وشهرته يستغني عن الأمثلة، بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع كلها وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة، وكسوها ألفاظًا يقبلها من لم يعرف حقيقتها»(١).

أمثلة معاصرة على عدم اعتبار المآلات:

وهذه بعض الأمثلة من واقعنا المعاصر يظهر فيها الخلل الناشئ من عدم العناية بفقه المآلات في المواقف والأحكام:

○ **المثال الأول**: الاستعجال في المواجهة المسلحة مع الباطل وأهله بحجة ظهور الكفر البواح دون دراسة المفاسد والمآلات السيئة لهذه المواجهة، والغفلة عن مثل هذه المآلات إنما تنشأ في الحماسات غير المنظبطة بالشرع ولا بالعقل، إنما هي ردود أفعال متسرعة.

• **ومن المآلات الفاسدة التي تنجم عن المواجهة غير المدروسة ما يلي:**

١- الفتن والمفاسد الكبيرة في الأرواح والأموال وقد تمتد إلىٰ الدين والأعراض، وذلك من عدم توفر القدرة والإعداد من جميع جوانبه (الإيماني – العلمي – المالي – المادي من عدد وعتاد).

٢- نظرًا لعدم الكفاية في بيان سبيل المجرمين وبيان الباطل وأهله فقد يغتر بعض الناس بالباطل وتلبيسه وإعلامه وما يقوم به من قلب للحقائق

(١) «أعلام الموقعين» (٤/ ٢٢٩).

وتصوير الحق وأهله في صورة باطل والباطل في صورة الحق؛ مما يكون له الأثر في تمسك الناس بالباطل ووقوفهم أمام الحق وأهله بحجة أنهم دعاة فتنة وإرهاب كما يصورها إعلام الباطل، فإذا تسرع أهل الحق في مواجهة الباطل وأهله قبل أن يتعرىٰ الباطل للناس فقد يجد أهل الحق أنفسهم أمام فئام من الناس قد غُرِّر بهم فيحصل فتنة كبيرة بين المسلمين، ويستغل أهل الباطل ذلك في مزيد من التشويه للحق وأهله ويقولون: انظروا إنهم إرهابيون يقتلون الأبرياء ويسعون في الأرض فسادًا. والنظر إلىٰ هذه المآلات معتبر وواجب حتىٰ لا تكون فتنة. وهنا أذكر بقول الرسول ﷺ عندما ترك قتل المنافقين مع إظهارهم للنفاق: «**كراهية أن يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه**».

- **المثال الثاني:** الغلو ظاهرة مرفوضة ومذمومة شرعًا وعقلًا وفطرة، ولكن الحديث المكثف والمبالغ فيه اليوم عن (الغلو والغلاة) قد تجاوز فيه المتحدثون حد الاعتدال، وكأنه لا يوجد في واقع المسلمين من الخلل والمصائب إلا الغلو وكأنه ظاهرة مستحكمة، إن تكرار الحديث في المقالات والكتب والإذاعات والمقابلات عن هذه الظاهرة وتضخيمها قد أدىٰ وآل إلىٰ ثلاثة أمور خطيرة غفل عنها كثير من الطيبين المشاركين في نقد الغلو:

١- لقد أُدخل في الغلو ما ليس منه بل أُدخل فيه أمور من ثوابت الدين وأصوله، ونظرًا لربط الحديث في الغلو بالتكفير والجهاد

والحكم بما أنزل الله ومظاهرة الكفار علىٰ المسلمين والولاء والبراء؛ فقد أصبح الحديث عن هذه المرتكزات العقدية ضرب من ضروب الغلو ومَن يتحدث عنها فهو من الغلاة.

٢- الحديث عن الغلاة والمتطرفين أصبح حديثًا عالميًّا يردده إعلام الكفار من غرب وشرق وإعلام المنافقين المنتسبين للإسلام، ومقصدهم إلقاء هذا الوصف علىٰ كل مسلم ملتزم بدينه وعقيدته القائمة علىٰ الولاء والبراء التي تقتضي بغض الكافر وعداوته وجهاده ومحبة المسلم وموالاته؛ وحينئذ يجب علىٰ المتحدث عن الغلو والغلاة أن يحذر من أن يقدم خدمة للأعداء الكفرة وهو لا يشعر؛ فالأعداء يفرحون بما يقوله بعض الدعاة عن الغلو؛ حيث يوظفونها في عدائهم للإسلام الصحيح وليس لفئة غالية معينة، وهذا مآل خطير يجب أن يراعىٰ في الحديث عن ظاهرة الغلو.

٣- نظرًا للزخم الموجه علىٰ ظاهرة الغلو وحصرها في طائفة معينة؛ فإن هذا الأمر قد آل إلىٰ نسيان أو تناسي مظاهر من الغلو أكبر وأخطر من الظاهرة التي يتحدثون عنها؛ فأين الحديث عن غلو الكفرة في حربهم علىٰ المسلمين وتدمير ديارهم وأطفالهم ونسائهم، وأين الحديث عن غلو المنافقين العلمانيين وما يريدونه من شر وتغريب لأمتهم، وأين الحديث عن الغلو فيما تقوم به بعض الأنظمة التي لا تحكم بما أنزل الله من إفساد

لأديان الناس وعقولهم وأموالهم وأعراضهم وما يقومون به من سجن وقتل وتعذيب للدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأين الحديث عن... وعن... من مظاهر الغلو؟

لماذا هذه الانتقائية في الحديث عن الغلو؟ إنه الغفلة عن المآلات وخداع المخادعين.

وبهذه المناسبة أنقل كلامًا قد كتبته منذ عشرين سنة في كتاب «ففروا إلىٰ الله» حذرت فيه من فتنة الخوارج وغلوهم وذكرت شنائعهم واستدركت حينها استدراكًا مهمًّا أنقله هنا بالحرف الواحد لتأكيد ما ذكرته آنفًا من خطورة الكلام عن أمر معين والحكم عليه دون معرفة مآلات الحكم وعواقبه.

- **قلت في ذلك الوقت**: «وهنا ينبغي الإشارة إلىٰ أمر جدير بالانتباه ألا وهو ضرورة معرفة الوقت والحال التي تبرز فيه هذه الفتنة؛ فإن كانت في حال تمكن لأهل السنة وولاتهم سواء كانوا ولاة عدل أو جور، فإن المتعين منابذة الخوارج ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، أما لو كانت المواجهة بين الخوارج وبين أئمة الكفر والزندقة والخارجين علىٰ الإسلام؛ فإن الأمر والحالة هذه يحتاج إلىٰ تمحيص وتدقيق وموازنة بين مفسدة الخوارج ومفسدة الكفرة المواجهين لهم، وأن يحذر من أن يجد أهل السنة أنفسهم في صف الكفرة المارقين بحجة مواجهة فكر الخوارج والفرار من فتنتهم؛ فإما أن يصرح بالبراءة من الفريقين

مع بيان أن الكفر أشد من البدعة إن كان هذا ممكنًا، وإلا فليحذر من بدعة الخوارج بصورة لا تصلح أن تستغلها الأنظمة الكفرية وتوظيفها في محاربة الدعاة في شخص الخوارج وكسب ولاء العامة في صفهم.

- **ولابد هنا من التنبيه علىٰ أمر آخر**: ألا وهو أن باب المصالح والمفاسد وتقديرهما والترجيح بينهما مقام عظيم لا يصلح لكل أحد أن يقتحمه، بل لابد من عرضها علىٰ الفقيه المجتهد الذي يجمع بين العلم الواسع بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، والعلم بأحوال النوازل، ولديه من الدين والورع ما يحميه من كتم الحق ولبسه بالباطل؛ ولذلك فإني أنصح نفسي وإخواني الدعاة بعدم الجرأة والتسرع في تقدير المصالح والمفاسد والترجيح بينهما، وأن تعرض علىٰ الفقهاء المجتهدين الورعين، ولاسيما في مثل هذه القضايا التي تتعلق بالدماء والأموال والأعراض، فكم من المظالم والانتهاكات ارتكبت بدعوىٰ تحقيق المصالح ودرء المفاسد»(١).

◦ **المثال الثالث**: دخول بعض الإسلاميين في المجالس البرلمانية وممارستهم العمل السياسي مع الطواغيت والوقوع في فخهم دون الالتفات للمآلات الخطيرة لهذه المشاركات والتهوين من شأنها، لاسيما المتعلق منها بالعقيدة، إننا لا نشك في النية الحسنة - إن شاء الله

---

(١) «رسالة ففروا إلىٰ الله» للمؤلف (ص ٣٢٢، ٣٢٣) طبع سنة (١٤١٧ هـ).

تعالىٰ- لمن يقبل المشاركة في العمل السياسي الديموقراطي، وأن قصدهم التخفيف من المفاسد علىٰ المسلمين وتحقيق بعض المصالح للإسلام والمسلمين كما زعموا، ولكننا نقول لهم: هل درستم المآلات والمفاسد الخطيرة لهذه المشاركات؟ هل وضعتم المصالح التي تدَّعون تحقيقها بزعمكم من دخول هذه المجالس، هل وضعتموها في كفة والمفاسد والمآلات الخطيرة الناجمة من دخولكم في كفة آخرىٰ وقارنتم؟ إنه وبالتأكيد لو فعلتم ذلك لطاشت كفة المصالح التي تدعونها وثقلت كفة المفاسد الخطيرة المتحققة من هذه المشاركات.

☜ **وإليكم شيئًا من هذه المقارنة:**

- **كفة المصالح التي يدعيها الداخلون في هذه المجالس:**

يبرر المشاركون في العمل السياسي دخولهم فيها بأنهم يحققون بعض المصالح ويدرءون بعض الشرور والمفاسد عن المسلمين وعن الدعوة الإسلامية ويحاولون إحباط أيِّ تشريع يخالف الإسلام، وأنهم يمثلون الصوت الإسلامي الذي يدافع عن القضايا الاسلامية في هذه المجالس، وأنهم بذلك يزاحمون أعداء الدين من علمانيين ومنافقين وباطنة ويهود ونصارىٰ ويراغمونهم ولا يتركونهم ينفردون بهذه المجالس فيفسدوا فيها.

- **كفة المفاسد والمآلات الخطيرة الناشئة عن الدخول في هذه المجالس:**

إنه لا مفسدة أكبر من مفسدة الشرك ولا مصلحة -مهما كبرت- يبرر بها الوقوع في الشرك، ويتبين هذا من المخاطر التالية:

○ **أولًا**: إعطاء اليمين الدستورية من كل مشترك في هذه المجالس باحترام الدستور العام للدولة بما في ذلك البنود التي تنص علىٰ أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع، أو أنها المصدر الرئيسي، والبنود التي تستحل الزنا حالة الرضا، وتستحل المسكرات والربا، وغيرها من المحرمات وبما فيها من الأنظمة التي تمنح الرخص لمواخير الزنا، وحانات الخمور، وغيرها مما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، فيا سبحان الله كيف تعطىٰ اليمين علىٰ احترام الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، من غير إكراه ملجئ ؟!

وأي مفسدة أعظم من الوقوع في هذ الخطر الجسيم؟! وأي مصلحة تقابل هذا الفساد العريض علىٰ الفرد المشارك وعلىٰ الأمة؟!

○ **ثانيًا: وهي لا تقل عن الخطر السابق**: حيث يقبل المشتركون في هذه المجالس من الإسلاميين أن يجلسوا في مكان يصوَّت فيه علىٰ أحكام الله عَزَّوَجَلَّ خالق السموات والأرض، فما وافق عليه المجلس فهو الذي له الشرعية والنفاذ وما عارضه فهو المُلْغَىٰ ولا يأخذ الشرعية.

فيا سبحان الله وبحمده! كيف تعرض أحكام العليم الحكيم العظيم الخبير علىٰ عقول البشر ويصوت عليها بالتحريم أو التحليل؟! كيف يقبل مسلم أن يوضع حجاب المرأة أو شرب المسكرات أو فتح مواخير الزنا؟! هذه الأمور التي حسمها شرع الله عَزَّوَجَلَّ وأنزل حكمها القاطع في كتابه الكريم، فكيف يرضىٰ مسلم بالبقاء في مجالس تكون فيه أحكام الله عَزَّوَجَلَّ مجالًا للقبول أو الرفض، وأن تكون السيادة العليا فيها لمجالس البشر الظالمة الجاهلة؟ ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ

يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقد يقول المشارك في هذه المجالس من الإسلاميين: إني بوجودي في المجلس أقف مع شرع الله عَزَّوَجَلَّ وأطالب بتحريم ما حرم الله تعالىٰ وتحليل ما أحل الله تعالىٰ ولا أقبل خلاف ذلك، وإذا كثرت أصوات المطالبين بشرع الله عَزَّوَجَلَّ كانت نتيجة التصويت إقرار شرع الله تعالىٰ!

والجواب المجمل علىٰ هذا القول: هو أن الخطر يكمن في قبول أن يكون شرع الله تعالىٰ قابلًا للتصويت علىٰ قبوله أو رفضه بغضِّ النظر عن نتيجة التصويت، فالأصل أن تكون السيادة العليا هي لشرع الله تعالىٰ فما وافقه يؤخذ به وما عارضه يترك ويرفض، وألا يسمح بأن تطرح أحكام الله عَزَّوَجَلَّ للتصويت أصلًا، لكن الحاصل في المجالس الجاهلية هو العكس حيث السيادة العليا هي لهذه المجالس فما وافق تشريعاتها أقر وما خالفها يترك، وهذا هو الخطر العظيم الذي مَن قبل به فإن توحيده وولاءه وبراءه في خطر.

- **ثالثًا:** إن المشاركة في هذه المجالس والدخول تحت مظلتها والجلوس جنبًا إلىٰ جنب مع الكفرة والملحدين فيها يعد بمثابة الإقرار لهذا المجلس بالشرعية وإيهام الناس بشرعيتها وشرعية القائمين عليها والمنشئين لها من الطواغيت وأحزابهم، وفي دخول الإسلاميين فيها تناقض عجيب بين ما يدعون إليه وبين صنيعهم هذا، فالمطلوب من الدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يكفروا بهذه المجالس ومن أنشأها وأن يحاربوها؛ لأن ذلك من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالىٰ.



نتيجة المقارنة:

يتبين لنا بعد المقارنة بين كفتي المصالح والمفاسد السابقتي الذكر: أن المفاسد والمآلات الخطيرة الناجمة من مشاركة الإسلاميين في العمل السياسي أكبر وأعظم من المصالح التي يدعيها الداخلون لارتباطها بالشرك المنافي للتوحيد فهل فوق مفسدة الشرك مفسدة؟

وكذلك بمقارنة المصالح والمفاسد من حيث تحققهما في الواقع نجد أن كفة المفاسد أكثر تحققًا وظهورًا بينما كفة المصالح فهي أقرب أن تكون موهومة والواقع يشهد بذلك؛ فماذا حقق المشاركون من مصالح للإسلام والمسلمين؟!

وليس دوري هنا أن أصدر حكمًا علىٰ الداخلين في هذه المجالس بقدر ما هو تنبيه علىٰ أثر المعرفة بمآلات المواقف في الأحكام، وأن الغفلة أو التغافل عن ذلك يؤدي إلىٰ مواقف ومفاسد خطيرة في الانتباه إليها أثر في إبطال تأول المتأولين بدخولهم في هذه المجالس.

- **المثال الرابع:** الإفتاء بفتاوىٰ يوظفها الظلمة في إيذاء أولياء الله عَزَّوَجَلَّ من الدعاة والمحتسبين والمجاهدين؛ فقد يوجد من بعض المشايخ أو طلبة العلم من يقوم بإصدار فتاوىٰ يبادرون بها أو قد تطلب منهم في مسائل يستخدمها الساسة في تبرير إيقاف الدعاة وسجنهم وإيذائهم أو إيقاف دعم الجمعيات الخيرية ودعم مجالات الدعوة والجهاد.

وقل مثل ذلك في تحديث الناس بما لا يعقلون، وبما قد يكون لهم فيه

فتنة، فالواجب علىٰ المفتي أو المحدث ألا يكون همه الفتوىٰ المجردة، بل عليه أن يبحث عن مقصود مَن استفتاه وعن المآلات الفاسدة التي تئول إليها فتواه، وإذا لم يكن عنده هذه النظرة والفطنة؛ فإنه يَضِلُّ ويُضلُّ بفتواه، وقد سبق وأن نقلت في هذا كلامًا لابن القيم رحمه الله تعالىٰ يحذر من هذه المخاطر.

وأسوق للتدليل علىٰ هذه المسألة المهمة أثرين أوردهما البخاري رحمه الله تعالىٰ في «صحيحه»:

◦ **الأول:** عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن ناسًا كان بهم سقم قالوا: يا رسول الله، آونا وأطعمنا فلما صحُّوا قالوا: إن المدينة وخمة فأنزلهم الحرة في ذود له فقال: اشربوا ألبانها، فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا ذوده؛ فبعث في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتىٰ يموت.

قال سلَّام -أحد رواة الحديث-: فبلغني أن الحجاج قال لأنس: حدثني بأشد عقوبة عاقب بها النبي ﷺ فحدثه بهذا فبلغ الحسن فقال: وددت أنه لم يحدثه بهذا»(١).

◦ **الثاني:** عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!»(٢).

---

(١) البخاري (٥٦٨٥).

(٢) البخاري (١٢٧).

يقول ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في شرحه لهذا الأثر عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وفيه دليل علىٰ أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(١)].

وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج علىٰ السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة، كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلىٰ ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي»[(٢)].

- **المثال الخامس**: التسرع في تكفير بعض الأفراد والهيئات وإعلان ذلك دون الدراسة المتأنية لتوفر شروط التكفير أو موانعه في المعين، ودون النظر في مآلات هذه الأحكام وما يترتب عليها من سفك للدماء وتفريق للصفوف وفتنة علىٰ المكفِّر والمكفَّر.

إن مآلات إعلان الحكم علىٰ المعين -حتىٰ ولو تبين كفره أو بدعته أو فسقه- إن كان سيترتب علىٰ ذلك مفاسد وفتنة علىٰ المبيِّن أو علىٰ الناس الذين يبين لهم فإنه يجوز والحالة هذه كتم هذا العلم وهذا الحكم درءًا لمفسدة أكبر مَن مفسدة

(١) مسلم (٥) باب: النهي عن الحديث بكل ماسمع (١/ ١١).
(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٢٥).

السكوت قد تقع علىٰ صاحبها أو علىٰ مَن يسمعها، ولاسيما إذا لم يكن في الإعلان مصلحة وحاجة تربو علىٰ هذه المفسدة.

وكم سمعنا ورأينا من مفاسد وفتن وبلايا حلت بالمتسرعين في إظهار قناعاتهم في حكمهم علىٰ الأعيان، لا تكافئ تلك المصالح التي يتوهمون بتحقيقها من جراء إعلانهم ذلك، والمقصود: إعمال فقه الموازنات في مآلات الأقوال والأفعال، والعاقل هو الذي يعرف خير الخيرين فيأتيه وشر الشرين فيدعه.

ومن الأدلة التي يُستأنس بها هنا: الأثر الذي رواه البخاري رحمه الله تعالىٰ بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين؛ فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[(١)].

قال ابن حجر في «فتح الباري»: «حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه علىٰ الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفًا علىٰ نفسه منهم، كقوله: «أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان». وإنما أراد أبو هريرة بقوله: «قطع» أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم..

وقال غيرهم: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط

---

(١) البخاري (١٢٠).

الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان؛ فينكر ذلك مَن لم يألفه ويعترض عليه من لا شعور له به»[(١)]

○ **المثال السادس**: الفتاوىٰ في قضايا المرأة المعاصرة دون النظر إلىٰ مآلات هذه الفتاوىٰ وما يراد منها من الإفساد والتغريب، وذلك بأن يتعرض المفتي لمسائل كثيرة عن المرأة، كأن يُسأل عن الحجاب الشرعي، وحكم اختلاطها بالرجل، وهل تجوز قيادتها للسيارة؟.. وفتح النوادي الرياضية لها، وسفرها بلا محرم للحاجة...إلخ.

فإن أفتىٰ المفتي في مثل هذه المسائل دون النظر إلىٰ مآلات الحكم، أو دون النظر لمكر المستفتي، أو دون النظر لمن سيوظف الفتوىٰ في مخططه المرسوم لإفساد المرأة، إذا لم يراع المفتي هذه الأمور، فإنه سيفتي فتوىٰ مجردة كأن يقول بالرأي المرجوح في جواز كشف المرأة لوجهها، أو جواز اختلاطها بالرجل بالضوابط الشرعية! أو جواز قيادتها للسيارة، كما لو كانت تقود البعير والحمار في القديم! أما إذا نظر المفتي في هذه المسائل وتأملها، ووعىٰ واقعه الذي يعيشه والذي ستنتشر فيه فتواه، وماذا ستئول إليه فتواه، ومَن هم المفسدون الذين سيتخذون الفتوىٰ ذريعة لمفاسد يبيتونها وتطفح علىٰ ألسنتهم وكتاباتهم.

إنه إذا نظر إلىٰ ذلك كله، فإن الفتوىٰ حينئذ ستأخذ في الاعتبار مفاسد كشف الوجه في هذا الزمان، وما يترتب عليه من الفتن، وأنه باب إلىٰ السفور والتبرج، وكذلك مفاسد اختلاط المرأة بالرجل، وأن المتربصين بالمرأة يريدون زجها مع

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢١٦- ٢١٧).

الرجل في كل ميادين العمل، ما يناسب المرأة منها وما لا يناسبها، وستكون سكرتيرة وعاملة في المصنع مع الرجل، تخلو به ويخلو بها، وغير ذلك من المفاسد، وكذلك ما يتعلق بقيادة السيارة؛ فعندما ينظر إلىٰ المفاسد العظيمة التي تئول إليها؛ فإن الفتوي تتغير ولا يصبح الأمر شبيهًا بقيادة الحمار أو البعير! وإنما الأمر فيه من المخاطر ما الله به عليم.

ولا يقال: إن هذا الكلام تخرُّص وتوهُّم، وإنما هو عين الحقيقة لمن تبصر واقعه، وما جدَّ فيه من الفتن والشرور، ويكفي أن نلقي نظرة فاحصة علىٰ من وقع في هذه الفتن من بلدان المسلمين لتكون شاهدًا لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

وليس المقام مقام تفصيل هذه المفاسد، فهي أوضح من أن تفصل وتذكر، ولسنا بحاجة إلىٰ ذكر ذلك كله، وإنما حاجتنا إلىٰ أن يتقي الله بنو قومنا من الذين يتكلمون بلا علم أو وعي لواقعهم، فيفتون بلا مراعاة لمآلات فتواهم فيضلون ويضلون، ليتقوا الله في دين الأمة وأعراض المسلمين، وليحذروا من مكر الماكرين ومغالطات المفسدين الذين يفرحون بمثل هذه الفتاوىٰ لينفذوا بها مخططاتهم التغريبية باسم الشرع والدين.

وبالجملة: فإن المفتي الموفَّق في هذا الزمان هو الذي يأخذ حذره في فتواه وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة لأنها مستهدفة، ويراد لها أن تحاكي المرأة الغربية في زيها وممارساتها في نهاية الأمر، فإذا أدرك المفتي هذا المخطط الإفسادي، وأدرك حقيقة المعركة اليوم بين السفور والحجاب؛ فإنه حينئذ سيكون فطنًا ولا يصدر فتواه إلا بعد روية ومعرفة بمآلات فتواه، وهذا يقتضي وعيه بالواقع، وسؤال أهل

الخبرة والاختصاص والاستفصال من السائل عن كل ما يتعلق بسؤاله، ويفصل في جوابه بحيث يسد علىٰ المفسد أيَّ باب يمكن أن يدخل منه في توظيف الفتوىٰ في غير مقصودها الشرعي.

○ **المثال السابع:** خروج بعض الدعاة في بعض القنوات العلمانية المفسدة دون النظر في مآلات هذا الخروج، يتحجج هؤلاء الذين يخرجون علىٰ شاشات القنوات العلمانية الخبيثة بأنهم بذلك يخاطبون الملايين من المسلمين في ساعة واحدة ويبلغونهم رسالة الله، كما كان الرسول ﷺ يغشىٰ المشركين في نواديهم يبلغهم رسالة الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الحجة من هؤلاء الدعاة حق وخير، ولكنهم نسوا أو غفلوا عن المآلات والمفاسد الخطيرة التي تنجم عن فعلهم هذا والتي تربو علي المصالح التي يرومونها من الظهور في هذه القنوات لا من حيث الأهمية ولا من حيث تحقق هذه المصالح والمفاسد في الواقع؛ فالمفاسد متحققة والمصالح موهومة.

● **ومن أخطر هذه المآلات والمفاسد:**

١- مما لا شك فيه أن استقلالية وتميز الخطاب الدعوي الإسلامي مطلب أساس في ذاته قلبًا وقالبًا، قلبًا علىٰ مستوىٰ مضمون هذا الخطاب ذاته، وقالبًا علىٰ مستوىٰ وسائل الدعوة وأوعيتها؛ لذا فإن خروج بعض الدعاة الرموز في منابر إعلامية تعلن في برامجها محاربتها الصريحة أو المبطنة للعقيدة، والأخلاق الإسلامية، والفضيلة فيه تزكية لهذه القنوات في أعين

بعض الناس، كما أن خروج الداعية المتميز في القنوات يجعله بعض الناس ذريعة لاقتنائها.

٢- قد يتعرض الداعية الرمز إلىٰ أسئلة محرجة من قِبَل هذه المنابر قد تدفعه إلىٰ ألا يقول الحق فيها كاملًا، فيضطر إلىٰ أن يأتي بأجوبة سياسية غامضة، من شأنها تضليل العامة والتدليس عليهم.

٣- قد يطلب من الداعية الرمز الحديث في مسائل يعرف الملبسون موقف الداعية منها كالحديث عن الغلو والتكفير والحركات الجهادية، ولكنهم يريدون من ذلك توظيفها في محاربة الدعوة وأهلها، وقد يرىٰ الداعية أنه يقول الحق فيها مجردًا، وينسىٰ أن التوقيت قد لا يكون مناسبًا لتناول مثل هذه القضايا، وقد يقدم الداعية الرمز بعض التنازلات أو المسوغات فيما يخص هذه القضايا قد يرىٰ أنها ضرورية في هذا الظرف أو ذاك، فيؤدي هذا التغير في المواقف إلىٰ إضعاف مكانته عند شباب الصحوة ومن ثم إسقاط مرجعيته العلمية والدعوية عند باقي الأمة، وتصبح بذلك الساحة الإسلامية مفرغة من العلماء المرجعيات، وهذا ما يصبو إليه من وراء هذا النوع من الإعلام المشبوه.

٤- هز بعض المسلَّمات المختارة بقصد والتشكيك فيها بزعم عرضها علىٰ ساحة النقاش والتمحيص، وهذا بالنسبة لهؤلاء العلمانيين مكسب في حد ذاته حتىٰ ولو انتهىٰ الحديث إلىٰ صورة الرأي الذي قال به الداعية أو الشيخ أو الرمز، ففي النهاية تصبح هذه المسلمة (محتملة) حتىٰ وإن ذكر أن (الراجح) فيها هو القول المسلم به قبل المناقشة، وهذه الخطوة مهمة

يرضىٰ بها العلمانيون الآن.

٥- اكتسب هذا المنبر العلماني مشروعية هو في حاجة إليها، وثقة فيه يفتقر إليها بمشاركة هؤلاء الدعاة والمشايخ والرموز.

٦- تهميش القضايا المهمة وإلهاء الجماهير وصرفهم إلىٰ قضايا أخرىٰ يكثر فيها الكلام، وتتضخم لتأخذ حجمًا أكبر من حجمها الحقيقي، وإقحام الدعاة وإشغالهم في معارك تدور حولها.

٧- ضرب بعض فصائل الحركة الإسلامية ببعضها؛ وذلك بإتاحة الحديث لرمز فصيل ما عن رموز فصيل آخر أو آرائه واجتهاداته التي يتبناها، والسعي بذلك في الفرقة بين فصائل الحركة الإسلامة.

٨- تحول بعض مشاركات هؤلاء الرموز إلىٰ حلبة صراع كلامي يستعرض فيها المشاركون (عضلاتهم الكلامية والفكرية)، وهم وإن (انتصروا) في النهاية إلا أن الأثر المنطبع في ذهن المتلقي يظل أثرًا باردًا لا يؤدي غالبًا إلا إلىٰ إثارة ذهنية كلامية جدلية، وهذا ما ينعكس سلبًا علىٰ المعاني والقيم التي يلقيها هؤلاء الرموز من هذا المنبر، بعكس حديث هذه الرموز نفسها من منابرها؛ حيث توجد علاقة تفاعل إيجابي بين الملقي والمتلقي، تجعل هذا الأخير يتلقىٰ رغبة في الالتزام بما يسمع وفي المشاركة في حركة إيجابية في المجتمع.

٩- مشاركة هؤلاء الدعاة والمشايخ والرموز -من حيث لا يقصدون أو ينتبهون- في ترسيخ معنىٰ العلمانية في شعور المتلقِّين؛ وذلك عندما يرىٰ هؤلاء المتلقون انفصالًا حادًّا وواسعًا بين طبيعة الخطاب (الديني) الذي يظهر من خلاله هؤلاء وطبيعة المواد الأخرىٰ التي يتابعونها والتي لا تمت

للدين بصلة، بل قد تخاصمه أو تهاجمه صراحة أو خفية(١).

○ **المثـال الثامـن:** حضور مجالس أهل الشبهات والشهوات وقراءة كتبهم والدخول إلىٰ مواقعهم والغفلة عن المآلات الخطيرة التي تترتب علىٰ ذلك.

لقد شدد السلف رحمهم الله تعالىٰ في وصاياهم وكتبهم في النهي عن حضور مجالس أهل الأهواء والشبهات لما لها من الأثر والمآل السيئ علىٰ عقيدة المسلم وسلوكه وأخلاقه، ويلحق بذلك القراءة في كتب أهل الشبهات والشهوات والدخول إلىٰ مواقعهم، كل ذلك مما يجب علىٰ المسلم الحذر والفرار منه، لأن القلب ضعيف وقد يتعلق به شبهة أو شهوة يصعب التخلص منها ومع ذلك فإنا نرىٰ اليوم ولاسيما بعد هذه الثورة الإعلامية في الكتب والمجلات والقنوات ومواقع الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي -نرىٰ من استهان بالدخول فيها والاطلاع علىٰ ما فيها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

---

(١) انظر للاستزادة: مقال «المكر الإعلامي» للأستاذ: خالد أبو الفتوح في مجلة البيان العدد رقم (١٧٤).

فلهذا ينبغي لمن أراد لنفسه النجاة أن يحذر هذه المجالس والمواقع وأن يفر بدينه من فتنتها، ولنتدبر قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[الأنعام: ١١٢، ١١٣].

- **يعلق الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ علىٰ هذه الآيات فيقول:**

«وفي هذه الآية ترتيب غريب عجيب بالغ في الحسن لأن السبب الأول: هو الغرور والخديعة فتسبب عن الغرور والخديعة أن صغت إليه قلوبهم ومالت، ثم تسبب عن صوغ القلوب وميلها أنهم أحبوه ورضوه ثم تسبب عن كونهم أحبوه ورضوه أن اقترفوه، ولذا رتبها علىٰ هذا الترتيب قال أولًا: ﴿غُرُورًا﴾؛ أي: لأجل أن يغروهم ثم نتج من الغرور صوغ أفئدتهم إليه، قال: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ثم تسبب عن كونها صغت إليه أنها رضيته وأحبته؛ ولذا قال: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ ثم تسبب عن رضاهم ومحبتهم له أنهم فعلوه واقترفوه؛ ولذا جاء بعدها بقوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾»(١).

---

(١) «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٢/ ١٥٣-١٥٤) جمع د. خالد السبت.

○ **المثال التاسع**: التسرع في المواقف والحكم علىٰ الأمور قبل التثبت من وقوعها وقبل التثبت من الظروف والملابسات المحيطة بها.

إن مثل هذا التسرع قد يئول بأحكام ومواقف جائرة سواء علىٰ الأفراد أو الطوائف، ويندم عليها المتسرع إذا بان له بعد التثبت خلاف ما كان يظن ولا ينفع عندها الندم، لاسيما إذا كانت هذه المواقف المتسرعة من رمز متبوع وطارت كل مطيَّر وتأثر بها فئام كثيرة من الناس وترتب عليها فرقة واختلاف بل واقتتال.

وقفة أخيرة في المآلات:

وقد يقال أن الحديث في فقه المآلات قد تركز علىٰ البحث في المآلات السيئة في أي قضية بينما قد يكون هناك مآلات صالحة ونافعة يغفلها المتشددون الذين يغلِّبون المفاسد علىٰ المصالح.

- **وهنالك نقول**: نعم قد يوجد بعض المصالح ولكن العبرة بالغالب الأكثر وبالذي يتحقق في الواقع وليس متوهمًا.
- **والمقصود من التنبيه علىٰ فقه المآلات**: هو التأكيد علىٰ العناية بهذا الفقه، وأن يكون حاضرًا في أحكامنا ومواقفنا، وأن نكون علىٰ دراية في فهم الواقع وأهله وملابساته؛ فإذا قام عالم راسخ في فهم الواقع وأهله واجتهد في كون الحكم في هذا الأمر أو ذاك يؤدي إلىٰ المآلات أو لا يؤدي إليها أو كانت المآلات الصالحة أكثر؛ أو أن المآلات السيئة أكثر؛ فهذا موطن اجتهاد له وزنه وتقديره؛ لأنه نجم عن استفراغ الجهد في معرفة الأحكام،

وما تئول إليه في واقع الناس، وليس الكلام عن فقه المآلات مع هؤلاء العلماء الواعين المخلصين، إنما الكلام عن هذا العلم الشريف هو مع المتسرعين في أحكامهم ومواقفهم الذين لم ينطلقوا من دراسة شرعية واعية متأنية، وإنما انطلقوا من ردود أفعال متسرعة وحماس غير منضبط بالشرع والعقل، ولم يبالوا بما يترتب علىٰ مواقفهم المتسرعة من مآلات وشرور.

☜ ختامًا:

هذا ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ كتابته في هذا الموضوع المهم الملح لاسيما في واقعنا المعاصر.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون خالصًا صوابًا وأن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه.

والحمد لله رب العالمين.

بقلم/ عبد العزيز بن ناصر الجليل

في ٢٥/ ١١/ ١٤٣٨هـ

❋ ❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

* * * *